دكتور سعد عبد الرحمن
أستاذ علم النفس الاجتماعي
والقياس النفسي - الكويت

السلوك الإنساني

تحليل وقياس المتغيرات

- سلوك الإنسان
- الدوافع وسلوك الإنسان
- الشخصية وسلوك الإنسان
- القدرات وسلوك الإنسان
- الادراك الاجتماعي وسلوك الإنسان
- الضغوط الاجتماعية وسلوك الإنسان
- الاتجاهات النفسية وسلوك الإنسان
- البناء السوسيومتري للجماعة وسلوك الإنسان
- نحو نظرية اخرى لتفسير سلوك الإنسان



مكتبة الفلاح

الطبعة الأولى ١٩٧١
الطبعة الثانية ١٩٧٧
الطبعة الثالثة ١٩٨٣



الإهداء

إلى كل من أحسن إلىّ فعلمنى . . . .

إلى كل أستاذ تتلمذت عليه وتعلمت على يديه ونهلت من فيض علمه . . . .

إلى كل إنسان منحنى علماً وأعطانى معرفة وأفادنى خبرة وزادنى تهذيباً . . . .

إلى كل معلم إنسان كريم لا يضن ولا يبخل بعلمه ومعرفته على صاحبته وبنيه . . . .

وفاء لك أيها الأستاذ ، وأنا أعلم أن فيك قبساً من نور الله . . . .

وعرفانا بجميلك أيها المعلم الإنسان ، وأنا أعلم أنك من خلائف الرسل والأنبياء . . . .

وتقديراً لفيض علمك ومعرفتك أيها الرجل الخير لخير الناس من تعلم العلم وعلمه . . . .

أقدم هذا الجهد المتواضع . . . .

د. سعد عبد الرحمن

محتويات الكتاب

تقديم

كثيراً ما راودنى حلم كبير وفكرة عميقة سيطرت على من خلال قراءاتى أو ما قمت به من دراسات وبحوث فى السنوات الأخيرة وكان ذلك هو أن أكتب عن سلوك الإنسان ، الذى كنت ومازلت أعتقد أن أفضل وصف يمكن أن يوصف به هو أنه سهل ممتنع .

وحاولت فعلا أن أكتب منذ مدة : فيأخذنى الحماس وأبدأ ولكن بعد مضى عدة صفحات أخطها بالقلم أجد أننى غير قادر لأن ما قرأته وما خيل إلى أننى فهمته لم يكن قد وصل بى بعد إلى حد القدرة والإمكانية لأن أحقق ما أردت .

وحاولت بعد ذلك مرات ومرات حتى أمكننى أن أكمل هذا الكتاب وأنا أظن أو أعتقد أننى حققت جزءاً كبيراً مما كنت أريد .

فقد قدمت لهذا الكتاب بمناقشة متعددة الجوانب تناولت فيها معنى سلوك الإنسان وطبيعته ومشكلاته سواء من ناحية المحتوى أو المنهجية ثم استعرضت فى غير إيجاز ولا إطناب العوامل التى اعتقدت دائماً أنها ذات أثر مباشر على سلوك الانسان الفرد فناقشت كلا منها فى فصل مستقل وكان محور مناقشتى الأساس النظرى أولا ثم التطبيق العملى الذى يستفيـــد منه طالب البحث والدراسة فى الجامعة أو فى غيرها من المعاهد المتخصصة فى الدراسات الانسانية والاجتماعية .

فتناولت الدوافع والشخصية الإنسانية والقدرات والإدراك الاجتماعى على أنها عوامل يمكن أن تدخل إلى مناقشاتها ومعالجتها عن طريق الفرد وخصائصه السيكلوجية .

ثم تناولت الضغوط الاجتماعية والاتجاهات النفسية والبناء السوسيومترى للجماعات على أنها عوامل يمكن أن تدخل إلى مناقشتها ومعالجتها عن طريق الجماعة وديناميتها وعملياتها .

ثم جاء الفصل الأخير من هذا الكتاب فأردت له أن يكون ميداناً يلتقى فيه هذان المدخلان معاً من أجل تفسير سلوك الإنسان فى صورة نظرية أعتقد أن فيها بعض الجدة وبعض الأصالة .

كتبت هذا الكتاب وأنا أتوقع أن يقرأه كل من يهتم بما فيه من موضوعات وأن تكون له من الملاحظات والآراء ما يزيدنى إيماناً بأن علم الإنسان حصيلة تراث قديم وثقافة حاضرة وتفاعل مستمر مع فكر غيره من ذوى الاهتمام والخبرة والتخصص .

المؤلف الكويت فى مايو ١٩٧١

مقدمة الطبعة الثانية

أما بعد

فإني أقدم لأبنائي وتلاميذي من قراء هذا الكتاب الطبعة الثانية منه وأرجو أن يكون فيها ما يثير الحوار والنقاش حول الموضوعات التي تناولتها فيه .

وهذا الكتاب يجمع بين الموضوعات التي تعالج المفاهيم الأساسية لسلوك الإنسان مع محاولة تحديد الطرق المناسبة لقياس المتغيرات المتعلقة بهذا السلوك ولذلك فإنني أرى أن لهذا الكتاب فائدة ما بالنسبة للإخصائي النفس والأخصائي الاجتماعي والمعلم والمشتغل بأمور الجماعات والتنظيمات المختلفة .

ولا يسعني إلا أن أقدم الشكر جزيلاً للذين قرءوا الطبعة الأولى وأقبلوا عليها وأن أقدم الثناء كثيراً للذين استفادوا من قراءتهم لها .

الكويت يناير ١٩٧٧

المؤلف

الفصل الأول

• سلوك الإنسان

سوف نحاول فى هذا الكتاب أن نناقش فى موضوعية — ما أمكن ذلك — علاقة السلوك الإنسانى بأسبابه المحتملة وكذلك طبيعة هذا السلوك وخصائصه ومشكلاته العامة والنوعية .

كما سنفرد بطبيعة الحال قدراً خاصاً من المناقشة والمعالجة لتقدير وقياس هذه العلاقة ومن ثم تقدير وقياس السبب والنتيجة .

ومما يمكن أن نقوله فى هذا المجال أن السلوك الإنسانى أو السلوك البشرى هو فى ظاهره سهل ممتنع أى من السهل أن تتوقع أن يسلك الإنسان ولكن من « الممتنع » أو من الصعب أن تتوقع نوعية السلوك الذى سوف يسلكه ويقدمه : لا لأن النفس البشرية ذات تركيب صعب معقد فقط ولا لأنه من غير الممكن أن تتنبأ بسلوك الإنسان فى يسر وسهولة فحسب بل لأن العلاقة بين نوعية السلوك الإنسانى وبين مسبباته ما زالت فى حاجة إلى كثير من الدراسة والبحث والتدقيق .

والسلوك الإنسانى هو أساس التفاعل بين الأفراد فقد يكون مجموعة الأفعال التى تصدر عن فرد معين كما قد يكون مجموعة ردود الأفعال التى تصدر عن فرد آخر فإذا أردنا أن نشرح ونوضح هذه الملاحظة فإنه يتعين علينا أن ننظر إلى الإنسان ككائن اجتماعى من أهم صفاته وخصائصه أن يكون نوعاً خاصاً من العلاقات بينه وبين الكائنات الأخرى وفى مقدمتها الكائنات الانسانية المماثلة أو المشابهة وهذه العلاقات إنما تعتمد على ما يصدره الفرد من أفعال وعلى ما يتلقاه عليها من ردود .

فالأفعال سلوك والردود عليها سلوك ومجموع هذه الأفعال وردود الأفعال تفاعل اجتماعى Social Inter-action وهذا التفاعل الاجتماعى هو الذى يكون شبكة العلاقات الإنسانية. تلك الشبكة أو المحصلة تصبح قادرة على إحداث الضغوط الاجتماعية فتعدل الاتجاهات النفسية وتغيرها أو تعززها وتبقى عليها كما تحدث أيضاً مواقف المفاضلة والاختيار di rential Situations التى تتكون فيها القيم وتتطور وتنمو أو تضمحل وتتلاشى. ويمكن لهذه الضغوط الاجتماعية أيضاً أن تحول الاتجاه النفسى من حالته العادية إلى حالة حادة عنيفة وبذلك يتحول الاتجاه إلى رأى عام يحدث من التأثير ماله قيمة ووزن.

وبناء على هذا التصور المنطقى يصبح السلوك الإنسانى الذى يبتدعه أو يصدره الإنسان هو أساس تكوين القيم والمعايير والاتجاهات التى هى فى حد ذاتها قيود فرضها الإنسان على نفسه نتيجة سلوكه وتفاعله مع الآخرين.

وربما كنا فى حاجة إلى تفصيل وتوضيح أكثر حتى تبرز لنا العلاقة بين سلوك الفرد وبين ما يستحدث داخل مجتمعه من قيم واتجاهات ومعايير.

فنحن لا يمكن أن ننكر أن هناك علاقة أكيدة بين السلوك الإنسانى كما تصورناه على أنه فعل أو رد فعل وبين شبكة العلاقات الإنسانية التى تحكم حياة الفرد داخـــل الجماعة والتى تحدد علاقة هذه الجماعة أو تلك بالجماعات الأخرى.

وعلى ذلك فإنه يمكن أن نصف السلوك الإنسانى ــ أو التفاعل الاجتماعى بوجه عام ــ بأنه الوسيلة الأساسية للاتصال بين الأفراد والجماعات وهو الوسط الذى تنتقل فيه الفكرة والعقيدة والمبدأ والقيمة والاتجاه.

وبناء على هذه الصفة أو الخاصة فإن السلوك الإنسانى يسبب حركية الجماعة ويعطيها فرصة التأثير على غيرها من الجماعات أو التأثر بها.

ثم أنه هناك نتيجة أخرى لهذه الخاصة وهى الصفة الكلية التكاملية التى تعطيها نوعية السلوك الإنسانى فردياً كان أم جماعياً للجماعة فتصبح بذلك الجماعة أكبر من مجموع أفرادها فيدخل فى حسابنا نوع السلوك ودرجة وشدة العلاقات التى تنتج عن هذا السلوك ومعدل التفاعل الاجتماعى بين أفرادها وهكذا حيث تصبح الجماعة ليست مجموعة الأفراد . بقدر ما هى نوعية ومعدل التفاعل الاجتماعى الذى يعتبر المظهر الأساسى للحياة فيها .

ونتيجة ثالثة ذات أهمية بالغة وهى أن هذا السلوك وهذا التفاعل الاجتماعى يؤدى إلى تمايز التركيب الاجتماعى داخل الجماعة كما يؤدى كذلك إلى تكوينها تكوينا نظاميا فتظهر القيادات والزعامات وتتضح المهارات والقدرات الاجتماعية للأفراد بما يقود إلى تعديل أوضاعهم النسبية داخل الجماعة .

ونتيجة رابعة وأخيرة هى أن مجموع الأفعال وردود الأفعال — أى التفاعل الاجتماعى — يكون دائما صادرا عن اختلال فى توزيع الطاقة داخل المجال الاجتماعى للجماعة أو بمعنى آخر نجد أن توتر المجال النفسى الاجتماعى يؤدى إلى زيادة معدل التفاعل داخل الجماعة أى زيادة الأفعال وردود الأفعال وكلاهما سلوك إنسانى .

وبناء على ما سبق أن قدمناه من أن السلوك الإنسانى هو وسيلة الاتصال بين الأفراد والجماعات ووسيلة انتقال الفكر بأبعاده المختلفة من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى جماعة . وبناء على النتائج الأربعة التى سبق الإشارة إليها من حيث أن السلوك الإنسانى يسبب حركية الجماعات ويعطى لكل جماعة صفة الكل المتكامل الذى يتميز عن غيره . كما يؤدى أيضا إلى تمايز البناء الداخلى للجماعة كما يرتبط كذلك بدرجة اختلال توزيع الطاقة داخل المجال النفسى الاجتماعى للجماعة . بناء على ذلك نستطيع أن نتصور نوع وحجم العلاقة بين السلوك الإنسانى أو البشرى وبين شبكة العلاقات الاجتماعية أو ذلك النظام الذى يحكم حياة الأفراد .

وفى بداية الحوار أو المناقشة نريد أن نوضح معنى كلمة النظام فهى ليست بمعنى النظم الرسمية أو القوانين التنظيمية ولكنها أقرب إلى معنى الالتزام بالقيم والمعايير والتقاليد بل والطقوس الاجتماعية التى تسيطر على حياة الجماعة . وعلى هذا فإن سلوك الفرد هو بداية الخيط بغض النظر عما يكون وراء هذا السلوك من خلفية وعما يكون أمامه من غرضية لأن هذه النقطة سوف تكون محل مناقشة وجدل فى أماكن متناثرة من هذا الكتاب .

فسلوك الفرد هو البداية — ولكل فعل رد فعل — وعليه فإن هذا النمط من السلوك أو ذاك من جانب الفرد سوف يقابله نمط مناسب من جانب الطرف الآخر . وعندما تزيد الجماعة عن فردين — وهذا هو ما نميل إليه دائما — لا يقف الآخرون موقف المتفرجين الملاحظين فقط بل يسهمون دائما فى تقييم هذا التفاعل بين الجانبين حيث يكون ذلك فى صورة سلوك من نوع آخر وهكذا تتعقد الصورة ويصبح السلوك البسيط الذى بدأ به الفرد نواة لتكوين شبكة من العلاقات الإنسانية أو البشرية . هذه الشبكة تصبح فيما بعد الهيكل الأساسى للنظام الذى يحكم حياة الأفراد .

إن هذه الشبكة من العلاقات ليست هى مجموع أنماط السلوك الداخلة فى تكوينها ولكنها فى حقيقة الأمر هى التفاعل المتوقع بين هذه الأنماط بعضها البعض حيث يكون من المتوقع أن تحتك هذه الأنماط ونتيجة هذا الاحتكاك تبرز القيم بدرجاتها المختلفة وكذلك الاتجاهات والمعايير . وفى داخل هذه الشبكة أيضا تمر القيم والاتجاهات والمعايير بمراحل عديدة من الاختبار والتجريب فيبقى منها ما هو صالح مفيد بالنسبة للجماعة ويضمحل ويتلاشى ما هو غير مناسب لها والمحك فى ذلك هو الهدف الذى تكونت من أجله هذه الجماعة أو تلك .

وبعد هذه المراحل من الاختبار والتجريب تستقر القيم وتصبح المعايير محددة واضحة وكذلك الحال مع الاتجاهات أو المعتقدات وبهذا يتكون الهيكل

الأساسى للنظام الذى أشرنا إليه بمعنى الالتزام ببعض القيم والاتجاهات والمعايير والتقاليد الاجتماعية .

يأتى بعد ذلك دور هذا النظام فى تجديد نفسه وتطوير مكوناته وإلا أصبح جامدا عاجزا عن القيام بمهمته فى السيطرة على أنشطة الأفراد والتحكم فيها وبالتالى فإن هذا النظام لابد وأن يعطى الفرصة لأن يتكون الجديد من القيم والاتجاهات والمعتقدات والمعايير .

نكون بذلك قد أوضحنا طرفا واحدا من الموضوع وهو العلاقة بين السلوك الإنسانى والنظام الذى أشرنا إليه ويبقى أن نوضح الطرف الثانى وهو أثر هذا النظام على السلوك الإنسانى .

قلنا فى سطور سابقة أن النظام الذى يحكم حياة الأفراد والجماعات يقوم على هيكل من القيم والمعايير والمعتقدات والاتجاهات : وقلنا أيضا أن هذا النظام لابد وأن يجدد نفسه ويطور مكوناته بأن يهيء الفرصة دائما لإنشاء الجديد من القيم والمعايير وكذلك لأن تضمحل وتتلاشى بعض القيم والمعايير الأخرى . ومن هنا نستطيع أن نفهم بل ونفسر كيف يؤثر هذا النظام على السلوك البشرى .

فالقيم وهى حجر الزاوية فى هذا التصور يمكن أن نوضح هذا التأثير . فالفرد عندما يريد أن يقدم على شىء ما فإنه ولا شك يناقش ولو بينه وبين نفسه جميع الاحتمالات والسبل التى تتعلق بما يريد أن يقدم عليه . وهو فى ذلك يفاضل أو يختار الاحتمال الذى يروق له أو بمعنى آخر فإنه يقوم بترتيب الاحتمالات التى أمامه حسب محك معين ثم يختار أول هذه الاحتمالات حسب ترتيبه هو .

فإذا افترضنا أن هذا الفرد — نفس الفرد — طلب منه أن يقوم بترتيب عدد من المكعبات حسب طول ضلع كل منها فإنه سوف يبدأ بقياس الأطوال ثم يضع الأكبر أولا يليه الأصغر فالأصغر وهكذا . وهنا ليس هناك خلاف

بين سلوك هذا الفرد وبين فرد آخر أو ثالث حين يقوم كل منهم بقياس أطوال الأضلاع ثم ترتيب المكعبات .

ولكن إذا طلب من هذا الفرد — نفس الفرد — أن يترتب مجموعة من الصور أو الرسوم حسب إعجابه بها حيث يضع فى المكان الأول الرسم الذى يعجبه أكثر ثم يليه الثانى وهكذا وطلب نفس الشىء من فرد ثان وثالث فإننا سوف نجد اختلافا فى سلوك هؤلاء الأفراد الثلاثة من حيث عملية ترتيب هذه الرسوم .

فإذا كان المحك فى الحالة الأولى — حالة المكعبات — هو طول الضلع وبالتالى حجم المكعب وهذا محك موضوعى ثابت — تقريبا — فإن المحك فى الحالة الثانية — حالة الصور والرسوم هو القيمة الجمالية أو قيمة تذوق الفن والجمال وهو محك ذاتى وبالتالى غير ثابت أى أنه يختلف من فرد إلى آخر . وبناء على ذلك فقد اختلف السلوك من فرد إلى آخر بناء على اختلاف القيمة أى أن السلوك دالة القيمة أو س △ ق حيث س هى السلوك ، ق هى القيمة .

وفى حياتنا الاجتماعية الكثير من المواقف التى تتطلب من الفرد أن يقدم على اتخاذ قرار وعليه فإنه يقوم بترتيب الاحتمالات المتعلقة بهذا القرار حسب محك معين — كما سبق أن أشرنا إلى ذلك — وهذا المحك هو القيمة أو الاتجاه وبذلك أصبح سلوك الفرد ناتجا عن قيمه أو اتجاه وكذلك أصبح سلوك الفرد مختلفا عن سلوك الفرد الآخر راجعاً فى ذلك إلى اختلاف القيمة أو الاتجاه بين الفردين .

فكأن القيمة فى هذه الحالة هى التى أنتجت السلوك الإنسانى . وكأن القيمة أيضا وفى هذه الحالة أيضا ناتجة عن السلوك الإنسانى لأنه سبق أن ناقشنا كيف أن هذا السلوك يكون شبكة العلاقات أو النظام الذى يتكون هيكله أساسا من القيم والاتجاهات .

فالقيمة تنتج السلوك والسلوك يكون القيمة وهذا ما نريد أن نشير إليه فى هذا المكان ونتركه للمناقشة المستفيضة فى مكان آخر من هذا الكتاب . ولكن قبل أن نترك هذا الموضع لابد وأن نبين أن السلوك دالة القيمة . أى أن السلوك يعتمد على القيمة بينما القيمة تنتج فعلا عن السلوك الإنسانى ولكنها لا تعتمد عليه اعتمادا مطلقا .

وما قيل عن القيم فى هذا المجال يمكن أن يقال عن الاتجاهات والمعتقدات والمعايير أو بمعنى آخر ذلك التكوين الهيكلى للنظام الذى يسيطر على أنشطة الأفراد والجماعات .

ربما كانت المناقشة السابقة تطرح علينا سؤالا لا يحسن بنا أن نتفاداه بل يجب أن ندخله فى حسابنا دائما . هذا السؤال هو : إذن لماذا يسلك الإنسان ؟

وفى أثناء المحاولة للإجابة عن هذا الاستفسار يجدر بنا أن نرصد ونسجل كل ما يتعلق بسلوك الفرد وما يمكن أن يكون له أثر على هذا السلوك أو ما يحتمل أن يكون سببا مباشرا أو غير مباشر له . وعندما نتمكن من رصد وتسجيل وتصنيف هذه المتعلقات ثم تحليلها وتأصيلها فإنه يمكن معرفة السببية أو العلة فى السلوك الإنسانى وبالتالى يمكن لنا أن نتنبأ بهذا السلوك أو ذاك ثم أنه يمكن لنا أيضا أن نتحكم فى مثل هذا السلوك ونسيطر عليه .

بهذا المنطق — أو التصور — يمكن أن نزعم أن أى حدث واضح يرتبط بالسلوك البشرى يمكن أن يؤخذ كسبب له . ولكن ما هو مدى الصحة والدقة فى هذا الزعم ؟ فعلى سبيل المثال ربط المشتغلون بالتنجيم astrologers بين مواضع الكواكب والنجوم عند ميلاد الفرد وبين سلوكه بصورة غير مباشرة . فعندما يزعم أحدهم — بناء على قراءته للطالع — أن الفرد (س) سوف يكون زعيما أو قائدا فإنه بذلك يحدد — ولو فى شىء من الضمنية أنماط السلوك الذى سوف يقدمها الفرد (س) فى مواقف حياته

المختلفة . وبذلك وعلى هذا الزعم أصبح موقع النجم عند ميلاد الفرد سبباً من أسباب سلوكه .

وزعم من نوع آخر يتمثل فيما يتصوره المشتغلون بمعانى الأعداد Numerologists عندما يربطون بين عدد الحروف التى يتكون منها اسم الإنسان أو عنوانه وبين سلوكه وتصرفاته . أو عندما يربط آخرون بين الفصل من فصول السنة الذى ولد فيه الشخص وبين أنماط سلوكه فيقال إن مواليد الصيف يختلفون عن مواليد الشتاء أو الربيع أو الخريف فى نواح سلوكية ومزاجية تعزى إلى الاختلافات المناخية بين هذه الفصول .

وعلى الرغم مما فى هذه المزاعم من قدر واضح من الخرافة إلا أن الكثير من البشر يحبون قراءة الطالع والجلوس إلى المنجمين أكثر مما يحبون قراءة شىء علمى موضوعى عن سلوكهم وعلاقاتهم مع الآخرين .

وهنا يجب أن نؤكد ملاحظة لها أهميتها وهى أن حركة الكواكب فى المجموعة الشمسية تحكمها قوانين علمية موضوعية — سواء فى وقت ميلاد الفرد أو فى غير ذلك من الأوقات — وأن سلوك الفرد فى حياته يخضع لعوامل ومؤثرات عديدة تكاد ترتبط فيما بينها بروابط علمية موضوعية أيضا . ولكن العلاقة بين حركة الكواكب ومواقعها وبين سلوك الإنسان لم تخضع حتى الآن إلى المنحى العلمى الموضوعى .

ومذهب آخر يبحث فى سبب سلوك الإنسان فيعزوه ويرجعه إلى مورفولوجية الفرد ومقاييسه الأنتروبولوجية أى الشكل والصفات الظاهرة للفرد ونسب أعضاء جسمه كل إلى بعضها البعض . فيدخل أصحاب هذا المذهب فى حسابهم أبعاد الجسم الإنسانى وشكل الرأس ولون العينين والجلد والشعر وخطوط راحة اليد (الكف) وكذلك الملامح العامة للوجه ، كل ذلك كأسباب لسلوك الفرد . وبذلك ترددت عدة مصطلحات لغوية — حتى فى وسط غير المتخصصين — لوصف بعض الناس أوصافا تربط بين أشكالهم

وسماتهم الظاهرة وبين سلوكهم . فهناك مثلا « الرجل البدين المرح » « والرجل ذو النظرات الجائعة » وهكذا حيث نلاحظ الربط بين الصفة الظاهرة وبين النمط السلوكى مثل البدانة والمرح أو نوع النظرة والشره أو الطمع .

مثل هذا الزعم يحتاج إلى جدل ومناقشة ذلك لأنه يمكن أن نقول أنه فى كثير من الأحيان يمكن للفرد أن يتنبأ بنوعية سلوك الفرد الآخر من واقع النظرة أو الانضباط العضلى الذى يرتسم على الوجه .

ويمكن أيضا أن نقول أن هذه النظرة أو هذا الانضباط العضلى ليس هو سبب السلوك ولكنه نتيجة انفعال أو استجابة من نوع ما ثم ارتبط بالسلوك .

وعلى العموم يمكن أن نناقش هذا الأمر فى شىء من الإسهاب فى مجال علاقة الشخصية بالمظهر الخارجى للفرد الموضوع الذى سوف يطرق فى باب مستقل من أبواب هذا الكتاب .

ولكن يجدر بنا أن نشير الآن — طالما أننا بصدد مناقشة السبب فى سلوك الفرد — إلى أن العلاقة بين نمط السلوك وبين مورفولوجية الانسان هى علاقة من نوع لا يمكن أن نعرف عن طريقه بسهولة أيهما السبب وأيهما النتيجة : حتى لو أنه أمكننا أن نستخدم الوسائل الإحصائية الدقيقة فأثبتنا أن البدانة ترتبط بالمرح فإنه ما زال السؤال قائماً هل البدانة هى التى سببت المرح ؟ أم أن المرح هو سبب هذه البدانة .

ربما نقول أن الرجل (أو السيدة) البدين يشعر بما يعوقه عن أن يكون مثل الآخرين من النحفاء فيستخدم الأسلوب المرح فى معالجة المواقف التى يعجز عن أن يعالجها بأسلوب آخر وبذلك تكون البدانة هى سبب المرح .

وربما نقول أيضا أن الرجل المرح يقبل على حياته فى بساطة وسهولة

بحيث يستمتع بها أكثر من غيره الذى يجهد نفسه فى العمل والحركة الزائدة وبذلك لا يتقيد بنوع خاص من الطعام أو الشراب كما أنه يكون بعيدا عن القلق النفسى أو التوتر العصبى وبذلك يصبح بدينا . وعليه يصبح المرح هو سبب البدانة .

وفى حقيقة الأمر لن يمكن لنا أن تحدد أيهما السبب وأيهما النتيجة إلا إذا أمكن لنا أن نخضع أيهما أو كليهما للتجريب . فنتحكم بصورة أو بأخرى فى بدانة الفرد أو نحافته ثم نحدد مزاجه من مرح أو غير ذلك .

أو أن نتحكم فى مزاج الفرد ثم نحدد نحافته أو بدانته تبعاً لذلك .

وهناك نقطة أخرى تستحق منا أن نقف عندها ولو لمدة سطور قليلة وهى أننا دائماً نميل إلى التعميم . فلو نجحنا — أو خيل إلينا أننا قد نجحنا — فى استنتاج علاقة ما بين مورفولوجية الفرد وبين بعض سلوكه فإننا نذهب إلى أبعد من ذلك ونفترض أن ما يتصل بهذه المورفولوجية من صفات غير ظاهرة أو بمعنى آخر ضمنية يمكنها أيضا أن تفسر بقية سلوك الإنسان . فعندما نقول إن « هذا الفرد يسلك على هذا النمط لأنه ولد هكذا » فإننا نجد فى هذا الزعم جزءا من الصحة وجزءا آخر من الخطأ . فالجزء الصحيح هو أن عوامل الوراثة تلعب ولا شك دورا هاما فى سلوك الإنسان . والإنسان يرث كثيرا من الصفات منها ما هو ظاهر مثل لون الجلد أو الشعر أو العينين ومنها ما هو غير ظاهر . ومما هو صحيح أيضاً أن الإنسان الذى يسلك هو نتاج هذه الوراثة والبيئة معا . ولكن الجزء الخاطىء فى زعمنا الأول هو ربطنا بين مولد الفرد — أو ما ورثه من صفات ظاهرة وغير ظاهرة — وبين نمط سلوكه .

لنفترض على سبيل المثال والتوضيح أن فردا ما لونه أسود وشعره أجعد وشفتاه غليظتان — هذه صفات ظاهرة موروثة — وهو أيضاً كسول غير منتج — وهذا نمط من السلوك . وهذا الفرد يعيش فى بيئة حارة رطبة كثيرة الزرع والثمار . فنحن هنا نكون على خطأ جزئى وعلى صواب جزئى

إذا فسرنا الكسل وعدم الإنتاج كنمط من السلوك عن طريق زعمنا بأن ذلك الفرد ولد هكذا. فقد ولد ولونه أسود وشعره أجعد وقد ولد أيضاً فى بيئة رطبة حارة ولكن اللون الأسود والشعر الجعد لا يسببان الكسل وكذلك البيئة الحارة الرطبة لا تسبب الكسل وعدم الإنتاج . ولكن هل يمكن أن نقول أن تلك الصفات الظاهرة تخفى وراءهــا بعض الصفات الفسيولوجية الضمنية التى تؤثر على نشاط الفرد فى بيئة حارة رطبة ؟ هذا قول يمكن أن يحتمل البحث والتدقيق وبالذات عندما يؤدى بنا إلى أن نتعرض فى غير إيجاز لمذهب آخر يبحث عن أسباب سلوك الانسان فى داخل الانسان نفسه .

وهذا منحى ليس بالغريب أو غير المتوقع فكل علم من العلوم له الحق فى أن يبحث عن أسباب حركة العناصر التى يدرسها داخل هذه العناصر حيث أن العلاقات بين هذه العناصر بعضها البعض تكون محتوى هذا العلم . وبعض العلوم — وخاصة الطبيعية — قد نجح فى تحديد سلوك العناصر المدروسة على أساس تركيبها الداخلى وحركتها غير الظاهرة . وبعض العلوم قد فشل فى ذلك — وخاصة تلك العلوم التى أخذت بمنهج التجريب قبل أن يتوفر لهــا المحتوى الذى يحتمل هـذا التجريب . وعليه فقد كثرت التعليلات الخاطئة وأصبح المنطق الذى اعتمدت عليه مثل هذه العلوم هو افتراض تصور خاص للتركيب الداخلى للعنصر — وقد يكون هذا التصور خاطئاً فى معظم الأحيان — ثم تقديم نتيجة معقولة موضوعية بنـاء على هذا التصور . ففى وقت من الأوقات فسر احتراق الأجسام على أنه انبثاق من الداخل وليس على أساس اتحادها بالأكسجين .

وليس هناك ما يمنعنـا الآن أن نستعرض تلك الأسباب الداخلية التى تسبب سلوك الإنسان وقد تكون فى ذلك أشبــه بهؤلاء الذين قالوا أن الأجسام تشتعل وتحترق لأنها تحتوى على مادة (الفلوجستون) بداخلهـا . فأغلبية الناس — وخاصة غير المتخصصين — يعتبرون الجهاز العصبى هو السبب

الأساسى فى سلوك الانسان . ودليلنا على ذلك أن هناك الكثيرمن التعبيرات فى لغتنا اليومية توضح علاقة أعصاب الفرد بسلوكه فنقول « أنه ربما أساء التصرف لأن أعصابه مرهقة » أو « أنها تبكى كثيرا بسبب صدمة عصبية » وهكذا . ومن الواضح قطعاً أنه عند استخدامنا لهذه التعبيرات وغيرها أننا لم ندقق فى العلاقة السببية بين الجهاز العصبى بما يحتويه من خلايا وأنسجة وبين سلوك الفرد .

وهذا خطأ منهجى فى الوصول إلى مثل هذه العبارات يقع فيه دائماً الرجل العادى . ولكن هل تغلب علم وظائف الأعضاء أو علم دراسات الأعصاب على مثل هذا الخطأ ؟ الحقيقة لا نستطيع أن نقول نعم ذلك لأن الوسائل العلمية الدقيقة التى تمكننا من دراسة ما يجرى من تفاعلات كهروكيميائية داخل الأنسجة العصبية وخلاياها لم تتوفر بعد وإذا كانت قد وجدت فإن الدقة والكفاءة المطلوبة لم توجد بعد . فنحن حتى هذه الآونة كل ما نعلمه عن الجهاز العصبى هو تشريح أجزائه وتركيبها ووصف خلاياها . ولكن هذا لا يمنع من أنه يمكن أن نستدل على طبيعة العملية العصبية — وليس طبيعة التفاعل الكهروكيميائى — من السلوك الذى يكون قد نجم عن هذه العملية . ومثال ذلك الحواس الظاهرة كالبصر أو السمع حيث يمكن الاستدلال على طبيعة العملية العصبية المرتبطة بسلوك الإبصار أو السمع . وعندما تتوفر لدينا المعلومات المباشرة عما يحدث من تفاعلات كيميائية وكهربية داخل الخلايا العصبية — ونتوقع أن يتم ذلك قريباً — فإنه سوف يكون من السهل اليسير أن نستنتج العلاقة الصحيحة بين وحدات الجهاز العصبى للإنسان وبين بعض سلوكه وتصرفاته وربما نصبح قادرين تحت هذه الظروف أن نعرف السبب العصبى لسلوك الانسان . كما أنه يصبح أيضاً من المحتمل جدا أن يكون هناك علم للدراسات العصبية مبنيا على الملاحظة المباشرة بدلا من الافتراضات التصورية . ويصبح فى مقدور مثل هذا العلم كذلك أن يعطينا صورة حقيقية

لما يحدث داخل الخلايا العصبية قبل أن يقدم الانسان على نمط خاص من السلوك . فنعرف ما هى التغـــيرات الكهروكيميائية التى تحدث فى الخلايا العصبية الخاصة بالإبصار أو السمع أوغيرها عندما يبصر الانسان شيئاً سارا أو شيئاً مؤلماً أو يسمع ما يفرحه أو ما يحزنه وكذلك ما يحدث داخل الخلايا العصبية الأخرى تحت هذه الظروف . وبناء على ذلك فإنه يمكننا أن نستحدث من المثيرات الاصطناعية ما يحدث التغييرات السابق الإشارة إليها فتعطى أنماط السلوك المطلوبة أى أنه يمكن أن نعطى الفرد من العقاقير ما يفرحه وما يحزنه وما يزرع فى قلبه الخوف وما يعطيه الشجاعة وما يملأ قلبه بالحب أو ما يملأه بالكراهية وبمعنى آخر يمكن لنا — بناء على هذا المنطق — أن نستحدث ونخلق عاطفة الانسان وأنماط سلوكه .

ولكن هناك منطق آخر يجدر بنا أن نسوقه على سبيل التوقع : فقد لا تكون تلك التغيرات الكهروكيميائية التى تحدث داخل الخلايا هى السبب الأول فى سلوك الفرد فقد يكون سبقها عدة تغيرات أخرى وهذه مسبوقة بتغيرات ثالثة وهكذا إلى أن نجد أن السبب فى هذه التغيرات من الأصل والأساس ذلك المثير الذى يقع خارج الفرد وبذلك تنتفى أصول المذهب الباحث عن سببية السلوك فى داخل الفرد . وهناك اتجاه ثان فى هذا المذهب وهو إرجاع سبب السلوك ليس إلى الجهاز العصبى للفرد بل إلى ما يسمى بالحالة العقلية أو النفسية للإنسان (mental or psychic) . وهى حالة أو تصور ليس له من الأبعاد أو المكونات المادية ما يمكن من دراسته مثل الجهاز العصبى مثلا الذى يتكون من وحدات ملموسة مرئية مثل المخ والنخاع الشوكى والخلايا العصبية وهكذا .

ولكن ذلك لم يمنع بعض الناس أن يتصور حدود وأشكال وأبعاد ذلك التخيل أو الافتراض بأن هناك شيئاً ما فى داخل الفرد .

فعلى سبيل المثال عندما يموت الانسان وتسكن حركته فمعنى ذلك أن

الروح تفارقه (والروح من أمر الله) ولكن ذلك لا يعنى أن شيئاً محدداً ذا شكل وحدود قد غادر الجسد ولكن نرى أن الكثير يشبه الروح أو حتى يرسمها فى صورة طفل صغـــير جميل يجلس القرفصاء على كتف الجثة . وآخرون يشبهون الروح على أنهـا سمكة من الفضة تسبح فى حوض ذهبى . وهكذا إلى أن تبلورت هذه الاعتقادات فى وجود شخص آخر داخل الفرد هو الذى يوجـه حركته ويؤثر على سلوكه وتصرفه . فالشخص الداخلى inner man هو الذى يرغب أو يعـاف والشخص الخارجى outer man هو الذى ينفذ . فعندما يفقـد الشخص الداخلى شهيته للطعام فإن الشخص الخارجى يمتنع عن تنـاول الأطعمة . وبذلك فإنه عندما يرحل الشخص الداخلى فإن الشخص الخارجى يتوقف عن الحياة .

قد يكون ذلك تصور مضحك وخاصة إذا علمنا أن ذلك كان تصور رجل الشارع فى القرون الوسطى ولكن حتى الآن أو قبل ذلك بقليل تلونت كتابات علماء النفس بهذا التصور بدرجة أو بأخرى . فآراء فرويد وتصوراته عن الأنا ego والذات العليا Super ego والذات السفلى id وعن الصراع بين أى اثنين منهما وعلاقة نتيجة هذا الصراع بانضباط سلوك الفرد . هذا التصور يؤخذ فى غالب الأحيان على أنه موجود فعلا أو على الأقل موجود فى صورة عمله ووظيفته .

وكذلك الكلام عن الملكات مثل ملكة « التخيل » ، « وملكة الذاكرة » وملكة « التفكير » ، وهكذا فإن هذا تصور يعطى أكثر من الانطباع بوجود هذه الملكات حتى أن كثيرا من علماء النفس كتبوا عن كيفية تدريب مثل هذه الملكات وتقويتها .

ونعود فنقول أن إمكانية قيام علم على مبدأ الملاحظة المباشرة كما تخيلنا فى حالة الجهاز العصبى أمر قد لا يكون فى متسع قدرات الانسان وإمكاناته الحاضرة . فهل يمكن للإنسان أن يحدد أولا ذلك « العقل » أو تلك « النفس » وأين توجد ؟ ثم هل يمكنه بعد ذلك أن يلاحظ ما يحدث فيهـا من تغيرات

قبل أن يقدم الفرد على نمط ما من السلوك ؟ ثم يمكنه — بناء على ذلك — الحصول على النمط السلوكى المطلوب بناء على ما يمكن إحداثه أو استحداثه من تغيرات فى هذا « العقل » أو هذه « النفس » ؟

هذه أسئلة كما سبق أن قلت تقع إجاباتها خارج إمكانات الانسان فى هذه الظروف .

وحتى أصحاب مذهب الاستبطان فى علم النفس تراجعوا عن زعمهم بالقدرة على إعطاء الأسباب المباشرة لسلوك الفرد بناء على منهجهم فى التفكير والاستدلال واكتفوا بتمسكهم بالقدرة على توضيح العلاقة بين السلوك وبين ما يصاحبه من أحداث . ذلك لأن ما نهجوا عليه هو إعطاء الأسباب التى لا يمكن رؤيتها أو ملاحظتها أو الاحساس بأبعادها . فعندما يصر «فرويد» مثلا على فكرة « اللاشعور » ويعطى من الأسانيد والأحداث مايؤيد وجود هذا المحتوى الباطن بما فيه من رغبات وشهوات وغير ذلك فإنه بذلك لا يعطى الفرصة لأحد لأن يبحث فى موضوعية هذا اللاشعور .

وهناك اتجاه ثالث فى هذا المذهب — مذهب البحث عن أسباب سلوك الفرد داخل الفرد — وهو اتجاه ليس له أى حدود عصبية أو نفسية عقلية بل يعتمد على ما هو مفهوم conceptual inner cause . فعندما نقول أن هذا الشخص يأكل لأنه جائع فإنه يبدو لنا واضحاً أن سبب سلوك الأكل هو الجوع .

وكذلك عندما نقول أن هذا الشخص « بارع فى حل المعضلات لأن قدرته الرياضية فائقة » . فإن ذلك يعنى أن سبب سلوك الفرد هو قدرته الرياضية أو عندما نقول أن « هذا الرجل يدخن كثيرا لأن لديه عادة التدخين » فيكون معنى ذلك أن سبب سلوك التدخين هو عادة التدخين .

ولكن فى الحقيقة ليست هذه جميعاً الأسباب كما تظن أو كما نتصور للوهلة الأولى ذلك لأن كل قول من الأقوال السابقة يصف شيئين فى وقت واحد مثل :

هذا الرجل يأكل	هذا الرجل جائع
هذا الرجل بارع فى حل المعضلات	هذا الرجل له قدرة رياضية فائقة
هذا الرجل يدخن كثيرا	هذا الرجل عنده عادة التدخين

ونخطىء عندما نحاول أن نربط كل عبارتين معا بعلاقة السببية لأن هذا يعنى فى الحالة الأولى أن سبب الأكل هو الجوع فقط وهذا ليس بصحيح. وفى الحالة الثانية تصبح القدرة الرياضية السبب الوحيد لحل المعضلات وكذلك الأمر فى الحالة الثالثة، حيث تكون عادة التدخين هى السبب الوحيد لكثرة التدخين.

وهنا لا نستطيع أن نزعم أن السبب فى سلوك الفرد سبب مفرد ووحيد بل هناك أسباب ومتغيرات عديدة تؤدى إلى سلوك الفرد وهذه نقطة يجب أن نتناولها بالشرح والتحليل.

فقد رأينا مما سبق أن البحث عن هذه الأسباب والتغيرات داخل الفرد سواء فى المحتوى العصبى أو النفسى له جعل الأمر شاقا وصعبا من الناحية العلمية التجريبية لأن تخضع هذه الأسباب والمتغيرات للتحقيق والابدال من أجل استكشاف نوع وكم العلاقة التى تربط بين سلوك الفرد وبين أى من هذه المتغيرات. ولذلك فإننا سوف نتبنى — من أجل المناقشة والتوضيح — الفكرة التى ترى أن المتغيرات والأسباب التى تكمن وراء السلوك الانسانى إنما هى فى البيئة الخارجية التى تحيط بالفرد وكذلك فى خلفية خبرته وتجاربه. هذه الفكرة بما تحتويه من مكونات تتصل ببيئة الفرد تجعل الأمر أكثر يسرا وسهولة حيث أن الوسائل العلمية الممكنة أو التى يمكن لنا استخدامها الآن سوف تعطينا القدرة على إحداث التغيير والابدال فى مكونات البيئة الخارجية للفرد وبالتالى دراسة أثر ذلك على السلوك الانسانى.

ولنا أن نقول هنا أنه طالما أننا افترضنا أن أسباب السلوك تقع فى بيئة

الفرد من خارجه فإن ذلك يعنى أن هذه الأسباب هى المتغيرات المستقلة Independent variables، بينما يصبح السلوك الانسانى هو التغير التابع dependent variable . ويصبح الأمر أكثر منطقية عندما نبدأ بتحليل المتغيرات المستقلة من حيث الحجم والطبيعة فيلقى ذلك الضوء على المتغير التابع وهو سلوك الفرد .

ولنأخذ مثالا يوضح ما نذهب إليه فى وجود أسباب سلوك الفرد فى بيئته الخارجية ولنفرض أننا وضعنا قطعة من الحلوى على منضدة فى حجرة ما ثم دعونا صبيا إلى الدخول إلى هذه الحجرة . يكون أمامنا فى هذه الحالة احتمالين : أولها أن هذا الصبى سوف يأكل قطعة الحلوى وهذا الاحتمال تتراوح فرصة حدوثه بين التأكيد الكامل وعدم التأكيد الكامل . والاحتمال الثانى هو أن هذا الصبى لن يأكل قطعة الحلوى وهو أيضاً احتمال تتراوح فرصة حدوثه بين التأكيد التام وعدم التأكيد التام . وليس فى الأمر صعوبة أن تتوقع حدوث أحد الاحتمالين ولكن الصعوبة التى تقتضى الشرح والتوضيح هى قياس فرصة حدوث أحد الاحتمالين أو تحديد درجة كل من هذين الاحتمالين على مقياس بدايته عدم الحدوث النهائى ونهايته الحدوث المؤكد . وهذا أمر سوف نناقشه بالتفصيل فى أماكن عديدة من هذا الكتاب .

نعود مرة أخرى إلى الصبى وقطعة الحلوى حيث يجب أن نرى كيف يمكن أن تتاح لنا الفرصة فنقول أن الصبى سوف يأكل الحلوى أو لا يأكلها . وسوف يكون لدينا هذه الامكانية معتمدين على معلومية عدة أشياء :

أولها: **خلفية الخبرة لدى الصبي**: فقد يكون مضت عليه مدة طويلة لم يتذوق هذا النوع من الحلوى فأصبح فى شوق إلى تذوقه وبذلك يقدم على أكل الحلوى دون تردد .

أو أن يكون لدى الصبي استجابة معززة حيث أنه كان يكافأ بقطعة من

الحلوى كلما أحسن صنعاً حتى أصبحت الحلوى فى حد ذاتها تسبب إحساسه بالرضى والسعادة وبالتالى يقدم على أكل الحلوى .

وكذلك إذا نظرنا إلى الجانب الآخر حيث يمتنع الطفل عن أكل الحلوى فقد يكون أكل منها أكثر مما ينبغى قبل إقدامه على دخوله حجرة التجربة أو أنه على سبيل المثال لا يحب هذا النوع بالذات .

وثانيهما : العوامل المتداخلة فى الموقف : وهذه عوامل تدخل إلى الموقف دون حساب سابق لها مثل الشك الذى يداخل نفس الصبى عندما يدخل إلى الحجرة ويرى قطعة من الحلوى فوق المنضدة فيخشى أن يكون قد دس بها شىء قد يؤذيه . أو مجرد علمه . أنه تحت ظروف تجربة لا يعلم غرضها وهدفها : هل الهدف هو أن يأكلها فقط أم طريقة أكله وتناوله إياها أم ماذا ؟ أو ربما يفكر أنه لو أكل قطعة الحلوى فإن سوف يرضى القائم على التجربة فيقدم على أكلها مجاملة له .

أو أنه ربما يدرك أنه تحت ظروف هذه التجربة التى تهدف إلى معرفة احتمال أكله للحلوى أو عدمه وبالتالى يتخذ الصبى موقفاً عنيدا معاكساً .

وثالثهما: التفسيرات الممكنة لكلا الاحتمالين لا يمكن لنا أن نحصر التفسيرات الممكنة لاقدام الصبى على أكل الحلوى أو إحجامه عنها ذلك لأنها عديده ومتنوعة ولكن ما نقصده فى هذا الموضع هو التفسيرات التى تعطى لنا الفرصة لأن نتنبأ بسلوك هذا الصبى أو أى صبى آخر تحت هذه الظروف. فقد يكون هناك ذلك التفسير البسيط وهو « أن الطفل أكل الحلوى لأنه يحبها » وبذلك يصبح من السهل علينا أن نعرف هل سيقدم أى طفل على أكل الحلوى إذا سألناه مقدماً عن حبه أو عدم حبه لها .

وقد يبرز فى الصورة تفسير آخر له أساس فسيولوجى فيقال أن ميل الصبى إلى أكل الحلوى كان سببه نقص كمية السكر فى الدم الأمر الذى أثر على الجهاز العصبى بعملية ما زالت غير معروفة لنا حتى الآن ثم نقل الجهاز

العصبي للصبي هذا التأثير إلى المناطق الخاصة فى جهازه الهضمى حيث أحس بإلحاح وميل إلى أكل الحلوى .

وقد يعلل هذا التفسير أيضاً لماذا يميل سكان بعض المناطق الحارة الجافة إلى إضافة كميات كبيرة من الملح إلى أطعمتهم حيث يفقدون كثيراً من الأملاح المعدنية نتيجة تعرضهم لدرجة حرارة مرتفعة .

ولا شك أن هذا التفسير أيضاً يعلل لماذا تنزع بعض الدواجن — مثل الدجاج أو البط — إلى أكل قدر من الحائط أو الجدار — الذى يحتوى على الكالسيوم الذى تحتاجه لتكوين غلاف البيضة أو الذى فقدته بعد وضعها البيض .

وقد نناقش الأمر بصورة أخرى فنقول أن كل العوامل التى أشرنا إليها خارجية أو داخلية — قد جعلت هذا الصبي فى حالة تهيؤ واستعداد نفسى خاص أثر على جهازه العصبي لجهازه الهضمى فأراد أن يأكل قطعة الحلوى .

ولكن التفسير الذى لا نستطيع أن نقدمه هو أن هذا الصبي أكل قطعة الحلوى لأنه من مواليد (برج القوس) مثلا أو أنه ولد فى الشتاء أو الربيع .

وعلى العموم فإنه يمكن لنا إن نقول أن عملية تناول الصبي لقطعة الحلوى يمكن أن يجزأ إلى عمليات ثلاثة :

أولها : عملية اشتياق الصبي إلى الحلوى (حيث منع عنها عمداً لمدة طويلة قبل التجربة أو كان الأمر مجرد مصادفة) .

وهذا ما نسميه عملية التحكم فى الظروف الخارجية المحيطة بالفرد .

وثانيها : عملية الالحاح الداخلى - فسيولوجيا كان أم نفسيا - وهو الإلحاح الذى يتعرض له الصبي من داخله فيدفع به إلى أكل الحلوى .

وثالثها : عملية تنفيذ السلوك حيث يتم فعلا أكل قطعة الحلوى .

ونعود فنقول تلخيصاً لما سبق أنه لن يتسنى لنا التنبؤ بسلوك الفرد إلا بعد إلمامنا بثلاث أبعاد رئيسية سبق شرحها وهى :

١ — خلفية الخبرة لدى الفرد .

٢ — العوامل المتداخلة فى موقف تنفيذ السلوك .

٣ — التفسيرات الممكنة لاحتمال تنفيذ السلوك أو عدم تنفيذه .

وبناء على ذلك فإنه يمكن لنا أن نقول أن العوامل الخارجية التى يرتبط بها سلوك الإنسان يمكن إخضاعها لعمليات التحليل السببى Causal or functional analysis وذلك كما أسلفنا من أن هذه العوامل هى المتغيرات المستقلة Independent بينما يصبح السلوك الإنسانى هو المتغير التابع dependent .

وبطبيعة الحال فإن العلاقة بين هذين النوعين من المتغيرات لابد وأن تكون علاقة السبب بالنتيجة أو بمعنى آخر علاقة قانونية علمية .

ولذلك فإنه يصبح من الضرورى فى هذه المرحلة أن نستنبط القانون العلمى الذى يربط بين عوامل البيئة الخارجية وبين سلوك الفرد كنظام منطقى متكامل .

وطالما أننا بصدد استنباط قانون علمى فإنه ولابد أن نتبنى منهج العلوم الطبيعية فى دراسة الظواهر واستنباط القوانين — وبهذا فإننا لن نستطيع أن نفترض أن سلوك الإنسان ظاهرة خاصة قائمة بذاتها تختلف من حيث الخواص — لا الطبيعة — عن الظواهر الأخرى .

ولتوضيح هذه الفكرة فإننا نريد أن نقول إن اهتمامنا بسلوك الفرد سوف يكون بالضرورة أكثر من اهتمامنا بما هو خلف سلوك الفرد لأن السلوك فى حد ذاته كسلوك يمكن إخضاعه — على الأقل — لأسلوب الملاحظة وهو أولى خطوات الدراسة العلمية الموضوعية فى حين أن ما هو خلف هذا السلوك لا يمكن إخضاعه لمثل هذا الأسلوب من حيث الدراسة والتحقيق .

ولكن هذا لا يعنى ـ فى أى صورة من الصور ـ أننا نهمل أو نتجاهل ما يكمن فى خلفية سلوك الفرد من دوافع وديناميات .

ونعود فنقول أن التحليل السببى للعوامل الخارجية التى يرتبط بها سلوك الإنسان سوف يعتمد بالضرورة على منهج خاص يستمد محتواه من عدة مصادر أهمها :

١ — الملاحظة العابرة التى تربط ـ بصورة غير قاطعة ـ بين الأسباب والنتائج أو المقدمات والتوالى . فمثل هذه الملاحظات وإن كانت أولية إلا أنها تؤدى إلى إمكانية التحليل السببى ولو فى صورة مبسطة .

٢ — الملاحظة التى تعتمد على الضوابط غير المقصودة التى تقيمها البيئة الخارجية دون أن يتعمدها الإنسان أو يتحكم فيها . وذلك كما هى الحال فى بعض دراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية . فنى مثل هذه الحالات تكون المتغيرات — مستقلة أم تابعة — تحت سيطرة عناصر البيئه الخارجية ويكون دور الباحث فى هذه الحالة هو تسجيل العلاقة بين هذه المتغيرات ثم تفسيرها وتعليلها .

٣ — الملاحظة القائمة على الدراسة التجريبية المعملية حيث يتم إخضاع بعض المتغيرات للقياس أو التجربة دون بعض المتغيرات الأخرى كما هى الحال فى بعض الدراسات السلوكية فيتمكن الباحث من التحكم فى بعض عناصر موقف الدراسة ويكون دوره فى هذه الحالة هو تسجيل وتحليل وتفسير وتعليل العلاقة بين هذه المتغيرات بعضها ببعض .

٤ — الملاحظة القائمة على التجربة المعملية البحتة حيث تكون جميع المتغيرات تحت سيطرة الباحث كما هى الحال فى الدراسات الفزيوسيكلوجية حيث يتمكن الباحث من ضبط جميع المتغيرات الداخلة فى موقف التجربة وعليه فى هذه الحالة أن يسجل ويحلل العلاقة بين متغيرات الموقف بصورة

كية أكثر منها كيفية وتكون فرصته أكثر فى استنتاج قانون يربط هذه المتغيرات بعضها ببعض .

وعلى العموم سواء جمع الباحث معلوماته من هذا المصدر أو ذاك فإن هناك عديدا من الطرق لتحليل هذه المعلومات واستنباط ما يمكن استنباطه منها من قواعد أو قوانين . وهذه الطرق جميعها تلتقى فى عدة خطوات تشير إليها باختصار .

(ا) تصنيف المتغيرات التى يعتمد عليها السلوك الإنسانى من حيث قدرة هذا المتغير أو ذاك على إحداث التغيير فى سلوك الإنسان .

(ب) فهم ومعالجة العلاقات التى تحدد كلية الكائن الحى من حيث هو ككل متكامل له من الأنشطة ما يمكن تفسيره من أكثر من زاوية وذلك دليل على التناسق بين جزئيات الكائن الحى أكثر منه دليلا على اختلافها وتنافرها .

(حـ) فهم وتحديد نوع التفاعل بين فرد وفرد آخر على أساس أن كلا منهما جزءا من بيئة الفرد الآخر وأن هذا التفاعل يتم على أساس أن هذين الفردين يحتاج كل منها إلى الآخر ليفهم الكثير عن بيئة الخارجية .

(د) فهم وتحديد نوعية الضغوط الحضارية السائدة التى تحكم تفاعل هذين الفردين أو تفاعل جماعات كاملة بما فى ذلك الضوابط الاجتماعية والمؤسسات والقيم والمعايير والعادات والتقاليد .

وهنا سؤال يطرح نفسه بإلحاح وكان الأجدر بنا أن نتناوله بالبحث فى أول هذ المقدمة ولكن رأيت أن أتركه يطرح نفسه فى تيار المناقشة بعد أن تكتمل أو تكاد وهذا السؤال هو : هل هناك حقيقة مايسمى بعلم سلوكى ؟ .

أعتقد أننى أكثر من متأكد من أن القارىء لن يتوقع إجابة بنعم أو

إجابة بلا . ولكن أغلب الظن أن القارىء يتوقع مناقشة وجدلا نصل فى نهايتها إلى تحديد إجرائى لما نسميه علم سلوكى .

يقول إسحق نيوتن متحدثاً عن اكتشافاته وإنجازاته العلمية « إننى وصلت إلى ذلك لأننى أقف على أكتاف عمالقة » ، وهو يقصد بذلك أن ما اكتشفه كان حلقة من حلقات سلسلة من الانجازات العلميـة السابقة أو بمعنى آخر إضافة لما سبقه من أعمال عظيمة . ذلك يوضح ما ذهب إليه جورج سارتون بقوله إن العلم الطبيعى يتميز عن أى علم آخر بأن انجازاته سلسلة متصلة أو « ذات خاصة تراكمية Cumulative » فنحن فى أواخر القرن العشرين نجد أن معلومات خريج قسم الكيمياء فى أى جامعـة من الجامعات تزيد بصورة فائقة عن معلومات أعظم الكيميائيين فى أوائل هذا القرن والسبب فى ذلك هو تراكم المعرفة .

ولكن إذا نظرنا إلى ميادين الفن أو الشعر أو الفلسفة فإننا نجد أن بعض الفنانين والأدباء والشعراء والفلاسفة الذين عاشوا فى أواخر القرن الماضى أو ربما قبل ذلك بكثير لا يزالون إلى الآن يتصدرون ميادينهم دون منافس . وذلك لأن طبيعة هذه الميادين لا تسمح بتراكم المعرفة ولكنها تسمح « بوحدة أو ندرة القدرة » حيث يكون الفنان أوالأديب أوالفيلسوف هو نسيج وحده . أى أن إمكاناته وقدراته ذات صبغة مستقلة لا ينميها ولا يستغلها ولا يزيد عليها إلا هو .

ومن ناحية أخرى فإن الانسان عندما يتلمس النتائج السريعة الواضحة التى تعطيها العلوم الطبيعية مثل الكيمياء أو علوم العقاقير ويقارنها بما تعطيه العلوم الانسانية أو الاجتماعية فإنه — أى الانسان — سوف يميل ولاشك إلى تبنى المنهج الذى يعطى تلك النتائج السريعة الملموسة .

وبذلك إذا تكلمنا عن علم سلوكى فإنه سوف يقفز إلىذهن الفرد العادى ذلك المفهوم الخاص بالعلم الذى يعطى من النتائج ما هو تطبيقى ملموس .

ومن ناحية ثالثة إذا تكلمنا عن علم سلوكى فسوف يختلف موقف الفرد العالم المثقف فى فهمه وتصوره لمعنى هذا العلم . فبجانب تلك النتائج التطبيقية التى يريد أن يلمسها الفرد هناك ما هو أهم من هذه تلك النتائج من وجهة نظر الفرد العلم المثقف وهو المنهج الذى يبنى عليه هذا العلم السلوكى والأدوات التى يستخدمها فى إيجاد العلاقة القانونية بين وحدات وعناصر محتواه .

واستطراداً فى المناقشة فنقول أن الفرد العالم المثقف المتخصص سوف يفكر أيضاً فى خصائص أخرى عديدة أهمها : (١) أن يتوفر لهذا العلم مجموعة متكاملة من الاتجاهات نحو الحقائق العلمية وذلك من ناحية القبول أو الرفض وأن تكون هــذه المجموعة من الاتجاهات متناسقة فيما بينها Consistent فلا يتعارض اتجاه منها مع بقية الاتجاهات من ناحية الشكل أو الموضوع . فمنهج العلم يقبل بالحقيقة العلمية حتى لو تعارضت مع رغبة الباحث أو ميوله . ومنهج العلم كذلك يرفض غير التفكير الموضوعى الأمين كوسيلة لمعالجة العلاقات بين الأشياء .

وفى هذا يقول « بريد جمان » إن الاشتغال بالعلوم يتطلب قبل كل شىء قدراً كبيراً من الموضوعية والأمانة .

ومن هذه الخصائص أيضاً التى يجب أن تتوفر للعلم (٢) أن تكون هناك الفرصة قائمة لتكوين نظام خاص ووحدات متشابهة من المعرفة بحيث يقود ذلك إلى استنباط القوانين والقواعد التى تربط بين هذه الوحدات المعرفية بصورة منطقية مقبولة مستخدمين فى ذلك الأدوات العلمية الموضوعية المناسبة حتى تصل فى النهاية إلى رسم نموذج متميز من هذه الوحدات والحقائق والدقائق .

وآخر هذه الخصائص وأهمها (٣) أن يكون لدى هذا العلم بقوانينه وقواعده ونظرياته وافتراضاته وحقائقه العلمية القدرة على التنبؤ وبذلك يصبح هذا العلم وسيلة صالحة لمعرفة النتائج إذا عرفنا المقدمات .

والآن نأتى بصورة ما إلى إجابة السؤال الذى طرحناه آنفا وهو هل هناك علم سلوكى .

لقد فهمنا من الحوار السابق — ولو بصورة ضمنية أن العلم — أى علم — لا بد أن يكون له محتوى من المعلومات ومنهجا خاصا لترتيب هذا المحتوى وإيجاد العلاقات القانونية بين عناصره ومكوناته .

والآن . . هل السلوك الإنسانى كما سبق أن شرحناه فى بداية هذه المقدمة يصلح لأن يكون محتوى لعلم خاص مستقل يمكن أن نسميه علما سلوكيا ؟ وهل هذا العلم إذا وجد له تلك الخصائص والمميزات التى سبق أن أشرنا إليها قبل سطور قليلة ؟

الحقيقة أن سلوك « الإنسان سهل ممتنع » كما سبق أن قلنا ذلك . فليس هناك أسهل من أن نرى سلوك الفرد ونلحظه دون الحاجة إلى الاستعانة بميكروسكوب أو تلسكوب مثلا وبالتالى فإن محتوى هذا (العلم السلوكى) متوفر للغاية وليس هناك مغامرات أو استكشافات أو اختراعات ضرورية لإيجاد هذا المحتوى .

ولكن هذا السلوك فى نفس الوقت صعب ممتنع لأنه ليس شيئا محددا قائما بذاته مثل أى عنصر من العناصر الكيميائية وليس ذا أبعاد مادية محسوسة مثل الطول والعرض والارتفاع أو نصف القطر . فهو صعب ممتنع لأنه عملية ، لأنه نتاج تفاعل ، لأن البحث فى علته وسببيته جزء هام من الاستدلال عليه وفهمه ومعرفته .

والعملية ونتاج التفاعل ليس من السهل إخضاعهما للملاحظة التى يمكن إجراؤها فى العلوم الطبيعية على عناصر جامدة غير حية . وهذا يجعل صعوبة إيجاد هذا العلم السلوكى ليس فى محتواه فقط بل فى منهجه أيضا . وهنا قد نستفيد مما سبق أن أوردناه عن مصادر اشتقاق الباحث فى العلوم السلوكية لمعلوماته باستخدامه أسلوب الملاحظة التى يكون حدها الأدنى ملاحظة

عابرة تربط بن سبب ونتيجة وتبلغ فى مداها ملاحظة معملية محكمة تخضع فيها جميع المتغيرات لظروف التجربة .

وحتى فى مثل هذه الحالات فإن الباحث لابد وأن يقنع بالقليل من النتائج العلمية الموضوعيه لأن ظروف التجربة قد تغير من طبيعة عملية السلوك — وهذا محتمل جدا — الأمر الذى لا تتحقق معه معرفة طبيعة العملية لأنها ليست تحت ظروفها المعتادة .

ونعود فنقول هل يمكن لهذا العـــلم السلوكى أن يكون له مجموعة من الاتجاهات المتناسقة المتكاملة نحو الحقائق العلمية فيقبل الباحث الحقيقة العلمية حتى ولو كانت لا ترضيه . ويرفض افتراضا آخر حتى ولو كان يميل إليه . هذا أمر يتعلق بالذاتية والموضوعية فى الدراسات السلوكية كما تصورها كثير من الباحثين والدارسين .

ولـكن ـ فى اعتقادى ـ أن الأمر أعمق من فكرة الذاتية والموضوعية إذ أنه يتعلق بموضوع التشابه القائم أو المفترض أو المدرك بين الفاحص والمفحوص فكلاهما إنسان وكلاهما يمر بنفس الخبرات والمواقف فى حياته اليومية وكلاهما يفكر ويتخيل ويبتكر ويتذكر . ولذلك فإن الصعوبة فى الحقيقة هى أن يتغلب كل من الفاحص والمفحوص على إحساسه أو إدراكه لهذا التشابه القائم بينهما . وهذا أمر أمكن التغلب عليه بصورة جزئية فى بعض الدراسات السلوكية الخاصة بعملية الإدراك الاجتماعى وكذلك فى بقية الميادين السلوكية التى لا يقتضى البحث فيها التفاعل المباشر بن الفاحص والمفحوص .

كما أنه لنا ملاحظة أيضا على إمكانية قيام نظام خاص ووحدات معرفية متشابهة داخل هذا العلم السلوكى مما يؤدى إلى وجود القواعد والقوانين .

ملاحظتنا هى أن الوحدة المعرفية يمكن أن تتكرر وتتشابه وكذلك يمكن أن يقوم نظام متميز خاص بهذا العلم ولـكن لابد وأن نعترف بأن

القاعدة أو القانون فى العلم السلوكى ليست أمامه الفرصة السانحة كما هى الحال فى العلم الطبيعى .

قد يكون من الممكن أن نتغلب على مثل هذه الصعوبة بأن نغير مفهومنا فى العلوم السلوكية بالنسبة للقاعدة والقانون ويكون لدينا عدد كبير من القواعد والقوانين أو بمعنى أدق نقبل القانون والقاعدة على أنهما أقل شمولا وسعة من نظيريهما فى العلوم الطبيعية . ولذلك فمى العلم السلوكى لامانع من أن نقبل القاعدة وفى نفس الوقت لا نهمل ما يشذ عنها .

ثم نأتى أخيرا إلى إمكانية العلم السلوكى وقدرته على التنبؤ . هذه الإمكانية وهذه القدرة هى مجال الفحص الدائم والجدال المستمر . إن التنبؤ لابد وأنه سوف يعتمد على القانون أو القاعدة العلمية . وكلما كان القانون شاملا دقيقا وكلما كانت القاعدة متسعة صحيحة وكلما كان ما يشذ عنها قليلا أو متناهيا فى القلة كلما كانت الإمكانية والقدرة على التنبؤ عالية ودقيقة . ولنأخذ المثال التالى لتوضيح هذه الفكرة :

ففى حوالى منتصف القرن السابع عشر الميلادى وضحت حقيقة أصبحت مقبولة (علميا) فى ذلك الوقت « وهى أن الأرض تسبح فى بحر من الهواء » .

وبناء على هذه الحقيقة كتب فرانشيسكولانا يقول « أنه طالما أن الأرض تسبح فى هذا البحر من الهواء فإنه يصبح من الممكن أن نبنى سفينة أخف من هذا البحر الذى تسبح فيه الأرض كما وضح أيضا كيف يمكن أن تبنى هذه السفينة ولكنه عاد يقول « أن الإنسان لن يتمكن من أن يتم هذا الاختراع لأن مثل هذه السفينة سوف تسبب القلق والاضطراب لبنى البشر . فلن تكون هناك مدينة تأمن من العدوان حيث أن هذه السفينة يمكن أن تأتى فوق هذه المدينة مباشرة ثم تهبط قليلا وتلقى عليها الحجارة الملتهبة أو تنزل عليها الجنود المسلحين فتسبب لها الدمار .

ويمكن ذلك أن يحدث أيضا للمنازل والبيوت التى يسكنها الناس . ويمكن لسفينة (الهواء) هذه أن تأتى قومه أى سفينة فى البحر ثم تنقض عليها فتحرقها وتغرقها بمن فيها من رجال وبما فيها من أشياء .

هذا ما قاله فرانشيسكو لانا فى منتصف القرن السابع عشر الميلادى حيث اعتمد على حقيقة علمية طبيعية وهى أن الأرض تسبح فى بحر من الهواء وبذلك تنبأ بالطيران الحربى ووسائله فى التدمير وما إلى ذلك ونجح فى هذا التنبؤ لأن الأمر مبنى على حقيقة علمية طبيعية اشتقت عن طريق منهج علمى طبيعى .

ولكنه أخطأ فى نفس الوقت فى ناحية أخرى عندما قال أن الإنسان لن يتمكن من إتمام هذا الاختراع لأنه فى الواقع نجح الإنسان فى أن يخترع الطائرة الحربية المدمرة . ويرجع فشل فرانشيسكو لانا فى هذه الناحية إلى أنه اعتمد على افتراض سلوكى وهو أن الإنسان لن يستخدم العلم فى تدمير حضارته ومدنيته وهذا افتراض يختلف بطبيعة الحال عن الحقيقة العلمية .

من هذا يتضح لنا أن القدرة على التنبؤ صفة ضرورية للعلم وهذه صفة متوفرة فعلا للعلوم الرياضية والطبيعية ولكنها ليست كذلك بالنسبة للعلم السلوكى لأن الحقيقة العلمية بمعناها الدقيق لم تتوفر بعد لهذا النوع من العلوم .

وأخيرا يجب أن نقول إن هناك علم سلوكى ولكن بتحفظات كثيرة وعديدة تفرضها علينا طبيعة كل من محتوى ومنهج هذا العلم .

بناء على هذا التصور كانت الخطة فى هذا الكتاب . فقد أردنا أن نناقش فيه كثيراً من الأمور المتعلقة بالسلوك الانسانى والتى ترتبط به على صورة تحتم علينا دراستها وتفسير العلاقة بينها وبين سلوك الفرد ثم نتعدى مرحلة التفسير إلى مرحلة القياس والتقدير وهو الأمر الذى يؤكد عليه هذا الكتاب ويحاول أن يتناوله فى شىء من التفصيل والإسهاب .

لذلك وجدت أنه من الضرورى أن نناقش علاقة سلوك الفرد بدوافعه وما يكمن خلف هذه الدوافع من ديناميات عميقة ثم علاقة سلوك الفرد بشخصيته ثم بقدراته ثم بالقيم والاتجاهات السائدة فى المجتمع .

وكذلك علاقة سلوك الفرد بعملية الادراك الاجتماعى وهى إحدى العمليات التى لم تدرس فى صورة دقيقة إلامنذ عهد قريب ثم علاقة سلوك الفرد بالبناء السوسيومترى للجماعة التى ينتمى إليها وهكذا .

وفى آخر هذا الكتاب — الذى أردت به أن يكون دراسة متكاملة متناسقة — آمل أن أقدم إسهاماً فى نظرية للسلوك الانسانى تفسر حركة الفرد داخل الجماعة وتمهد لإمكانية التنبوء بسلوكه .

المراجع

١ — أحمد أبو زيد — أزمة العلوم الانسانية — عالم الفكر المجلد الأول — العدد الأول ١٩٧٠

٢ — سعد عبد الرحمن — أسس القياس النفسى الاجتماعى — القاهرة الحديثة ١٩٦٧

3 — Berelson, B., The behavioural sciences to day, Harper, 1964.

4 — Skinner, B. F., Science and Human behaviour, Free Press 1953.

الفصل الثاني

• الدوافع وسلوك الإنسان

لعل ما يمكن أن نقرره فى سهولة ويسر هو أن الانسان العادى — أو الطبيعى — يسعى دائماً لتحقيق أهدافه وأغراضه ويسلك سبلا شتى من أجل أن يصل إلى ما يصبو إليه . وهو بين ذلك ينشط حيناً وتخبو قوته أحياناً ويزدهر فى نفسه الأمل فى بعض الأوقات وأوقات أخرى يصيبه اليأس والملل .

وفى جميع هذه الحالات لانتردد فى أن نقول أن وراء هذا الفرد دافعاً يدفعه إلى أن يسلك ويحاول أن يصل إلى هدفه . وبهذا يصبح الدافع كامناً خلف سلوك الفرد والهدف قابعا أمامه حيث يدفعه أحدهما ويجذبه الآخر .

ولهذا فقد أصبح موضوع الدوافع من الموضوعات التى نشأت مع نشأة علم النفس على أنه دراسة لسلوك الانسان . ولهذا أيضاً كثرت الدراسات حول الدوافع Motives والدافعية Motivation ودور هذه المفاهيم فى تحصيل الفرد ووصوله إلى أهدافه وفى أنماط سلوكه وأنواع نشاطاته .

وتعددت أيضاً تبعـــاً لذلك التفسيرات والتوضيحات الخاصة بالدوافع الانسانية والسلوك الانسانى وأصبح من الضرورى عند دراسة مثل هذا الموضوع أن نناقش الآراء المختلفة والتجارب المتنوعة التى أسهمت فى بناء فكرة المشتغلين بعلم النفس عن الدوافع والدفعية .

فكثيراً ما نلاحظ أن تحصيل بعض الأفراد أقل مما تؤهلهم له قدراتهم فقد نجد أن فرداً مايتمتع بقدرة رياضية أوفنية عالية ولكن تحصيله فى ميدان الرياضيات أو الفنون أقل بكثير مما تؤهله له هذه القدرة أو تلك .

ويمكن أن نجادل ونحاور فى هذه الملاحظة فنقول إن هناك خطأ فى تقدير قدرة الفرد أو قياسها وذلك الخطأ بالزيادة . ويصبح هـذا الخطأ هو مصدر

عدم مطابقة (كمية) القدرة التي يتمتع بها الفرد لمستوى تحصيله . ونحن نقبل هذا المنطق ونقبل بجانبه أيضا أن هذا الخطأ ليس هو المصدر الوحيد لعدم مطابقة كمية القدرة لدى الفرد لمستوى تحصيله وإنتاجه إذ أن هناك مصدر آخر قد يكون على جانب أكثر من الأهمية وهو أن الفرد ليس لديه الاهتمام أو الميل أو القابلية لأن يقوم بعمل ما بينما يكون لديه القدرة لأن يقوم بهذا العمل أو بمعنى أصح ، يمكنه أن يعمل ولكنه لا يريد أن يعمل ، وبمعنى أكثر دقة يمكن أن نقول أنه ليس لدى الفرد الدافع الكافي أو الدافعية لأن يقوم بهذا العمل أو ذاك ولذلك نجد أن صاحب القدرة الرياضية العالية أو القدرة الفنية الفائقة لم يحقق فى ميدان الرياضيات أو الفنون ما كان ينتظر منه أن يحققه .

وبهذا يمكن أن نقول أن الفرد الإنسان بحكم تركيبه من ناحية القدرات عقلية كانت أو عضلية فإنه يشبه إلى حد كبير تلك الآلة المعقدة التركيب ذات القدرة الفائقة لأن تفعل أشياء عديدة ولكنها فى حالة سكون ثم تعمل وتحقق ما هو مطلوب منها عندما يتوفر لها القوة الدافعة لأن تبدأ العمل . والفرد له من القدرة ـ بحكم تركيبه من الناحيه العضلية ـ لأن يجرى بدلا من أن يمشى على مهل ولكنه لا يجرى إلا إذا توفرت القوة الدافعة أو الدافعية لذلك فهو إما أن يجرى هربا من شىء ما أو طمعا فى شىء ما .

تعريف الدافع :

يقال إن الدافع حالة داخلية عند الفرد توجه سلوكه وتؤثر عليه . ولكن ما هى هذه الحالة وما هى طبيعتها ؟ هل يمكن للإنسان أن يشعر بالدافع ويحس به إذا كان فعلا حالة داخلية أم أن الإنسان لا يشعر إلا بما يترتب على هذا الدافع من إثارة وتوتر ؟

ويقال أيضا أن الدافع هو عامل انفعالى نزوعى يعمل على توجيه

سلوك الفرد إلى غرض ما أو إلى هدف معين ويمكن أن يكون الدافع فى محتوى الشعور أو اللاشعور .

ولكن إذا كان هذا العامل الانفعالى النزوعى خارج الفرد أصبح الدافع هو المثير الذى يسبب انفعال الفرد ونزوعه وكثيرا ما يكون ذلك المثير هو الهدف أو الغرض الذى يراه الإنسان .

وإذا كان هذا العامل الانفعالى النزوعى داخل نفس الفرد فإنه ولا شك سوف يصبح مختلطا مع عمليات وديناميات نفسية كثيرة تجعل من الصعب علينا فعلا أن نحدد معنى أو مفهوم الدافع إذا عولج بهذه الطريقة . ومما يجدر بنا أن نوضحه هو أننا لا نعنى بهذا الاختلاط أن هناك داخل نفس الفرد فعلا وبطريقة محسوسة مجموعة من العناصر والديناميات تختلط ببعضها البعض ومنها الدافع ولكن ما نقصده هو أن يختلط فهمنا للدوافع مع فهمنا لهذه العناصر والديناميات مثل الطاقة والقوة الهادفة والجنسية اللاشعورية والإرادة والسيطرة . وهى مفاهيم تطرق إلى مناقشتها الرواد الأول لعلم النفس مثل برجسون ومكدوجل وفرويد وآدلر وغيرهم . وسواء كنا على اتفاق مع هذه المفاهيم أم على غير ذلك فإن الاحتمال قائم أن يختلط علينا الأمر عندما نقول أن الدافع هو عامل انفعالى نزوعى وذلك فى ضوء مفاهيم الغريزة والارادة والطاقة الحيوية والقوة الهادفة أو الغائية وما إلى ذلك من المسميات .

ويمكن أن يقال أيضا أن الدافع هو حالة التوتر وعدم الاتزان التى يشعر بها الفرد وعليها فإنه يسلك وينزع إلى عمل معين .

ولكن إذا كان الأمر كذلك فما هو سبب هذا التوتر . قد يكون السبب من داخل الفرد وقد يكون السبب من خارج الفرد أى فى بيئته . ونعود ونقول أن ذلك السبب الداخلى لم يصبح فى حالة تأثير إلا بعد حدوث السبب الخارجى . فعندما يجرى الطفل هربا من الكلب فإن السبب المباشر

لجرى الطفل (سلوكه) هو إحساسه بالخوف والفزع (السبب الداخلى أو الحالة الداخلية) ولكن هذا الاحساس بالخوف والفزع لم يصبح مؤثرا أى (دافعا) للطفل على الجرى والهرب إلا بعد أن ظهر السبب الخارجى وهو الكلب الذى نبح بشدة تجاه الطفل ونستطرد فنقول إن هذا السبب الخارجى لم يتخذ شكله وكيانه إلا بناء على عملية نفسية تلعب فيها الخبرة السابقة دورا هاما ألا وهى عملية الادراك عند الطفل الذى إذا أدرك الكلب عدوا فإنه يهرب منه ويجرى وإذا أدركه صديقا فإنه ربما وقف إلى جانبه ليداعبه وعلينا هنا ألا ننسى دور التعلم فى بناء هذه الخبرة السابقة .

إذن ما هو الدافع ؟ وما هو النمط الذى يمكن أن يكون عليه تصورنا لمعناه وطبيعته ؟

الدافع هو حالة تفاعل تركيب الكائن الحى أو وظائفه أو كليهما معا مع عنصر أو أكثر من العناصر المادية أو المعنوية التى تقع فى نطاق المتسع النفسى أو الاجتماعى أو البيولوجى للفرد . وهذا التفاعل يؤدى بالضرورة إلى إحساس بالتوتر أو عدم الاتزان فى أى من هذه المجالات .

فإذا اعتبرنا أن الجوع هو الدافع إلى سلوك البحث عن الطعام فإنه بناء على هذا التصور يكون الجوع هو حالة التفاعل بين الجهاز الهضمى بتركيبه وما فيه من غدد وغير ذلك وبوظيفته التى تتحدد عن طريق علاقته ببقية الأجهزة الحيوية الأخرى فى جسم الانسان مثل الجهاز الدورى والتنفسى والعصبى والاخراجى والحركى أو العضلى وغير ذلك ، تفاعل بين التركيب والوظيفه من ناحية وبين عنصر مادى هو الطعام الذى كان يملأ المعدة قبل إحساس الفرد بالتوتر وعدم الاتزان ، وبين عنصر معنوى أو مجرد هو التعب أو الاعياء أو عدم القدرة من ناحية أخرى .

ولتوضيح هذه الفكرة نقول أن الجوع ليس هو خلو المعدة من الطعام فقط وليس هو إحساس بقية الأجهزة بالإعياء والإنهاك نتيجة

نقص الامداد الغذائى لها فحسب ولكن الجوع كدافع هو ذلك التفاعل الذى يتم بين الغدد الهضمية وأجزاء الجهاز الهضمى بما تتميز به من أنسجة حيوية خاصة وبما يتميز به أيضا من علاقة إمداد وتموين بالنسبة لأجهزة الجسم المختلفة هذا من ناحية وبين عنصرى التعب (وليس الاحساس بالتعب) والطعام من ناحية أخرى . فإذا خلت المعدة من الطعام وعطل عنصر التعب عن طريق إزاله الاحساس به كأن يعطى الانسان غذاء من نوع خاص من غير طريق الفم إلى المعدة فإن الجوع كحالة ودافع لايزال قائما كما هو . وإذا حدث وأمكن إزالة إحساس الفرد بخلو المعدة مع بقاء إحساسه بالتعب والارهاق فإن الجوع كحالة ودافع لا يزال قائما كما هو .

ولنأخذ مثالا آخر : فإذا فرضنا أن الدافع إلى التفوق العلمى أو الاجتماعى هو السيطرة والتسلط فإنه بناء على تصورنا السابق لمعنى الدافع تصبح السيطرة هى حالة التفاعل القائمة بين الفرد بقدراته وخصائصه (أى تركيبه) وعلاقته بالآخرين من أبناء المجتمع الذى يعيش فيه هذا من ناحية وبين عنصرى التفوق ماديا ومعنويا من ناحية أخرى .

وبذلك يصبح مفهوم الدافع كما يمكن أن نتصوره هو حالة تفاعل أو دينامية من نوع خاص توجه سلوك الفرد وليس هو الإحساس الداخلى الذى يشعر به الفرد فى موقف ما .

أصل الدوافع عند الإنسان:

يمكن أن نعالج هذه النقطة إذا نظرنا إلى الفرد وهو ينمو ويتطور لأن الدوافع لا يمكن أن تنشأ فى فراغ فهى لابد وأن ترتبط بنمو الفرد وتطوره .

ونمو الفرد وتطورة إنما يعتمد على ثلاثة عوامل رئيسية هى :

أ ـ **النضج**: **maturation** بمعنى مدى مناسبة الفرد من ناحية التركيب أو الوظيفة لمتطلبات المواقف التى يمر بها فى حياته اليومية .

فعلى سبيل المثال قد نعتبر الطفل ذا السنوات الثلاث ناضجا من ناحية القدرة الحركية — وهذا هو التركيب أى بناء الفرد من حيث القدرة — إذا تمكن من عقد رباط حذائه بمفرده وفى نفس الوقت لا يكون مثل هذا الموقف معيارا لنضج الطفل ذى السنوات العشر . ذلك لأن الطفل الأول فى طور نمو قدرته الحركية مناسبة لهذا الموقف بينما الحال يختلف عند الطفل الثانى .

وكذلك يمكن أن تعتبر الطفل الأول ناضجا من ناحية الوظيفة الاجتماعية عندما ينجح فى التعامل مع غيره من الأطفال الغرباء فى دار الحضانة أو مع مشرفة الدار ويكون معهم علاقات اجتماعية سليمة بينما يختلف الحال عند الطفل الثانى وهو فى آخر مرحلته الابتدائية من الدراسة .

وبذلك نعود فنقول إن النضج هو مدى مناسبة قدرة الفرد وطاقته للموقف .

ب ـ التمرين أو التدريب: **exercise** وهنا يجب أن يكون من المفهوم أننا لا نعنى بالتمرين أو التدريب مجرد التكرار فقط ولكن نعنى التكرار مع استخدام البصيرة حتى يتمكن الفرد قادرا من أن يسقط الأخطاء فى كل مرة يعود فيها إلى ممارسة الموقف من جديد حتى يصل إلى أعلى ما يمكن أن تؤهله له قدرته إمكانيته .

فالطفل عندما يتناول الملعقة أو السكين للمرة الأولى لاستخدامها فى الطعام يكون ذلك الموقف مليئا بالأخطاء من جانب الطفل على الرغم من مناسبة قدرته الحركية للإمساك بمثل هذه الأشياء وعند تكرار الموقف يكون أمام الطفل طريقان إما أن يكرر الموقف بنفس أخطائه ومحتوياته أو

أن يستعيد الموقف مستبعدا منه الأخطاء ما أمكنه ذلك . وبذلك يكون الاحتمال الأول تكرارا بينما يكون الاحتمال الثانى تمرناً حيث أنه استخدم فيه بصيرته وإدراكه للعلاقات بين الأشياء فأسقط من الأخطاء ما أمكنه أن يسقطه . ولهذا السبب فإن عملية المران أو تمرن بالمعنى الذى تشير إليه هنا من العمليات الأساسية فى نمو الانسان .

جـ - التعلم : Learning ولعله أصبح واضحاً الآن كيف أن التعلم سوف يأتى نتيجة مدى مناسبة الفرد للموقف الذى يمارسه وكذلك نتيجة مران الفرد باستخدام بصيرته وفهمه وإدراكه للعلاقات بين الأشياء والمتعلقات بها .

فالتعلم هو التغير فى سلوك الفرد أو فى طريقة تفكيره أو فى اتجاهه . على ألا يكون هذا التغير عائداً إلى سلوك فطرى أو غريزى .

وهنا يمكن أن نفهم التعلم — فى جميع مجالات الحياة المختلفة — على أنه أساس يقاس به معدل نمو الفرد الانسان .

ويتضح مما سبق أن نمو الفرد إنما يعتمد على هذه المتغيرات الثلاثة وهى النضج والمران والتعلم وطالما أن دوافع الانسان ترتبط ولا شك بنموه فيمكن لنا أن نقول أن هذه الدوافع إنما ترتبط أيضاً بهذه المتغيرات الثلاث : النضج والمران والتعلم . ويصبح من الضرورى مناقشة هذه العلاقة حتى نلقى ضوءاً — إن أمكن ذلك — على أصل الدوافع عند الانسان .

الدوافع وعملية النضوج :

يقول وودورث وماركويز أن بعض الدوافع هى نتيجة عملية النضج الفسيولوجى والعضلى للفرد أى أن دافع الجنس على سبيل المثال ينشأ عند الفرد عندما تنضج الأجزاء المختلفة للجهاز التناسلى عند الانسان . فلا يشعر الفرد بالتوتر وإلحاح الجنس عليه إلا إذا كانت الغدد الجنسية ناضجة متكاملة . ولكن ماذا عن السلوك الجنسى لبعض الكائنات الحية ومنها

الانسان قبل نضج الغدد الجنسية بمدة طويلة . فبعض الأطفال — الذكور والإناث — فى سن الثالثة تقريباً يميلون إلى إظهار بعض السلوك الجنسى بناء على إلحاح ودافع وذلك كما لاحظت هارلوك وغيرها ممن درسوا سلوك الأطفال وخاصة فى مدارس الحضانة .

معنى ذلك أنه يمكن أن نقبل كلا الاتجاهين : فما يقوله وودورث وماركويز صحيح لأن مظاهر الجنس مرتبطة بنضج الغدد الجنسية فعندالذكور تفرز هذه الغدد مادة الأندروجين حتى إذا وصل تركيزها فى الدم حداً معيناً أحس الفرد بنوع من التوتر وعدم الارتياح لا يمكن إزالته إلا بالاشباع الجنسى . وعند الاناث تفرز هذه الغدد المناظرة مادة الاستروجين حتى إذا وصل تركيزها فىالدم حداً معيناً أحست الأنثى بنوع من التوتر وعدم الارتياح لايمكن إزالته إلا عن طريق الاشباع الجنسى .

وهذا الرأى مقبول إذا وافقنا على أن الدافع هو حالة التوتر الأمر الذى أثرنا حوله الشك فى بداية مناقشتنا لموضوع الدوافع .

والملاحظة الثانية صحيحة وهى أن كثيراً من أطفال سن الثالثة وماحولها يميلون إلى العبث بأعضائهم التناسلية وأنهم يشعرون بالارتياح بنتيجة هذا العبث الأمر الذى يجعلنا نستنتج أنه ولا بد كان هناك نوعاً من التوتر قبل هذا الشعور بالارتياح .

معنى ذلك أن دافع الجنس ليس مرتبطاً — بالدرجة الأولى — بنضج الغدد التناسلية أو الجنسية كما يتصور وودورث وماركويز ولكنه أيضاً يرتبط بالتركيب الفسيولوجى الأصلى للفرد . وهنا يجب أن نقول أن مثل هذه الدوافع التى ترتبط فقط بتركيب الفرد ثم بنضوجه هى دوافع فطرية . فالطفل حديث الولادة يشعر بآلام الجوع ويعبر عن ذلك ببكائه وصراخه حيث يكون معدل هذا البكاء وهذا الصراخ أعلى بكثير من معدلها فى حالة أخرى غير الجوع . وحقيقة الأمر أن دافع الجوع كما سبق أن صورناه

على أنه حالة تفاعل وليس حالة توتر مرتبط بنضج الجهاز الهضمى عند الطفل حديث الولادة .

وكذلك دافع الجنس سواء حسب الملاحظة التى سبق الاشارة إليها حول سلوك أطفال سن الثالثة أو حسب ما يلاحظ من سلوك المراهقين أو البالغين حول الجنس — فإنه أى دافع الجنس — مرتبط أيضاً بنضج الجهاز الجنسى عند الطفل سواء فى سنه الثالثة أو فى سنه الثالثة عشرة .

ولكن ما يجب أن نقوله هو أنه فى الحالتين — حالة الجوع والجنس — هناك اختلاف وتباين بين الطفل حديث الولادة أو طفل السنة الثالثة وبين المراهق أو البالغ . والاختلاف هنا — رغم ارتباط الدافع فى كلتا الحالتين — بنضج الجهاز المناظر وفسيولوجيته — يكمن فى التعبير عن الدافع أو محاولة إشباعه فالطفل حديث الولادة يبكى ويصرخ عندما يشعر بالجوع بينما الطفل فى سن الثالثة أو أكبر من ذلك يبحث عن الطعام أو يسأل أمه أن تعطيه شيئاً يأكله عند ما يحس بالجوع . والطفل فى سن الثالثة يعبث بأعضائه التناسلية عند ما يشعر بدافع الجنس محاولة منه لتخفيف ما يحس به من توتر (إذا كان ذلك حقيقة) بينما تختلف عند البالغ فيسعى إلى إشباع حاجة الجنسية على صورة أخرى .

وهكذا فإننا نرى أنه يجب ألا نختلط بين إلحاح الدافع والاحساس بحالة التفاعل بين تركيب الفرد ووظيفته وبين العناصر المادية والمعنوية التى تتصل بمجال هذا الدافع نفسياً أو اجتماعياً أو بيولوجياً — يجب ألا نخلط بين هذه الحالة وبين التعبير عن الدافع . فالتركيب والوظيفة هما أساس إلحاح الدافع والاحساس به ولكن النضوج هو الذى يحدد الطريقة التى يسعى بها الفرد لإشباع دافعه وإزالة أو تخفيف التوتر الذى يحس به .

إذن : الاحساس بالدافع أو بحالة التفاعل التى أشرنا إليها إنما تعتمد على تركيب ووظيفة الأجهزة البيولوجية والنفسية للفرد .

بينما الطريقة التى يستخدمها الانسان لإشباع هـذا الدافع تعتمد على نضوجه أو بمعنى آخر مدى مناسبة أجهزته البيولوجية والنفسية للمواقف التى يمر بها فى حياته اليومية .

الدوافع وعملية التدريب :

نعود هنا مرة أخرى إلى ذلك الطفل حديث الولادة عندما يبكى ويصرخ طلبا للطعام . فإنه يمكن أن نلاحظ أن الطفل يقبل على ثدى أمه — أو مصدر الغذاء أيا كان — عندما يقدم إليه ولكنه قد يعاود البكاء مرة أخرى أثناء عملية الرضاع والسبب فى بكائه هذا هو أنه لم يتدرب بعد على ضبط عملية الامتصاص بفمه مع عملية البلع والازدراد بعضلات بلعومه مع عملية التنفس عن طريق الأنف . ولذلك يبكى الطفل لأن الدافع لم يشبع بعد . وقد تستمر هذه الحالة عدة مرات حتى يتمكن الطفل من ضبط هذه العمليات الثلاث ويصبح الأمر عليه سهلا هينا .

وواضح من هذا المثال أن الذى يرتبط بعملية التدريب هو أيضا طريقة أو ميكانيكية إشباع الدافع وليس الدافع فى حد ذاته .

وعملية التدريب هى كما سبق أن أشرنا عملية تكرار ناجح فيه يستخدم الفرد بصيرته وإدراكه للعلاقات فيسقط فى كل مرة يكرر فيها الموقف نسبة أكبر من الأخطاء حتى يصل إلى المستوى الذى يمكنه فيه مزاولة الموقف دون أخطاء أكثر من أخطاء الصدفة .

وهذا ما نلاحظه بالنسبة لطفلنا هـذا فهو فى كل مرة يتدرب فيها على امتصاص غذائه يدرك العلاقة بين التنفس والبلع والازدراد ثم الامتصاص كما يدرك أيضا أخطاءه فى كل مرة فيسقط منها مايستطيع وما يؤهله له قدرته على التدرب والمران حتى يمكنه بعد فترة أن يمتص غذاءه فى هدوء وطمأنينة ويشبع دافع الجوع دون أن تؤرقه أخطاءه وعدم قدرته على التكيف لهذه العمليات الثلاث .

ولنأخذ مثالا آخر لنزيد الأمر توضيحا — وهو مثال ذلك الصبى الذى تفرض عليه الظروف أن يستخدم أدوات المائدة للمرة الأولى فعند إمساكه بالشوكة والسكين لتناول الطعام وهو جائع ينتهى به الأمر إما إلى أن يترك هذه الأدوات ويتناول طعامه بيديه حتى يشبع دافع الجوع أو أن يستعمل هذه الأدوات استخداما غير ماهر ويترك المائدة وهو ما زال جائعا لم يشبع حالة الجوع بعد . وعند تكرار الموقف فإن الطفل — فى أحسن الحالات — سوف يتمرن ويسقط الأخطاء فى كل مرة حتى يصل إلى المستوى الذى يمكنه من استخدام أدوات المائدة بمهارة كافية يستطيع بعدها أن يشبع دافع الجوع .

وهكذا بالنسبة لبقية الدوافع فإن عملية إشباعها تحتاج إلى مران وتدريب وبذلك نجد أن ميكانيكية إشباع الدافع هى التى تتوقف على التمرن والتدريب وليس الدافع كحالة من حالات التفاعل الذى يؤدى إلى التوتر هو الذى يتوقف على التمرن والتدريب أو التكرار الناجح .

الدوافع وعملية التعلم :

سبق أن أشرنا إلى التعلم على أنه تغير فى سلوك الفرد أو فى طريقة تفكيره أو فى اتجاهه نحو الأشياء محسوسة كانت أو مجردة . كما أننا أشرنا أيضا إلى أن عملية التعلم لها صلة وثيقة بنضوج الفرد وتدريبه وتمرنه . كما سبق أن ناقشنا أيضا علاقة الدوافع بالنضوج والتدريب أو التمرن . لذلك كان من المنطقى أن تكون هناك علاقة بين التعلم والدوافع .

وفى الحقيقة أن علاقة الدوافع بالتعلم علاقة تمثل موضوعا قائما بذاته أجريت فيه العديد من البحوث والدراسات ومعظمها ينظر إلى الدافعية أو الدوافع على أنها ترفع معدل التعلم عند الفرد أو بمعنى أكثر وضوحا أن الدافع يساعد الفرد على اكتساب المهارة والخبرة أو تعديلها وتطويرها . وهنا سوف ننظر إلى هذه العلاقة من ناحية أخرى . ولنعد مرة ثالثة

إلى مثال الطفل حديث الولادة الذى يبحث عن الطعام إشباعا لدافع الجوع : فهو يتمرن ويتدرب على ضبط عمليات الامتصاص والابتلاع والتنفس ويوقت لكل منها ويوازن بينها جميعا حتى تتم عملية الاشباع وبالتالى يشعر الطفل بالارتياح .

ولو رجعنا فى هذا الصدد إلى قوانين التعلم التى تكلم عنها الارتباطيون وخاصة ثورندايك ورجعنا بالذات إلى قانون المران Law of exercise وقانون الأثر Law of effect لوجدنا (أولا) أن التكرار الناجح أو التمرن يؤدى إلى ربط استجابة الطفل لمثير الطعام بالموقف الغذائى ككل أى أنه عندما يقترب ثدى الأم من فم الطفل فإن عضلات الشفتين والصدغين والبلعوم والرئتين تتحرك فى تناسق وتوائم بحيث تسمح للطفل بتناول غذائه وبتكرار هذا الموقف فإن الارتباط يقوى بين المثير وهو ثدى الأم وبين الاستجابة وهى انضباط جميع هذه العضلات وعملها فى هارمونية وتناسق .

وبذلك يمكن أن نقول أنه فى هذا الموضع كان إشباع الدافع سببا فى الربط بين المثير والاستجابة عن طريق التكرار الناجح أو التمرن وهذه أولى خطوات التعلم أى أن الدافعية أو حالة الجوع عند الطفل هى التى حققت القانون الأول للتعلم الذى اقترحه ثورندايك .

كما أننا نجد (ثانيا) أن الطفل أثناء مرانه يربط بين المثير وبين الاستجابة التى تسبب له الارتياح والاشباع فهو أى الطفل — يقدم عددا من الاستجابات أثناء محاولته ضبط وتوقيت حركات عضلاته المختصة باستقبال الغذاء ولكن التعزيز أو التقوية لا تتم إلا بين المثير والاستجابة التى تسبب للطفل حالة الاشباع والارتياح وتقوى هذه الرابطة لتؤكد قانون الأثر الذى اقترحه أيضا ثورندايك . وبذلك نرى أن إشباع الدافع فى هذا الموضع كان خطوة أخرى فى سبيل تعديل سلوك الطفل تعديلا ناجحا وهذا نمط آخر من أنماط التعلم .

ولنرجع إلى مثالنا الآخر لاكمال الصورة : وذلك الصبي الذى تعلم من أجل إشباع دافع الجوع أن يستخدم أدوات المائدة فنى أولى هذه المراحل يتمرن ويتدرب ثم يربط بين المثير والاستجابة التى تسبب له الارتياح والمتعة محققا بذلك القانون السابق الاشارة إليها . ولكن ماذا يحدث بعد ذلك ؟ يتعلم الصبي استخدام أدوات المائدة ثم يقوده إشباع الدافع أيضا إلى اختيار وانتقاء أنواع خاصة من الطعام بحيث يفضل الطعام الذى يسبب له إشباعا وارتياحا أكثر من غيره وبذلك يحقق قانونا ثالثا من قوانين الارتباطين هو قانون الشدة Law of intensity الذى ينص على أن الارتباط يقوى بين المثير والاستجابة المشبعة المريحة كلما زادت درجة الاشباع والارتياح المترتب على هذه الاستجابة .

وفى جميع هذه الحالات فى هذين المثالين نجد أن الدافع الحقيق هو حالة التفاعل التى سميناها الجوع وأن التعديل فى السلوك أو التعلم هو ما ينشأ خلال عملية إشباع هذا الدافع معتمدا على قوانين الترابطيين أو الشرطين أو غير ذلك من قوانين التعلم .

وللتلخيص فإن الموقف الذى يتم فيه تعديل سلوك الفرد نتيجة إحساسه بالتوتر الناتج من تفاعل تركيب ووظيفة أعضائه المختلفة مع عناصر مجاله النفسى أو الاجتماعى أو البيولوجى يمكن أن يحدده ثلاث متغيرات هى :

(ا) المثير الذى يكون له صفة الالحاح والاستمرار والثبات مثل الجوع أو العطش أو الألم أو الجنس الخ . . . حيث يصبح المثير سببا فى حالة من التوتر وعدم الاتزان تحتم على الفرد أن يتخلص منها عن طريق إشباع الدافع .

(ب) تعدد الاستجابات التى يقدمها الفرد عن خلال نشاطه وفعاليته من أجل إزالة التوتر وعدم الاتزان . فإن مثل هذا التعدد فى الاستجابات

أو كثرتها من شأنه أن يهيء الفرصة لإيجاد الاستجابة التى تسبب الإشباع والارتياح للفرد عن طريق اكتشافه إياها .

(ﺟ) التعزيز أو التدعيم الذى يحدث بين المثير والاستجابة الناجحة عن طريق عملية التمرن والتدريب وكذلك عن طريق الإحساس بالمكافأة أو الاشباع .

بناء على ذلك يتعلم الفرد عن طريق إشباع الدافع أى أن الدافع يساعد على التعلم — كما سبق أن قيل فى دراسات أخرى — وكذلك نجد أن التعلم يهذب ويطور إشباع الدافع وعملية إزالة التوتر وعدم الاتزان كما نقول نحن فى هذا المجال .

وليس ذلك نهاية المطاف فى علاقة الدوافع بالتعلم فكما أن التعلم يتأثر بالدافع أو الدافعية كما سبق فإن التعلم يؤثر فى هذه الدوافع بصورة واضحة حيث أن الفرد عندما يتكيف للموقف فإنما عليه أن يعيد النظر وأن يعدل فى وسائل إشباع دوافعه وحاجاته . ويبدو أثر التعلم واضحا فيما يلى :

(ا) من خلال عملية التعلم أو عملية تعديل السلوك وطريقة التفكير والاتجاه تتحدد الدوافع — وبالتالى الأهداف — وتصبح أكثر نوعية وتخصصا . فعلى سبيل المثال من خلال عملية تعلم الصبى التى أشرنا إليها فى مثالنا السابق عندما أراد أن يستخدم أدوات المائدة — من خلال هذا التعلم أصبح هناك «جوعا نوعيا» Specific hunger يختص بنوع مفضل من الطعام مثل السكريات أو الأملاح أو البروتين وما إلى ذلك . وينمو هذا الاتجاه ويتحدد من خلال عملية التعلم فنلاحظ بعد أن يكبر هذا الطفل قد يقول « إننى ما زلت أشعر بالجوع لأننى لم آكل لحما منذ عدة أيام أو « أننى أريد أن آكل بعض الحلوى حيث أننى أشعر بالارهاق والتعب فكلا هذين

الموقفين يمثلان جوعا نوعيا إما إلى البروتين فى الحالة الأولى أو إلى الكربوهيدرات (السكريات) فى الحالة الثانية .

ومثال آخر نسوقه : ماذا نقول عندما تبيض الدجاجة ثم تبدأ فى أكل بعض ما على الجدار أو الحائط من مواد جيرية لتعوض به ما فقدته من مادة الكاليسيوم أثناء تكوينها لغلاف البيضة . نقول إنه جوع نوعى إلى نوع خاص من الأملاح وهذا الجوع النوعى إنما أيضا جاء وتكون من خلال عملية التعلم التى تمت فى مواقف محاولة الكائن الحى طفلا كان صبيا أم دجاجة لاشباع دافع الجوع عنده .

وهناك زعم آخر أن مثل هذا الجوع النوعى لا يتوقف على عملية التعلم بقدر ما يتوقف على حاجة الجسم إلى الأملاح أو السكريات أو البروتينات .

ولكننا نختلف مع هذ القول : فإن هناك فرقا واضحاً بين حاجه الجسم إلى طعام ما وبين التعبير عن هذه الحاجه ثم إشباعها . فحاجة الجسم إلى البروتين مثلا يعبر عنها الأفراد بصور مختلفة وكذلك يشبعونها فبعض الأفراد يميل إلى اللحم المسلوق بل ربما رفض البعض ذلك كلية وفضلوا عليه لحم الدجاج كما نجد الحيوان يفضل اللحم نيئا دون طهو .

فنحن لا ننظر إلى الحاجة داخل جسم الانسان لأننا لا نستطيع ذلك ولكن ما يمكن لنا دراسته هو « جوع الانسان إلى نوع خاص من الطعام » وهذا ما نسميه بالجوع النوعى وقد تكون نتيجة ربط الانسان بين الجوع كمثير وبين نوع خاص من الطعام كاستجابة تسبب له حدا أقصى من الاشباع والارتياح أى تكون هذا الجوع النوعى من خلال عملية التعلم وليس لأن هناك حاجة عند الانسان تدفعه إلى تفضيل صنف دون آخر من الطعام .

(ب) من خلال مواقف التعلم التى تتم أثناء محاولة الكائن الحى إشباع دوافعه نجد أن هذه الدوافع تتراكب وتتراكم مع بعضها البعض . فتناول

الطعام مع بقية أفراد الأسرة أو مع الأصدقاء موقف يتفاعل فيه أكثر من دافع ففيه يحاول الفرد إشباع دافع الجوع وكذلك الدافع إلى الانتماء — أو الرفقة — وذلك أيضا نتيجة عملية التعلم هذه فقد وجد الفرد أن تناول الطعام بمفرده أقل إشباعا له ولدوافعه من أن يتناوله مع بقية أفراد أسرته أو أصدقائه وبذلك ربط بين المثير وبين الاستجابة التى تسبب له إشباعا أو ارتياحا أكثر .

(ح) من خلال عملية التعلم تتكون الأهداف الوسيطة وبالتالى الدوافع الوسيطة التى تدفع الفرد إلى تلك الأهداف . وقد تصبح هذه الأهداف الوسيطة intermediate أهدافا أساسية فى حد ذاتها وتبعا لذلك يتحول الدافع الوسيط intermediate motive إلى دافع أساسى .

فما لا شك فيه أن الفرد — مهما كان — يؤمن أن المال وسيلة إلى غاية كبرى هى الرفاهية وأنه من أجل تحقيق الرفاهية لابد وأن يسعى ليجمع المال . فالرفاهية هنا هى الهدف الأساسى والدافع إليها دافع أساسى فى حين أن جمع المال هو الهدف الوسيط والدافع إليه دافع وسيط . ولكن نتيجة عملية التعلم وبناء على ما أشرنا إليه من قوانين نجد أن كثيراً من الناس قد تبدلت نظرتهم إلى المال بحيث أصبح هو هدفا أساسيا فى حد ذاته لأن جمعه والحصول عليه يحقق للفرد — من وجهة نظرة هو — ما هو أكثر من الرفاهية ألا وهو السيطرة والتسلط . فالفرد يجد فى جمع المال إشباعا وارتياحا يزيد من الرابطة بين موقف جمع المال (المثير) وبين الاستجابة التى يقدمها .

(د) من خلال عملية التعلم أيضا يحدث إبدال لبعض المثيرات بمثيرات أخرى جديدة أو بديلة بحيث يصبح المثير الجديد هو الذى ينشط الدافع ويجعله خلفية لسلوك الفرد فى ذلك الموقف .

فمن المعروف أن دافع الخوف هو الذى يدفع الانسان إلى الهرب أو طلب الحماية . وكما سبق أن قلنا فإن دافع الخوف هذا لا ينشط إلا فى حالة

وجود المثير المناسب كأن يفاجأ الفرد بالنيران تحاصره من كل جانب فيجرى طلبا للنجاه أو يلجأ إلى مكان أمين .

وهنا يمكن أن نقول أيضا أن الانسان نفس الانسان لو سمع الجرس الذى يدل على خطر الحريق أو صفارة الانذار تدل على وقوع غارة جوية فإن دافع الخوف سوف ينشط وعليه يجرى الانسان طلبا للأمن والحماية .

من ذلك ترى أن المثير الأصلى وهو النار أو الحريق أو أصوات انفجار القنابل وأزيز الطائرات المغيرة قد أمكن إبداله بمثير آخر هو صوت أجراس الانذار بالحريق أو صفارات الانذار .

وهذا ما أمكن استخلاصه من تجارب باقلوف المشهورة التى أدت إلى ما نسميه بالتشريط أو الشرطية فى التعلم حيث كان يسمى المثير الأصلى مثيرا طبيعيا والمثير الآخر هو المثير الشرطى .

فكأنه عن طريق عملية التعلم أمكن إيقاظ الدافع وتنشيطه عند الفرد عن طريق مثير صناعى أو شرطى بدلا من المثير الطبيعى .

وخلاصة القول أن هناك تأثيرا متبادلا بين الدوافع والتعلم فنجد أن الدوافع تؤثر فى معدل تعلم الانسان لمهارة ما بحيث كلما زادت الدافعية كلما زاد الاحتمال بأن يتم التعلم أسرع مما لو كانت الدافعية أقل .

وكذلك نجد أن التعلم يؤثر فى الدوافع بحيث من خلال عملية التعلم الناتجة عن محاولة الفرد إشباع دوافعه تصبح هذه الدوافع اكثر نوعية وتخصصا كما أنه يمكن لهذه الدوافع أن تترا كب وتترا كم كما أنه يمكن أن تتكون الدوافع الوسيطة كما يمكن إشراط المثير الذى يؤدى إلى تنشيط الدوافع عن الانسان .

تصنيف الدوافع :

لا شك فى أن دوافع الانسان كثيرة ومتعددة وقد تختلط مع بعضها البعض فى مواقف كثيرة فيبدو أنه من الصعب علينا أن تصنف هذه الدوافع أو أن نقسمها طلبا لدراستها والتعمق فى ماهيتها .

لذلك فإننا سوف، نبدأ بأبسط تقسيم أو تصنيف يمكن أن تصنف على أساسه الأشياء ألا وهو التقسيم الثنائى .

فنجد أن موراى على سبيل المثال يقسم الدوافع الإنسانية إلى نوعين :

أولها : تلك الدوافع التى ترتبط بالتكوين البيولوجى للفرد وهذه سميت بالدوافع ذات الصبغة الفسيولوجية وهى مثل الجوع والعطش والاخراج والجنس .

وثانيهما : الدوافع التى ترتبط بالوظيفة السيكلوجية للفرد وهى تلك الدوافع ذات الأصل النفسى والتى لا ترتبط بفسيولوجية الفرد ومنها دوافع التحصيل والتفوق والاستقلال وما إلى ذلك .

ونجد كذلك أن بعض الدراسين يقسمون الدوافع الانسانية إلى نوعين أيضا :

أولها : الدوافع الفطرية أو الأولية وهى تشمل كل ما هو فطرى موروث مثل الجوع والعطش والحركة والجنس والاخراج والتنفس . وهذه كما نلاحظ تناظر الدوافع الفسيولوجية عند موراى .

وثانيهما : الدوافع المكتسبة أو الثانوية وهى تشمل كل ما هو مكتسب أى ما يكتسبه الانسان ويتعلمه من خلال تفاعله مع عناصر بيئة إنسانية أو مادية أو معنوية مثل الدافع إلى السيطرة والتسلط والتعاون والتنافس وغير ذلك من الدوافع التى يعتمد على نوع البيئة والثقافة والحضارة التى يعيشها الفرد . وهنا نلاحظ أن هذا النوع من الدوافع يناظر الدوافع السيكلوجية عند موراى .

وهناك نمط آخر من تقسيم الدوافع وهو تقسيمها إلى ثلاثه أنواع :
فنرى أن هيلجارد يقترح تقسيم الدوافع الانسانية إلى :

(ا) الدوافع اللازمة لإبقاء الفرد ككائن بيولوجى .

(ب) الدوافع اللازمة لتحويل الفرد إلى كائن اجتماعى .

(حـ) الدوافع اللازمة لتكامل ذات الفرد .

ونجد كذلك تقسيما آخر (ستاجنر ١٩٦١) يصنف الدوافع إلى أنواع ثلاثة :

(ا) الدوافع البيولوجية .

(ب) الدوافع الانفعالية .

(حـ) الدوافع المشتقة من القيمة والاتجاه .

وهناك رأى ثالث (وودورث وماركويز ١٩٦٨) يصنف الدوافع أيضا إلى ثلاثة أنواع هى :

(ا) الدوافع العضوية organic motives .

(ب) الدوافع الطارئة emergency motives .

(حـ) الدوافع الغرضية (أو الموضوعية) objective motives .

وفيما يلى سوف نتعرض فى شىء من المناقشة والتفصيل لهذه التقسيمات ثنائية كانت أم ثلاثية أم غير ذلك .

أولاً ـ التصنيف الثنائي للدوافع :

مما يلاحظ فى هذا المذهب أن أساس التقسيم أو التصنيف كان يرتكز على فكرة التركيب والوظيفة Structure and function :

١ ـ **فمن ناحية تركيب الكائن الحي :** كان الاهتمام منصباً على فسيولوجيته والتنظيم الحيوى له فاشتملت هذه الناحية على ما سمى تارة بالدوافع الفطرية وتارة أخرى بالدوافع الأولية وبطبيعة الحال تخرج هذه الدوافع عن حاجة الانسان — ككائن بيولوجى — للاستمرار فى حياته فكانت هذه الدوافع هى الجوع أى الدافع الذى يدفع الفرد لأن يسلك سلوك البحث عن الطعام . سواء كان هذا الدافع هو حالة التوتر التى يشعر بها الفرد ويحس بها عند

خلو معدته من الطعام وعند إحساس بقية أجهزته الحيوية بالتعب والإرهاق سواء كان كذلك أم كان الدافع هو حالة تفاعل تركيب ووظيفة أجهزة الكائن الحى مع عناصر الموقف الأمر الذى يؤدى به إلى الإحساس بهذا التوتر الذى ليس هو الدافع ولكنه نتيجة نشاط الدافع ويقظته .

وعلى جميع الاحتمالات فإن الجوع كدافع — سواء بهذا التصور أو ذاك — يمكن مناقشة آثاره بسهولة وربما أمكن إخضاعه للتجريب وذلك لارتباطه بكثير من الوظائف الحيوية فى جسم الانسان منها سرعة نبضات القلب وتقلصات عضلات المعـــدة والأمعاء وسرعة التنفس والاخراج عموماً .

وقد سبق أن أشرنا أن دافع الجوع يتمثل فى حالة تفاعل الجهاز الهضمى للكائن الحى من ناحية تركيبه ووظيفته مع عناصر الموقف المادية والمعنوية . ومعنى ذلك التفاعل عند خلو المعدة من المواد الغذائية وانخفاض نسبة بعض المواد الغذائية وخاصة السكريات فى الدم أن يشعر الفرد بحالة من التوتر وعدم الارتياح نتيجة إلحاح هذا الدافع عليه فربما تتقلص عضلات المعدة عند بعض الناس أو تتلاحق أنفاس بعضهم وتسرع ضربات القلب أو ربما شعر البعض الآخر بنوبة من الدوار تقترب من حد الإغماء وهكذا . . حيث تكون هذه المظاهر جميعاً هى دلائل حالة التوتر الناتجة عن إلحاح دافع الجوع — كحالة تفاعل — على الفرد .

ومما يؤكد نظرتنا إلى الدافع على النحو الذى حددناه سابقاً بأنه حالة تفاعل بين تركيب ووظيفة الجهاز الهضمى من ناحية — أى ما يحتويه الجهاز الهضمى من أجزاء وغدد تفرز العصارات والأنزيمات الخ . . . . وكذلك علاقته الوظيفية ببقية الأجهزة الحيوية فى جسم الكائن الحى مثل الجهاز الدورى والتنفسى والحركى . . . . — هذا من ناحية وبين عناصر الموقف المادية — أى الطعام — والمعنوية — مثل التعب والإرهاق — مما يؤكد

نظرتنا هذه التجارب التى أجراها كل من كانون وهولزل وتسانج وغيرهم من المهتمين بدراسة علم النفس الفسيولوجى . فقد وجد كانون فى بداية تجاربه أن تقلصات المعدة ترتبط بإحساس الفرد بالجوع حيث كانت هناك عملية تسجيل لهذه التقلصات والانقباضات وكذلك شعور الفرد بالجوع وهنا وصل كانون إلى نتيجة قاصرة وهى أن طبيعة دافع الجوع ترتبط بالمعدة . ولكن تأتى بعد ذلك دراسات هولزل وتسانج فتقرر أن بعض الكائنات الحية التى أزيلت معدها تقوم بنفس — سلوك البحث عن الطعام — دليل إحساسها بالجوع — تماماً كما تقوم بذلك الكائنات الحية التى مازالت تحتفظ بمعدها . بل لنذهب أكثر من ذلك ونقول أنه فى بعض المقالات الطبية وصف لحالة إنسان أزيلت معدته وأوصلت بقية أجزاء الجهاز الهضمى ببعضها البعض ووجد أن هذا الشخص ما زالت رغبته فى الطعام وإحساسه بالجوع تماثل تقريباً الشخص العادى — آخذين فى الاعتبار الظروف المرضية التى يتعرض لها الفرد الأول .

ومما يؤكد نظرتنا أيضاً التجارب التى أجريت على بعض الفئران بهدف الربط بين الجهاز العصبى فقط وبين دافع الجوع وذلك عن طريق تعطيل الخلايا العصبية المتصلة بالمعدة بقطع الأوتار الحسية التى تقوم بنقل الإشارات العصبية بين المعدة إلى المخ وبالعكس .

وكانت نتيجة هذه التجارب أن هذه الفئران ما زالت تبحث عن الطعام وتسلك سلوك الجوع بنفس القدر الذى تظهره الفئران الأخرين — آخذين فى الاعتبار ظروف التجربة فى حد ذاتها .

وهنا يجب أن نقول أن دافع الجوع ليس هو تقلص المعدة وليس هو الإحساس بالتوتر إحساساً عصبياً يستوجب من المراكز العصبية إصدار إشارات البحث عن الطعام . ولكنه فى تصورنا حالة تفاعل بين التركيب والوظيفة من ناحية وبين عناصر الموقف من ناحية أخرى ويكون هذا التفاعل سبباً فى إحساس الفرد بالتوتر بمظاهره المختلفة .

والعطش أيضاً دافع من الدوافع الفطرية أو الأولية التى تلح على الفرد إلحاحاً يدفع به إلى سلوك خاص هو البحث عن الماء . ولكن هل يمكن أن يرتوى الفرد عندما يشرب ماء مقطراً خالياً من الأملاح أو عندما يشرب أى سائل آخر يحتوى فى تركيبه على الماء ؟

وهنا يزعم (أدكوك) أن العطش نوع من الجوع ونحن نؤيده فيما يذهب إليه لعاملين رئيسيين :

أولهما: أنه فى وجهة نظرنا من ناحية تعريف دافع الجوع ما يؤيد ذلك فعلاقة الجهاز الهضمى وتركيبه ذات صلة بالماء حيث أن نقصه يؤدى إلى حالة التفاعل التى تسبب التوتر الذى من مظاهره جفاف الحلق مثلا .

ثانيهما: أنه سبق أن ناقشنا وأيدنا مبدأ يقول بأن هناك جوع نوعى أى دافع نوعى Specifi motive . حيث يبحث الانسان عن بعض أنواع الأطعمة بالذات دون غيرها — نتيجة عملية تعلم — والطعام من ناحية المعنى الواسع يشمل كل ما يدخل إلى المعدة عن طريق الفم بما فى ذلك الماء والأشربة عموماً .

لهذا فإنه لا غبار إطلاقا فى أن نعتبر دافع العطش دافعا فرعيا من الدافع الأساسى ألا وهو دافع الجوع .

والجنس أيضا من الدوافع الفطرية أو الأولية كما سبق الاشارة إلى ذلك وهو دافع يمكن تعريفه كما سبق فى حالة دافع الجوع . فنقول أنه حالة التفاعل بين تركيب ووظيفة الجهاز التناسلى عند الفرد من ناحية وبين عناصر الموقف المادية — المثيرات الخارجية مثل الجنس الآخر — والمعنوية مثل الاهتمام الجنسى sexienterest .

وهنا يجب أن نشير مرة أخرى إلى أن غدد الجهاز التناسلى عند الرجل التى توجد فى الخصيتين تفرز هرمونا خاصا هو هرمون الأندروجين وهو المسئول عن سلوك الذكورة عند الفرد مثل نمو شعر اللحية والشارب وعمق

الصوت وغلظته وبروز العضلات فى أماكن خاصة من جسم الرجل . بجانب هذا أيضا تفرز هذه الغدد الحيوانات المنوية المسئولة عن عملية الإخصاب والإكثار .

وللجهاز التناسلى أيضا علاقة وظيفية بالاجهزة الحيوية الأخرى فى جسم الانسان مثل الجهاز العصبى والجهاز الهضمى والجهاز الدورى والجهاز التنفسى والعضلى والجهاز الاخراجى .

فعندما تفرز هذه الغدد مادة الاندروجين ويصل تركيزها فى الجهاز الدورى (الدم) إلى حد معين أو تزيد عليه يكون التفاعل قد تم بين تركيب هذا الجهاز التناسلى — أى تلك الغدد — ووظيفته أى علاقته بالجهاز العصبى والأجهزة الأخرى التى سبق الاشارة إليها وبين عناصر الموقف مادية كانت أو معنوية .

ونتيجة لهذا التفاعل يشعر الذكر بالتوتر وعدم الارتياح بما يصاحب ذلك من مظاهر عضلية مثل سرعة نبضات القلب ومظاهر عصبية مثل القلق أو الخوف ولا تتم إزالة هذا التوتر إلا عن طريق الاشباع الجنسى .

وفى الأنثى يحدث نفس الشىء فغدد الجهاز التناسلى الموجودة فى المبيضين تقوم بإفراز هرمون الاستروجين وهو هرمون الانوثة وهو الهرمون المسئول عن السلوك الانثوى مثل رقة الصوت عند الانثى وبروز الثديين ونموهما وتوزيع الدهون على أجزاء الجسم المختلفة وما إلى ذلك .

وبجانب ذلك فإن المبيضين يفرزان البييضات المسئولة عن عملية الإخصاب والإكثار .

ودافع الجنس عند الأنثى لا يختلف من ناحية الميكانيكية التفاعلية عن دافع الجنس عند الذكر كما سبق أن شرحنا ذلك .

ودافع الاخراج أيضا من الدوافع الفطرية وهو يفسر على أنه ليس

مجرد التبول أو التبرز واخراج العرق من مسام الجسم ولكنه أعم وأشمل من هذا وهو ذلك الدافع الذى يدفع الفرد لأن يقوم بأنماط من السلوك بهدف التخلص مما يعتقد هو أنه سبب حالة التوتر وعدم الارتياح : مثل البصق Spitting أو التخلص من آثار التعب عن طريق البحث عن مكان للنوم أو الراحة وكذلك التخلص من كمية ثانى أكسيد الكربون الزائدة فى الدم عن طريق طردها مع هواء الزفير ويدخل فى ذلك دافع فرعى أو حاجة فرعية هى حاجة الانسان إلى الهواء لاستخدامه كوسط لنقل غاز ثانى أكسيد الكربون إلى خارج الجسم . وكذلك التبول والتبرزهما أيضا من دوافع الاخراج .

بهذا نكون قد أشرنا فى غير إيجاز الى بعض ما سميناه بالدوافع الفطرية أو الأولية وهى الشطر الأول من التقسيم الثنائى للدوافع وهو الموضوع الذى بدأنا مناقشته آنفاً .

ولكن هناك سؤال ملح تعرضت له معظم دراسات الدوافع وخاصة الدوافع الفطرية عندما تقف عنددافع الجنس وتتكلم عنالضغوط الاجتماعية والمراسيم والطقوس المتصلة بإشباع الجنس فنجد على سبيل المثال بعض المراجع تقول :

« ولعل الدافع الجنسى هو الدافع الوحيد ذو الأساس الفسيولوجى — يقصد الدافع الفطرى — الذى يثير انتباه المجتمع فيما يتصل بطرق إشباعه فلسنا نعلم عن أى ثقافة تمنع إشباع الفرد لدافع الجوع إلا فى حالات قليلة كالمرض مثلا » . وعلى العكس من ذلك لسنا نعلم عن أى ثقافة تسمح بإشباعِ الدافع الجنسى إلا فى ظروف معينة « فيما عدا بعض الجماعات » .

ونحن نختلف مع هذا الزعم من ناحيـــة الشكل والموضوع . فجميع الثقافات والحضارات تبيح إشباع الدوافع : دافـــع الجوع ودافع الجنس ودافع الاخراج على سبيل المثال لا الحصر . ولا تمنع

إشباعها . وجميع الثقافات والحضارات أيضاً تضع أنواعاً من القيود والطقوس من أجل تنظيم طريقة إشباع هذه الدوافع وغيرها .

فدافع الجوع توافق جميع الثقافات على إشباعه بل تساعد على ذلك ولكنها تنظم طرق ووسائل هذا الاشباع فتمانع معظم الحضارات فى أن يختطف الانسان الطعام أو أن يسرقه أو أن يتحايل على الحصول عليه أو أن ينهج سبيلا غير شريف حتى يأكل . كما نجد أن بعض الحضارات الأخرى تذهب إلى أبعد من هذا فتنظم طريقة وأسلوب إشباع دافع الجوع فتشترط استخدام أدوات المائدة ولا توافق على أن يلتهم الفرد طعامه مستخدماً أصابعه ويديه وألا يحدث صوتاً مسموعاً أثناء ازدراده للطعام أو شربه للماء.

ودافع الإخراج أيضاً — سواء بمعناه الضيق أو الواسع — لا تمانع أى حضارة أو ثقافة فى إشباعه ولكنها تضع القيود من أجل تنظيم إشباع هذا الدافع فتبدأ عملية التطبيع الاجتماعى للطفل بتعويده على ضبط التبول والتبرز كما تحدد له أيضاً الأماكن التى يجب أن تتم فيها هذه العمليات . وكذلك التخلص من ثانى أكسيد الكربون الزائد فى الدم عمل توافق عليه كل حضارة وثقافة ولكنها تمنع أن يخرج الفرد هواء الزفير مباشرة فى وجه الآخرين . ونفس الحال مع اللعاب الزائد أو المخاط حيث نجد كثيراً من الحضارات تمنع البصق أو التمخط فى الطريق العام ولكنها لا تمنع إطلاقاً إشباع دافع إخراج هذه الزيادات بالصورة التى تنظمها وترتضيها .

وكذلك دافع الجنس لا يختلف عما سبقه من دوافع لجميع الحضارات والثقفات تسمح باشباعه ولكن بالطريقة التى وضعتها وسنتها لتنظيم هذا الإشباع . فالحضارات لا تبيح للرجل أن يعتدى على امرأة ليشبع الدافع الجنسى ولا تبيح أيضا للمرأة أن تحترف البغاء بدعوى أنها تريد أن تشبع دافع الجنس ولكنها تبيح العلاقة المنظمة المعترف بها اجتماعيا لإشباع

مثل هذا الدافع . والمرجع فى هذا هو قوانين الجماعة وتقاليدها وقيمها ومعاييرها .

وكلما يتميز به دافع الجنس عن الدوافع الأخرى هو أنه ذلك الدافع المسئول عن بقاء الجنس الانسانى وإكثاره لذلك أحيطت الطريقة التى ينظم بها إشباع هذا الدافع بكثير من الطقوس والتقاليد فالزواج وهو الطريقة المشروعة المعترف بها يصاحبها الكثير من الشكليات والرسميات الأمر الذى لا يوجد فى حالة إشباع دافع الجوع أو دافع الإخراج فليست هناك ثقافة أو حضارة — بقدر ما نعلم — تقيم الطقوس والاحتفالات عندما يأكل الفرد أو يخرج فضلاته ولكنها تفعل ذلك عندما يتزوج الفرد .

وهناك أمر آخر يجب أن نعرض له فى هذا المجال وخاصة عند الكلام عن دافع الجنس حيث نجد الكثير من الدارسين يتحدثون عن إعلاء هذا الدافع للتغلب على إلحاحة وذلك بأن يقوم الفتى أو الفتاة بمزاولة رياضة من الرياضيات أو الانشغال فى نشاط ذهنى خاص حتى يتغلب على إلحاح دافع الجنس .

إذ أنه يجب أن نوضح معنى الإعلاء Sublimation وهى كلمة مستعارة من العلوم الطبيعية وتعنى التسامى .

إذ أنه من المعروف أن المادة الصلبة مثل الثلج تنتقل بالتسخين الى حالة السيولة (الماء) ثم إلى الحالة الغازية (البخار) .

وهكذا الحال مع معظم المواد الصلبة . ولكن هناك بعض المواد مثل اليود تنتقل فورا من حالة الصلابة الى الحالة الغازية دون المرور بمرحلة السيولة وهذا ما يسمى بالتسامى . ووجه الشبه هنا أو سبب الاستعارة هو أن الأصل فى ميكانيكية الدافع أنها ذات مراحل ثلاث أولها الحاح الدافع على الفرد ثم إشباع هذا الدافع ثم الوصول الى حالة الاتزان والاستقرار .

والمقصود بالتسامى أو الإعلاء فى هذه الحالة هو أن ينتقل الفرد مباشرة من مرحلة الحاح الدافع عليه الى مرحلة الاتزان معه دون أن يمر بالمرحلة الوسطى وهى مرحلة الإشباع .

وفى الحقيقة أن محاولة الجدال فى هذه الناحية أمر صعب لأنه من غير الممكن عمليا أن يتخطى المرء مرحلة أساسية من مراحل علاقة دوافعه بالبيئة الخارجية . ولكن هناك الكثير من المقترحات فى هذا الميدان وهى نوعية أكثر منها عامة : منها مزاولة نشاط آخر يرتبط بدافع أقوى وأسبق مثل انشغال الصائم بالعبادة حتى يتجه بنفسه إلى ما هو أقوى وأسبق من رغبته فى اشباع دافع الجوع .

٢ - واما من ناحية الوظيفة: وهى الشق الثانى للتقسيم الثنائى للدوافع حيث كان الشق الأول هو التركيب وقد ربطنا بينه — أى الشق الأول — وبين الدوافع الفطرية أو الأولية .

وفى الفقرات التالية سوف نناقش الدوافع المرتبطة بوظيفة الفرد النفسية والاجتماعية وهى ما تسمى بالدوافع الثانوية أو المكتسبة أو تلك التى نمت وتطورت من خلال تفاعل الفرد مع عناصر البيئة المادية والانسانية والاجتماعية التى هو ولا شك جزء منها .

ومما يجدر بنا أن نشير إليه هو أنه إذا كانت — كما سبق أن قلنا — الدوافع الفطرية دوافع لازمة لإبقاء الانسان — ككائن بيولوجى — على قيد الحياة فإن الدوافع الثانوية أو المكتسبة لازمة لكيان الانسان ككائن اجتماعى . ومما لا شك فيه أن أول دافع يكتسبه الفرد من احتكاكه بغيره هو دافع التنافس ثم دوافع التعاون ثم دوافع التسلط والسيطرة أو الانسحاب والخضوع وهكذا .

وقد يكون من غير المعقول أن نحاول تعديد وتحديد جميع الدوافع

المكتسبة عند الانسان بغية حصرها ودراستها لأنها ولا شك كثيرة وفيرة كما أنه من غير المعقول أيضا أن نحاول اختصار هذه الدوافع المكتسبة إلى دافعين أو ثلاثة حتى يمكن دراستها . وبجانب ذلك فإن الدوافع المكتسبة — طالما أنها مكتسبة — فلابد وأن تكون دالة الحضارة والثقافة والبيئة التي ينمو فيها الفرد . ولابد كذلك وأن تختلف من حضارة إلى حضارة ومن بيئة إلى أخرى .

ويؤكد ذلك — غير المشتغلين بعلم النفس — المشتغلون بعلوم الاجتماع والانتروبولوجيا الثقافية والاجتماعية . فالدافع القوى فى احدى الحضارات قد لاتكون له نفس القوة فى حضارة أخرى بل ربما كان غير ذلك بالمرة . ومن هذا لا مانع من أن نستنتج أن فى كل حضارة من الحضارات تنظيما خاصا من الدوافع المكتسبة يكمن وراء وحدة وتشابه سلوك أفراد هذه الحضارة ويميزهم عن غيرهم من الحضارات الأخرى .

ومن أمثلة هذه التنظيمات تلك القائمة أو التنظيم الذى اقترحه موراى فى سنة ١٩٣٨ موضحا بذلك الدوافع المكتسبة فى الحضارة الأمريكية .

ومما يجب ذكره أن خلفية موراى فى اعداد مثل هذا التنظيم خلفية فرويدية ولكنه ولا شك أسهم فى تقديم ما يمكن الاستدلال . عن طريقه على تنظيم الحاجات والدوافع فى الحضارة الأمريكية .

يقترح موراى أن الفرد العادى الامريكى لديه الدافعية لإشباع الحاجات التالية :

١ — السيطرة أو التسلط	Dominance
٢ — التحصيل والتفوق	Achievement
٣ — الاستعراضية	Exhibition
٤ — الاستقلالية	Autonomy
٥ — اتخاذ الموقف الدفاعى (المضاد)	Counteraction

٦ — العدوانية	Aggression
٧ — الانصياع والطاعة	Deference
٨ — النظام والترتيب	Order
٩ — الاستجابة للمثيرات	Sentience
١٠ — اللعب	Play
١١ — التعاطف مع المجموعة	Affiliation
١٢ — الرعاية	Nurturance
١٣ — مساعدة الآخرين	Succorance
١٤ — حماية الذات	Defendacce
١٥ — تجنب الأذى	Harmavoidance
١٦ — الرفض	Rejection
١٧ — استقبال اللوم	Abasement
١٨ — تجنب التحقير	Infavoidance
١٩ — الجنسية الغيرية	Heterosexuality
٢٠ — التفهم	Understanding
٢١ — العلو والعظمة	Superiority
٢٢ — احترام التقاليد أو القانون	Inviolacy
٢٣ — الخصوصية الشخصية	Seclusion

وبطبيعة الحال كما هو واضح وكما يقول مورفى ١٩٥٩ أن هذه الدوافع أى تلك التى تدفع الفرد الأمريكى العادى لأن يشبع الحاجات التى اقترحها موراى هى دوافع (اجتماعية) أو بمعنى آخر دوافع مكتسبة .

وقد تعرضت هذه الدوافع الى كثير من المناقشة والجدال بل والتجريب

أيضا إلى الحد الذى دعى بعض الدارسين المعاصرين اما إلى إنكار بعضها أو إلى تحليل البعض الآخر إلى دوافع أكثر فرعية ونوعية .

فنجد أن الدافع إلى التحصيل أو التفوق motive of achievement وخاصة فى البيئة الأمريكية يرتبط بمعنى الاجتهاد وبذل الجهد والعمل الجاد — هذا إذا قارنا هذا الدافع فى بيئة أخرى فنجده مرتبطا بالحظ أو فى بيئة ثالثة فنجده مرتبطا بالوساطة أو المحسوبية على سبيل المثال .

ففى سنة ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ على التوالى قام ما كسيليلاند ثم أتكنسون بدراسة الدافع الى التحصيل والتفوق . وكانت بداية هذه الدراسات هى الفصل ما بين دوافع التحصيل والتفوق وبين دوافع الاستعراضية وبين دوافع السيطرة والتسلط . رغم أنه فى كثير من الأحيان يختلط الأمر على البعض بالنسبه لهذه الدوافع .

وقد استخدم الباحثان الوسائل الاسقاطية لدراسة هذا الدافع . وقد اعتمدا فى اختيار هذه الوسائل دون غيرها على أن السلوك الظاهرى للفرد قد لا يدل فى شيء من التخصيص على الدافع المراد دراسته : فالاستذكار الكثير المتواصل الذى يبذله التلميذ أثناء دراسته قد يدل على دافع التحصيل والتفوق بنفس القدر الذى يدل على الدافعية الاقتصادية — أى تحسين مستوى دخله أو دخل أسرته — بنفس القدر أيضا الذى يدل به على الضغط الذى يبذله الوالدان أو المعلم على التلميذ من أجل استذكاره لدروسه .

وعلى ذلك فقد رأى ما كسيليلاند وأتكنسون أن الوسائل الاسقاطية سوف تكون أكثر دلالة على الدافع أو الدافعية . فاستخدما لهذا الغرض اختبـــار تفهم الموضوع T. A. T. وتم حساب درجة المفحوص على أساس عدد القصص (تفسيرات الصور فى هذا الاختيار) التى تتصل بمعنى التحصيل والتفوق .

وفى سنة ١٩٥٦ قام مارتاير بدراسة العلاقة بين صورة الذات عند

الإنسان وبين قوة الدافع إلى التحصيل والتفوق . فطلب إلى عدد كبير من الطلبة أن يكتبوا بعض القصص وهم تحت الظروف العادية أو الطبيعية ثم طلب منهم أن يكتبوا قصصا أخرى بعد أن قاموا بأداء بعض الاختبارات التى قيل عنها لهم أنها ذات أهمية قصوى بالنسبة لمستقبلهم العلمى . ووجد الباحث أن كمية تصور دافع التحصيل — كما انعكس ذلك فى مضمون القصص المكتوب — فى الحالة الثانية أكثر بوضوح عن الحالة الاولى .

وتتابعت بعد ذلك دراسات كثيرة — قد نناقشها فيما بعد — وكانت نتيجة ذلك محاولة اثارة الشك حول ما تصوره مورای أنه دافع إلى التحصيل ولكنه كما أكدت بعض هذه الدراسات أنه من بعض خصائص الشخصية الانسانية أو على أحسن الفروض هو متغير وسيط بين الدافعية وخصائص شخصية الفرد .

وما يقال عن الدافع إلى التحصيل يقال أيضا عن الدافع إلى التعاطف مع الجماعة . والحصول على قبولهم فأجريت عدة دراسات متتابعة بدأها شيبلى وفيروف ١٩٥٢ ثم اتكنسون وهينز ١٩٥٤ ثم لانسينج ١٩٥٩ وهكذا .

وبذلك نجد أن الدوافع المكتسبة أو الدوافع الثانويه أثير حولها الكثير من الجدل والنقاش والتجريب والنقد بينما لم نجد ذلك اطلاقا حول الدوافع الفطرية أو الأولية . ربما ذلك لأن وجهات النظر تختلف بالنسبة لتفاعل الفرد مع بيئته وحضارته أو لأن أنماط هذا التفاعل تختلف من فرد إلى فرد .

ثانياً - التصنيف الثلاثي للدوافع :

وفى هذا المذهب نجد أن أساس التقسيم أو التصنيف بنى على نقاط ثلاثة :

هى كيان الفرد ، وكيان الجماعة ، والعلاقة المتبادلة بينهما .

فنجد مثلا فى تصنيف هيلجارد أنه تناول الدوافع اللازمة لكيان الفرد ككائن بيولوجى فتشمل دافع الجوع والبحث عن الطعام والشراب والحاجة الى الهواء والبحث عن درجة الحرارة المناسبة التى تبقى الفرد حيا ودوافع الإخراج والحركة وتجنب الأذى والهرب منه . كما تضم أيضا دوافع التفهم والبحث والاستطلاع والانتباه والحذر .

ومن الملاحظ أنه فى هذا الجزء من التقسيم لم يضع خطا فاصلا بين الدوافع ذات الخلفية العضوية أو الفسيولوجية وبين الدوافع التى هى غير ذلك.

ويتناول هيلجارد أيضاً فى تصنيفه الدوافع التى تتصل بكيان المجتمع الانسانى فهى تشمل فى وجهة نظره الدوافع التى تضمن بقاء المجتمع الانسانى أو النوع الانسانى على وجه الخصوص . فتشمل هذه الطائفة الدافع إلى الجنس والدوافع الوالدية ورعاية الآخرين (الصغار) ودوافع التعاطف مع الجماعة والانتماء إليها والبحث عن رضائها . ودوافع السيطرة والتسلط والعدوانية والخضوع .

والصنف الثالث فى تقسيم هيلجارد هو الدوافع التى تتناول العلاقة المتبادلة بين الفرد والجماعة وتضم الدوافع إلى احترام الذات (أو الغير) ودوافع سيادة الظروف البيئية والتحكم فيها وانمائها وتطويرها ودوافع الإبداع والابتكار والتحصيل والتفوق على الآخرين والتنافس معهم .

وفى تصنيف ثلاثى آخر هو تصنيف ستاجنر نجد أن الدوافع الانسانية قد قسمت الى (ا) دوافع بيولوجية وهى الدوافع الضرورية لبقاء الانسان ككائن حى بيولوجى مثل الجوع والعطش والاخراج .

(ب) دوافع انفعالية أو عاطفية مثل دوافع الخوف والفزع والغضب والثورة والحب والكراهية والفرح والتقزز وغير ذلك من الدوافع التى لا ترتبط بصورة مباشرة بفسيولوجية الفرد ولكنها قد ترتبط أكثر بعناصر بيئته الخارجية مادية أو معنوية .

(ج) الدوافع المشتقة من القيمة والميل والاتجاه حيث يرى ستاجنر أن قيم الفرد — التى نمت وتطورت من خلال احتكاكه بالجماعة — تعمل كدوافع ومولدات للسلوك البشرى . ولو أننا لا نتفق مع ستاجنر فى هذه النقطة بالذات إذ أننا نجد فرقاً واضحاً بيناً بين القيمة أو الاتجاه أو الميل والدوافع إلا أننا سوف نؤجل مناقشة ذلك الى مكان آخر فى هذا الكتاب .

وفى تصنيف ثلاثى ثالث يرى وودورث وماركويز أن دوافع الانسان تنقسم الى (ا) الدوافع العضوية وهذه تشمل الجوع والعطش والجنس والاخراج والحركة والتنفس وغير ذلك من الدوافع ذات العلاقة بالتركيب العضوى أو البيولوجى للإنسان والتى تنشأ أصلا من العضوية الداخلية للفرد.

(ب) دوافع الطوارىء (أو المفاجأة) : وهذه دوافع تنشأ من ظروف البيئة الخارجية بغض النظر عن التركيب الداخلى للفرد . فكثيراً ما يتعرض الانسان للمواقف التى تتطلب منه رد فعل سريع أو حركة مناسبة لتفادى خطر من الأخطار .

فعلى سبيل المثال فى موقف الخطر المحدق يكون هدف الانسان هو الوصول الى حالة الأمن والطمأنينة ويكون الخوف والفزع هو حالته الانفعالية أو ما يميز حالته الانفعاليـــة ويكون الدافع فى هذا الحالة هو الهرب .

ويمكن تمثيل ذلك كما يلى :

موقف الخطر ← الخوف ← الهرب ← هدف الأمن والطمأنينة
(انفعال) (دافع)

وأيضاً فى موقف تقييد حركة الإنسان أو حبسه فإنه ينفعل ويكون اللون المميز لانفعاله هو الغضب وينشط دافع النضال عند الفرد حتى يصل الى هدفه وهو الحرية .

موقف القيد (الحبس) ← الغضب ← النضال ← هدف الحرية أو التحرر
(انفعال) دافع

وهكذا يمكن تمثيل حركة الفرد فى بقية المواقف المفاجئة مثل موقف وجود العائق فينفعـــل الفرد ويغلب على انفعاله التصميم والمثابرة وينشط عنده دافع التحصيل وبذل الجهد حتى يصل إلى هدفه وهو سيادة الموقف والسيطرة عليه . وكذلك فى موقف آخر حيث تبدو الفرصة مفاجئة للفرد (مادية كانت أو معنوية) فينفعل ويغلب على انفعاله الرغبة وينشط عنده دافع البحث والاقتفاء حتى يصل الى هدفه وهو الإمساك بهذه الفرصة واقتناصها .

وتعود مرة أخرى لنعرض وجهات النظر فى هذه الدوافع الأربعة : حيث نجد أن دافع الهرب مرتبط بذلك الخطر المفاجىء الذى يداهم الفرد فيهدد بقاءه وكيانه ويترتب عليه الأذى والضرر . فإذا كان الأذى قد وقع فعلا أو فى طريقه الفعلى للحدوث وليس مجرد تهديد فإن الحركة السريعة المطلوبة من الإنسان هو الابتعاد عن مصدر الخطر مثل سحب اليد بسرعة عن مصدر النار أو غير ذلك . وهنا لا ينشط دافع معين حيث أن حركة سحب اليد ما هى الا استجابة لمثير مفاجىء . ولكن اذا استمر الألم واستشعره الإنسان فإنه فى هذه الحالة سوف يهرب الى ما يخفف عنه هذا الألم وفى هذه الحالة يكون دافع الهرب هو المسئول عن سلوك الفرد .

وأما اذا كانت الحالة الأخرى وهى أن الأذى عبارة عن تهديد أى يستشعره الكائن الحى من بعيد فإنه فى هذه الحالة يهرب ويبتعد عن المصدر المتوقع لهذا الأذى أو الخطر . وفى هذه الحالة أيضاً تكون هناك اشارة خاصة مرتبطة بمعنى الخطر أو الأذى كصيحة التحذير التى يطلقها الإنسان منبها شخصاً آخر باقتراب سيارة مسرعة نحوه أو الصيحة التى تطلقها الدجاجة لفراريجها عند اقتراب الحدأة أو الصقر فتجرى الصغار فى كل اتجاه . ولننظر

الآن إلى تجربة طريقة أجريت من أجل التعرف على انفعال الخوف من الثعابين ودافع الهرب من مثل هذا الموقف . حيث درس جونز وآخرون الخوف عند الأطفال . فعرضت حية كبيرة جداً ولكنها غير سامة على مجموعة من الأفراد ذوى أعمار زمنية متفاوتة . وطلب منهم الباحث أن يقوموا بلمس جلدها : وجد الباحث أن الأطفال دون سن الثانية لا يهتمون أو يبدون أى خوف أو تردد فى لمس الحية . فى حين أن الأطفال ذوى السنوات الخمس تقريباً يترددون فى لمسها ويظهرون بعض الخوف تجاهها . بينما وجد الباحث أن طلبة الكليات (حوالى العشرين من العمر) يخافون قطعاً من الحية .

والسؤال الذى يوجهه جونز هنا هل الخوف وهو انفعال موقف الخطر والمنشط لدافع الهرب — هل هذا الخوف مكتسب ؟

للإجابة عن هذا السؤال أجرى الكثير من التجارب وخاصة فى ميدان التعلم . وقيل أن تعلم الخوف قد يكون اما بالارتباط أو التشريط .

وتجربة (ألبرت الصغير) مشهورة حيث كان يلعب مع الأرانب البيضاء والقطط فى اطمئنان كامل حتى وضع تحت التجربة وكان كلما اقترب منه أحد هذه الحيوانات أحدث الباحث صوتاً مزعجا حتى ربط ألبرت الصغير بين هذه الحيوانات التى كان يلعب معها وبين ذلك الصوت المزعج فأصبح يخاف منها ويخشاها .

ولكن هذه التجربة لم تصلح فى بقية الحالات حيث وجد بعض الباحثين أن كثيراً من الأطفال — وهم فى مثل سن ألبرت (سنة واحدة) — كانوا ينظرون فى شىء من الضيق ناحية مصدر الصوت المزعج ثم يعودون مرة أخرى لمزاولة اللعب مع الحيوانات .

وقد نقول أيضا أن انفعال الخوف يتعلمه الطفل من خلال عملية التطبيع الاجتماعى أى من تحذيرات الوالدين وتخويفهما إياه فيكون تعلمه للخوف

فى هذه الحالة عن طريق خليط من العمليات قد يكون منها البصيرة والتفهم .

وقد نقول كذلك أن انفعال الخوف ليس بانفعال مكتسب ولكنه فطرى لأن هناك بعض الأشياء تسبب الخوف للإنسان والحيوان معا .

وسواء كان الخوف فطريا أو مكتسبا أو أنه انفعال يتم تعلمه عن طريق الربط أو الشرط أو البصيرة فإن ما يهمنا هنا هو دافع الهرب الذى ينشط فى مواقف الخطر وانفعال الخوف .

ونجد كذلك دافع النضال أو المقاومة ينشط فى مواقف تقييد حرية الانسان أو الكائن الحى عموما حيث يكون الإنفعال الغالب هو الغضب . فعندما تمنع الأم طفلها أن يعمل ما يريد أن يعمله أو تأمره بأن يفعل شيئا لا يريده فإنه من المنتظر ولا شك أن يبكى الطفل ومن المحتمل جدا أن يقوم ببعض الأنشطة الحركية السريعة مثل القفز هنا وهناك أو أن يلقى بنفسه على الأرض ويركل بقدميه وساقيه . ومن المحتمل أيضا أن يناضل الطفل ويحاول أن يعتدى على من يعترض طريقه لإتمام ما يريد أن يعمله . ونلاحظ أن الأبوين لا يشجعان مثل هذا السلوك وكذلك المعلم فى المدرسة وجميع وسائل البيئة الاجتماعية . ولكن رغم ذلك يبقى دافع النضال طالما بقى انفعال الغضب وطالما وجدت القيود التى تحد من حرية الفرد . فعندما يكبر الفرد تتعدل وسائل إشباعه لهذا الدافع وتتخذ صورا شتى تختلف بطبيعة الحال عن تلك الصور التى أخذ بها أثناء طفولته المبكرة .

وهناك أيضا دافع التحصيل والتغلب على العوائق حيث يكون الانفعال الغالب هو الأصرار والمثابرة حيث يكون لمثل هذا الانفعال مظاهر شتى مثل ضغط الأسنان بعضها ببعض أو تقليص قبضة اليد أو الدق بالكعبين وهكذا ويكون الهدف فى هذه الحالة هو التغلب على العائق الموجود فى الموقف .

وهذا الدافع دافع فطرى يتصل بنشاط الكائن الحى فى مواقف الإعاقة

ويمكن ملاحظة ذلك عندما تضع عائقا فى سبيل طفل صغير فنلاحظ أنه يبذل الكثير من الجهد العضلى كى يتغلب على هذا العائق ويصل الى مايصبو إليه، قد يكون ذلك الجهد فعالا فيؤدى إلى الوصول إلى تحقيق الهدف وقد يكون غير ذلك ولكنه فى كلا الحالين يدل على نشاط وفعالية ذلك الدافع .

وأخيرا دافع البحث والاقتفاء الذى ينشط فى المواقف التى تبدو فيها الفرصة أو الغرض بصورة مفاجئة فينفعل الفرد وتغلب الرغبة على انفعاله ويحاول أن يمسك بالغرض أو أن يقتنصه . وهنا يجب أن نوضح لماذا ينشط ذلك الدافع : أولا : لأن الفرد يتوقع دائما أن يختفى ذلك الغرض أو تمر الفرصة دون أن يستطيع اللحاق بها وثانيا : لأن الفرد يتوقع دائما وجود من ينافسه فى اصطياد هذا الغرض أو تلك الفرصة . لذلك كان دافع البحث والاقتفاء Pursuit من دوافع الطوارىء أو المفاجأة .

جـ - الدوافع الغرضية: وهى الدوافع التى تهىء الفرد لأن يتعامل مع بيئته ويتفهمها ويسيطر عليها . فقد يقال أحيانا أن حب الانسان للحياة هو أقوى ما عنده من دوافع ولكن فى حقيقة الأمر هو حب الإنسان أن يحيا حياة ذات صلة بالبيئة المحيطة به وليست مجرد الحياة الساكنة الراكدة .

ولهذا كانت الدوافع الغرضية موجهة نحو الأشياء والأشخاص — وهم عناصر البيئة الخارجية للفرد — بغية استكشاف وفهم ما يحيط بالكائن الحى ومن هذه الدوافع دافع الاستكشاف أو الاستطلاع حيث يحرص الكائن الحى على معرفة كل ما يحيط به من أشخاص وأشياء وحتى ما قد يكون بعيدا عن متناول يديه وفهمه فنحن نجد كثيرا من الناس يحاولون استكشاف واستطلاع كل شىء حتى الغيب .

ودافع آخر هو دافع المعالجة manipulation حيث ينشط الطفل

الصغير عندما يمسك شيئا بيديه فيحاول أن يقضمه بأسنانه ثم يلقيه على الأرض ثم يضغط عليه بكلتا يديه ثم يدوسه بقدميه كل ذلك من أجل معالجة هذا الشيء وسبرغوره . ويحدث نفس الشيء عندما تلاحظ القطة الصغيره وهى تلعب بالكرة فإنها تقوم بالكثير من الأنشطة بغية معرفه كنه الكرة عن طريق ذلك الدافع : دافع المعالجة .

ثالثاً ـ التصنيف الهرمي للدوافع :

نقصد بالتصنيف الهرمى للدوافع ذلك التصنيف الذى يأخذ فى اعتباره أهمية الدوافع وأوليتها من حيث الإشباع وقد تصور أصحاب هذا المذهب أن هناك دوافع يجب اشباعها قبل دوافع أخرى بحيث لو تزاحم دافعان معاً فى وقت واحد وألحا على الفرد بغية الإشباع فإن أحدهما وهو الأهم سوف يشبع قبل الآخر . وفى هذا يرى ماسلو أن الدوافع الإنسانية مرتبة ترتيبا هرميا بحيث تأتى أهم الدوافع عند قاعدة الهرم وتتدرج حتى تصل الى قمة الهرم حيث تأتى الدوافع الأقل أهمية من الناحية النسبية ويمكن تخطيط هذا التصور كما يلى :

		تحقيق الذات		
دوافع الذات	:	تقدير الذات		
دوافع الحب	:	الحب	الانتماء	الرعاية
دوافع الأمن	:	الهرب	الدفاع عن الذات	تجنب الأذى . . .
الدوافع الفسيولوجية	:	الجوع العطش	الجنس الإخراج	التنفس . . .

من هذا التنظيم يمكن لنا أن نستنتج ما يراه ماسلو فعلا من أن الدوافع الفسيولوجية تأتى قطعا قبل دوافع الذات . فالفرد الذى يلح عليه دافع الجوع لا يمكن أن يلح عليه دافع تقدير الذات مثلا بنفس الدرجة وعليه فإنه سوف يشبع دافع الجوع أولا . وكذلك الحال بالنسبة إلى العطش

والجنس والإخراج والتنفس فإن هذه الدوافع تشبع قطعا قبل دوافع الذات سواء من ناحية التقدير أو التحقيق .

فالجائع — بدرجة الإلحاح — لايهمه درجة المطعم الذى يتناول فيه طعامه وهل هى مناسبة لمكانته الاجتماعية أم لا - بل ربما وجدناه يقضم بعض الطعام وهو يمشى فى الطريق شأنه فى ذلك شأن أى فرد من مكانة اجتماعية وحضارية أقل .

والعطشان - بدرجة الإلحاح — يهمه فقط أن يشرب دون النظر إلى نوعية زجاج الكوب الذى يشرب منه . وكذلك مع الجنس والإخراج حيث نجد أن دوافع الذات — التقدير أو التحقيق — تختفى حتى يتم اشباع كل منهما .

نحن نتفق مع ماسلو فى ذلك والسبب أن المقارنة تتم فعلا بين طرفى التنظيم وهذا دائما صحيح فى العلوم الانسانية حيث نجد أن التنظيم أو المقياس دائما صحيح عند الطرفين .

ولكن لنقارن بين مستوى قاعدة الهرم والمستوى الذى يليه مباشرة حيث يرى ماسلو أن الدوافع الفسيولوجية أهم من دوافع الأمن والطمأنينة وهنا نختلف معه ونعطى ذلك الموقف كمثال : هل يحرص الفرد الجائع على اشباع دافع الجوع حتى لو رأى خطرا يهدده ؟ هل يهرب أولا حرصا على حياته أم يأكل أولا ؟ وتصور آخر هل الجائع — الى درجة الإلحاح — يتناول طعاما يعلم أن فيه سما سوف يقتله ؟

ولو أنه ليس هناك دليل تجريبى واحد للإجابة عن هذه الأسئلة فى حالة الإنسان الا أن الفهم العادى للأمور يجعلنا نقطع بأن الانسان يحرص على أمنه قبل أن يحرص على تناول طعامه أو شرابه أو ربما اشباع دافعه الجنسى .

ولكن قد يكون الأمر صحيحا عند بعض ذكور الحشرات التى تموت

عقب تلقيح الأناث مباشرة . ولكن هل حقيقة عملية تلقيح الذكر للأنثى تتم إشباعا لدافع الجنس أم ماذا ؟ هذا أمر يحتاج إلى دراسة وتوضيح .

تفسير الدوافع :

فى الفقرات التالية من هذا الجزء سوف نستعرض الكثير من الآراء بل لانكون مغالين إذا قلنا الكثير من مدارس علم النفس التى تعرضت لتفسير الدوافع . وسوف يكون استعراضنا لهذه الآراء استعراضا تحليليا ناقدا بحيث ينتهى بنا المطاف — إذا أمكن ذلك — أن نتفهم معنى الدوافع فى ظل التفسيرات المختلفة المتباينة .

١ - التفسير الفسيولوجي للدوافع :

يقال أن هناك أساس فسيولوجى تشريحى للدافع عند الإنسان فعندما ينشط الكائن الحى من أجل تحقيق غاية معينة فإن هناك تغيرات فسيولوجية تطرأ على تكوينه الحيوى مثل إفراز غدة من الغدد لمادة ترتبط بهذا النشاط أو الفعالية .

والأساس فى هذا الزعم أو التصور الرابطة التى أسهم فى تكوينها بافلوف بتجاربه المشهورة بين علم النفس وظائف الأعضاء .

فتجارب بافلوف على إفرازات الغدد اللعابية عند الكلاب أنتجت ما يسمى بالمثير الطبيعى والمثير المشروط والاستجابة الطبيعية والاستجابة المشروطة ونقل علم النفس عن بافلوف هذه المفاهيم وكانت هناك محاولات كثيرة ناجحة لتفسير تعلم الإنسان أو الكائن الحى عموما عن طريق ذلك التشريط أو الإشراط حتى تكونت نظريات فى التعلم الشرطى أسهم فى بنائها الكثير من علماء النفس سواء الرواد الأول أو المعاصرين .

وما نحن هنا بصدده الآن هو السؤال التالى هل يمكن تفسير دوافع الإنسان عن طريق تلك الرابطة بين المثير والاستجابة . شرطية كانت أو طبيعية ؟

يعتقد أصحاب هذا المذهب أن المثير داخليا كان أم خارجيا يسبب بوجوده ووضوحه للكائن الحى نوعا من التغيرات الكيميائية تشمل إفرازات الغدد الصماء وغير الصماء — وبناء على هذا التغير الكيميائى ينشط الدافع وعليه يسلك الإنسان من أجل إشباع هذا الدافع .

ولنأخذ دافع الجوع — كدافع فطرى — مثالا من أجل توضيح هذا الزعم فعندما يظهر الطعام أو تبـــدو رائحته مثلا يحدث من التغيرات فى فسيولوجية الإنسان حيث تفرز الغدد اللعابية والغدد الأخرى المتصله بالجهاز الهضمى عصاراتها المختلفة فتصبها فى القناه الهضمية وتبدأ هذه العصارات نشاطها فتتقلص المعدة وكذلك الأمعاء وعندها فقط يشعر الفرد بدافع الجوع فيسعى إلى إشباعه عن طريق تناول الطعام .

كأن هذا التفسير الفسيولوجى يرى أن وجود المثير أمام حواس الكائن الحى مثل البصر أو الشم يؤدى إلى نشاط الدافع أو أن يكون المثير داخليا أى لا يراه الفرد ويكون أيضا نشاط الدافع نتيجة تلك التغيرات الفسيولوجية فى جسم الإنسان .

ولنأخذ لذلك مثالا دافع الجنس حيث قد لايرى الفرد مثيرا جنسيا من نوع ما ولكن ينشط دافع الجنس عنده نتيجة ازدياد كمية هرمون الاندروجن فى حالة الذكر أو الاستروجن فى حالة الأنثى .

ولكن هناك سؤالين يجب أن نوجهها الى هذا التفسير :

(ا) هل نشاط الدافع هو الذى يؤدى الى تلك التغـــيرات الفسيولوجية ؟

أم أن هذه التغيرات الفسيولوجية هى التى تؤدى الى نشاط الدافع ؟

وبمعنى آخر أيهما السبب وأيهما النتيجة ؟

لو كانت تلك التغيرات الفسيولوجية هى التى تؤدى إلى نشاط الدافع ولو كانت تلك التغيرات الفسيولوجية تنشط — كما يقولون — نتيجة المثير

الداخلى أو الخارجى لأمكن التحكم فى الدوافع باستخدام المثير ولذلك — وبناء على هذا المنطق — يمكن أن نعرض الطعام الشهى أمام شخص ليس بجائع ولكنه ممتلىء المعدة فكان ولا بد إذن أن تفرز الغدد اللعابية والغدد الأخرى افرازاتها وعصاراتها فينشط الدافع ويسلك الفرد سلوك الجوع ويأكل مرة ثانية وثالثة وهكذا .

ولكن ليس هذا ما نلاحظه أو ما نعتقد أنه صحيح — فنحن إذاً أخذنا أيضا بهذا التفسير الفسيولوجى لقلنا أن الغدد فى المرة الثانية — أى عندما يكون الفرد ممتلىء المعدة — لا تفرز عصاراتها وإفرازاتها وبذلك لا ينشط دافع الجوع عند الفرد . إذن لماذا لم تفرز الغدد هذه المرة ؟

لا بد أن هناك إجابة لهذا السؤال الفرعى ولكنها قطعا غير فسيولوجية .

(ب) إذا تصور أصحاب هذا المذهب أنهم نجحوا فى تفسير جزء من بعض الدوافع الفطرية مثل الجوع أو العطش أو الجنس . وإذا كان ولا بد من أن نقتنع بهذا التفسير — فلابد وأن نطرح هذا السؤال : ما هى التغيرات الفسيولوجية التى تطرأ على كيمياء حيوية الإنسان عند نشاط الدوافع الاجتماعية الأخرى مثل الدافع الى التفوق والتحصيل أو دافع التفهم أو دافع العلو والعظمة ؟

قد تكون هناك إجابة بديلة أى اجابة لسؤال آخر هو أن هناك بض التغيرات الفسيولوجية تصاحب انفعال الإنسان — وليس كل الانسان — وأن الانفعال يصاحب نشاط الدافع — وليس ذلك فى كل حالة — وبالتالى تكون هناك مصاحبة بين الدافع وبين التغير الفسيولوجى . وهذه نتيجة ضعيفة لا يمكن الاطمئنان إليها .

بذلك نعتقد — على الرغم من وجود بعض النواحى الصحيحة فى هذا

الزعم الفسيولوجى لتفسير الدوافع — أن هذا التفسير أو أساس هذا التفسير ليس كاملا متكاملا وليس مقنعا بدرجة كافية .

٢ ـ التفسير العصبي للدوافع :

يؤكد أصحاب هذا المذهب والدعاة الى الاقتناع به أهمية الصفة التشريحية للجهاز العصبى عند الانسان وخواص الخلايا العصبية عند محاولة فهم الدوافع .

وبناء على هذا الاعتقاد نجدهم يصفون ما يسمى بالجهاز العصبى الإدراكى C.N.S (conceptual nervous system) ويصفون أيضا ما يسمى بالجهاز الشبكى المنشط R.A.S. (reticular activating system) .

ويبدأ حوار أصحاب هذا المذهب بمهاجمة فكرة الرابطة بين المثير والاستجابة التى ابتدعتها تجارب بافلوف والتى بنى عليها الاخصائيون النفسيون فكرة أو نظرية التشريط فى التعلم . فيقولون أن مثل هذه النظرية تعامل الكائن الحى ككيان خامل إلا إذا تعرض لظروف من الاستثارة والإيقاظ . وتكون هذه المثيرات فى بادىء الأمر طبيعية مثل الطعام أو ما يسبب الألم أو الإثارة الجنسية ثم بعد ذلك تتحول هذه المثيرات الطبيعية إلى مثيرات مشروطة أو شرطية كالضوء أو صوت الجرس أو وقع الإقدام أو ما إلى ذلك ، بحيث يصبح الكائن الحى بعد ذلك كيانا يستجيب لمثير اصطناعى لا علاقة له بإشباع دوافعه إلى إشباع الجوع أو تجنب الأذى أو إشباع الجنس .

وبناء على هذه النظرية ذات الأساس الفسيولوجى نشأت فكرة مشابهة عن الخلية العصبية عند الإنسان — وكانت لم تدرس بعد بدقة تشريحية كافية — أى أن مثل هذه الخلية خامل غير نشط إلا إذا حدث تغير فى الظروف الخارجية المحيطة بهذه الخلية : وبالتالى فإن هذه الفكرة أيضا

تنطبق على مجموعة الخلايا العصبية التى تكون الجهاز العصبى للكائن الحى وبذلك يصبح ذلك الجهاز خاملا غير نشط الا إذا أثير من الخارج .

وترتب على ذلك نظرة خاصة إلى الإنسان ودوافعه وربما نكون قد أشرنا إلى هذه النظرة فى بداية هذا الفصل عندما قلنا إن الإنسان بحكم تركيبه وقدراتة أشبه ما يكون بالآلة المعقدة التركيب فى حالة السكون ولكنها لا تعمل إلا إذا توفرت لها القوة الدافعة . وهذه القوة الدافعة هى الدافع أو الدافعية .

هذه الفكرة فى روحها تمثل ذلك الاتجاه السابق الاشارة إليه والذى لا يقره المحدثون من أصحاب مذهب التفتيير العصبى للدوافع .

ثم يستطرد الحوار بعد ذلك فيؤكد نقطة جديدة وهى أن سلوك الكائنات الحية وخاصة الثدييات العليا لا يمكن ارجاعه فى جميع الحالات إلى دوافع الجوع وتجنب الألم والجنس والأمومة فقط بل لابد من وجود دوافع أخرى لتفسير بقية سلوك الكائنات الحية . ذلك لأن دوافع الجوع والجنس والأمومة وتجنب الألم لا تتفق مع النظرة الجديدة إلى الخلية العصبية المبنية على الصفة التشريحية الدقيقة لها .

فقد ثبت بما لا يدعو مجالا للشك أن الخلية العصبية — من الناحية الفسيولوجية — فى نشاط دائم سواء كان هناك أو لم يكن هناك مثير خارجى .

وبناء على ذلك فإن الجهاز العصبى عند الإنسان (أو غيره من الكائنات) جهاز حى نشط . وجميع أجزائه حية نشطة كذلك سواء الجهاز العصبى الأدراكى أو الجهاز الشبكى المنشط .

وهنا — من وجهة نظر أصحاب هذا المذهب — تكون هناك دوافع لا تحتاج إلى مثيرات خارجية كى تنشط ويتفعل الإنسان مثل دافع الجوع أو الجنس بل تكون هذه الدوافع فى حالة نشاط نسبية تتعلق بنشاط الجهاز العصبى للفرد .

ومعنى ذلك أيضاً — من وجهة نظرهم — أن الجهاز العصبى المركزى والجانبى والخلايا العصبية بتركيبها ووظيفتها يمكنها أن توضح وتفسر دوافع الكائن الحى .

وتنبنى بعد ذلك بقية النظرية فيقولون (هب ١٩٦٩) أنه ليست المشكلة هى ربط الدافعية وتفسيرها عن طريق خصائص الجهاز العصبى ولكن المشكلة هى كيف يمكن لهذه الخصائص أن تفسر الاتجاه الذى يتخذه سلوك الفرد عندما يحاول إشباع دوافعه أو بمعنى آخر لماذا يسلك الفرد (ا) الطريق (س) لإشباع دافع الجوع عنده ولماذا يسلك الفرد (ب) الطريق (ص) لإشباع نفس الدافع ؟

ويقولون أيضاً أن الطاقة التى تكمن فى سلوك الفرد أثناء إشباع دوافعه لاتعتمد على قوة المثير ولكنها تعتمد على ما يقوم به الجهاز العصبى المركزى (والمخ بالذات) من عمليات أثناء هذا الاشباع . ومثالهم على ذلك أن الطاقة التى تكمن فى سلوك الفرد الجائع عندما (يلتهم) طعامه ليست ناشئة عن نوعية الطعام هل هو شهى أو غير شهى ، جيد الطهو أو غير ذلك بقدر ما هى ناشئة عن العمليات العصبية السريعة والمتتالية التى يقوم بها الجهاز العصبى .

وهنا — من وجهة نظرهم أيضاً — نجد أن قوة الدافع — بتحفظ — ناشئة عن عمليات عصبية فقط . ويدللون على ذلك بأن هناك دوافع ذاتية — أى لا يوجد ما يثيرها وينشطها من البيئة الخارجية — على درجة كبيرة من القوة والعنف . حيث أن المخ عند الكائن الحى من أهم صفاته النشاط والحيوية وضبط عمليات الجسم والسيطرة عليها طالما أن التغذية الكافية تصل إليه .

وتكتمل النظرية العصبية لتفسير الدوافع عندما يتعرض أصحاب هذه المدرسة إلى ناحيتين هامتين :

(ا) أولا ما يخص الخلية العصبية المفردة حيث نجد أن لها نوعين من الطاقة الحيوية : الطاقة الشوكية Spine potential وهى الطاقة المسئولة عن فعالية الخلية العصبية وهذا النوع من الطاقة سريع التحول إلى فعل إذ أن هذا التحول لا يستغرق أكثر من $\frac{١}{١٠٠٠}$ من الثانية . والنوع الثانى من الطاقة هو الطاقة المتشعبة dendritic وهو نوع بطىء التحول حيث يستغرق حوالى ٠٫١٥ الى ٠٫٣٠ من الثانية وهو ضرورى لتنشيط النوع الأول من الطاقة . كما أن هناك شيئاً آخر وهو أن هذه الخلية تتعرض فى بعض الأحيان لعوامل الكف والتعب والإنهاك الذى قد يستغرق بضع دقائق وليس بعض الأجزاء من الألف من الثانية فقط .

وهذا قد يفسر — من وجهة النظر هذه أيضاً — تباطؤ الفرد فى الاستجابة الخاصة بإشباع دافع من الدوافع كما فى حالة الفرد الذى يدهمه الخطر فنجده يتلكأ قليلا قبل أن يهرب — وسوف يرد تعليل آخر لهذه الظاهرة فيما بعد .

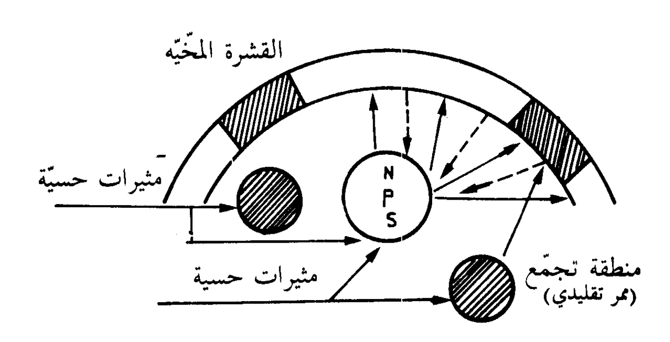
(ب) وثانياً ما يخص بجهاز الإيقاظ أو التنبيه فى المخ . وهذا الجهاز متعدد الوظائف العصبية أو بمعنى آخر غير مختص بوظيفة عصبية واحدة ولذلك سمى non Specific Projection System (N.P.S.) أو جهاز النقل (أو التحويل) غير النوعى . ويقول موروزى وماجون أن نشاط هذا الجهاز وفعاليته أساس لنشاط وفعالية قشرة المخ أو لحاء المخ cortical region ويقول ليندزلى وآخرون أيضاً أن نشاط هذا الجهاز له علاقة وثيقة بالانفعال والدافعية : الأمر الذى يساعد على بلورة نظرية التفسير العصبى للدوافع .

ويناقش (هب) وظيفة هذا الجهاز فيقول إنه يمكن اعتباره ممرا آخرا لوصول المثيرات الحسية الى القشرة المخية فقد كان من المعتقد أن هذه المثيرات الحسية تصل إلى قشرة المخ عن طريق تقليدى هو العصب الحسى ثم القناة

الحسيةثم إلى منطقة تجمع خاصة فى المخ وبعد ذلك مباشرة إلى منطقة النقل المناظرة فى القشرة المخية .

ويستطرد (هب) فيقول إن العلاقة بين جهاز الإيقاظ أو التنبيه وبين قشرة المخ علاقة متبادلة من ناحية الوصلة العصبية .

ويمكن توضيح وظيفة هذا الجهاز كما فى الشكل التالى .



وهذا الجهاز — الذى يرى الكثير من المشتغلين فى هذا الميدان أن له علاقة بالدافع والانفعال — يجب — من وجهة نظرهم — أن يكون متعدد التركيب حتى يفسر مختلف الدوافع الانسانية فيقولون (أولزفسكى — أولدز — ميلنر) أن هذا الجهاز مكون من عدة أجهزة فرعية كل له وظيفة مختلفة متباينة عن الأجهزة الفرعية الأخرى .

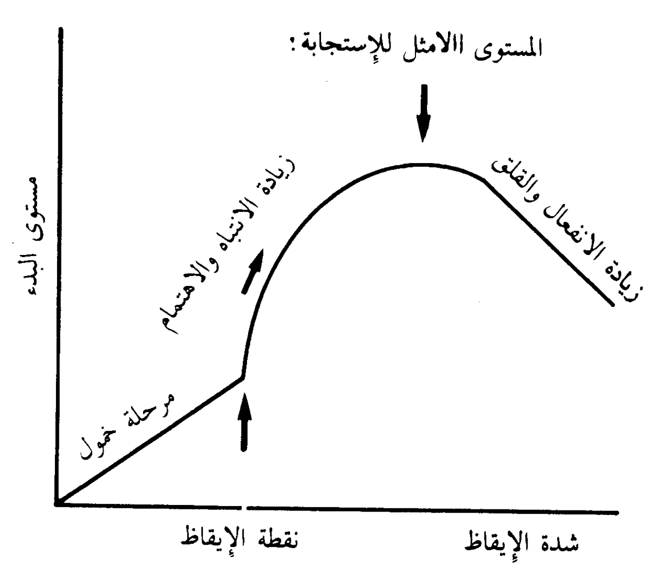
وقد تأكد هذا الافتراض من دراسات متتابعة أجراها أولدز وميلنر ثم شاربلز على علاقة الإثابة ببعض الوظائف العصبية للمخ .

وبناء على ما سبق مناقشته من حيث خواص الخلية العصبية المفردة وخواص جهاز الإيقاظ أو التنبيه (.N. P.S)نستطيع أن نقول أن كل حدث حسى له شقان :

شق إيقاظى لتنبيه السلوك وشق توجيهى لتوجيه هذا السلوك .

وبناء على هذا يزعم (هب) مرة أخرى أن ذلك الشق التنبيهى **أو** الإيقاظى هو الدافع وبالتالى لابد أن يكون للدافع صفة **فسيولوجية** وتشريحية مستقلة.

ويبقى أمامنا بعد ذلك أن نناقش تلك الصفة الإيقاظية أو التنبيهية التى خلعها (هب) على الدافع وخاصة من الناحية الكمية. أو علاقة التنبيه بمستوى بدء وتوجيه السلوك. ويمكن تمثيل هذه العلاقة كما رسمها شلوسبرج.



فمن هذا الشكل يتضح أن الإثارة بدرجة خفيفة ترفع **مستوى سرعة** بدء الاستجابة وتوجيه السلوك حتى تصل الإثارة أو الإيقاظ إلى الحد الأمثل (يمثل ذلك الجزء الأيسر من الرسم) وبعد ذلك إذا زادت الإثارة عن حد معين نجد أن الفرد يتعرض لاضراب انفعالى وقلق يؤدى إلى خفض مستوى سرعة بدء الاستجابة وتوجيه السلوك (كما يمثله الجزء الأيمن من الرسم).

وعلى العموم فإن منطقية هذه الظاهرة تتضح كما سبق أن أشرنا **فى مكان**

سابق فى العلاقة بين الخطر الشديد وبدء استجابة الفرد لدافع الهرب .

وكذلك فى العلاقة بين المشكلة الصعبة — بدرجة معقولة — وبين استجابة الفرد للتغلب على العائق وهكذا بحيث نجد كما يقول ماورر أن هناك علاقة بين الخوف البسيط ودافع الفضول ولكن الخوف الشديد لا يدفع الانسان إطلاقاً إلى إشباع دافع الفضول فى أى صورة من الصور .

ويقول مارشال كذلك أنه فى المعارك الحربية العنيفة لا تزيد نسبة الجنود الذين يطلقون بنادقهم فعلا عن ٢٥ ٪ وذلك نتيجة الخطر الشديد .

ولا يبقى أمامنا أخيراً إلا أن توجه سؤالا واحداً لأصحاب هذه المدرسة . والسؤال هنا من أحد زعماء هذه المدرسة وهو لوريا حيث يسأل : لماذا نعتقد أن جميع العمليات النفسية أو العقلية عند الإنسان مكانها المخ فقط ؟

٣ ـ التفسير الغريزي للدوافع :

يقول ماكدوجال أن الغريزة هى استعداد فطرى عصبي نفسى يهيء الفرد لأن ينتبه إلى مثيرات خاصة ذات صلة بهذا الاستعداد الفطرى وموجودة فى البيئة الخارجية للفرد أى ضمن إدراكه الحسى . وبناء على هذا الانتباه فإن الفرد ينفعل ويتخذ انفعاله صورة خاصة ثم ينسلك نحو هذه المثيرات ويتخذ سلوكه لوناً خاصاً يميزه عن بقية أنماط سلوك الفرد بالنسبة لمثيرات أخرى .

ويقول وودوورث أن الغريزة نوع من الفعالية الفطرية والتى تساعد الكائن الحى على أن يتفاعل مع بيئته تفاعلا ناجحاً دون أن يكون له خبرة سابقة أو مراناً وتجربة مع عناصر هذه البيئة .

ويقول دريفر أن الغريزة تعنى فى الأصل « الدفعة الحيوانية » ثم أصبحت تعنى « الدفعة الطبيعية » ثم أصبحت تستخدم بمعنى الدافع الفطرى أو الحاجة الفطرية أو الاستجابة الفطرية التى يلونها انفعال خاص .

وبهذا ارتبط فى ذهن الكثيرين فهم الغريزة على أنها دافع فطرى ينشط ويوجه سلوك الكائن الحى بصورة تلقائية دون الاعتماد على خبرة سابقة أو تمرين خاص .

ويسوق هينجستون المثال التالى دليلا على السلوك الغريزى :

يقول إن أنثى بعض الحشرات (Mason Wasp) عندما تضع بيضها تحفر له حفرة مناسبة فى أرض طينية لينة ثم تذهب بعد ذلك لتبحث عن الديدان وتقتل إحداها ثم تحملها معها إلى الحفرة حيث تضعها بجوار البيض حتى إذا خرجت منه الصغار وجدت لها غذاء يكفيها حتى تسعى إلى غذائها بنفسها .

وهناك أمثلة عديدة لهذا السلوك الغريزى قد تكون أكثر دلالة من المثال السابق . ولكن السؤال القائم هو هل يمكن أن تفسر المفاهيم الغريزية الدوافع عند الإنسان ؟ ولو سلمنا جدلا أن هذه المفاهيم قد تستطيع تفسير الدوافع الفطرية مثل الجوع والعطش والجنس والإخراج والتنفس . فماذا يكون الوضع بالنسبة للدوافع المكتسبة أو الثانوية ؟

سوف نحاول مناقشة هذا الأمر فى الفقرات التالية وذلك عن طريق دراسة مورفولوجية وتشريح الغريزة من زوايا مختلفة .

أول ما تؤكده الناحية الشكلية فى الغرائز هو السلوك النزوعى أو بمعنى آخر أصبح المدخل إلى فهم الغريزة هو نزوع الفرد وسلوكه تجاه المثيرات المختلفة وبذلك تعددت الغرائز تبعاً لتعدد أنماط السلوك الإنسانى فيرى الكثيرون أن غرائز الإنسان منهـــا الخوف والصراخ والخجل والغيرة والابتسام والحب والصيد والتسلق والنظافة والطاعة والضحك والبكاء والتثاؤب والأكل والمقاتلة والاستعياء والاختفاء ... (وليم جيمس — ثورندايك — وارن) ولهذا السبب نجد أن ما كدوجال نظر نظرة أخرى إلى الغريزة

وفهمها على أنها غرضية هادفة حيث يرى أن الهدف أو الغرض هو المثير الأساسى لسلوك الكائن الحى . وعندما يتم تحقيقه يشعر الكائن الحى بنوع من الإشباع والاتزان . ومما يميز فكرة ما كدوجال عن غرضية الغريزة أن ذلك الغرض أو الهدف مباشر أو فى المتسع الإدراكى للفرد .

وعلى ذلك فإننا نرى ما كدوجال — حسب هذه الهدفية المباشرة — يقسم الغرائز إلى نوعين :

(ا) الغرائز الفردية مثل البحث عن الطعام ويصحبها الجوع وغريزة الامتلاك ويصحبها لذة الحيازة وغريزة الاستغاثة ويصحبها شعور العجز وطلب العون وغريزة الهرب ويصحبها الخوف والفزع وغريزة النفور ويصحبها التقزز وغريزة الضحك ويصحبها التسلية وغريزة الحل والتركيب ويصحبها الابتكار والإبداع .

(ب) الغرائز الاجتماعية : مثل غرائز الجنس (المحافظة على النوع) والأمومة (الوالدية) والسيطرة والتسلط والخضوع والمقاتلة والتجمع .

ومن هنا نلاحظ أن ما كدوجال يحاول تفسير دوافع الإنسان — فطرية كانت أم مكتسبة — على أساس هذا التقسيم الثنائى للغرائز وهو فى هذا لا يميز بين الدافع الفطرى والدافع المكتسب ولكنه يتكلم عما يتصل بالفرد ككائن بيولوجى وما يتصل بالفرد ككائن يتفاعل مع غيره من الكائنات . فعلى سبيل المثال نجد أن غريزة البحث عن الطعام تتمثل فى دافع الجوع الذى عندما يسعى الإنسان إلى إشباعه فهو يحافظ على حياته وكيانه كفرد قائم بذاته .

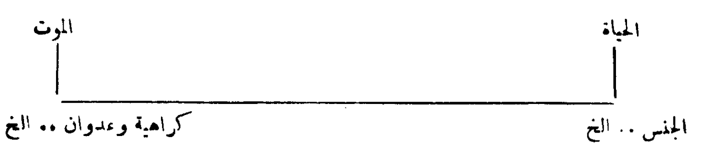
كما نجد أن غريزة المحافظة على النوع تتمثل فى دافع الجنس الذى عندما يسعى الفرد إلى إشباعه فإنه يحافظ على استمرار الجماعة أو المجتمع فى صورته البيولوجية أيضا .

وهكذا يرى أصحاب هذه المدرسة أن الغرائز — التى تمثل أساس الدافعية عند الإنسان — وظيفتها المحافظة على الفرد والجماعة والنوع الإنسانى عموما . ويرون كذلك أن الغرائز — حتى تتمشى مع نمو الدافعية واكتساب الجديد منها — لابد وأنها لا تبقى على شكلها الفطرى عند الفرد ولكنها تتعدل من ناحية الطاقة والقدرة طالما أن الفرد ينمو ويتكيف مع عناصر بيئته بأبعادها المختلفة فيتعدل سلوكه تبعا لذلك أيضا ويصبح التعبير عن الغريزة وطريقة إشباع الدافع — بالتبعية — مختلفا فى طور من أطوار نمو الإنسان عنه فى طور آخر .

وهناك نظرة أخرى إلى الغريزة — غير نظرة مكدوجل إلى الغرضية المباشرة للغريزة — وهذه نظرة أصحاب مدارس اللاشعور وخاصة فرويد وآدلر ويونج حيث يرى الأول والثانى منهما أن غرضية الغريزة تكمن فى الأعماق أو فى اللاشعور الفردى بينما يرى الثالث أن هذه الغرضية تكمن أيضا فى الأعماق ولكنها فى منطقة اللاشعور الجمعى .

وبهذا فإننا نجد أن فرويد يفسر دوافع الإنسان جميعها — فطرية أو غير ذلك — على أساس غريزتين فقط : هما غريزة الجنس وبقاء النوع وغريزة أخرى هى غريزة الموت بما فيها من عدوان وكراهية وغير ذلك .

وبهذا نجد أن فرويد — كما تميز دائما — ينظر إلى الدوافع الانسانية من خلال طرفى مقياس لا تدريج له ولا وسط فيه :



ويفسر أدلر دوافع الانسان على أساس غريزة التسلط والسيطرة حيث يشعر الانسان دائماً بنقصه وقلته — فيسعى — عن طريق السيطرة — إلى تعويض ما يشعر به من نقص .

وأما يونج فيفسر دوافع الانسان على أنها طاقة كامنة فيما يسمى باللاشعور الجمعى الذى يضم كل أنماط خبرات الأجيال السابقة والذى يعمل على ربط الفرد بأجداده الأول .

والسؤال الذى يوجه لأصحاب هذه المدرسة — مدرسة تفسير الدوافع عن طريق الغرائز — هو هل حقيقة هناك مايسمى بالغرائز — بلا تحفظ —؟ وإذا كان هناك ما يسمى بالغرائز فلماذا لم يحاول أصحاب هذه المدرسة أن يوضحوا الفرق بين الغريزة والدافع ؟

٤ ـ التفسير الوظيفي للدوافع :

يرى صاحب هذه المدرسة وهو جوردون ألبورت أن للدوافع الإنسانية وظيفة استقلالية وأنه بناء على ذلك فإن الدوافع تتغير وتتطور وتنمو مع تغير الفرد وتطوره ونموه حيث يتم ذلك التطور والنمو عن طريق الإبدال والتعديل فى ميول الفرد وقيمه واتجاهاته وأنماط تفاعله مع عناصر بيئته المادية والمعنوية . وعن طريق وظيفة الدافع فى كل مرحلة من مراحل نمو الفرد يمكن تفسير هذا الدافع تفسيراً مرحليا مستقلا .

وقد بنى ألبورت نظريته هذه على عدة أسس نناقشها فيما يلى :

١ — أن وظيفة الدافع عند الانسان فكرة يمكن أن تعلل لخصائص الشخصية الانسانية والاتجاهات نحو الأشياء والمواضيع والميول والأحاسيس وبذلك لايفسر الدافع الانسانى فقط عن طريق هذه الوظيفة المرحلية ولكن بناء على تطوره وتغيره يمكن أن يفسر أيضاً عن طريق الاتجاهات النفسية والميول .

٢ — إن فكرة المرحلية الوظيفية هذه ترفض الزعم القائل بأن طاقة الدافع عند الفرد — حاليا — مشتقة من طاقة اللاشعور الفردى أو الجمعى فهذا أمر يرفضه المنطق العلمى وخاصة أن عملية التعلم عند الانسان تستحدث دائماً

الجديد من الطاقات والاهتمامات والاتجاهات والميول عند الانسان ومن العبث أن نزعم أن الفرد — حاليا — يتميز بطاقة دافعية مثل تلك التى تميز بها أجداده من آلاف السنين .

٣ — إن هذه الفكرة — فكرة الاستقلالية الوظيفية — ترفض أيضا نظرية المثير الشرطى فالدافع من وجهة نظر ألبورت ليس مجرد رد فعل ميكانيكى يرتبط كلية بعملية التشريط ولكنه أبعد وأعمق من ذلك حيث أن له وظيفة نرتبط بمرحلة نمو الفرد وتطوره .

٤ — تؤمن فكرة ألبورت بصحة كل مبادىء النمو والتطور مثل التكامل والنضوج والتدريب والتقليد وما إلى ذلك . ونعتقد أن هذه الأشياء وغيرها ضرورية لتكوين النمط العام للدافعية عند الانسان .

٥ — تأخذ هذه النظرية فى حسابها المعنى الحقيقى لأصل السلوك الإنسانى فهى لا تؤمن بما يؤمن به أصحاب مدرسة التحليل النفسى من أنه لدراسة دوافع الفرد البالغ لابد من محاولة استكشاف دوافع طفولته ولكن طالما أن هذه النظرية تؤمن بمرحلية وظيفة الدافع فإن الطريقة المثلى لتفسير دوافع الفرد البالغ لا تتم إلا عن طريق فهم دوافعه كما هو وفى هذه المرحلة التى يمر بها .

٦ — يمكن أيضا عن طريق هذه الفكرة تفسير الدوافع المرتبطة بالأحداث المفاجئة فى حياة الفرد مثل الصدمات العصبية الناجمة عن الانفجارات أو عمق الأوهام والتخيلات والمخاوف المرضية وكذلك كل أنماط السلوك القهرى والمرضى .

٧ — يمكن أيضا عن طريق هذه الفكرة أو النظرية — الوظيفة المرحلية للدوافع — تفسير نجاح عملية التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية . فلو كانت الغلبة لغير هذه النظرية — أى يتم تفسير الدوافع عن طريق الغرائز

مثلا — لكان الطفل الأنانى فى طفولته يظل كذلك ولا يصبح هناك أمل فى تعديل سلوك الكائن الحى أو تهذيبه عن طريق عملية التنشئة أو التطبيع ولفقدنا أيضاً الثقة فى البيئة الإنسانية بكل ما فيها من مؤسسات حضارية واجتماعية وثقافية . لهذا السبب فإن ألبورت يعتقد أن نظريته صحيحة ومناسبة لأنها — عن طريق مرحلية الدوافع من الناحية الوظيفية — تعطى الفرصة لتوقع التغيير والتعديل فى سلوك الإنسان .

٨ — يمكن لنا أيضاً عن طريق هذه النظرية أن نفسر لماذا يصبح الإنسان بعد فترة من الزمن ما كان يتظاهر به خلال هذه الفترة . فالرجل الذى يقوم بعمل يقتضى منه الابتسام الدائم أو التجهم . يتحول هذا القناع بعد فترة إلى (دافع مرحلى) يميزه فى سلوكه وفى استجاباته لعناصر بيئته بعد ذلك .

٩ — كذلك يمكن لنا أن نفسر الدافع وراء عبقرية الفرد وتفوقه على الرغم من عدم وجود أى مكافأة أو إثابة بكل ما يرمى إليه الفرد فى مثل هذه الحالات هو استخدام مواهبه وخصائصه استخداما يؤدى بها إلى النمو والتطور وبالتالى تنمو الدوافع وتتطور وهكذا .

١٠ — وأخيراً يرى ألبورت أن نظريته هذه تساعد كثيراً على أن ينظر علماء النفس إلى دراسة الشخصية الإنسانية على أنها نظام خاص مستقل فى علم النفس .

وبعد فهذه هى النقاط الرئيسية فى نظرية ألبورت الخاصة بالاستقلال الوظيفى للدوافع والتى عن طريقها فسر الدوافع كما جعل الدوافع تفسر أشياء أخرى كثيرة .

ولا يؤخذ على هذا المذهب إلا إيمانه فقط بما جاء به مع رفض جميع النظم الأخرى وكذلك تصويره للنظرية كما لو كانت جامعة مانعة قادرة على تفسير كل ما يتصل بالدوافع .

وهذا منحى قد يثبت أنه ليس كذلك أثناء مناقشتنا لما يلي ذلك من مذاهب وتفسيرات .

٥ - تفسير الدوافع عن طريق الطاقة الكلية الحيوية :

يرى هاكل (Häkel) فى كتابه عن لغز الكون (١٨٩٩) أن الطاقة الميكانيكية والطاقة الحرارية والكهربية والطاقة الضوئية وطاقة الصوت كلها أوجه مختلفة لأصل واحد أو جوهر رئيسى هو الطاقة فى حد ذاتها ذلك لأنه يمكن تحويل كل صورة من هذه الصور إلى الصورة الأخرى .

وقد تمكن هويلر wheeler بعد دراسة وبحث مستفيض فى أسس العلوم المختلفة الطبيعية والحيوية من أن يستنبط القوانين الأساسية المشتركة بين جميع النظم العلمية وهذه القوانين هى التى تختص بتنظيم الطاقة ووصفها .

وقد سمى هويلر هذه القوانين بالقوانين الكلية الحيوية وهى قوانين صحيحة وصالحة للتطبيق سواء فى علم الطبيعة أو البيولوجيا أو علم النفس أو العلوم الإنسانية والاجتماعية .

وما نختص به الآن هو محاولة تفسير الدوافع الإنسانية عن طريق قوانين الطاقة هذه — وهذا ما حاوله هويلر ومعاونوه (١٩٤٠ — ١٩٤٦) . ولذلك فسوف نستعرض هذه القوانين ونناقش علاقتها بالدوافع فيما يلى :

١ — قانون صفات المجال Law of field properties :

ينص هذا القانون على أن « الكل أكبر من مجموع أجزائه » .

أو بمعنى آخر نستطيع أن نقول أن الكل يتميز عن أجزائه ويكتسب لنفسه وجوداً جديداً يحتوى هذه الأجزاء ويحتوى أيضاً صفات تميزه وتكسبه كيانه الكلى . وهذه الصفات هى صفات الكل الذى يضم الطاقة الكلية بجانب أجزائه .

وتطبيقاً لهذا القانون فى مجال الدوافع يجب أن ننظر إلى الدافعية ككل

متكامل ولا يمكن لنا أن نقول أن سلوك الفرد فى موقف ما يمكن إرجاعه إلى دافع واحد أو إلى مجموعة من الدوافع — جنباً الى جنب بالإضافة — ولكن لابد من ارجاع السلوك وتفسير الدافعية بناء على تفاعل مجموعة من الدوافع تفاعلا يعطى لسلوك الفرد صفة الكلية والتكامل .

٢ — قانون الصفات المشتقة Law of derived properties :

وينص هذا القانون على أن « الأجزاء تشتق صفاتها من الكليات » .

ومعنى ذلك أن الأجزاء تتحدد صفاتها بناء على الكل الذى ينتمى إليه فالخط المستقيم تتحدد صفته بناء على كونه ضلعاً فى مربع أو قاعدة فى مثلث أو قطراً فى دائرة وبالتالى فإن الفرد كعنصر فى جماعة يشتق صفاته وتكوينه من الجماعة التى ينتمى إليها .

ولذلك فإننا نزعم أن الدافع الإنسانى جزء من الموقف الذى يمر به الإنسان وعليه فإن الدافع يشتق صفته من الموقف . فالدافع يكمن وراء سلوك الفرد فى موقف معين ويصل به الى تحقيق هدفه قد لا يكون كذلك فى موقف آخر .

٣ — قانون الفعل المحدد Law of determined action :

أى أن « الكل يحدد نشاط أجزائه » .

ومعنى ذلك أن الفرد ينشط ويتفاعل وينمو ويتطور ولكن فى إطار الكل الذى سبق وأن حدد له هذا النشاط وهذه الفعالية حتى يتم الاتزان داخل الكل الذى هو المجتمع فى هذه الحالة .

وعندما يخرج بعض الأفراد عن قيم هذا المجتمع وتقاليده وعاداته فإنه يفرض عليهم من السلطة والضغط مايعيدهم إليه مرة أخرى حتى يتم الاتزان .

وفى هذا الصدد نجد أن التنظيم الكلى للفرد من قيم واتجاهات وميول

واهتمامات وضغوط اجتماعية مختلفة من حيث الدرجة والكيف — كل هذا التنظيم يحدد نوعية الدافع وشدته واتجاهه .

فالرجل الذى تكون كليته أو تنظيمه الكلى متكاملا من ناحية القيم الاجتماعية ورغباته وميوله الشخصية نجد أن دوافعه تختلف من حيث النوعية والشدة والاتجاه عن الرجل الذى يعانى من صراع أو عدم اتزان بين رغباته وميوله الشخصية من ناحية وبين القيم والضغوط الاجتماعية من ناحية أخرى.

وربما يفسر ذلك أيضاً لماذا لا ينشط دافع الهرب من وجه الخطر فى حاله رجل له تنظيم كلى خاص (مثل الجندى المؤمن بعقيدة ما فى الميدان) بينما ينشط هذا الدافع فى حالة رجل آخر له تنظيم كلى آخر .

٤ — قانون التميز بالفردية Law of individuation :

أى « تكتسب الجزئيات كيانها عن طريق التميز بفرديتها » .

فالفرد الإنسان يتميز بفرديته وشخصيته وكيانه عن شخص آخر له فردية وشخصية وكيان مستقل . وهذا التمايز دالة الاختلاف والتباين فالخير يتميز بفرديته فى وجود الشر والسلوك السوى يتميز بفرديته فى وجود السلوك المرضى والعكس صحيح . معنى ذلك أن وجود الأجزاء وجود نسبى فالوجود المطلق للجزئيات أمر مستحيل حسب قوانين هويلر .

وعلى ذلك فإن الدوافع الإنسانية تمايز كل بفرديته عن الآخر. إذن فالدوافع تتميز بفرديتها من ناحية الشدة والنوعية والاتجاه عند نسبتها كل إلى الآخر .

٥ — قانون أصل المجال Law of Field Genesis :

« تنشأ الكليات وتتطور ككليات » .

بمعنى آخر ينشأ مجال الطاقة ككل متكامل وهذا التكامل لا يأتى عن طريق الإضافة من الخارج ولكن عن طريق الانساع من الداخل فالأجزاء

لا تتراكم فوق بعضها البعض لتكون ذلك الكل المتكامل ولكنها تنشأ ككل وتنمو ككل .

فالطفل الصغير يولد وفيه كل الأجهزة البيولوجية التى توجد فى الجنس البشرى ولكنها غير كاملة النمو أو النضوج . فهو كل فى هذا المعنى ثم ينمو وينضج ككل متكامل حتى يصل إلى مرحلة النضوج .

وبذلك نجد أن الدافعية عموما عند الإنسان كل متكامل فهى أى الدوافع ليست مجموعة من الطاقات تزيد بالإضافة ولكنها تنمو وتتطور عند الفرد حتى تصل إلى مرحلة النضوج والاستقرار .

٦ — قانون الحد الأدنى للفعل Law of Least action :

« تسلك الطاقة أقصر الطرق من أجل تحقيق الغرض » .

ومعنى ذلك أن الطاقة فى مجال ماتنطلق من النقطة الأعلى جهداً إلى النقطة الأقل جهداً حتى يعود الاتزان إلى المجال . وفى ذلك تحاول الطاقة المنبعثة من النطقة العالية الجهد اتخاذ أقصر المسافات وأقل الأزمنة لتصل إلى النقطة المنخفضة الجهد من أجل إعادة الاتزان فى أقصر وقت ممكن .

وفى حالتنا هذه يمكن أن نفسر عمل الدافعية على أنها طاقة مبذولة متجهة إلى منطقة التوتر فى مجال الكائن الحى سواء كانت منطقة التوتر هى المعدة الخالية أو غير ذلك وهى — أى هذه الطاقة المبذولة تميل إلى سلوك أقصر الطرق .

فالفرد الجائع بدرجة الإلحاح — نجد أنه يدخل إلى أقرب مطعم ليأكل سالكا فى ذلك أقصر الطرق .

مع ملاحظة أن الفعل = الطاقة × الزمن وطالما أن الفعل وهو إشباع الدافع كمية ثابتة والمطلوب هو أقصر الطرق (أى زمن قليل) فمعنى هذا أنه لابد من بذل طاقة كبيرة لتحقيق ذلك .

٧ — قانون أقصى الشغل Law of maximum work :

« يطلق الكل المتكامل أقصى ما يحتويه من طاقة ليعيد الاتزان إلى كيانه » .

وهذا القانون يفسر أشياء عديدة فى سلوك الأفراد والجماعات . فالفرد عندما يحدق به الخطر نجد أنه يطلق ساقيه للريح بغض النظر عما يكون فى ذهنه من نواحى أخرى فهو لا يفكر فى لحظة الخطر هذه أن يدخر جزءاً من الطاقة لأنه سوف يلعب مباراة فى كرة القدم فى اليوم التالى ولكنه يبذل كل طاقته للجرى والهرب من وجه ذلك الخطر .

ونفس الشىء بالنسبة إلى بقية الدوافع التى تلح على الفرد إلحاحاً شديداً فهى تنظيم كلى متكامل إذا تعرض لعدم الاتزان والتوتر انطلقت منه أقصى الطاقة لتعيد إليه الاتزان والتكامل من جديد . ولعلك تلاحظ ذلك عندما تنظر الى ذلك الصبى الذى استبد به الجوع الشديد فنجد أنه يشبع دافعه بكل شىء أو بمعنى آخر « يأكل بكل جوارحه » فهو يأكل بأسنانه ويديه وعينيه وقسمات وجهه بل ربما بقدميه أيضاً .

٨ — قانون الهيئة Law of Configuration :

« تنظيم الطاقة تنظيما كلياً يؤدى إلى ما يسمى بالهيئة أو الصورة » .

فسلوك الكائن الحى فى موقف ما يتم على أنه استجابة موحدة متكاملة من ناحية الشكل أو الهيئة . وعندما ننظر إلى الفرد العادى أثناء إشباعه دافعا من دوافعه — أثناء حياته اليومية — نجد أن الدوافع الإنسانية جميعاً تعمل فى هيئة أو صورة موحدة فهو أثناء تناوله طعامه يهتم أيضاً بإشباع دوافع الأمن وتحقيق الذات وتقديرها وما إلى ذلك .

وبمعنى آخر لا نجد عادة دافعاً يعمل بمفرده عن بقية الدوافع الأخرى .

تلك هى القوانين الثمانية التى تسمى القوانين الكلية الحيوية للطاقة والتى

على أساسها حاول الكثير تفسير الدوافع الإنسانية وهى فى حقيقة الأمر تفسر عمل الدافع ووظيفته أكثر من قدرتها على تفسير أصل الدافع وطبيعته .

وفى الواقع أن هذا النوع من الدراسات أسهم كثيراً فى فهم الدافعية على أساس أنها تنظيم خاص من الطاقة . مثل الطاقة الكهربية أو الضوئية التى فهمنا عن عملها ووظيفتها أكثر مما فهمنا عن أصلها وطبيعتها .

٦ ـ تفسير الدوافع عن طريق ديناميكية السلوك :

أصحاب هذه النظرية فى تفسير الدوافع هما كرتش وكرنشفيلد (١٩٤٨) حيث ناقشا فكرة الدافعية والدوافع فى ضوء عدة مسلمات هيكلية بنيت عليها هذه النظرية فيما بعد . وقد اقترح الباحثان الأساسيات التالية لتفسير الدوافع :

١ ــ الوحدة المثلى لتحليل الواقعية هى السلوك الكتلى (molar) للفرد الذى يشمل الحاجة والهدف . فالسلوك على هذه الصورة يشمل كل ما يقوم به الفرد من أنشطة فى زمن ما وعلى ذلك فإنه يمثل وحدة متناسقة من الحاجة والانفعال والادراك والنزوع وغير ذلك . وبالتالى فإن هذه الوحدة الكتلية تصبح ذات اتجاه خاص يحدده الحاجة والهدف السابق الاشارة إليهما .

وبناء على هذه النقطة فإن أصحاب النظرية يرفضون تفسير الدافعية عن طريق بعض المصطلحات مثل العادة والشرطية والتقليد وما إلى ذلك .

٢ ــ تنتج ديناميكية السلوك الكتلى من خصائص المجال النفسى الراهن . ولذا يجدر بنا فى بادىء الأمر أن نفرق بين ما نسميه بالمجال النفسى الراهن ــ أى كيفية تأثر سلوك الفرد فى موقف معين بحاجاته وأهدافه الراهنة ــ وبين تأصيل الدوافع ــ أى كيفية نمو وتطور الدوافع مع الفرد منذ بدايته .

وبذلك يتفق أصحاب هذه النظرية مع آراء ألبورت بخصوص الوظيفة المرحلية الدوافع ويرفضون التفسير الغريزى لها .

ويقولون أن المجال النفسى هو مجموعة العمليات العصبية والنفسية التى تجمع بين خبرة الفرد النفسية والعصبية . والتى يتمثل نشاطها فى :

(ا) البيئة الخارجية (ب) البيئة النفسية الداخلية .

(ح) الآثار العصبية للخبرة السابقة .

٣ — يؤدى عدم الاستقرار والثبات فى المجال النفسى إلى نوع من التوتر الذى يؤثر على العمليات الإدراكية والمعرفية والنزوعية وهذه العمليات بدورها تقوم بإحداث التغيرات اللازمة لإعادة الاستقرار والثبات إلى المجال النفسى .

وفى هذا المنحى يتفق أصحاب هذه المدرسة مع آراء هويلر فى تنظيم الطاقة فى المجال واختلال توزيعها الذى يؤدى إلى حركية المجال النفسى ونشاط انتقال الطاقة من منطقة أعلى جهدا إلى منطقة أقل جهدا . وبذلك فهم يؤمنون بكلية تنظيم الدوافع ويرفضون — كما سبقت الإشارة — الدراسة الجزئية لها عن طريق الإثارة والتشريط وما إلى ذلك ويضيف أيضا كرتش وكرتشفيلد أن من مظاهر التوتر الشعورية عند الفرد ما يلى :

(ا) الإحساس القابض بالقلق وعدم الارتياح .

(ب) إحساس بالحاجة الملحة إلى غرض واضح فى المجال النفسى الاجتماعى للفرد .

(ج) إدراك المتطلبات الناشئة عن المجال والتى تفرض نفسها على الفرد .

٤ — الإخفاق فى تحقيق الأهداف أو إزالة التوتر وإعادة الاتزان إلى المجال النفسى يؤدى إما إلى تكيف صحيح فى سلوك الفرد أو تكيف خاطىء . ويمكن إرجاع إحباط الدوافع عند الانسان إلى أربعة مصادر هى :

(ا) البيئة المادية الخارجية .

(ب) قصور الامكانيات الحيوية للفرد .

(حـ) التنظيم النفسى للفرد .

(د) البيئة الاجتماعية الخارجية .

وسلوك التكيف الصحيح بعد إحساس الفرد بالفشل أو بعد إحباط دوافعه يمكن تلخيصه فى النقاط التالية :

(ا) بذل طاقة أكثر وجهدا أعظم محاولة للوصول إلى الهدف .

(ب) إعادة تنظيم مجاله السلوكى تنظيما قد يساعده على فهم المشكلة بصورة أوضح .

(حـ) استبدال هدفه الأصلى بهدف آخر يكون أقرب إليه من الهدف السابق أو يمكن تحقيقه بسهولة أكثر .

وتفسر النقاط الثلاثة السابقة إمكانية تعديل الدوافع بصورة ضمنية وذلك يتضح من تعديل مستوى الطاقة المبذولة كما فى (ا) أو تعديل المجال السلوكى (ب) أو تعديل الأهداف (حـ) .

وأما سلوك التكيف الخاطىء فيمكن تلخصه فى الأنماط السلوكية التالية :

(ا) العدوانية (ب) النكوص (ج) الانسحابية (د) الكبت

(هـ) الاعلاء (و) التبرير (ز) الاسقاط (ح) الانفصام

(ط) التقمص .

٥ — يتمكن الفرد من أن يتعلم ويجيد تعلم وسائل تحقيق الأهداف وإزالة التوتر . وهذا يؤدى بالفرد إلى إتقان عمليات التكيف والانضباط مع البيئة . وعلى ذلك يعتقد أصحاب هذه المدرسة أن الشخصية الانسانية هى مجموعة الطرق والوسائل التى تعلمها الفرد نتيجة تحقيقه أهدافه وأشباعه لدوافعه وإزالة للتوتر فى مجاله النفسى .

٦ — ينحو سلوك الفرد دائماً إلى أكثر المستويات استقرارا واتزانا . وهذا يفسر تطور الدوافع والأهداف عند الفرد بناء على تغير البيئة الاجتماعية بما فيها من قيم واتجاهات وتقاليد وضغوط .

وهنا يعود كرتش وكرتشفيلد مرة أخرى إلى الاتفاق مع ألبورت فى نظريته عن الوظيفة المرحلية للدوافع .

٧ـ تفسير الدوافع عن طريق مفاهيم الحاجات :

لا شك فى أن كلمة أو مفهوم « الحاجة » Need قد ارتبط كثيرا وتواتر مع محاولاتنا السابقة لتفسير الدوافع عند الانسان . فعلى سبيل المثال إذا نظرنا إلى قائمة موراى فى الحاجات نجد أنها فعلا ذات صلة وثيقة بما نسميه الدوافع . ولهذا قلنا « أن الفرد لديه الدافع لإشباع هذه الحاجة أو تلك » .

وليس هناك داع لأن نعود مرة أخرى ونتحدث عن الحاجات الفسيولوجية مثل حاجة الفرد إلى الطعام وإلى الشراب وحاجته إلى الجنس وحاجته إلى النوم أو أن نتحدث أيضاً عن الحاجات النفسية مثل حاجة الانسان إلى الاستجابة العاطفية أو حاجته إلى الأمن وما إلى ذلك .

وفى بداية الأمر يجدر بنا أن نفرق فعلا بين الدافع والحاجة . فالدافع وقد سبق تعريفه وتحديده على أنه حالة تفاعل من نوع خاص تؤدى إلى إحساس الفرد بالتوتر وميله إلى إشباع حاجة ما يختلف عن الحاجة التى يمكن وصفها بأنها هى تلك العملية التى تؤدى إلى إحساس الفرد بالارتياح والاتزان .

فدافع الجوع يشبع حاجة الفرد إلى الطعام ودافع الهرب يشبع حاجة الانسان إلى الأمن والطمأنينة ..وهكذا .

يلى ذلك أن نناقش المفاهيم التى عن طريقها يمكن تفسير الدوافع الانسانية :

(ا) المفهوم الأول هو مفهوم شدة الحاجة حيث لابد وأن تكون هناك حاجات أكثر إلحاحا من حاجات أخرى فقد تكون حاجة الانسان

إلى الطعام أشد درجة من حاجة الانسان إلى الجنس وقد يكون العكس صحيحا .

ولكن المهم هو أن هناك درجات مختلفة من الشدة . وبالتالى يمكن أن نقول أن الدافع الذى ينشط لإشباع حاجة أشد درجة لابد وأن يكون أكثر قوة من الدافع الذى ينشط لإشباع حاجة ذات شدة أقل .

وهناك تجربة أجراها واردن على الفئران البيضاء لدراسة شدة الحاجات وتتلخص هذه التجربة فى حرمان الفأر مدة طويلة من الحاجة موضع الدراسة ثم يطلق الفأر حيث يرى أمامه هدف الاشباع (طعام أو شراب إلخ ...) ولكن يفصله عن هذا الهدف أسلاك كهربية تحدث له صدمة خفيفة عندما يلمسها . وقد سجل واردن عدد محاولات الفأر للوصول إلى الهدف كدليل على شدة الحاجة . ويمكن تلخيص ذلك فى الجدول التالى :

الحاجة	متوسط عدد المحاولات	طبيعة المحاولة
الأمومة	٢٢,٤	محاولة الأم الوصول إلى صغارها
المـاء	٢٠,٤	محاولة الفأر الوصول إلى مصدر الماء
الطعام	١٨,٢	« « « « الطعام
الجنس	١٣,٨	« الذكر الوصول إلى الأنثى
الاستطلاع	٦,—	« الفأر استكشاف مجال جديد عليه

ويستنتج واردن من تجربته هذه أن أقوى الدوافع عند الفأر الأبيض هو الدافع إلى الوالدية وأن دافع العطش يأتى قبل دافع الجوع والطعام عند الفأر أهم من الجنس وهكذا .

(ب) المفهوم الثانى هو مرونة الحاجة وكما يقول دافيد كاتز أن هذه المرونة تكسبها الشمول وسعة المدى الذى يمكننا أن نفسر الدوافع على أساسها . ومعنى ذلك أن الحاجة مشتقة من الموقف فالحيوان الجائع يرى فى

بيئته الخارجية ما يمكن أكله وما لا يمكن أكله والحيوان الخائف يرى في بيئته كذلك مسالك الهرب ودروب النجاة بينما الحيوان الممتلىء المعدة أو الآمن المطمئن يختلف في نظرته أو في حاجته بمعنى أصح أثناء تفاعله في بيئته الخارجية .

(ج) المفهوم الثالث هو ديناميكية الحاجة فهذه الديناميكية هي التي تؤكد صفة المجال النفسي للفرد من ناحية الاتزان والاستقرار أو التوتر وعدم الاتزان . وقد أسهم ليفين — صاحب النظرية التوبولوجية وهي مذهب جشتالطي — في تفسير ديناميكية الحاجة فيما يلي من فروض :

١ — الرغبة في الوصول إلى هدف ما نتيجة توتر يعترى التنظيم الداخلي للفرد .

٢ — يتجه نشاط الفرد وسلوكه نحو هذه الحاجة أو الهدف الذي يرغب في الحصول عليه بناء على قوة دافعة تتناسب طردياً مع شدة التوتر .

٣ — يزول التوتر ويستقر المجال عندما يشبع الفرد دوافعه ويحصل على حاجته .

٨ ـ تفسير الدوافع عن طريق التحليل العاملي :

التحليل العاملي منهج إحصائي يستخدم معاملات الارتباطات بين المتغيرات المختلفة ويحللها لاستكشاف العوامل العامة والخاصة التي تربط هذه المتغيرات بعضها ببعض . ويرجع الفضل في وصف هذا المنهج إلى كارل بيرسون وتشارلس سبيرمان .

وقد استخدم هذا المنهج في تحليل القدرات الانسانية فأدى إلى اكتشافات أصيلة ومبهرة كما سنرى ذلك فيما بعد .

وعلى العموم فقد أدى استخدام هذا المنهج في تحليل القدرات الانسانية إلى اكتشاف القدرة الفطرية العامة أو الذكاء أو العامل العام الذي يربط من القدرات الانسانية عموماً وكذلك اكتشاف عدد كبير من القدرات الخاصة .

وقد حاول سيرل بيرت وهو من الرواد الأول لعلم النفس في بريطانيا

أن يستخدم نفس المنهج بهدف اكتشاف قدرة انفعالية عامة التي تصدر عنها جميع الدوافع الانسانية على غرار الذكاء كعامل عقلى عام يربط بين جميع القدرات المعرفية .

وقام بيرت بتطبيق بعض الاستفتاءات التي تدول حول الدوافع والانفعالات وكانت النتيجة أنه اكتشف فعلا ما يسمى بالانفعالية العامة General emotimolity.

وعلى أساس هذه الانفعالية العامة يرى البعض أن الدوافع الانسانية إما أنها ذات مصدر واحد أو أنها تلتقى جميعها فى نقاط مشتركة وهى التى سماها بيرت بالانفعالية العامة .

قياس الدوافع :

لعله أصبح من الواضح بعد استعراضنا السابق لمعنى الدوافع وتعريفها وعلاقتها بسلوك الانسان وتصنيفاتها المختلفة وتفسيراتها — لعله أصبح من الواضح أن مناقشة عملية قياس الدوافع لن تكون أسهل من مناقشة المواضيع السابقة . ذلك لأن الاختلاف البين بين مدارس تفسير الدوافع لابد وأن يمتد أيضاً إلى مناهج قياس هذه الدوافع . وكذلك الاختلاف فى تعريف الدافعية وفهم معناها سوف يكون له أثره على وسيلة القياس .

١ — ولعل أبسط الطرق أو الوسائل تلك التى ترتبط بمظهرية الدوافع حيث اتفقت جميع المدارس على أن الكائن الحى يبذل كثيراً من النشاط أو الفعل أو الطاقة من أجل إشباع دوافعه . وعلى ذلك فإنه يمكن قياس الدافع عند الكائن الحى بتقدير وحدات النشاط العامة المرتبطة بهذا الدافع أو ذلك.

ويصف ريشتر Richtir عدة أجهزة خاصة بقياس نشاط الكائن الحى بصورة أتوماتيكية منها جهاز لقياس تقلصات المعدة التى تصدر عن الكائن أثنا إلحاح دافع الجوع عليه .

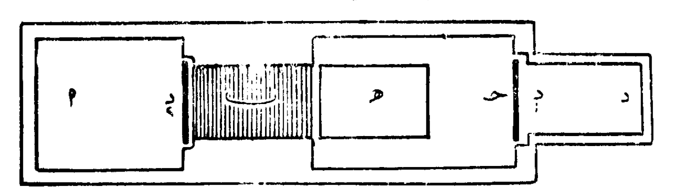
وكذلك بعض الأجهزة الأخرى التى تقيس معدل هذا النشاط إذ كلما كان

الدافع أكثر إلحاحاً على الفرد كلما ازداد معدل نشاطه وبذله للجهد من أجل إشباع دافعة وإعادة الاتزان والاستقرار إلى مجاله النفسى .

٢ — وهناك طريقة أخرى غير قياس نشاط الكائن الحى وتقدير معدل هذا النشاط وهى طريقة تقوم فكرتها النظرية على أساس أن الكائن الحى يتخطى العقبات مهما كانت شديدة من أجل إشباع دوافعه . وعليه فإنه كلما حاول الكائن الحى أن يتخطى عقبة أكثر صعوبة من عقبة أخرى كان الدافع شديداً . أو بمعنى آخر كلما ازدادت محاولات الكائن الحى لتخطى إحدى هذه العقبات كلما دل ذلك على شدة الدافع وقوته .

وتسمى هذه الطريقة بطريقة الإعاقة وتستخدم جهازاً يسمى معاقة جامعة كولومبيا . وهو يتكون من حجرة المدخل — وحجرة بها شبكة معدنية تتصل بدائرة كهربية وحجرة ثالثة بها صندوق صغير لحفظ المثير المستخدم فى التجربة .

رسم تخطيطى لمعاقة كولومبيا



(ا) المدخل (ب) حجرة الاعاقة وبها الشبكة الكهربية
(جـ) حجرة المثير (د) مكان المثير
(هـ) لوح إذا ضغط عليه يفتح الباب د د باب المدخل ويفتح يدويا

وتتلخص طريقة استخدام هذا الجهاز فى أن يوضع الكائن الحى (الفأر الأبيض فى هذه الحالة بالذات) فى الغرفة (ا) وهو فى حالة إلحاح الدافع عليه وليكن الجوع مثلا ويوضع فى الحجرة (حـ) الطعام فى المكان (د) بحيث يتمكن

الفأر من رؤية الطعام أو شم رائحته وهنا ينطلق مارا بالشبكة (ب) حيث يتلقى صدمة كهربية تعوقه عن الوصول إلى الطعام . وتتكرر محاولات الفأر لتخطى العائق ويؤخذ عدد المحاولات كمؤشر لقوة الدافع .

وفى التجربة التى أجريت فى معامل جامعة كولومبيا على الفئران البيض من أجل تحليل دوافع هذه الحيوانات يمكن أن نجد مثالا نصفه فيما يلى :

تم اختيار خمسة دوافع لدراستها وهى دوافع الجوع والعطش والجنس والأمومة والاستطلاع .

ومما يلاحظ أن هذه دوافع فسيولوجية باستثناء الأخير الذى ليست له علاقة مباشرة بالنواحى البيولوجية .

وكانت الفئران بالغة تنتمى إلى سلالة واحدة وعمر واحد إذ كان يبلغ عمر الفأر الواحد ١٨٥ يوما علما بأنه ينضج جنسيا فى سن الستين يوما تقريبا .

بعد ذلك كان يتم اختبار قوة الدافع على النحو السابق مع ملاحظة أنه فى حالة اختبار دافع الجنس مثلا كان تثبت بقية الدوافع أو توضع فى حالة هدوء فيسمح للفأر بالطعام والشراب والبقاء مع الصغار ومزاولة النشاط العادى الاستطلاعى قبل إجراء التجربة لاختبار دافع الجنس وكذلك فى حالة اختبار دافع الجوع تثبت بقية العوامل الأخرى .

يلى ذلك بدء التجربة الفعلية فيسمح للحيوان — قبل بدء اختبار الدافع — باجتياز الجهاز حتى الوصول إلى المثير (الطعام مثلا) أربع مرات دون صدمة كهربية ثم مرة واحدة بصدمة كهربية مما يؤدى إلى إثارة الحيوان .

بعد ذلك يبدأ الحيوان فى التجربة الفعلية حيث يتلقى صدمة كهربية مناسبة لتعوقه عن الوصول إلى الهدف .

ونتيجة لهذه التجربة وجد أنه يمكن ترتيب دوافع الفأر الأبيض على النحو التالى :

١ — الأمومة .
٢ — العطش .
٣ — الجوع .
٤ — الجنس .
٥ — الاستطلاع .

كما وجد أيضاً أن قوة دافع الجنس واحدة عند كل من الذكر والأنثى ونفس الشيء بالنسبة للجوع والعطش .

ويعلق أصحاب هذه التجربة فيقولون أن هذه النتائج تصف فقط حالة هذه العينة من الفئران البيض وعددها ٥٠٠ التى استخدمت فى هذه التجربة ولكن لا يمكن أن نعمم هذه النتائج بالنسبة إلى الحيوانات الثديية الأخرى دون إجراء تجارب مشابهة على غيرها من الحيوانات .

٣ — وهناك طريقة ثالثة يمكن أن تتفق مع السابقة فى الجزء الأخير منها وهو الخاص بمقارنة الدوافع من حيث شدتها عند الحيوانات .

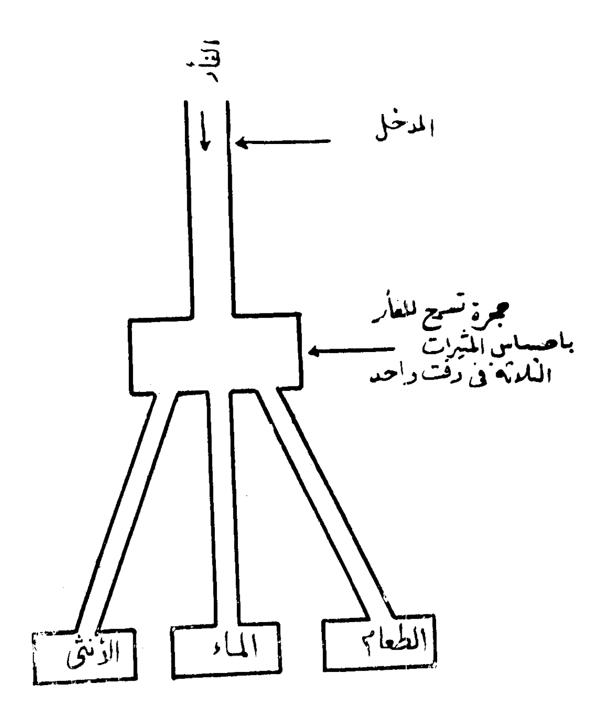
وهذه تسمى طريقة المفاضلة أو الاختيار حيث يمنع الحيوان (الفأر) لمدة أيام عديدة عن الطعام والماء والجنس بحيث تصبح هذه الدوافع الثلاثة فى حالة إلحاح ويصبح الحيوان كذلك فى حالة قصوى من التوتر ثم يطلق الحيوان فى ممر مصمم على الشكل المبين فى الصفحة التالية .

وبناء على ذلك يلاحظ أى اتجاه سوف يسلكه الفأر أولا هل سيفضل الشراب على الطعام على الأنثى أم غير ذلك .

ومن هذا يمكن مقارنة شدة الدوافع الثلاثة عند الفأر .

٤ — وهناك طريقة رابعة تعتمد على ملاحظة نشاط الكائن الحى وتسجيل وحدات هذا النشاط ثم تحليله معتمدين فى ذلك على أنماط السلوك الفعلى والأنشطة المتعلقة بدافع من الدوافع فعلى سبيل المثال إذا لاحظنا

نشاط وسلوك التلميذ قبل امتحان نهاية العام. وخاصة الأنشطة وأنماط السلوك المتعلقة بهذا الامتحان هادفين من ذلك إلى تقدير الدافع إلى التحصيل والتفوق عند الطفل وقمنا بتسجيل هذه الأنشطة وأنماط السلوك ثم تحليلها تحليلا كمياً وهكذا بالنسبة لغيره من الأطفال لأمكن لنا أن نزعم أنه أمكننا أن نقارن دافع التحصيل والتفوق عند هؤلاء الأطفال . ولكن هل حقيقة النشاط الظاهرى للطفل يكمن وراؤه دافع التحصيل والتفوق فقط أم هناك دوافع وضغوط أخرى ؟



٥ — وهناك طريقة خامسة وهى طريقة تطبيق اختبار يقيس الدوافع والحاجات على غرار ما فعله إدواردز حيث صمم اختباراً يقيس ستة عشر حاجة من الحاجات التى أوردها موراى فى قائمته التى سبق وصفها .

وهذا الاختبار مكون من عدد من الأسئلة ولكل سؤال إجابتان يختار المفحوص إحداها .

وبناء على هذا الاختبار يزعم إدواردز أنه أمكنه التعرف على الأهمية النسبية للدوافع والحاجات عند المفحوص .

٦ — والطريقة السادسة والأخيرة طريقة إسقاطية تعتمد على دراسة أوهام الفرد وتخيلاته وقد وصفها ماكسيليلاند عند محاولته قياس الدافع إلى التحصيل والتفوق عند بعض طلبة جامعة هارفارد .

ويقول الباحث أنه أجرى تجربته هذه على الطلبة تحت ستة أنواع من ظروف الإثارة التحصيلية هى :

(ا) ظروف طبيعية : حيث كان ما يطلب منهم من أعمال يقدم إليهم على أنه نوع من الأعمال العرضية غير الهامة .

(ب) ظروف محايدة : حيث كانت الأعمال المطلوبة تقدم على أنها من الأشياء المطلوب تقنينها (أو الحكم عليها) للقسم العلمى الذى ينتمى إليه الطلاب .

(حـ) ظروف تمس ذات الطالب : حيث كانت الأعمال المطلوبة تقدم على أنها اختبارات فى الذكاء والقدرة على قيادة الجماعات .

(د) ظروف النجاح : حيث سمح للطلاب أن ينجحوا فى الظروف (ج)

(هـ) ظروف الفشل: حيث لم يسمح للطلاب أن ينجحوا فى الظروف (حـ)

(و) ظروف النجاح والفشل : حيث نجح الطلبة فى الظروف (ج) ثم رسبوا فى نفس الأعمال .

وتحت كل من هذه الظروف التحصيلية الستة اختبر ماكسيليلاند أفراد المجموعة بأن عرض عليهم صوراً لأربعة مواقف غامضة على غرار صور اختبار تفهم الموضوع .

وكان الموقف الأول : موقف عمل يبدو فيه رجلان يعملان أمام آلة ن الآلات .

والموقف الثانى : موقف دراسة يبدو فيه طالب يجلس إلى مكتبه وأمامه كتاب مفتوح يقرأ فيه .

والموقف الثالث : موقف علاقة الأب بالابن . حيث يبدو فى الصورة رجل وابنه .

والموقف الرابع : صورة لشاب يبدو كما لو كان يتطلع حالما إلى المستقبل .

وكانت التعليمات التى استخدمها الباحث هى التعليمات المقننة لاختبار تفهم الموضوع .T.A.T وطلب من كل فرد أن يكتب قصة قصيرة (لمدة خمسة دقائق) عن كل صورة يراها أمامه حيث عرضت لمدة عشرين ثانية على شاشة كبيرة أمام المجموعة .

وقد طلب الباحث من المفحوصين كتابة القصص حول العناصر التالية :

(ا) ماذا يحدث فى الموقف ؟

(ب) ما الذى أدى إلى هذا الموقف ؟

(حـ) ماذا يدور فى رأس كل فرد فى الموقف ؟

(د) ماذا سيحدث ؟

ثم حللت هذه القصص تحليلا كميا حيث أعطيت درجة لكل نقطة تتصل بدافع التحصيل والتفوق وقد لوحظ أيضاً ثبات هذه الدرجات حيث كان التطابق بين تدريج حكمين هو ٩١, . كما وجد أيضاً الكثير مما يؤيد ثبات هذه الدرجات المشتقة عن طريق تحليل القصص تحليلا كمياً .

ويقول الباحث إن من أهم النقاط التى يجب معالجتها هى علاقة دافع التحصيل والتفوق عند الطلبة بالمتغيرات النفسية الأخرى وخاصة التعلم والأداء .

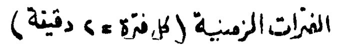
وهنا يصف الباحث تجربة أخرى أجراها لوول Lowell لاكتشاف هذه العلاقة بين دافع التحصيل وبين الأداء والتعلم وقد نهج لوول نفس النهج الذى اتبعه ماكسيليلاند فى الاستعانة بالصور الغامضة من اختبار .T.A.T حيث طبق ثلاثة من هذه الصور على مجموعة من طلبة الجامعة ثم طلب منهم أن يقوموا بترتيب مجموعة من الحروف المبعثرة لتكوين كلمات صحيحة المعنى ومنحهم فترة عشرين دقيقة لهــذا الغرض . وبعد أسبوع من هذا الإجراء قام لوول بإجراء آخر حيث طبق ثلاث صور أخرى من اختبار .T.A.T ثم طلب من المفحوصين أن يقوموا بحل بعض المشاكل الأخرى التحصيلية لمدة عشر دقائق .

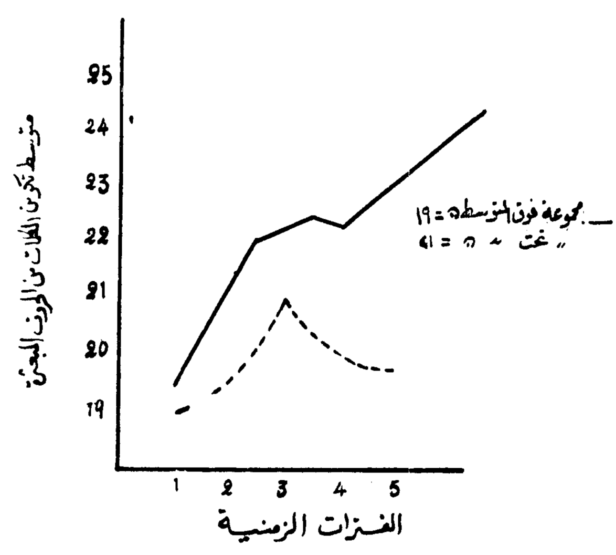
بعد ذلك قارن لوول بين درجة التحصيل كما حصل عليها من تحليل القصص — بنفس الطريقة التى اتبعها ماكسيليلاند — وبين أداء الجماعة فى اختبار الكلمات المبعثرة حسب الفترات الزمنية التى قسم إليها العشرين دقيقة وهى الزمن الكلى للأداء . وقد عقد هذه المقارنة بعد أن قسم المجموعة إلى قسمين حسب درجة التحصيل (فوق أو تحت المتوسط) .

ووجد لوول أن الزيادة المنتظمة فى الأداء بالنسبة للمجموعة ذات التحصيل العالى (فوق المتوسط) ابتداء من الفترة الزمنية الأولى حتى الخامسة (حيث أن الفترة الزمنية كانت أربعة دقائق) وجد أن هذه الزيادة يمكن أن يمثلها منحنى عملية تعلم فى حين أن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للمجموعة ذات درجات التحصيل تحت المتوسط وهذا يتضح من الرسم التالى (ص١١٤) .

كما وجد أيضاً أن متوسط اكتساب المجموعة ذات الدافع التحصيلى العالى لتكوين الكلمات من الحروف المبعثرة من الفترة الزمنية الأولى حتى الأخيرة هو ٥٫٣٢ كلمة بينما لم يزد المتوسط فى حالة المجموعة ذات الدافع التحصيلى المنخفض عن ٠٫٤٣ كلمة . وبالتالى فإن هناك دليل إحصائى واضح

(ت = ٣٫٧٦) على أن هناك علاقة موجبة بين الدافع التحصيلي العالي وبين التعلم .



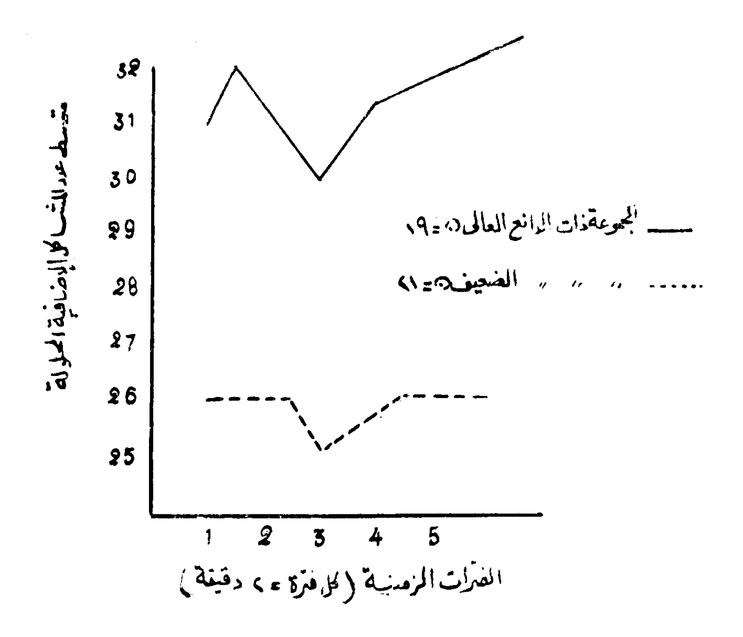


وأما بالنسبة للشق الثاني من تجربة لوول فقد وجد أن المجموعة ذات الدافع التحصيلي القوي نجحت في حل مشاكل أكثر من المجموعة ذات الدافع التحصيلي الضعيف . كما يتضح ذلك من الرسم التالي (ص ١١٥) .

وهكذا يتضح من تجارب ماكسيليلاند التي أجراها ومن تجارب لوول التي وصفها ماكسيليلاند أنه من الممكن قياس دافع التحصيل عن طريق تحليل أوهام الفرد باستخدام الاختبارات الإسقاطية .

هذا وقد حاول شيبلي وفيروف قياس الدافع إلى التعاطف مع المجموعة والانتماء إليها Affiliation باستخدام نفس الطريقة الإسقاطية التي سبقهما إليها ماكسيليلاند ثم لوول وذلك بتطبيق بعض وحدات اختبار T.A.T. .

ويقول الباحثان أنهما أجريا دراستين من أجل الحصول على مقياس صحيح صادق لدافع التعاطف مع المجموعة (وهذا مافعله فقط ماكسيليلاند بالنسبة الدافع التحصيل) وذلك عن طريق التحليل الكمى للقصص التى يكتبها أفراد العينة استجابة للمواقف الإسقاطية التى تمثلت فى صور اختبار تفهم الموضوع وقد استخدم الباحثان فى كلتا الدراستين مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية. ففى الدراسة الأولى كتب ٣٧ طالبا قصصا قصيرة مستوحاة من صور T. A. T. وذلك بعد أن أثير دافع التعاطف مع المجموعة والانتماء إليها عن طريق اختبار سوسيومترى .



وأما المجموعة الضابطة والتى تكونت من ٤٥ طالبا فقد كتبت القصص استجابة لنفس الصور دون أن يثار عندهم نفس الدافع . وتمت المقارنة بين الدرجات التى حصل أفرادكلا المجموعتين . كما فى الجدول التالى :

	المجموعة التجريبية	المجموعة الضابطة
العدد ن	٣٧	٤٥
عدد القصص لكل فرد	٥	٥
متوسط الدرجة م	١٢,١١	٧,٥١
الانحراف المعيارى ع	١,٠٤	,٩٩

فرق المتوسطات = ٤,٦٠
ع لفرق المتوسطات = ١,٤٧
ت = ٣,١٣

مستوى الوضوح الإحصائى : ﺪ ٠١, (أى أقل من ٠١,)

وفى الدراسة الثانية قارن الباحثان بين مجموعتين أيضا من طلبة الجامعة المجموعة الأولى تتكون من ١٦ طالبا رفضتهم المجموعة والثانية تتكون من ٣٣ طالبا قبلتهم المجموعة (الرفض والقبول من الناحية السوسيومترية) . وقد قام أفراد المجموعتين أيضا بنفس العمل أى كتبوا قصصا قصيرة مستوحاة من صور T. A. T. (نفس الصور السابقة) . بعد ذلك تم تحليل القصص تحليلا كميا للحصول على درجة الدافع لكل فرد . وتمت المقارنة بين المجموعتين كما فى الجدول التالى :

	المجموعة المرفوضة	المجموعة المقبولة
العدد ن	١٦	٣٣
عدد القصص لكل فرد	٦	٦
المتوسط م	١٤,٣١	٧,٦٤
الانحراف المعيارى ع	٢,—	١,٣٧

فرق المتوسطات = ٦,٦٧
ع لفرق المتوسطات = ٢,٤٦
ت = ٢,٧١

مستوى الوضوح الإحصائى : ﺪ ٠١, (أى أقل من ٠١,)

وللتعليق على الجدولين السابقين نجد أن المجموعة التى أثير عندها دافع التعاطف مع الجماعة والانتماء إليها قد حصلت على درجات تفوق فى المتوسط درجات المجموعة التى لم ينشط عندها هذا الدافع .

وكذلك نجد أن المجموعة المرفوضة (rejected) قد حصلت أيضا على درجات تفوق فى متوسطها الدرجات التى حصل عليها أفراد الجماعة المقبولة اجتماعيا وهذا يؤكد — من زاوية ما — ارتباط هذه الدرجات المشتقة من التحليل الكمى للقصص الوهمية التى يرويها الأفراد استجابة لصور الاختبارات الإسقاطية — ارتباط هذه الدرجة بكيفية ما بدافع التعاطف مع الجماعة والانتماء اليها . فهل يعنى هذا أن الرفض الاجتماعى يثير الدافع إلى الانتماء إلى الجماعة والتعاطف معها ؟

وأخيرا قد يكون لنا تعليق ضرورى على كل الطرق السابق وصفها لقياس الدوافع سواء عند الحيوان أو الإنسان .

فليس هناك شك فى أن الجهد الذى بذل فى تصميم هذه المقاييس جهد لا بأس به ولكن كان ولا بد وأن نأخذ فى الاعتبار أن الحيوان ليس تحت ظروف حياته الطبيعية التى يمر بها يوميا وأن العوائق التى تمنعه عن الطعام أو الماء أو الجنس أو صغاره تحت الظروف العادية ليست أبدا شبكة كهربية أو بابا يفتح ويغلق برافعة ميكانيكية . ولذلك فان الحيوان — ككل — تحت ظروف التجريب يختلف تماما عنه — ككل أيضا — فى حياته الطبيعية التى تعطيها دوافعه صورتها الحركية النشطة . وعليه فإننا نعتقد أن الباب ما زال مفتوحا أمام الدارسين والباحثين فى هذا الميدان .

ونعود الآن إلى النوع الأخير من الدراسات الذى اعتمد على الاختبارات الإسقاطية فى حساب درجات صحيحة وثابتة للدوافع منها دوافع التحصيل ودوافع الانتماء إلى الجماعة . ولو نظرنا إلى هذه الدراسات من الوجهة الظاهرية لوجدناها أكثر دلالة من التجارب التى أجريت على

الحيوان ولكن إلى أى درجه تثق — كمهتمين بالقياس فى علم النفس — فى صحة وثبات الدرجات المشتقة من الاختبارات الإسقاطية حتى للأغراض التى وضعت من أجلها هذه الاختبارات ناهيك عن الاجتهاد واستخدامها فى أغراض أخرى مثل قياس الدوافع أو قياس الذكاء كما حدث فى بعض الدراسات الأخرى والتى لم نستعرضها فى مجال مناقشتنا .

لهذا كله نرى أن عملية القيـاس فى ميدان الدوافع يجب أن تأخذ فى اعتبارها النقاط الأساسية التالية :

(ا) تصميم التجربة : يجب أن يكون التصميم دقيقاً مستوفياً لشروط التجربة العلمية الصحيحة من ناحية تثبيت وتنشيط المتغيرات والحالة الكلية للكائن الحى (حيوانا كان أم إنساناً) وعلاقة الدوافع ببعضها البعض وتفاعلها مع غيرها من الديناميات الداخلية أو الخارجية بالنسبـة للفرد مثل القيم أو المعايير أو الضغوط الاجتماعية بأنواعها المختلفة .

(ب) وحدات القياس : يجب اختيار الوحدات المناسبة لقياس الدوافع وهذا أمر لم تتعرض له أى دراسة من الدراسات التى استعرضناها فهل هى وحدات طاقة أم وحدات فعل أم وحدات طاقة أو فعل منسوبة إلى الزمن أو المسافة ؟ أم هى غير ذلك . ولكن لا يمكن لنا أن نعتبر عدد المحاولات أو تكرار المحاولات التى بذلها الفأر لتخطى العائق هى وحدات لقياس الدافع على أى صورة من الصور وبالتالى فإن مشكلة وحدات قياس الدافع مشكلة لم تحل حتى الآن على الصورة التى يمكن أن نرضى بهـا إذا كنا نبحث عن الأسلوب العلمى الدقيق فى القياس .

(حـ) الأسلوب الإحصائى المناسب : وهذه أيضا من أهم النقاط التى يجب أن نأخذها فى الاعتبار عند قياس الدوافع فمما هو ملاحظ وخاصة فى تجارب لوول وشيبلى وفيروف أنهم جميعاً استخدموا الأسلوب البارامترى فى الإحصاء

فنجد أن الباحثين الأخـــيرين (شيبلى وفيروف) قد قاما بحساب الدلالة الإحصائيـــة للفرق بين المتوسطات باستخدام الإحصاء (الذى يعتمد على الانحراف المعيارى للفرق بين المتوسطات) وهذا إحصاء بارامترى . بينما كان الأصح فى هذه الحالة حيث أن الدرجات المشتقة من تحليل القصص الوهمية سواء لقياس دافع التحصيل أو دافع التعاطف مع الجماعة والانتماء إليها هى درجات لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نتأكد أنها ذات صفة مستمرة تسمح باستخدام الإحصاء البارامترى — كان الأصح فى هذه الحالة استخدام الإحصاء اللابامترى المناسب وهو اختبار (مان — ويتنى) الذى يناظر اختبار ت فى الإحصاء البارامترى .

ولذلك فإن طريقة المعالجة الإحصائية للنتائج ذات أهمية بالغة فى اتخاذ القرار الخاص باتجاه النتائج ومن ثم تفسيرها وبناء الاستنتاجات النظرية عليها .

المراجع :

١ — عبد العزيز القوصى : عـــلم النفس أسسه وتطبيقاته — دار النهضة المصرية — القاهرة ١٩٥٢
٢ — : أسس الصحة النفسية — دار النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٨
٣ — فؤاد البهى السيد : علم النفس الاجتماعى — دار الفكر العربى — ١٩٥٥
٤ — يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام — ١٩٤٨
٥ — مصطفى فهمى : الدوافع النفسية ١٩٥٣
٦ — أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى ١٩٥٣

7 — Stagner, R, Psychology of personality, McGraw Hill 1961.

8 — Woodworth R, and Marquis, D, psychology 1968, U.P.

9 — Teevan, R, and Birney, R, Theories of motivation in personality and social Psychology, Insighf Book, 1964.

10 — Allport, G. The functional autonomy of motives, (above referener.)

11 — Murray. H.; Facts which Support the concept of need and Drive, (see ref. 9).

12 — Atkinson, I. Explorations using imaginatine Thought ...) 1954, U. Neb. Press.

13 — Brown, S, Probllms presented by the concept of acquired drivcs, 1953, U. Neb. Press.

14 — Harlow, H., Motivation as a factor in new resporeses, 1953, U. Neb. Press.

15 — Glickman, S, and Milner, P, the neurological basis of motivation insisrt Book, 1969.

16 — Hebb, D.O., Drives and the C.N.S. (see above reference.)

17 — Holst and Paul, on the functional orgarization of drives (see above).

18 — Birney R, and Teevan, R, Measuring Human motivation, Ins. Book 1962.

19 — Mc. Clelland, D, Measuring Motivation in phanfasy (above).

20 — Shipley, T, and Veroff, a projective measure of need for affiliation. (above reference).

الفصل الثالث

• الشَخصيَّة وَسُلوك الإنسَان

من الدرسات فى ميدان علم النفس ما يلفت النظر ويجتذب انتباه الإنسان وخاصة تلك الدراسات التى تدفع به إلى أن يفكر فى أعماقه أو أحلامه أو أوهامه .

ولكن ما يدفع الانسان ليس فقط إلى الانتباه أو الاهتمام بل إلى التفكير العميق تلك الدراسات التى تختص بالشخصية الإنسانية لأن فى هذه الدراسات ما هو ممتع مثير للانتباه ومنها ما هو مهم ذو دلالة علمية تستدعى التمعن والتفكير .

ودراسة الشخصية الإنسانية دراسة قديمة قدم النوع الإنسانى . لأن الفرد الإنسان بطبيعته يهتم بالأفراد الآخرين وخاصة من بنى جنسه فينظر إلى ما يبـــدو على وجوه الآخرين من انفعالات وانطباعات ويهتم بما يميز سلوكهم وتصرفاتهم فى المواقف المختلفة وهو فى ذلك يقوم دائما بعملية وزن وتقييم لهذه الانفعالات والانطباعات وأنماط السلوك ومن ثم يصدر حكمه على هؤلاء الآخرين . ويتخذ هذا الحكم دائما صورة عملية فإما أن يرضى عن هذا الفرد ويرتاح إليه أو أنه ينفر منه وينصرف عنه ويكون تعليق الفرد فى أى من الحالتين تعليقا يلقى ضوءا على أن هناك مفهوم لدى الفرد الإنسان يسمى بالشخصية الإنسانية .

وأصبح من الضرورى — مع تراكم الحضارة الإنسانية أو التراث العلمى الإنسانى — أن يكون هناك نوع ما من النظرية يعالج هذا المفهوم الذى ارتبط بتفاعل الفرد الإنسان مع الأفراد الآخرين تفاعلا قد يكون ناجحا وقد يكون غير ذلك .

ويمكن لنا أن نقول أن مثل هذه النظرية لا بد أيضا وأن تكون قد بدأت مع بداية تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض وعندما أراد كل من هؤلاء أن يحدث أو يستنتج تعميما يساعده على تفسير سلوك الآخرين أو حتى التنبؤ به فى المواقف الاجتماعية المتباينة .

وبناء على ذلك انصرف اهتمام الباحثين — إلى جانب اهتمامهم بسلوك الإنسان — إلى إيجاد ذلك التعميم الشامل الدقيق الذى يعطى الفرصة والإمكانية لتفسير سلوك الإنسان والتنبؤ به إذا أمكن ذلك .

ولذلك فإن النظرية فى ميدان دراسة الشخصية — شأنها شأن أى ميدان إنسانى آخر — هى من نتاج الفكر الإنسانى ومن حصيلة خبرته وتجاربه مع كل عناصر بيئته الخارجية سواء ما كان منها ماديا أو معنويا أو غير ذلك من الضغوط والمؤثرات التى تملأ المتسع النفسى الاجتماعى للفرد الإنسان . وذلك يتمثل فى قول « كانت » أن الخبرة أو التجربة بلا نظرية هى تجربة عمياء وأن النظرية بلا تجربة أو خبرة هى نظرية عرجاء .

وهذا صحيح حيث أن دراسة الانسان لشخصية الإنسان لا بد وأن تقوم على كلا العاملين ألا وهما التجربة والنظرية . ولكن وكما يحدث دائما نجد أن أحد العاملين قد تغلب على الآخر فى دراسة من الدراسات أو فى مذهب من المذاهب فأصبح هذا مذهبا تجريبيا أو تغلب عليه الصبغة التجريبية وأصبح ذلك مذهبا نظريا أى تغلب عليه الصبغة النظرية . وكما يحدث أيضا بالضرورة أن يتفرع كل من هذين المذهبين إلى عدد من المدارس والشعب فتتنوع الدراسات وتنمو نتيجة اختلاف المذاهب والمدارس وكذلك نتيجة محاولة مدارس ومذاهب « الحل الوسط » أن تخلق منهجا مقارنا يمكن أن تتفادى فيه نقاط الضعف عند كلا الجانبين .

وليس من غير المتوقع أن تستقر أسس جميع المدارس والشعب والمذاهب بما فى ذلك مذاهب « الحل الوسط » ويقوم أصحاب كل اتجاه ببلورة أفكارهم

وخلاصة تجاربهم وخبراتهم بحيث يصبح فى الإمكان بناء على هذا التنظيم أن نفسر ماهية الشخصية الإنسانية وأن نتنبأ بسلوك الفرد عند تفاعله مع عناصر بيئته.

ومعنى ذلك أن أصحاب كل مدرسة أصبحوا أصحاب نظرية من نظريات الشخصية، وبناء عليه فسوف تصبح هذه النظرية تجريبية حيوية وتلك تجريبية إجتماعية إلى آخر ما يمكن أن تتشعب إليه فكرة الإنسان عن شخصية الإنسان.

وفى جميع الأحوال تبدأ دائماً النظرية وخاصة فى العلوم الإنسانية بتحديد المفاهيم والمدركات التى تكون الهيكل الأساسى للنظرية. وجميع هذه النظريات تناول عددا محدودا من المصطلحات ولكن ربما اختلفت المفاهيم والمدركات المتعلقة بهذه المصطلحات من نظرية إلى أخرى بحيث يصبح من المفيد أن نناقش هذه المصطلحات قبل أن ندخل إلى دراسة نظريات الشخصية بهدف الربط بين شخصية الإنسان وسلوكه.

وأهم هذه المصطلحات وأشملها جميعاً هو ذلك المصطلح الذى درات حوله جميع هذه الدراسات والنظريات وهو مصطلح الشخصية.

أولاً - مفهوم الشخصية الإنسانية:

ليس من الجديد على القارىء أن نقول أن الأصل فى كلمة Personality والتى تعنى الشخصية هو الكلمة اللاتينية القديمة Persona ومعناها «القناع» ذلك الشيء الذى كان يرتديه الممثلون على خشبة المسرح على وجوههم أو بقية جسمهم ليعطى كل منهم الانطباع الخاص به للمتفرجين.

وبعد ذلك أطلقت نفس الكلمة Persona على لابسى الأقنعة أنفسهم أو الممثلين. وذلك من قبيل الاختصار أو للدلالة على دور كل منهم الذى بطبيعة

الحال يشمل سلوك الممثل فى الموقف التمثيلى (من الطريف أن فى مصر حتى بداية الأربعينات كان يطلق العامة على الممثل لفظ المشخصاتى) .

ويقول ألبورت (١٩٣٧) أنه قد وجد حوالى خمسين تعريفا مختلفا لتحديد معنى الكلمة Persona الأمر الذى يجعل الموضوع ليس سهلا يسيرا كما تصورناه للوهلة الأولى . كما أن مناقشة هذه التعريفات الخمسين ليس محله كتاب فى دراسة السلوك الانسانى وقياسه .

وعلى ذلك فسوف نهتم فقط بتعريف كلمة الشخصية Personality بهدف تحديد معناها تمهيدا لربطها بسلوك الانسان .

هناك عدة معانى ترتبط بكلمة الشخصية من الناحية اللغوية أو التفسيرية (فاولر و دريفر) نوردها كما يلى :

١ — الشخصية هى الصفة والخلق وحقيقة وجود الإنسان متميزا عن الأشياء الأخرى .

٢ — الشخصية هى جميع الصفات والخصائص التى تجعل الفرد كما هو وتميزه عن الأفراد الآخرين .

٣ — الشخصية هى التجميع النهائى — أو المحصلة العامة — لكل الدوافع والعادات والاهتمامات والميول والإحساسات والمثل والآراء والمعتقدات سواء كانت موروثة أو مكتسبة وكما تنعكس على سلوك الانسان وتفاعله فى بيئته .

نرى من هذه المعانى القاموسية — حيث أن المعنى الأول والثانى من قاموس أوكسفورد والمعنى الثالث من قاموس مصطلحات علم النفس — نرى من هذه المعانى أن كلمة الشخصية لا يمكن أن توجد فى فراغ . أى أنه لا يمكن لنا أن نتكلم عن شخصية إنسان بلا بيئة إنسانية أو مادية أو معنوية . حيث أن كلمة الشخصية وجدت لتميز الانسان عن غيره سواء من الأشياء أو

الأفراد . أو بمعنى آخر فإننا نجد أن شخصية الفرد بهذا المعنى تميزه بكيانه وتميزه عن غيره .

نرى من هذه المعانى أيضا أن الشخصية الانسانية لايمكن أن توجد على مستوى الحس كما توجد بقية الماديات التى نراها ونلمسها ونستمع إلى وقعها ولكنها توجد على مستوى التجريد لأنها انعكاسات جميع المكونات السابق الإشارة إليها على مواقف تفاعل الفرد مع بيئته الخارجية .

ونرى من هذه المعانى ثالثا أن هناك عملية خاصة ذات طابع دينامى تؤدى إلى تكوين شخصية الفرد حيث أن الشخصية — كما يشير المعنى الثالث — هى تجميع الدوافع والعادات والاتجاهات والمعتقدات ... الخ .

ولكن هل هذا التجميع يتم بالإضافة أى عن طريق تراكم الدوافع والعادات والاتجاهات والمعتقدات بعضها فوق بعض كوحدات مستقلة كل بذاتها وخصائصها ؟

أم أن هذا التجميع يتم بالتفاعل والنمو أى عن طريق التأثير المتبادل بين هذه المكونات جميعاً بحيث يؤدى هذا التفاعل أو التأثير المتبادل إلى نمو نتاج جديد هو ما يمكن تسميته بالشخصية الانسانية ؟

أعتقد أن الاحتمال الثانى أكثر اقترابا من الصحة والدقة العلمية لأن شخصية الفرد الانسان لا تنمو بإضافة الخبرات بعضها فوق بعض إضافة تراكية ولكنها تنمو عن طريق تفاعل هذه الخبرات مع بعضها البعض لتخلق شيئا جديدا يختلف فى صفاته وأنشطته عن هذه الخبرات .

هذه هى النقاط الثلاثة التى يمكن لنا أن نستشفها من المعانى السابقة والتى سوف تكون تمهيدا وبداية لمناقشة تعريفات الشخصية الانسانية .

يقول ألبورت (١٩٣٧) أنه لابد من أن نهتم بالمعانى الاجتماعية

والحيوية والنفسية التى تتعلق بمفهوم الشخصية حيث نجد أن المشتغلين بعلم الاجتماع — وخاصة الأنتروبولوجيا الثقافية والاجتماعية — يقولون كما يقول يوبانك أن الشخصية الإنسانية هى دالة أو نتاج المجموعة التى ينتمى إليها الفرد . وبمعنى آخر « الفرد — بتكوينه الشخصى — هو الحصيلة النهائية للمجموعة الإنسانية » .

أو كما يقول فاريس « أن شخصية الفرد هى الجانب الذاتى من الحضارة الانسانية » أو كما يقول بيرجس « أن الشخصية هى تكامل خصائص الفرد التى تحدد دوره ومكانته فى المجموعة التى ينتمى إليها » .

وهنا يجب أن نتوقف قليلا أمام هذا النوع من التعريفات التى أوردها ألبورت لنرى أنها تؤكد تأثيرا متبادلا بين الفرد والجماعة ولكنها تعطى الوزن الأكبر للجماعة ومقوماتها الحضارية والثقافية حيث ترى دائماً أن الفرد هو نتاج الجماعة وحصيلة ثقافتها وحضارتها وبالتالى فإنه ربما نستطيع أن نقفز إلى استنتاج يقول أن دور الفرد فى بناء شخصيته دور سلبى حيث لن يكون هناك جانب فطرى أو غرزى من الدوافع والقدرات ليقوم بدوره فى عملية البناء . ونمضى أكثر فى ما يترتب على هذا الاستنتاج ونقول أنه طالما أن شخصية الفرد هى نتاج ثقافة الجماعة أو الجانب الذاتى من حضارتها فإن هذه الجماعة أو تلك يمكنها أن « تصك » ما تشاء من الأنماط التى ترغب فيها وتريدها وبذلك يتكون المجتمع المثالى من وجهة نظر الحضارة السائدة .

ولكن من المعتقد — وكما سبق أن قدمنا — أن وجهة النظر الاجتماعية المحضة أرادت أن تؤكد قوانين علم الاجتماع وأن توضح الآثار الحضارية والثقافية منعكسة على الفرد كعنصر من عناصر الموقف الاجتماعى . وربما أكدت المناقشة التالية هذا التفسير لموقف علم الاجتماع من معنى الشخصية الإنسانية ومفهومها .

فيقول « شبتسر » فى مقدمة مقالة شيقة عن « الشخصية الانسانية والبناء

الاجتماعى، اشترك فى كتابتها بارسونز وليفنسون وريزمان. يقول «شبتسر» إن العلاقة بين الشخصية والبناء الاجتماعى يمكن أن تعالج من عدة زوايا فيمكن أن يقال إن الشخصية من نواتج البناء الاجتماعى للجماعة. كما يمكن أن يقال أيضاً أن البناء الاجتماعى هو ناتج عن تفاعل الخصائص الشخصية لأفراد هذه الجماعة. وعلى ذلك فإن التصور الأول وهو أن الشخصية نتاج البناء الاجتماعى يثير عددا من المسائل أهمها كيف يتسنى للمؤسسات الاجتماعية والثقافية للجماعة أن تنقل إلى الفرد القيم والاتجاهات والتقاليد والأنماط الفكرية والحضارية وكيف يتسنى لها بناء على ذلك أن تحدد الطريقة التى تنمو بها شخصية الفرد وتتكامل ثم كيف يمكن لهذه المؤسسات أن تبذل الضغوط الاجتماعية المختلفة المتباينة لتشجيع سلوك الفرد أو قمعه وإبطاله.

أما التصور الثانى وهو أن البناء الاجتماعى نتاج تفاعل الخصائص الشخصية لأفراد الجماعة. فإنه ولا بد أيضاً يثير عددا من المسائل والاستفسارات أهمها كيف يمكن لهذه الخصائص الشخصية أن تتفاعل وتسهم فى الحفاظ على النظام الاجتماعى للجماعة ببنائه ووظيفته وكيف لها أيضا — أى الشخصية — أن تحدد سمات وخصائص المؤسسات الاجتماعية والثقافية التى تشكل حضارة الجماعة.

وهناك زاوية ثالثة يمكن أن ننظر منها إلى العلاقة بين الشخصية الانسانية والبناء الاجتماعى للجماعة. وهى أن هذه الشخصية وهذا البناء الاجتماعى وهذه الحضارة جميعها تكون نظاما اجتماعيا مستقلا عن هذه المتغيرات الثلاثة. وهذه نظرة جديدة نوعا ما حيث يقول سوروكين إن عمل علم الاجتماع أن يدرس الظواهر الناجمة عن أنماط الحضارة والبناء الاجتماعى والشخصية الإنسانية — وهو يسمى هذه الظواهر بالظواهر فوق العضوية Superorganic — إذ أن هذه العناصر الثلاثة تكون كلا لا ينفصم ولا ينقسم ولا يمكن أن ندرس أحدها مستقلا عن العنصرين الآخرين حيث أن كلا

من هذه العناصر الثلاثة لا يمكن أن يوجد إلا بوجود العنصرين الآخرين كما أن كلا منها يعكس خصائص الآخر ومميزاته .

ولتفسير ذلك يقول سوروكين أن الشخصية هى التنظيم العقلى والسلوكى للأفراد . والمجتمع هو حصيلة تفاعل شخصية الفرد مع العمليات الحضارية والاجتماعية . والحضارة هى حصيلة المعانى والقيم والمعايير والاتجاهات التى يمتلكها الفرد فى حالة تفاعله مع الآخرين كما أنها حصيلة الوسائل التى تصوغ وتطوع وتحمل هذه المعانى والقيم والمعايير والاتجاهات .

ونجد بارسوتز كذلك يؤكد مذهب سوروكين هذا . فيقول إن هناك ثلاثة تنظيمات من الوجهة النظرية هى التنظيم الحضارى والتنظيم الاجتماعى وتنظيم الشخصية الانسانية .

وبناء على ذلك فإن سلوك الإنسان لا يمكن فهمه وتفسيره إلا عن طريق فهم التفاعل بين هذه التنظيمات الثلاثة : فتنظيم الشخصية مسئول عن الدافعية التى تحدد وجهة النزوع والعمل . والتنظيم الحضارى مسئول عن تحديد القيم والمعانى التى تتعلق بما يتفاعل معه الفرد من عناصر بيئية . وأما التنظيم الاجتماعى فهو مسئول عن إعداد المواقف والأجواء الاجتماعية التى يتم فيها تفاعل الفرد مع عناصر البيئة .

وواضح من هذا أن هذه التنظيمات الثلاثة لا يمكن فصلها عن بعضها البعض على أية صورة من الصور .

وهناك زاوية رابعة ينظر منها الاجتماعيون إلى العلاقة القائمة بين الشخصية الانسانية والبناء الاجتماعى للجماعة وهى تتركز على أن الشخصية بعواملها ومقوماتها وخصائصها يمكن أن تستخدم من أجل التنبؤ بصياغة المواقف الاجتماعية عموما . فيقول روزنبرج أن هناك علاقة أكيدة — وذلك بناء على دراسة تجريبية — بين اختيار المهنة وبين خصائص

الشخصية حيث وجد أن هناك اختلاف واضح فى اختيار المهنة بين الأفراد ذوى الميول التسلطية والآخرين ذوى ميول الخضوع أو الانسحابية كما أنه يرجع هذه الاختلافات فى اختيار المهنة إلى الفروق فى هذه الصفات الشخصية .

ويقول كوزر أيضا أن شخصية الانسان هى التى تحدد استجاباته بالنسبة للمؤسسات الاجتماعية والثقافية ويشاطره فى هذا الرأى كل من شتيرن وشتاين وبلوم .

وأخيرا فإن استعراض هذه الزوايا الأربعة لدراسة العلاقة بين الشخصية والبناء الاجتماعى كان ضروريا من أجل توضيح موقف تعريفات الشخصية التى تغلب عليها الصفة الاجتماعية .

وهناك نوع ثان من التعريفات يتكلم عنه أليورت وهو الذى يشمل التعريفات الحيوية الاجتماعية Biosocial أى تلك التعريفات التى تتصل بالمظهر الخارجى للإنسان وعلاقته بالبيئة الاجتماعية التى يعيش فيها .

وهذا النحو أقرب ما يكون إلى المعنى الأصلى فى اشتقاق كلمة Personality (Persona) حيث كان المظهر الخارجى للممثل - بناء على نوع القناع الذى يلبسه - هو الذى يحدد استجابة المتفرجين نحوه من حيث الدرجة أو النوعية . ولذلك نجد أن (ماى) يقول أن الشخصية الانسانية هى فى أصلها « مثير اجتماعى » عليه يترتب نوع ودرجة استجابة الأفراد الآخرين لهذا الفرد .

وبطبيعة الحال فإن معنى المثير الاجتماعى فى هذه الحالة لا يشمل فقط المنحى السلوكى فحسب بل يشمل أيضاً المظهر المورفولوجى للإنسان بالإضافة إلى العمليات البيولوجية التى تتصل بجسم الفرد .

والمعنى الضمنى لهذا النوع من التعريفات أن شخصية الفرد (المثير الاجتماعى) لا يمكن أن يوجد إلا فى حالة وجود أفراد آخرين إذ أنهم ذوى

الاستجابات التى سوف تترتب على ذلك المثير الاجتماعى . إذ أنه لايمكن لمثير أن يوجد - بوظيفته كمثير - إلا فى حالة وجود الاستجابة . وربما كان من الأفضل أن نتعرض فى شىء من الإيجاز للعلاقة بين الشخصية كمدرك ومفهوم وبين تلك المتغيرات الاجتماعية البيولوجية التى يمكن أن تحدد هذا المفهوم .

فما هو واضح من هذا المنحى فى تعريف الشخصية أنها فى الأصل مثير اجتماعى بسببه تحدث استجابات عديدة مصدرها أفراد الجماعة التى ينتمى إليها الفرد وقد تكون هذه الاستجابات موجبة أى بنوعية ودرجة يرضى عنها الفرد وتشبع حاجاته وقد تكون هذه الاستجابات سالبة أى على عكس ذلك .

من هذا نستطيع أن نقفز أيضا إلى عدة استنتاجات أولها وأهمها أن شخصية الفرد أو ذلك المثير الاجتماعى هو عبارة عن أثر الفرد على الجماعة أو بمعنى أكثر تفصيلا هو محصلة هذه الآثار جميعا . ويمكن لنا أن نستطرد فى الاستنتاج فنقول إن استجابات الأفراد نحو فرد آخر هى فى مجموعها التى تصنع شخصية ذلك الفرد . ويترتب على ذلك أن الشخصية الإنسانية لا يمكن أن توجد إلا فى مجموعة وهذا ما يقوله (ماى) ويؤكده غيره من أصحاب هذا الرأى .

أما من الناحية البيولوجية فالمقصود بها الصفات الحيوية للفرد كمظهره الخارجى وتقاطيع وجهه وقسماته وما يكمن خلف هذه الصفات من عمليات خاصة بالتطور والنمو .

والنوع الثالث من تعريفات الشخصية - وهو قريب نوعا ما من النوع السابق - هو ما يخص التركيب الطبيعى للفرد فقط أو أبعاده الجسمانية مثل الطول أو القصر وخواص جسمه المختلفة بما فى ذلك شكل الأيدى

أو الأقدام والجمجمة وغير ذلك من المتغيرات التى اتخذت أساسا لتفسيرات أصحاب (علم الفراسة) .

وهذا النوع من التعريفات لم يستطع أن يعمر طويلا وذلك بسبب نمو الحركة الفكرية والعلمية فى جميع نواحى المعرفة وليس فى ميدان علم نفس الشخصية فقط . فقد كان الزعم السائد بناء على هذا النوع من التعريفات أن الأبعاد الجسمية والشكلية فقط هى التى تحدد سلوك الإنسان وبالتالى تكون النمط الخاص بشخصيته ولكن عندما نشطت الحركة العلمية وبالذات فيما يختص بالتقدير والقياس فى ميدان القدرات لم يعد لهذا الزعم أى سند علمى يدعو إلى استمراره ومن ثم إلى مناقشته .

وهناك نوع رابع من التعريفات وهو ما يؤكد « وحدانية » الشخصية الانسانية حيث أن الأساس فى هذه التعريفات هو أنه لا يمكن أن يوجد فردان لهما نفس الخصائص الشخصية . وهذا النوع من التعريفات صورة متطرفة لفكرة الفروق الفردية فى علم النفس حيث يؤمن أصحاب هذا المنحى أن كل فرد أصل فى ذاته ولا يمكن أن يتكرر وعليه فإن شخصيته بجميع خصائصها وملامحها لا يمكن أن تتكرر وبالتالى يصبح تعريف الشخصية فى نظرهم أنها ذلك الشىء الذى يعطى للفرد صفات التميز بالفردية على الإطلاق .

والنوع الخامس من التعريفات هو نوع تكاملى أى يعتقد أصحاب هذه التعريفات أن شخصية الانسان هى نتاج تنظيم وتكامل العوامل العديدة التى تتكون منها حياة الفرد بأبعادها المختلفة . فيقول ماكاردى أن هناك تنظيم تكاملى خاص للأبعاد العامة فى حياة الانسان بحيث يعطى هذا التنظيم الكل المتكامل الذى نسميه الشخصية الانسانية .

ونوع سادس من تعريفات الشخصية ينظر إليها من خلال عملية

الانضباط والتكيف لمواقف الحياة . حيث يؤمن أصحاب هذه التعريفات بكلية الكائن الحى عندما يتفاعل مع عناصر بيئته فيقول كيمف « أن شخصية الانسان هى تكامل وتنظيم عاداته وأنماط سلوكه حتى يتكيف وينضبط بالنسبة لبيئته الخارجية » .

وعلى ذلك فإن مفهوم الشخصية الانسانية يتحدد بالقدرة على التكيف والانضباط بالنسبة لمشاكل البيئة وما فيها من قيم ومعايير وضغوط اجتماعية يشعر بها الفرد فيعدل من سلوكه من أجل التكيف معها .

ونوع سابع من التعريفات وهو النوع التفاضلى الذى يرى أن هناك صبغة خاصة تميز شخصية الفرد بحيث يمكن تعريفها بناء على هذه الصفة الغالبة فهذه شخصية انفعالية وتلك شخصية متسلطة وهكذا . وأصحاب هذا المنحى يقتربون من أصحاب مذهب الأنماط فى تفسير الشخصية الانسانية .

وأخيراً فإن هذه الأنواع السبعة من تعريفات الشخصية هى الأنواع الغالبة والتى أوردها ألبورت ويشوف فى دراساتهما عن الشخصية .

ولكن — كما سبق أن أشرنا — لابد وأن تقدم مدارس « الحل الوسط » الإسهام الكثير فى ميدان تعريف الشخصية وذلك لتعدد المناحى والمذاهب .

فنجد أن « ألبورت » نفسه يعرف الشخصية على أنها ذلك التنظيم الدينامى داخل الفرد وقوامه النواحى النفسية والجسمية الذى يحدد الطريقة التى يتكيف بها الفرد مع عناصر بيئته » .

وأما « كاتل » فيكتفى بالمختصر المفيد ويرى « أن شخصية الإنسان هى ذلك الشىء الذى يمكننا من أن نتنبأ بسلوكه فى موقف معين » .

ونجد آيزنك يعطى تعريفا أكثر عمقا وتجريداً فيقول أن « شخصية الانسان هى المحصلة العامة لسلوك الطاقة والفعل للإنسان كما تحدده عوامل

الوراثة وعناصر البيئة . حيث تنمو وتتكامل — أى هذه المحصلة — من خلال التفاعل الوظيفى الذى يحدث بين أربعة قطاعات هامة تنظم سلوك الفرد وهى القطاع المعرفى والقطاع الفسيولوجى والقطاع العاطفى والقطاع النزوعى».

وعليه فإنا نجد أن مدارس « الحل الوسط » قد نجحت فى إعطاء تعريف شامل يؤمن بأن شخصية الانسان هى ما ينمو ويتكون ويتكامل من خلال تفاعل الكائن الحى بجميع خصائصه البيولوجية والنفسية والعقلية مع بيئة تتصف بالدينامية والتطور والتغير المستمر .

فى نهاية هذه الفقرات التى تعرضنا فيها لتعريفات الشخصية لابد وأن نشير إلى مصطلح آخر سوف يتردد كثيراً فى الجزء الخاص بقياس الشخصية الانسانية وهو مصطلح السمة trait .

فالسمة الشخصية تعنى خاصة من الخصائص يختلف فيها الناس كل عن الآخر بدرجة ما . فالطول سمة والوزن سمة والانفعال سمة والسيطرة سمة وهكذا . ونلاحظ أن من هذه الخصائص ما هو موضوعى ظاهر مثل الطول والوزن ومنها ما هو خفى باطن مثل ما يؤكده أصحاب مدرسة التحليل النفسى عندما يتكلمون عن الجانب (الباطن) من شخصية الإنسان .

وأما ما نقصده بالسمة الشخصية مثل الانفعال أو السيطرة فهى سمات بين هذه وتلك . بين السمات الموضوعية الظاهرة وبين السمات الخفية الباطنة .

ويرى ألبورت أن السمة الشخصية لها وظيفة (توضيحية) أى تدل على مضمون خاص فى البناء النفسى للفرد . بينما يرى ستاجنر أن السمة الشخصية (وصفية) أى أن هذه السمة أو تلك إنما تصف تجمعاً معيناً من أنماط سلوك الإنسان .

وأما كاتل فإنه يميز بين نوعين من السمات أو الخصائص هما :

(ا) السمة السطحية أو الظاهرية Surface trait .

(ب) السمات الأصيلة أو المصدرية Source trait .

ثانياً - تفسير الشخصية الإنسانية:

قبل أن نبدأ فى هذا الجزء الهام من هذا الفصل نرى أنه من الضرورى أن نقف لمدة عدة سطور عند علاقة شخصية الفرد بسلوكه. فإن معالجة مثل هذه النقطة سوف تكون معالجة منطقية أكثر منها أى شىء آخر.

فلو نظرنا إلى التعريفات السابق الإشارة إليها نجدها. وقد اتفقت جميعاً على أن شخصية الفرد لها صلة بسلوكه ولكن نقطة الخلاف يمكن أن تكون كما نتصورها نحن كما يلى: هل شخصية الفرد هى التى تسبب سلوكه وتصرفه فى المواقف المختلفة أم أن شخصية الفرد هى مجموعة أنماط سلوك الفرد وتصرفاته؟

وبمعنى آخر هل خصائص الشخصية هى مولدات سلوك الفرد أم أن هذه الخصائص هى مجموعات من السلوك تتشابه وحداتها مع بعضها البعض.

وفى جميع الحالات فإنه لا يمكن إنكار الصلة بين الشخصية والسلوك.

وبناء على ذلك سوف نتناول تفسير الشخصية الإنسانية لا من وجهة نظر أصحاب النظريات والمدارس بصبغتها البحتة فقط ولكن سوف نهتم أيضا بتفسير الشخصية على أنها ذات علاقة بالسلوك التطبيقى للفرد فى المواقف الاجتماعية المختلفة.

١ - التفسير التكامل للشخصية الإنسانية:

هذا التفسير كما يبدو فى ظاهره سوف يتناول عملية التكامل الداخلى والخارجى بين جميع العوامل والمؤثرات التى تؤدى إلى وجود ذلك المفهوم الذى نسميه الشخصية.

ويتميز بين أصحاب هذا المذهب ثلاثة مدارس رئيسية هم مدارس كارل روجرز وجوردن ألبورت وجاردينر مورفى.

وتتركز فكرة روجرز عن الشخصية الانسانية حول « الذات » فنجد أنه فى محاولاته لتفسير الشخصية والسلوك يستخدم كثيرا من المصطلحات التى تتصل بمفهوم الذات سواء من ناحية الوصف والتركيب أو من ناحية الوظيفة. وهو فى هذه المحاولة يضع عددا من الأسس النظرية التى تساعد على ذلك وسوف نناقشها فيما يلى :

١ — يتعامل الانسان مع خبرات دائمة التطور والنمو وهو — أثناء هذا التعامل والتفاعل — محور تطور الخبرة ونموها . وذلك يدل على أن روجرز يرى أن الفرد الانسان هو محور الخبرات والتجارب وبالتالى فإن نموه ونمو هذه الخبرات مرتبط كل منهما بالآخر .

٢ — يتفاعل الكائن الحى مع عناصر الموقف بناء على الصورة التى يدركها عليها . وهنا نرى أن سلوك الكائن الحى وتفاعله فى الموقف الاجتماعى هو دالة عملية الإدراك أى يعتمد هذا السلوك وهذا التفاعل على كيفية إدراك الفرد لعناصر الموقف سواء كانت هذه العناصر مادية أو بشرية أو غير ذلك.

٣ — يتفاعل الكائن الحى مع بيئته ككل منظم متكامل . وهو فى ذلك ينمو أيضاً وتنمو شخصيته أو مفهوم شخصيته ككل متكامل منتظم .

٤ — سلوك الانسان فى الموقف هو عبارة عن ذلك النشاط الموجه إلى هدف معين من أجل إشباع حاجاته كما يفهمها ويدركها . وفى هذا أيضا يتضح أن صورة الحاجة أو الدافع تختلف من شخص إلى آخر حسب كيفية إدراك هذا الفرد أو ذلك لمعنى الحاجة والدافع وعليه فإن فى هذا تأكيد آخر لمركزية الفرد .

٥ — المدخل الرئيسى لفهم سلوك الانسان هو ذات الانسان . فما يراه البعض سلوكا عديم المعنى قد يراه الفرد فى حد ذاته سلوكا هادفا غرضيا يؤدى إلى تحقيق غاية بعينها .

٦ — تبنى ذات الفرد وتتكون نتيجة تفاعله مع البيئة الخارجية تفاعلا يؤدى إلى تقييم عناصر هذه البيئة وخاصة البشرية منها أو المشابهة للفرد .

ومن هذا يتضح — أن شخصية الفرد كما يدركها هو — تتكون نتيجة عمليات تفاعل شاملة مع جميع عناصر البيئة .

٧ — تتكون القيمة عند الانسان نتيجة الخبرة والتعامل مع الآخرين فينقل عنهم هذه القيمة أو تلك ولكنه يعيد صياغتها حسب مدركاته ومفاهيمه الخاصة بحيث تصبح القيمة كما لو كانت تكونت نتيجة الخبرة المباشرة للفرد .

٨ — يصنف الفرد تفاعله مع خبرات البيئة وعناصرها أنواعا ثلاثة :

(ا) تلك الخبرات التى لها علاقة بذاته كما يدركها هو وعليه فإنه ينظمها ويعطيها الرمز المناسب فى المتسع النفسى لخبراته وتجاربه .

(ب) تلك الخبرات التى لايدرك الفرد علاقتها بذاته وهذه يتجاهلها ولا يهتم بها .

(ج) تلك الخبرات التى يدرك الفرد أنها لا تتفق مع ذاته ويرفضها ويحاول إخراجها من متسعه النفسى .

٩ — بناء على المنطوق السابق فإن سلوك الفرد فى معظم المواقف الاجتماعية المختلفة لابد وأن يكون متناسقا مع مفهومه عن ذاته ومدركه لها .

١٠ — كل خبرة أو تجربة لا تتفق مع التنظيم العام لذات الانسان أو بنائها يميل الفرد إلى إدراكها على أنها خطر يهدد كيانه وتكامله وعليه فإنه يميل إلى مقاومتها من أجل الحفاظ على تكامله وكيانه . ولكن إذا أدرك هذا الفرد مثل هذه الخبرة على أنها ليست تهديدا لكيانه فإنه يميل إلى اختبارها ودراستها وربما يقبلها كبديل لخبرة أخرى فيعدل بذلك من مفهومه لذاته .

١١ — عندما يكون الفرد مفهوما ومدركا متناسقا عن ذاته وشخصيته فإنه

يكون من المحتمل جدا أن يكون عن غيره من الأفراد مفاهيم ومدركات سليمة وعليه فإنه يكون علاقات اجتماعية ناجحة .

١٢ — يكون الفرد اتجاهاً قوياً خاصا « بقيمة الذات » نتيجة قوى التفاعل بين الرغبات والمتطلبات التى تفرضها المواقف الاجتماعية على الفرد .

هذه هى بعض المنطوقات أو الأسس النظرية التى افترضها روجرز من أجل تفسير الشخصية الانسانية وجميعها كما يبدو واضحاً يؤكد ذات الانسان ومركزيتها . ويمكن تلخيص ذلك كما يلى :

(ا) أن الشخصية من وجهة نظر روجرز تنحو إلى الاستقلالية والتكامل من خلال ديناميات عملية الإدراك .

(ب) يرى روجرز أيضا أن التغير فى شخصية الفرد أو فى سلوكه لا يأتى فقط من خلال عملية التعلم ولكن يأتى أيضا عن طريق تعديل مفهوم الفرد لذاته .

(ج) من وجهة نظر روجرز أيضاً : أن الهدف الرئيسى لعملية تكامل الشخصية الانسانية هو تناسق الذات أو بمعنى أصح تكوين مدرك متناسق عنها .

وأخيراً يأتى دور تفسير سلوك الانسان من خلال هذه الأسس النظرية فيرى روجرز أن جميع أنماط السلوك الانسانى تنبع من إطار داخلى تحدده صورة الذات ومفهوم النفس .

وبناء على ذلك فإن محاولة التنبؤ بسلوك الفرد هى محاولة ذاتية بحتة فيقول روجرز أن العلم لا يكتشف ذاته ولا يحدد أهدافه وأغراضه ومحتواه ولكن الانسان بذاتيته هو الذى يفعل ذلك .

أما ألبورت وهو صاحب المدرسة الثانية فى هذا المذهب فإنه ينظر إلى شخصية الفرد كوحدة متكاملة متميزة عن الوحدات الأخرى (أو الشخصيات

الأخرى) وهذا التكامل الذى يؤدى — من وجهة نظره إلى التمايز — هو تكامل ليس فى نوعية العناصر أو السمات ولكنه فى الطريقة التى ترتبط بها هذه العناصر مع بعضها البعض أى أنه ليس التمايز فى نوعية العنصر ولكن فى وظيفة العنصر ووضعه النسبى باعتبار العناصر الأخرى .

وفى هذا أيضاً فإن ألبورت يرى أن التكامل والتمايز عمليتان مرتبطتان كل منهما بالأخرى ويحدثان نتيجة اتصال الفرد بعناصر بيئته الخارجية وتفاعله معها أى أنه لم يؤكد فى نظرته هذه الفكرة التى دارت حولها مفاهيم روجرز عن الشخصية وقوله بأن « مدرك الذات » هو محور تكوين الشخصية الانسانية ويأتى قبل أى شىء آخر ، وهنا نجد أن ألبورت — رغم أن نظرته تكاملية أيضا — إلا أنه يرى أن العمليات السلوكية الخارجية لها دور هام بجانب نمو مفهوم الذات عند الفرد فى تكوين شخصيته . ويعرف ألبورت الشخصية — كما سبق أن أشرنا — على أنها ذلك التنظيم الدينامى داخل الفرد وقوامه النواحى النفسية والجسمية والذى يحدد قدرته على التكيف مع بيئته .

فالتنظيم الدينامى عند ألبورت يعنى أن شخصية الفرد ليست مجرد مجموعة من الخصائص والمميزات ولكنها تفاعل منظم بين هذه الخصائص والمميزات بعضها البعض وهذا يؤكد معنى التكامل عند ألبورت .

وأما النواحى النفسية والجسمية — تلك التى يشير إليها ألبورت فى تعريفه — فإنها تعنى كلية الفرد بجميع خصائصه البيولوجية والجسمانية والنفسية إذ أن ألبورت يرى أنها عناصر ذلك التنظيم الدينامى ومقوماته وعليه فإن التفاعل فى هذا التنظيم الدينامى لن يشمل فقط الخصائص النفسية أو العقلية ولكنه سوف يحتوى أيضا الخصائص البيولوجية والفسيولوجية الأخرى .

واستكمالا لتوضيح تعريف ألبورت نجد أنه يشير إلى طريقة تكيف الفرد أو انضباط الفرد لعوامل البيئة على أنها « طريقة وحيدة » بمعنى أنه ليس كمثلها طريقة أخرى يقوم بها فرد آخر .

ولذلك فإن ألبورت يضمن آرائه عن الشخصية « معنى الوحدانية » أو التفرد وعدم التكرار أو التشابه .

وربما هذا يكون ما أشرنا إليه سابقاً من أن ألبورت يؤكد ارتباط عملية التكامل بعملية التمايز أو التميز بالفردية أو التفرد .

وتأكيدا لما ذهبنا إليه — فإن ألبورت يرى أيضا أن شخصية الانسان تتصف بثلاث خصائص رئيسية هى :

(ا) التحديد الوضعى : بمعنى الكيان المحدد الواضح الذى لا يختلط بكيانات أخرى ولا يتشابه معها ولا يشترك معها فى العناصر والمكونات .

(ب) الوحدانية : بمعنى التفرد والتمايز والاختلاف التام عن بقية الشخصيات الأخرى . فالشخصية فى نظر ألبورت لا تتكرر وكلها أصيل أى تنمو وتتكامل بالطريقة الخاصة بنظامها ووظيفتها .

(ج) التطابق الداخلى : أو تجانس نظام تفاعل العناصر الداخلة فى تكوين الشخصية بالصورة التى تعطى هذا التفاعل صفة الكلية والتكامل .

وهو فى هذه المفاهيم لا ينكر أبدا علاقة كل الشخصية بعناصر البيئة الخارجية وتفاعلها مع الفرد . ولذلك فإنه — أى ألبورت — لم يتطرف فى آرائه بالنسبة لشخصية الانسان فقد أعطى ألبورت أهمية كافية ومناسبة لكل ناحية يمكن أن يكون لها علاقة بتكوين شخصية الفرد ونموها وتكاملها. فأخذ فى حسابه العوامل البيولوجية والفسيولوجية وكذلك السمات النفسية والعقلية ثم عوامل البيئة بما فيها من عناصر ومتغيرات . فنجد أن نظرة ألبورت إلى الشخصية تقوم على عدة مبادىء ومفاهيم رئيسية لا يمكن لنا أن نتجاوزها دون مناقشة أو إشارة :

١ ـ مفهوم الدافعية :

ربما كان لهذا الموضوع إشارة سابقة فى الجزء الخاص بالدوافع الانسانية . ولكن فى هذا الموضع نرى أنه لا مانع من أن ننظر إليه نظرة أخرى . فيقول ألبورت أنه « ليس هناك موضوع أشد التصاقاً بدراسة الشخصية الانسانية من موضوع الدافعية » . لأن الدافعيـــة هى محور سلوك الفرد وتكيفه وانضباطه لبيئته الخارجية .

وينظر ألبورت إلى معنى الدافعية نظرة خاصة أهم أبعادها أن هناك خليطا من العوامل المختلفة المتباينة تؤدى إلى إحداث تلك الطاقة التى نسميها الدافعية ويرى كذلك أن شخصية الفرد هى الحصيلة النهائية — بصورة ما — لتنظيم وترتيب وتكامل هذه الدوافع ووسيلة إشباعها لإعادة الاتزان والاستقرار للكائن الحى بعد أن يتكيف مع بيئته وينضبط معها .

وبذلك يمكن أن نقول أن رأى ألبورت فى الدافعية يتلخص فى عدة نقاط هى :

(ا) أن الدوافع ذات طبيعة مرحلية (وذلك حسب فكرته عن الاستقلال الوظيفى لها) .

(ب) أنه يمكن أن يكون لدى الفرد دوافع مختلفة ومتباينة بحيث لا يؤدى هذا الاختلاف أو التباين إلى عدم التطابق الداخلى للشخصية الانسانية بقدر ما يؤدى وجود هذا الاختلاف إلى التفاعل الذى يقود بدوره إلى تكامل الشخصية وتمايزها .

(حـ) أنه بجانب الدوافع كطاقة وراء سلوك الفرد هناك قوى وضغوط معرفية أخرى ربما تعطى الفرصة لإحداث عملية التعلم .

(د) استكمالا لما سبق لا بد وأن تتميز الدوافع وتتفرد أى تختلف الدوافع من حيث التنظيم والدرجة من فرد إلى آخر . وذلك يتمشى مع فكرته عن تفرد الشخصية الانسانية .

ويفرق ألبورت بين النشاط والمشاركة كأنماط سلوكية ذات صلة بالدافعية . فيقول أن نشاط الفرد كسلوك لا يدل بالضرورة على دافعية عالية لحضور الطالب إلى الفصل الدراسى بانتظام نوع من النشاط قد يدل أو لا يدل على درجة عالية من الدافعية بينما نجد أن المشاركة فى الموقف التعليمى أو الاجتماعى لها دلالة أعلى بالنسبة لمستوى الدافعية .

ويشرح ألبورت المشاركة على أنها الدور الإيجابى الذى يلعبه الفرد فى كل موقف من مواقف حياته اليومية والمشاركة بهذه الصورة تدل على دافعية عالية وهى أيضا الطريق إلى نمو الشخصية الفردية وتكاملها وتمايزها عن غيرها.

ثم يفرق ألبورت أيضا بين مستويين من الدافعية : المستوى الأول هو الذى تندمج فيه الذات ويتمركز حولها ego-involved والمستوى الثانى ما كان غير ذلك أو بمعنى آخر مستوى الدافعية الروتينية routine . وهذا المستوى الروتينى يحدث نتيجة السلوك الذى يكافأ ويثاب مسبقا . فالعامل الذى يذهب إلى عمله يوميا من أجل كسب قوت أسرته فإنما يفعل ذلك بناء على دافع روتينى .

وحقيقة الأمر أن هذا المنحى الروتينى فى وصف الدافعية لا يتفق مع الرتبة الإنسانية من حيث النمو والتعلم وتعديل الأهداف بل قد يكون أكثر مناسبة للحيوانات الأقل رتبة من الإنسان . ثم أن هذا المنحى لا يتفق أبدا مع فكرة ألبورت نفسه عن خاصة الاستقلال الوظيفى للدافعية الأمر الذى سبق أن أشرنا إليه وسوف نشير إليه أيضا فيما بعد .

أما الدافعية التى تندمج فيها الذات فإنها تتكون طاقاتها بناء على درجة خاصة من الاحباط أو الفشل أو على الأقل الإحساس بعائق من نوع ما .

لذلك فإنه يمكن لنا أن نزعم أن مستوى طاقة الدافع يتناسب طرديا مع مستوى الإحساس بالإحباط ووجود العائق . وعليه فإن دوافع الفرد تنشط

وتعمل على درجة عالية من الكفاءة فى وجود العوائق — وهى عناصر فى البيئة الخارجية للفرد — ويترتب على ذلك نمو وتكامل الشخصية الانسانية. وهذا ما يفسر ما نذهب إليه من أن ألبورت لم يتطرف بل كان معتدلا بين صورة الذات كمصدر لشخصية الانسان وبين البيئة الخارجية على أنها ذلك المصدر فقط . فيقول ألبورت أن وحدات الدافعية هى من وحدات الشخصية الانسانية ولكن ليست كل وحدات الشخصية الانسانية وحدات دافعية .

ويميز ألبورت أيضاً بين الدوافع الطبيعية والدوافع الشاذة فدوافع الفرد المتزن انفعاليا تختلف عن دوافع الفرد القلق الذى يعانى من أى اضطرابات شخصية أو سلوكية . ويرى أنه طالما أن للدوافع صفة التطور والنمو بمعنى أن دوافع الطفل تختلف عن دوافع الفرد البالغ — فإنه ولا شك سوف يتعرض هذا التطور والنمو فى بعض الحالات لظروف غير طبيعية فإما أن يتعطل هذا النمو أو يتجه وجهه غير سليمة فينحرف وعلى ذلك تظهر الأعراض المرضية على الدوافع وتصبح شاذة أو غير طبيعية .

ويتكلم ألبورت أخيراً عن مرحلية الدوافع وعملية الاستقلال الوظيفى فيقول إن الدافعية فى أى فترة من فترات نمو الفرد وتفاعله مع بيئته لها أهداف وأغراض عندما تتحقق فتشبع هـــذه الدوافع تنتهى طاقتها أى طاقة هذه الدافعية لتحل محلها طاقة أخرى لدافع آخر وهكذا . مع ملاحظة أن هذه (المرحلية) مرتبطة بنمو الذات أو مدرك الذات عند الفرد سواء فى الحالة الطبيعية أى عند ذوى الشخصية السوية أو فى حالة الشذوذ أو المرض أى عند هؤلاء الذين يعانون من اضطراب شخصى أو سلوكى .

وعندما يطور ألبورت فكرة مرحلية الدوافع تتضح خاصية الاستقلال الوظيفى لها حيث يرى أن الدوافع الإنسانية تتخذ وظيفة خاصة فى كل مرحلة من مراحل نمر الفرد الانسان حيث تكون هذه الوظيفة ضرورة تمليها

ظروف البيئة ولكن بعد أن يشبع الدافع ويحقق وظيفته عن طريق نشاط خاص نجد أن هذا النوع من النشاط أصبح ثابتا نوعا ما .

فالعامل الذى يتقن عمله — فى مرحلة ما — من أجل الحصول على ترقية أعلى فإنه بعد الحصول على هذه الترقية تصبح خاصة إتقان العمل نمطا مميزا لسلوكه حتى بعد انتهاء طاقة الدافع إلى الترقية وحلول طاقة أخرى لدافع آخر محلها . ذلك يوضح خاصية الاستقلال الوظيفى للدوافع ويقول ألبورت أيضا أن سلوك الأم نحو طفلها فى حنو ورعاية يكون فى بدايته وظيفة ضرورية للعناية بحياة الطفل الذى يتحول بعد ذلك إلى نمط مميز لسلوك الأم .

ولكن يعود ألبورت ويقول أن هناك عدة دوافع وعمليات ليست لها صفة الاستقلال الوظيفى مثل الدوافع البيولوجية كالجوع والنوم والإخراج وبعض الأفعال المنعكسة والعادات وغيرها .

٢ ـ مفهوم التعلم :

يؤكد ألبورت أن التعلم عامل هام فى تطور ونمو الشخصية الإنسانية . فيرى أن عملية التعلم نتاج الدافعية التى تكون جزءا هاما من شخصية الفرد كما يرى أيضا أن التعلم علاقته متبادلة مع الدوافع فيؤثر فيها ويتأثر بها .

وربما كان موضوع كيفية نمو وتكامل الشخصية من المشاكل الهامة فى ميدان دراسة التعلم .

فالإنسان عن طريق تعلمه للمهارات والخبرات الاجتماعية يحقق ذاته وبالتالى شخصيته . وكذلك فإن الفرد يسعى دائما إلى تحقيق أهدافه وأغراضه — ومنها تحقيق الذات — وهو بين ذلك يضيف إلى خبرته ورصيد تعلمه ما يدفعه خطوة أخرى إلى الأمام فى سبيل تحقيق ما يريد . فكأن التعلم عند ألبورت هو أهم العوامل التى تؤدى إلى نمو شخصية الفرد .

ويقول ألبورت أن هذا النوع من التعلم يعتمد على العمليتين التقليدتين

وهما الإدراك وتكوين المعرفة . فيرى ألبورت أن الإدراك بداية عملية التعلم وخاصة عند تكوين مدرك الذات أو النفس ثم تكوين المدركات الخاصة بعناصر البيئة الخارجية . ثم يأتى دور تكوين المعرفة سواء معرفة خصائص الذات أو معرفة خواص العناصر التى تتكون منها البيئة الخارجية .

٣ ـ مفهوم التفرد أو «الوحدانية» :

يعتبر هذا المبدأ — مبدأ تفرد أو وحدانية الشخصية — حجر الزاوية فى نظرية ألبورت عن شخصية الإنسان . فهو يؤكد فى أكثر من مكان من كتاباته العديدة فى هذا الموضوع أن كل إنسان أصل فى ذاته ولا يمكن أن توجد شخصيتان لهما نفس السمات والخصائص من ناحية الدرجة والشدة وليس من ناحية النوع .

وتفسير ذلك أن هناك كثيراً من السمات تشترك فيها شخصيات البشر من ناحية النوع مثل التسلط والسيطرة والقدرة الاجتماعية والثبات الانفعالى وغير ذلك ولكن — من وجهة نظر ألبورت — لايمكن أن تشترك شخصيات البشر فى أى من هذه السمات من حيث الدرجة أو الشدة أى لايوجد شخصان لهما نفس الدرجة من الثبات الانفعالى أو التسلط والسيطرة .

وبناء على وجهة النظر هذه — فإنه من السهل علينا أن نستنتج أن منهج التجريب ونتائجه المترتبة عليه والمشتقة مما أجرى على الحيوانات من تجارب مثل الفئران (فى موضوع الدوافع) أو القردة وغيرها (فى موضوع التعلم) — من السهل أن نقول أن نتائج هذه التجارب لايمكن أن تنسحب على ما يناظرها فى ميدان الدراسة البشرية .

وبناء على وجهة النظر هذه أيضا — الخاصة بمبدأ التفرد — يرى ألبورت أن وحدات قياس الشخصية الإنسانية وحدات ذاتية أى تخص كل فرد على حدة ولايمكن تعميمها أو استخدامها فى تجريب جماعى وعليه فإن

مفاهيم الانحراف المعيارى والدرجات المئنية والدرجات التائية وغير ذلك ليست بذات وضوح خاص فى وصف الشخصية الانسانية .

وعلى ذلك فإن ألبورت يعتقد أن وصف الشخصية الإنسانية ممكن فقط عن طريق استخدام مفهوم السمة الذى يعطى الفرصة لوصف شخصيه الفرد عن طريق تجمعات وعلاقات السمات بعضها البعض ومع بعضها البعض . فكأن الأمر — كما سبق وأن أشرنا — يتلخص فى طريقة ربط وترتيب هذه السمات بأوضاعها النسبية : الصورة التى لايمكن أن تتكرر أبدا بل هى خاصه بفرد واحد فقط فى كل مرة .

ويعتقد ألبورت أيضا — ولكن من باب التحفظ — أنه يمكن أن يوجد تشابه بين شخصيتين حيث يمكن إرجاع هذا التشابه أو التماثل إلى متغيرات النوع والثقافة ومراحل النمو والتطور .

وعلى العموم فإنه يجب أن يقال أن ألبورت فى نظريته عن الشخصية وفى مفهومه عن التفرد متأثر إلى حد كبير بالنظرية الجزيئية الخاصة بكيمياء المواد .

فالعناصر الكيميائية الموجودة فى الجسم الإنسان موجودة أيضا فى الجوامد والأجسام الأخرى ولكن التمايز والتفرد يأتى عن طريق تنظيم وارتباط جزيئات هذه العناصر الذى يختلف من حالة إلى حاله أخرى .

٤ ـ مفهوم السمة :

يعتبر ألبورت السمة وحدة صالحة لدراسة الشخصية الإنسانية وعلى ذلك فإنه ينظر إلى مفهوم السمة من عدة زوايا تساعد على تحديد هذا المفهوم :

(أ) السمة الشخصية نوع معقد من العادات — وهى أى السمة أكثر عمومية من العادة حيث تتكون السمة من عادتين أو أكثر .

(ب) وظيفة السمة الشخصية توضيحية أى تدل على مضمون خاص فى

البناء النفسى لشخصية الفرد وهى أى السمة تلعب دوراً هاماً فى عملية الدافعية عند الإنسان .

(ح) السمات الشخصية مستقلة عن بعضها البعض استقلالا نسبيا بمعنى أنه يمكن أن توجد رابطة من نوع خاص بينها .

ولتفسير ذلك من وجهة نظر ألبورت فإن السمة الشخصية لها القدرة على تنشيط الدافع أو كفه ومنعه فكأنها هنا رابطة بين العادات والدوافع الإنسانية وعلى ذلك فإن السمات تساعدنا على فهم السلوك الإنسانى ككل . ومن ناحية أخرى نجد أن الاستقلالية النسبية للسمات تساعد على تحديد عناصر هذا السلوك ومكوناته .

كما أن ألبورت يميز بين السمة الفردية والسمة العامة . فيقول أن السمة الفردية هى السمة الحقيقية أى تلك السمة التى تدل فعلا على وحدة من نوع خاص فى البناء النفسى للإنسان . أما السمة العامة فهى التى تدل على مجموع صفات متشابهة فى عدد من الأفراد . أو بمعنى آخر تلك السمة التى يمكن أن تكون مشتركة بين أفراد حضارة ما والتى يمكن أن نقارنهم بالنسبة إليها .

وعلى العموم فإن نظرة ألبورت إلى السمة عموما من أهم الأسس التى بنيت عليها نظريته فى الشخصية الإنسانية كما سبق أن أشرنا إلى ذلك . فهو يرى أن السمة هى أصل تكوين الشخصية الإنسانية وهى الوحدة التى يمكن على أساسها أن تقدر شخصية الفرد وعلى ذلك فقد ناقشها كثيراً وخاصة من وجهة المفهوم والتعريف وكان أساس مناقشته هو فكرته العامة عن خاصة التكامل والتمايز فى الشخصية .

وصاحب المدرسة الثالثة فى هذا المذهب التكاملى فى تفسير الشخصية هو مورفى .

وقد حاول مورفى فى تفسيره للشخصية الانسانية أو فى نظرته عنها أن

يعطى تفصيلا شاملا لدراسات طويلة قام بها هو أو قام بها غيره من المهتمين بدراسة الشخصية خاصة وقد سبقه الكثيرون مثل وليم جيمس ومكدوجل وألبورت وودورث وغيرهم .

وفى محاولته إعطاء هذا التفسير التكاملى للشخصية الانسانية لم يترك مورفى أى ميدان من الميادين التى تتعلق بسلوك الفرد إلا وأخذ بما فيه من دراسات وبحوث . فنجد أن مورفى اعتمد فى تفسيره على دراسات كثيرة فى ميادين العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية والدراسات النفسية حيث تمكن بمهارة وقدرة أن يحدث الانسجام والتكامل بين الأساسيات العلمية فى جميع هذه الميادين .

فهو يتحدث عن الشخصية البيولوجية والشخصية المتكاملة والشخصية الاجتماعية والقوى والطاقات الانسانية التى تربط هذه النواحى جميعا .

أ ـ الشخصية البيولوجية :

يعطى مورفى أهمية كبيرة للعمليات الكيميائية الحيوية Biochemical فى جسم الانسان ويقول إن إحدى الصعوبات التى تتصل بدراسة الشخصية الانسانية هى تلك العمليات وما يتصل منها بالتكوين الجسمانى والبيولوجى للفرد : وخاصة عندما ترفض هذه العمليات الانضباط والتكيف لعوامل البيئية الخارجية .

ويقول مورفى كذلك أنه من غير الطبيعى أن نضع حدوداً فاصلة بين الانسان وبيئته إذ أن الفرد بكل كيانه جزء من هذه البيئة .

ونحن نلاحظ أن مورفى فى هذا يقترب كثيراً من نظرية المجال . فهو يرى أن التنظيم العضوى للفرد مبنى فى أساسه على التوتر وعدم الاتزام وعليه فهو — أى هذا التنظيم — يعمل بناء على العلاقات المعقدة القائمة بين وحداته المختلفة

والمجال عند مورفى — فى هذا الموضع — هو عبارة عن توزيع الطاقة وتنظيمها حسب الأبعاد المكانية المعروفة مضافاً إليها الزمن كبعد إضافى .

وطالما أن الانسان كائن بيولوجى فهو بهذا لابد وأن يخضع لمبـــدأ « التكيف العضوى » homeostasis بمعنى ما يحدث فى أجهزة الفرد الحيوية من تغيرات لمقابلة مايحدث من تغيرات فى البيئة الخارجية . ولكن — كما يقول مورفى — لا يمكن أن ننسى أيضا أن الانسان كائن اجتماعى فهو يتفاعل مع عناصر بيئته التى من أهم صفاتها الحركية والتغير . وعليه — أى الفرد — أن يتكيف اجتماعيا لهذه البيئة .

ولكن هناك صعوبة واضحة لأن نجمع بين مبدأ التكيف العضوى أو البيولوجى وبين مبدأ التكيف الاجتماعى .

فعملية التكيف الاجتماعى أكثر مرونة وقابلية للتعديل السريع من عملية التكيف العضوى أو البيولوجى . وعلى ذلك فلو أن الشخصية الانسانية التزمت بمبدأ التكيف العضوى دون الاجتماعى كان معنى ذلك أن تلك الشخصية سوف تتخلف كثيراً عن ملاحقة البيئة الحركية المتغيرة وعليه فإن الفرد سوف يعيش دائما فى موقف سابق بينما تتحرك البيئة بعناصرها ومقوماتها إلى الأمام .

وهذه الصعوبة ولا شك هى الأساس فى قصور النظرية البيولوجية — فقط — عن الشخصية الانسانية .

ولكن مورفى يحاول أن يخرج بفكرته من هذا المأزق فيقول إن الطريق الصحيح لفهم الشخصية البيولوجية هو فهم تنظيم الدافعية عند الانسان على أساس النمو والتطور ثم التكامل ثم التمايز كمفاهيم رئيسية ثلاثة يساعد فهمها واستيعابها على فهم صورة نظام ووظيفة الدوافع عند الانسان . وهذا اعتراف ضمنى من مورفى بأن جزءاً فقط من شخصية الانسان بيولوجى .

ويقول كذلك أن هناك أربعة عمليات مسئولة عن تنظيم عمل هذا الجزء العضوى من شخصية الانسان :

(ا) عملية انتقال الطاقة من منطقة ما من جسم الانسان إلى منطقة أخرى

(ب) عملية تنظيم التداخل بين انتقال هذه الطاقات إلى أماكن مختلفة وفى نفس الوقت .

(ح) عملية انضباط وتكيف كل جزء لعمل ونشاط الأجزاء الأخرى من جسم الانسان .

(د) عملية « التعاطف » بين الاستجابة التى يقدمها جزء من جسم الانسان للمثير خارجى وبين الاستجابات التى تقدمها الأجزاء العضوية الأخرى .

وعندما يتكلم مورفى عن تركيب الانسان فإنه يرى أن الفروق الفردية بين أفراد الجنس البشرى إنما ترجع فى حقيقة الأمر إلى الاختلاف فى التركيب العضوى للأفراد كما ترجع أيضا إلى عملية التنسيق بين وظائف الأجهزة العضوية كلها . وهذا الرأى — كما هو واضح — مشتق من فكرته عن الشخصية البيولوجية للانسان .

وكذلك فهو يتكلم عن الدافعية على أنها عملية التوجيه البيولوجى للشخصية الانسانية ويبنى تصوره هذا على عدة مسلمات :

١ — أن كل خلية حية فى جسم الانسان قادرة على أن تسلك .

٢ — أن الدافعية عمليه لا بداية لها ولا نهاية لها بل هى دائمه نتيجة عملية التوتر الداخلى الذى يعطى درجات متفاوتة من الدافعية .

٣ — أن الفروق الفردية بالنسبة للشخصية الانسانية لها نفس الدور فى الدافعية وعلى ذلك فإن مورفى يزعم أن كل إنسان له دافعيته الخاصة التى تميزه عن جميع الآخرين وهذا ما يؤدى إلى تكامل شخصية الفرد إلى أن يؤدى بدوره إلى تمايز هذه الشخصية عن بقية الشخصيات الأخرى .

٤ — عندما تنشط الدافعية فإنها فى بداية الأمر لا تنظر إلى أهدافها

وأغراضها ولكن تصرف اهتمامها – كطاقة – أولا إلى تنظيم مجالها العام والتنسيق بين أجزائه .

وإذا كان مورفى قد زعم أن الدافعية عملية توجيه بيولوجية أو أنها تبدأ بالنواحي البيولوجية من الفرد فإن مسلماته السابقة وغيرها تؤكد وجود عوامل أخرى غير هذا المنحى البيولوجى .

وبنفس المنطق يتكلم مورفى عن السمة الشخصية فيقول أن السمات هى مجرد مؤشرات أو دلائل ظاهرية تشير إلى تنظيمات عضوية داخلية معقدة وبهذا تكون السمة فى بدايتها عضويه أى أنها نشأت عن انضباط عضلى خاص . ولكنها عندما تنمو بعد ذلك فإنها تتأثر بعوامل كثيرة منها العوامل الاجتماعية والتغيرات البيئية الأخرى .

ب ـ الشخصية المتكاملة :

الشخصية المتكاملة هى الأساس الثانى الذى عالجه مورفى فى نظريته عن الشخصية الانسانية . فهو كما سبق أن أشرنا – تحدث عن الشخصية البيولوجية كأساس أول .

وهنا نجد أن مورفى قد تأثر إلى حد كبير بثلاثة علماء مشهورين هم فرويد وأدلر ويونج .

فأخذ عن فرويد – أو ناقش – ميكانيكيات التحليل النفسى وعن أدلر ناقش مبدأ الاحساس بالنقص وعن يونج مبدأ الانطواء والانبساط .

ولكن ما يجب أن نعترف به أيضا هو أن تأثر مورفى بهذه المدارس وغيرها لم يمنعه من تكوين نظرته الخاصة وآرائه المستقلة عن الشخصية الانسانية المتكاملة ويمكن لنا أن نحدد هذه الآراء فى عدة مفاهيم :

١ – الاختيار والتفضيل : ويقصد به أن الفرد يعزز طريقة دون أخرى لإشباع دوافعه وتحقيق الاتزان بينه وبين عناصر البيئة الخارجية .

وليس بالضرورة أن تكون هذه الطريقة – التى اختارها الفرد وعززها – أكثر إمتاعا للفرد من الطريقة الأخرى التى تركها . وعلى ذلك

فإن مبدأ الاختيار والتفضيل — كعملية تعزيز — لا تخضع لقانون الانطفاء الخاص بعملية التشريط العادية .

وتتوقف عملية الاختيار والتفضيل على عوامل كثيرة منها اهتمامات الفرد وأنشطته البيولوجية وكذلك العوامل الطارئة التى تتدخل فى الموقف .

ويقول مورفى أن عملية الاختيار والتفضيل عملية لا تنتهى أبداً إلا بانتهاء حياة الفرد فهو دائما يبحث عن أفضل الطرق — من وجهة نظره هو — لإشباع دوافعه وتحقيق التوازن بينه وبين المواقف التى يتعرض لها فى حياته اليومية .

٢ — التشريط : وهو عامل آخر يعتقد مورفى أنه ضرورى لتطور الشخصية الانسانية من إطارها البيولوجى لتتكامل مع العوامل الاجتماعية والسيكولوجية الأخرى .

فيقول أن كل تعلم لا يتم إلا عن طريق المعاناة ثم يقارن بين التشريط وعامل الاختيار والتفضيل فيقول إن التشريط يخضع لقانون الانطفاء بينما ليست الحال كذلك مع الاختيار والتفضيل .

٣ — الصراع : يقول مورفى إن الصراع هو الذى يحدد الشخصية الانسانية . وهو يقصد الصراع بمعناه الواسع سواء من الناحية الفسيولوجية أو الناحية النفسية وهو فى هذا يرى أن عمليات الإحباط المتتالية التى يتعرض لها الكائن الحى تجعله يدخل فى صراع مع هذه المعوقات سواء كانت مادية أو غير ذلك وبناء على هذا الصراع تنمو شخصية الفرد وتتطور — بصورة ما — فقد يكون تطوراً موجبا أو تطوراً سالبا . وهذا يعتمد على استجابة الفرد لهذا الصراع فإما أن تكون استجابة صحيحة حيث يعيد الفرد النظر فى موقفه من الصراع معدلا أنماط سلوكه أو أن يستجيب بصورة خاطئة حيث تدور استجابته حول العدوانية أو الانسحاب أو خداع الذات .

٤ — الإدراك: تنمو عملية الإدراك من وجهة نظر مورفى على ثلاثة مراحل متتالية هى المطابقة (حيث تكون الخبرة السابقة هى دائماً الإطار المرجعى) ورد الفعل (أى تصنيف الخبرة الجديدة بناء على اتجاه الفرد نحوها) ثم التمييز (أى ملاحظة الحدود والفواصل بين هذه الخبرة وغيرها من الخبرات الأخرى).

والادراك من وجهة نظر مورفى هو تلك العملية التى تعطى لسلوك الكائن الحى الوحدة والتناسق وتجعله يقاوم التغير المفاجىء من نمط إلى آخر.

٥ — التعلم: يقول مورفى أن قابلية الفرد للتعلم وقدرته على استيعاب المهارات المختلفة تلعب دورا هاما فى تكامل شخصيته ونموها وتطورها.

وهكذا فإننا نرى أن وجهة نظر مورفى فى تطور الشخصية وتكاملها يحددها تنظيم العوامل الخمسة السابق الاشارة اليها وهى الاختيار والتشريط والصراع والإدراك والتعلم.

جـ - الشخصية الاجتماعية:

وهنا يعترف مورفى صراحة أن الكائن الحى يبدأ كائنا بيولوجيا ثم يتحول إلى كائن اجتماعى من خلال تكامل خصائصه البيولوجية مع جميع الظروف الحضارية والثقافية المحيطة بالفرد.

ويعود ويقول مرة أخرى أنه من المستحيل أن ندرس الشخصية الانسانية دون أن ندرس العملية الاجتماعية التى تحوى هذه الشخصية. ومن هذا المنطلق يمكن أن نلخص آراء مورفى فى هذه الناحية كما يلى:

١ — هناك علاقات حقيقية بين جميع الأفراد — بشخصياتهم — فى أى جماعة من الجماعات.

٢ — إن شخصيات الأفراد ليست هى المكون الوحيد لحضارة الجماعة بل يجب أن يضاف إليها جميع الخصائص الطبيعية والاجتماعيه الأخرى.

٣ — أن الإنسان يستجيب دائماً — بصورة ما — للضغوط الاجتماعية التى تبذلها الجماعة من أجل المحافظة على ذاتها وتطورها وهو فى هذا يحدد النمط الاجتماعى لشخصيته .

٤ — هذه الضغوط الاجتماعية تتمثل فى القيم والتقاليد والعادات السائدة والاتجاهات الجمعية والرأى العام وكل ما تحمله وسائل التواصل فى المجتمع .

٥ — الأسرة هى المؤسسة الاجتماعية الأولى التى تشترك فى تحويل الفرد من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى .

يناقش مورفى فى هذا الموضع جميع القوى والطاقات الاجتماعية والنفسية والمادية والطبيعية والبيولوجية التى تربط بين العوامل الثلاثة السابقة أو التى تكون النسيج الأساسى الذى تتكامل فيه الشخصية البيولوجية والشخصية المتكاملة والشخصية الاجتماعية من وجهة نظره .

وأهم مايرد فى مناقشة تلك المعوقات التى مازالت حتى الآن وفى جميع الحضارات المختلفة تمنع من تكوين نسيج خصب ملائم لتكامل الشخصية الإنسانية مشيرا فى ذلك إلى الفجوات الكبيرة بين أهداف المجتمعات من جهة وبين أهداف الأفراد من جهة أخرى وكذلك بين المجتمعات كشخصية معنوية وبين المؤسسات الحضارية والثقافية فى هذه المجتمعات .

وأخيرا وإذا كان ولابد لنا أن نعلق على هذا التفسير التكاملى للشخصية الانسانية كما استعرضاه فى الفقرات السابقة فلابد وأن نقول أن ما قدمه مورفى وأليورت وروجرز يمكن أن يعتبر أساسا صالحا لتفسير شخصية الانسان .

٢ ـ التفسير الرمزي للشخصية الإنسانية

إن الكلام عن استخدام الرموز فى تفسير الشخصية الانسانية يعنى بالضرورة أن نلمس آراء هؤلاء الذين استخدموا المفاهيم الرياضية والطبيعية فى التعبير عن سلوك الفرد وتفاعله مع بيئته التى يعيش فيها .

ولقد كان كيرت ليفين أحد الذين أحبوا المفاهيم الرياضية وخاصة الهندسية منها واستخدموها فى التعبير عن سلوك الفرد وبالتالى تفسير شخصيته. ويمكن تلخيص آراء ليفين — صاحب نظرية المجال المشهورة — فى عدة نقاط أساسية نوردها فيما يلى :

(أ) المفاهيم الرياضية : لقد كان ليفين يستخدم الرموز الهندسية دون أن يربط هذه الرموز بأى نوع من أنواع الأرقام لذلك فإن رياضيات ليفين لم تكن تقبل العمليات الحسابية العادية مثل الجمع والطرح والضرب والقسمة .

وأهم ما يميز تلك المفاهيم عند ليفين استخدامه للدوائر والمربعات والمثلثات والحواجز والأسهم التى تشير إلى اتجاهات القوى وغير ذلك من الرموز التى ساعدت ليفين على التعبير عن نظرته إلى شخصية الفرد الإنسان وعلاقتها بالقوى المحيطة بها سواء من الناحية المادية أو الاجتماعية .

(ب) التوبولوجية : استخدم ليفين فكرة التوبولوجى Topology لوصف الظاهرة النفسية أو السلوكية . وعلى ذلك فقد صنف ليفين سلوك الفرد فى أى موقف من المواقف على أساس الدوال الهندسية . فيمكن أن يشار إلى الكائن الحى بدائرة أو مربع أو شكل بيضاوى وكل ما يحيط بهذا الشكل الهندسى على جميع المستويات هو عبارة عن قوى البيئة المختلفة التى تؤثر فى الفرد وتتأثر به .

(ح) الهدولوجية : Hodology وهذا مصطلح ابتدعه ليفين حيث

وجد أنه من الضرورى أن يمثل أيضاً الممرات السلوكية (حيث تمر طاقة السلوك) تمثيلا هندسياً . وعليه فإنه يمكن اعتبار هذا المصطلح هندسة خاصة لممرات القوى والطاقة فى المجال الذى يتفاعل فيه الفرد مع عناصر البيئة . وتخضع هندسة هذه الممرات من وجهة نظر ليفين إلى القاعدة التى تقول إن أقصر ممر أو طريق بين نقطتين فى مجال التفاعل الإنسانى مع البيئة هو أقل الطرق جميعاً مقاومة لاتجاه تفاعل الفرد مع عناصر الموقف وليس بالضرورة — حسب التمثيل الهندسى — أن يكون أقصر طريق بين نقطتين هو أقل الطرق جميعا طولا أو مسافة .

وبناء على ذلك فإن الخط بين النقطة (ا) والنقطة (ب) فى موقف تفاعل الفرد مع العناصر الأخرى للمجال — من وجهة نظر هودلوجية ليفين — لا يكون بالضرورة خطا مستقيما ليدل على قصر هذه المسافة ولكنه قد يكون فى أحسن حالاته خطا متعرجا كثير الانحناءات نتيجة القوى المعوقة التى تعترض الممر أو الطريق بين ا و ب .

كما أنه يمكن نضيف إلى ذلك أن شكل الخط ليس مهماً من وجهة نظر ليفين بقدر اتجاه الخط نفسه أى أنه لابد وأن تمثل حركة تفاعل الفرد مع عناصر الموقف مستخدمين الأبعاد الثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) حيث أن استخدام البعدين الأولين فقط كما يحدث فى حالة الرسم على الورق أو السبورة لا يفى بالغرض المطلوب .

(د) حيز الحياة : Life Space هذا المصطلح استخدمه ليفين ليدل على جميع المساحات والأبعاد الأخرى التى تحيط بالرمز الذى يشير إلى شخصية الكائن الحى سواء كان هذا الرمز دائرة أو مثلثا أو مربعا أو أى تعبير هندسى آخر . ويقول ليفين أن حيز حياة الفرد مملوء بالقوى والضغوط التى تحدد تفاعله مع عناصر هذا الحيز من أجل تشكيل سلوكه وتكوين الأنماط المختلفة التى يمكن أن تشير إلى شخصيته .

وعلى هذا فإن حيز الحياة يكون عبارة عن المجموع الكلى لكل الاحتمالات والظروف التى يمكن أن تؤثر فى سلوك الفرد الإنسان وبالتالى فى تكوين شخصيته .

وهنا يمكن أن تبدو مشكلة جانبية وهى هل يمكن أن ننظر إلى حيز الحياة على أنه جميع القوى الماضية والحاضرة والمستقبلة ؟ نجد أن ليفين لا ينكر ماضى الإنسان وحاضره ومستقبله (فى حالة استمرار الحياة) ولكنه يصر على أن سلوك الإنسان لا يمكن فهمه إلا فى ضوء القوى والطاقات الحاضرة فقط .

هـ - المنطقة Region أو المساحة الإضافية داخل التمثيل الهندسى الذى يدل على الشخصية الإنسانية أو بيئة الفرد وهذه المساحات الاضافية لحظية وغير ثابتة من الناحية المكانية . ويميز ليفين بين عدة أنواع من هذه المناطق يمكن الإشارة إليها كما يلى :

١ — المناطق المتصلة Connected وهى مناطق السلوك المتصلة عن غير طريق الجوار فقط بحيث لا يؤثر ما يجرى فى إحداها على تكوين المنطقة الأخرى .

٢ — المناطق العرضية Incident وهى مناطق السلوك المتجاورة والتى ينتقل السلوك من الواحدة إلى الأخرى دون أن ينتقل إلى منطقة ثالثة . لذلك لابد أن تكون هاتان المنطقتان متجاورتين ولكن غير متشابهتين فى الخواص .

٣ — مناطق الحركة Motoric وهى تلك المناطق المختصة بالاستجابات الواضحة الصريحة أو بمعنى آخر المختصة بالسلوك التنفيذى أو الإجرائى . ويكون فى الغالب موقع هذه المناطق بين حيز الحياة الداخلية وبين البيئة الخارجية .

٤ — مناطق الحركة والإدراك Motor-perceptual : وهى مناطق الحدود بين المناطق الداخلية والمساحات الواقعة خارجها ولكن لايتوفر لها خاصة الدافعية أو طاقة التنفيذ والإجراء مثل سابقتها ولكن وظيفتها مقصورة على الإدراك الذى يؤدى إلى الحركة .

٥ — المنـــاطق المتجاورة : Neighboring وهى المناطق المتجاورة بالتقارب الفعلى ولها بعض الخواص المتشابهة .

٦ — المناطق النفسية psychological وهى تلك المناطق التى يتشابه بعضها البعض فى كثير من الخواص والسمات بحيث تتمايز بذلك عن جميع المناطق الأخرى .

٧ — المناطق الخاصة Private وهى تلك المناطق التى تلاصق رمز الشخصية الانسانية أى تلك التى تلتصق بالمحور الداخلى للتمثيل الهندسى (الفرد) .

واضح مما سبق كلف ليفين الشديد بالتخطيط الهندسى لمجال تفاعل الشخصية الانسانية مع عناصر البيئة الخارجية ولكنه يلخص آراءه فى هذا الموضوع الجانبى باقتراح معادلة أو قانونا رياضياً يبدو معقولا إلى حد كبير وهو :

$$س \Delta (ف ب)$$

حيث س ترمز إلى السلوك

ف « « الفرد

ب « « البيئة

ومعنى هذا القانون أن سلوك الانسان ليس دالة (معتمداً على) الفرد فقط أو دالة البيئة فقط ولكنه دالة تفاعل الفرد مع البيئة .

(و) القوى الموجهة Vectors : وهذا مصطلح آخر يستخدمه ليفين

ليصف الخطوط التى تمثل تفاعل شخصية الفرد مع عناصر الموقف معتمداً فى ذلك على طول الخط وثقله واتجاه رأس السهم الذى يقع فى آخر الخط .

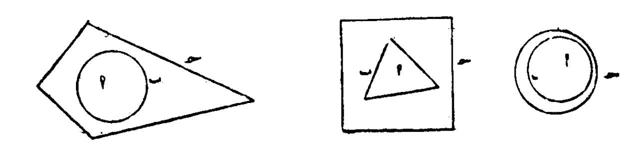
(ز) التكافؤ Valence وهو فى الأصل مصطلح كيميائى ولكن ليفين يستخدمه بصورة غير دقيقة فيقول أن كل ما يحقق رغبة الكائن الحى له تكافؤ موجب وكل ما يسبب الاحباط للفرد له تكافؤ سالب .

(ح) الحاجة need ويعرفها ليفين على أنها « الرغبة الملحة لامتلاك الأشياء أو للوصول إلى هدف معين » .

(ط) التوتر Tension يعرف ليفين التوتر على أنه « الحالة الانفعالية التى تصاحب إحساس الفرد بإلحاح الحاجة عليه » وهو - أى التوتر - غالباً ما يكون مؤقتاً أى ليس له صفة الدوام والاستمرار إلا فى الحالات المرضية .

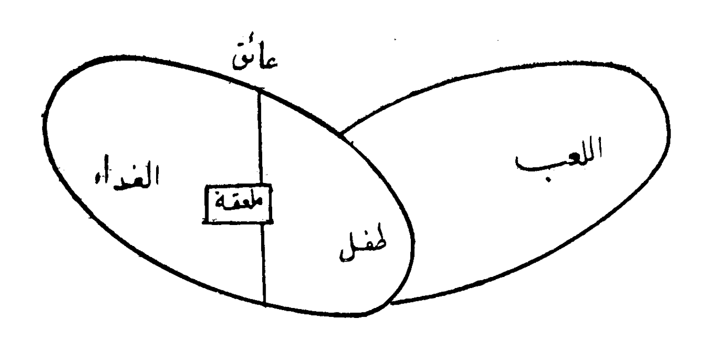
(ى) المفاضلة differntiation ويعنى بها ليفين « عمق وغنى الخبرة الانسانية » وهذا لن يتم إلا عن طريق احتكاك الشخصية بجميع المناطق والمساحات التى يتضمنها المجال وفى هذه الأثناء يكون للشخصية فرصة المفاضلة والاختيار بين الخبرات التى تعرض لها . ولهذا فإننا نجد اختلافا واضحاً فى الشخصيات الانسانية فى هذه الناحية حيث يعتمد هذا الاختلاف على نوعية ومقومات كل شخصية على حدة .

هذه بعض النقاط الأساسية التى يمكن أن تلخص الآراء النظرية التى قدمها كيرت ليفين من أجل تفسير تفاعل الشخصيه الإنسانية مع عناصر البيئة الخارجية . وفيما يلى نعرض لبعض النماذج التطبيقية التى توضح هذه الآراء .



بناء على التصور الهندسى الذى ناقشناه سابقا وخاصة فيما يتصل بمفهوم التوبولوجية عند ليفين فإننا نقول إن الوحدات الثلاثة المرسومة فى الشكل السابق لاتختلف عن بعضها البعض من الوجهة التوبولوجية فالنقطة (ا) تقع دائما داخل الشكل (ب) الذى يقع هو بدوره دائما داخل الشكل (حـ) . وذلك رغم اختلاف هذه الأشكال عن بعضها البعض من ناحية الأبعاد والمسافات . ولكن — كما سبق أن أشرنا — ما يصر عليه ليفين هو الاهتمام بخطوط القوى والمناطق الخاصة بتوزيع الطاقة فى المجال .

ويتضح ذلك من مثال ليفين نفسه عن الطفل الذى يرغب فى اللعب بينما تريد أمه أن تطعمه حين يمثله هذا الشكل :



فهو يقول أولا أن الخط السميك الذى يمثل جدار البيضاوى الذى يحتوى الطفل والغذاء يدل على قوة العائق الذى يمنع الطفل من مزاولة اللعب وهذا

العائق لايكون دائمـــا جدارا ماديا مثل باب القفص الذى يمنع الطائر من الخروج ولكنه قد يكون أيضاً معنويا مثل القيم والمعايير والتقاليد والعرف السائد فى كل جماعة من الجماعات . فقد تحتضن الأم طفلها مانعة إياه من اللعب (عائق مادى) وقد تخيفه أو ترعبه بأشياء رمزية (عائق معنوى) .

ومثال آخر يسوقة ليفين أيضاً وهو مثال طالب المدرسة الثانوية الذى يرغب فى دراسة الطب ليكون طبيبا ناجحا كما يمثله بالشكل التالى :

فيرى ليفين أن الطالب فى المنطقة الدنيا من هذا التمثيل التوبولوجى يليه متجها إلى أعلى جميع العقبات التى تقف فى سبيله حتى يصـــل إلى هدفه ويصبح طبيباً ناجحاً .

فيتحتم على الطالب أن يحصل على الثانوية العامة أولا ثم يجتاز المرحلة الجامعية وهكذا بحيث يتعدى عائقاً وراء آخر .

هذا وكلما نجح الطالب فى اجتياز عائق من العوائق كلما تغـــير إدراكه للعائق الذى يليه وهكذا بحيث تنشط المناطق التى سبق الإشارة إليها كل فى دورها ووظيفتها .

٣ ـ التفسير الرياضي للشخصية الإنسانية :

نعود مرة أخرى إلى تفسير شخصية الفرد عن طريق الرمز ولكن من زاوية أخرى هى الزاوية الرياضية التى جذبت انتباه الكثيرين من المشتغلين

بعلم النفس وخاصة هؤلاء الذين بدأوا حياتهم العلمية بدراسة الرياضيات أو العلوم الطبيعية .

ومن أصحاب هذه المدرسة الذين برزوا بوضوح هما كاتل وآيزنك وكلاهما من الذين أسهموا فى تقدم علم النفس — كعلم — بصورة ملموسة وخاصة فى الثلث الأخير من القرن العشرين .

فيرى كاتل أن الهدف الأساسى من علم النفس عموماً ومن نظرية فى الشخصية على وجه الخصوص هو إعطاء الفرصة لإعداد القوانين والمعادلات الرياضية التى تساعدنا على أن نتنبأ بسلوك الانسان تحت الظروف المختلفة التى لها علاقة ولا شك بسلوكه .

وقد سبق لنا أن أشرنا فى موضع سابق إلى تعريف كاتل للشخصية الانسانية حيث يقول أنها ذلك الشىء الذى يسمح لنا بالتنبؤ بسلوك الفرد فى المواقف المختلفة .

من هذا نرى أن ولع كاتل بالقوانين والمعادلات له خلفيته فهو يبحث عن القدرة التنبؤية لمعنى الشخصية وهذا فعلا لا يمكن أن يتم له أو أن يصل إليه إلا عن طريق المعادلة الرياضية . فيقول كاتل فى كثير من كتاباته أنه إن لم يصل الانسان إلى تحديد الشخصية تحديدا كميا فلن تكون هناك نظرية بل لن يزيد الأمر عن كونه « فلسفة فقط » .

ويبدأ كاتل تفسيره الرياضى للشخصية الانسانية بتحديد معنى السمة trait فهو يرى أولا أن السمة الشخصية هى تنظيم خاص يولد السلوك ويحدده معطيا إياه صفة التناسق بحيث يمكن لنا أن نتنبأ به — أى بهذا السلوك — فى أى موقف من المواقف . وذلك لأن هذا التناسق هو الذى يمهد لإمكانية التنبؤ .

ثم يفرق كاتل بعد ذلك بين نوعين من السمات الشخصية هما :

(ا) السمات السطحية أو الظاهرية Surface وهى عبارة عن مجموعات أو تجمعات من الأحداث السلوكية الظاهرة الواضحة أى تلك التى يمكن ملاحظتها والتعرف عليها . وهذه السمات غير ثابتة نسبيا وخواصها وصفية أكثر منها تشخيصية . ومثال ذلك بعض السلوك المتناسق الذى يظهره الفرد فى موقف من المواقف كأن يقطب جبينه مثلا ويغير من نبرات صوته وإشارات يديه حتى يوصف بأنه صعب غير لين .

(ب) السمات المصدرية أو الأصلية Source وهى عبارة عن المصدر الحقيقى لسلوك الانسان وعليها يتوقف النمط والقالب الذى يحدد رد فعل الانسان فى المواقف المختلفة وهى ذات خواص ثابتة ومنها — فى نظر كاتل — تتكون شخصية الفرد الانسان .

ويعود كاتل ويقسم هذه السمات المصدرية إلى نوعين هما السمات الأصلية التكوينية أى تلك التى ترتبط أساساً بالنواحى الوراثية والخواص التأسيسية للفرد والسمات الأصلية البيئية أى تلك التى اكتسبها الإنسان خلال تفاعله مع عناصر بيئته حيث امتص هذه السمات وتمثلها حتى أصبحت فى درجة السمة الأصلية أو المصدرية .

وقد اقترح كاتل — نتيجة استخدامه الأساليب الرياضية والإحصائية — أن هناك حوالى عشرين سمة مصدرية مثل : قوه الذات والتسلط والسيطرة والطاقة (السعة) العقلية والتحرر وغير ذلك من السمات التى يشير إليها كاتل فى دراساته .

وأما من الناحية الشكلية فإن كاتل يقسم السمات إلى ثلاثة نماذج :

(ا) السمات المزاجية : وهى السمات التى غالبا ما ترتبط بالخواص التكوينية الجسمية

(ب) السمات الحركية : وهى السمات التى تختص ببدء سلوك الفرد .

(حـ) سمات القدرة : وهى تلك السمات التى تختص بتوضيح خصائص الفرد أثناء تفاعله فى المواقف التى يتطلب التفوق فيها قدرة عقلية معرفية من نوع خاص .

ويمضى كاتل فى تفسير لشخصية الفرد بناء على مفهومه هذا عن السمات وبناء على منطق التحليل العاملى الذى استخدمه فى دراسة هذه السمات حتى يصل إلى سبعة عشر قانونا يعتمد عليها فى تفسير شخصية الفرد والتنبؤ بسلوكه .

ويمكن الإشارة إلى بعض هذه القوانين فيما يلى :

١ — قانون التوتر الفطرى من أجل الهدف .

٢ — قانون الأثر الحركى .

٣ — قانون آثار الكبت .

٤ — قانون التعبير المركب .

وغير ذلك من القوانين التى افترضها كاتل من أجل إعطاء نظرية الشخصية الإنسانية صفه التنبؤ الأمر الذى كان يسعى دائما من أجله .

وأما آيز نك — وهو زميل كاتل فى هذا المنحى الرياضى لتفسير الشخصية الإنسانية — فقد اختلف عنه فى مدخله إلى دراسة الشخصية . فبينما نجد أن كاتل يؤكد مفهوم السمية نجد آيز نك يؤكد مفوم الأنماط أو القوالب Types .

فبدأ آيز نك مفاهيمه بتحديد ثلاثة أبعاد للشخصية الإنسانية هى :

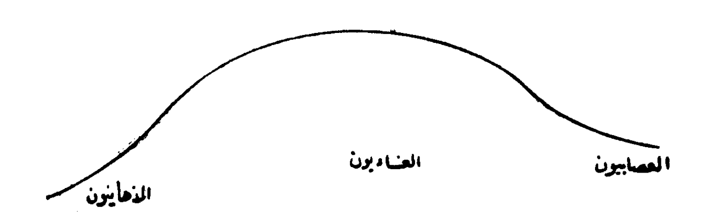
الانطواء ←→ الانبساط

العصابية ←→ اللاعصابية

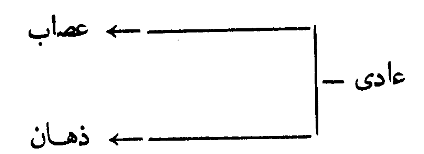
الذهانية ←→ اللاذهانية

ومما يمكن أن نقوله أيضاً أن أنواع الشخصية الإنسانية يمكن توزيعها

حسب المنحنى الاعتدالى وذلك ما زعمته معظم المدارس التى اهتمت بدراسة الشخصية غير العادية كما يتضح فى الشكل التالى :

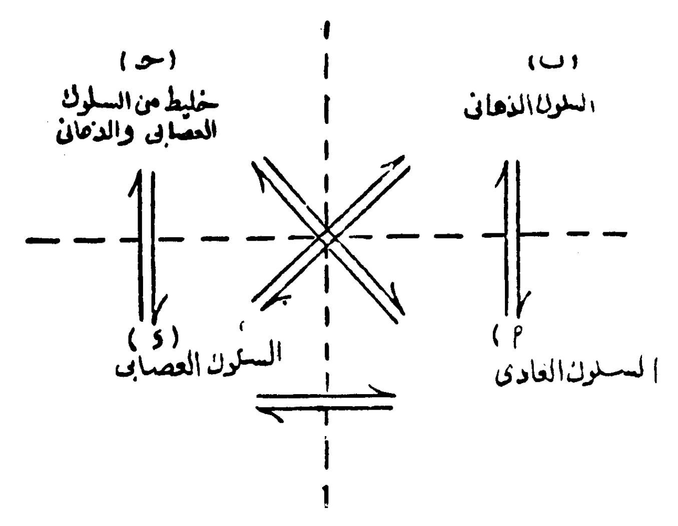


ولو أنه فى بعض الأحيان لا يعترف بهذه الفكرة — فكرة استمرار توزيع (ظاهرة) الشخصية الانسانية فيقال أن هناك ثنائية فى هذا التوزيع — وليس استمراراً — بحيث أنه عندما ينحرف الفرد ويضطرب سلوكه فإنه ينتقل من الحالة العادية إما إلى عصابية أو ذهانية .



ولكن آيزنك يقترح توزيعاً ثالثاً يختلف عن سابقيه (الاعتدالى والثنائى) ويوضح توزيع أنماط الشخصية بين العاديين والعصابيين والذهانيين كما فى الشكل (ص ١٦٥) .

ويقول آيزنك توضيحاً لهذا الشكل أنه من الممكن أن ينتقل سلوك الفرد من منطقة السلوك العادى إما إلى منطقة السلوك العصابى أو إلى منطقة السلوك الذهانى أو إلى منطقة السلوك الخليط من النوعين السابقين كما أنه من الممكن أيضاً أن ينتقل سلوك الفرد من الحالة العصابية إلى منطقة (ح) حيث السلوك المختلط بين العصاب والذهان . وكذلك يمكن أن يتم الانتقال مباشرة من العصاب إلى الذهان دون أن يمر بمنطقة السلوك العادى .



وهكذا يمكن أن يتم الإنتقال من حالة إلى أخرى مباشرة دون المرور بمرحلة ثالثة وذلك عن طريق (الخطوط المشتركة) (أو عن طريق نقطة لقاء القطرين) كما هو موضح بالشكل .

ويقول آيزنك أن مكانة الفرد فى إحدى هذه المناطق الأربعة (ا ، ب ، ج ، د) من ناحية القرب أو البعد بالنسبة إلى منطقة أخرى هى التى تحدد نمط شخصيته . كما أنه يعطى عدة ملاحظات تصف الأبعاد الثلاثة التى سبق له تحديدها فيقول :

(ا) إن الشخصية الإنطوائية تخضع لتشريط الموقف (المثير) عند بافلوف أو لتشريط رد الفعل (الإستجابة) عند . هَلْ أكثر من الشخصية المنبسطة .

(ب) إن هذه الأبعاد الثلاثة تقاوم مبدأ الانطفاء التجريبى .

(ج) إن بعض هذه الأبعاد (الإنطواء — الانبساط) تكوينى بالنسبة إلى الشخصية . وذلك يتضح فى تجارب آيزنك الحديثة على العقاقير والتى

تؤكد أن بعضها يؤثر على لحاء المخ فيؤدى إلى سلوك منبسط بينما يؤثر البعض الآخر على نفس المنطقة تأثيراً معاكساً فيؤدى إلى سلوك انطوائى .

(د) قد يكون للعصابية جذور تكوينية وراثية وذلك يتضح فى دراسات آيزنك عن التوائم المتماثلة حيث وجد أن معامل الإرتباط الخاص بالسلوك العصابى بين هذا النوع من التوائم يبلغ حوالى ٠,٨٥ . بينما لا يزيد هذا المعامل فى حالة التوائم غير المتماثلة عن ٠,٢١ . الأمر الذى دعى آيزنك أن يعتقد أن هناك أساساً تكوينياً وراثياً للسلوك العصابى .

ومن خلال عملية التحليل العاملى التى يفضلها آيزنك شأنه فى ذلك شأن كاتل توصل إلى اكتشاف أربعة عوامل أساسية تتكون منها شخصية الفرد وهى :

١ — العامل العام General factor

٢ — العامل الطائفى Group factor

٣ — العامل النوعى Specific factor

٤ — عامل الخطأ Error factor

ويمكن توضيح علاقة هذه العوامل ببعض مفاهيم آيزنك الأخرى أو تفسيرها كما يلى :

العامل العام ← نمط الشخصية العــام ← عقيدة الفرد ومثله العليا

العامل الطائفى ← سمــات الشخصية وخصائصها ← الاتجاه نحو الأشياء والمواضيع

العامل النوعى ← الاستجابة الخاصة بمجموعة من المواقف ← الرأى والحكم واتخاذ القرار

عامل الخطأ ← استجابة خاصة جداً (خاصة بموقف واحد) ← الرأى الشخصى جداً

وتفسيراً لما سبق فإن العامل العام هو الذى يحدد ويؤدى إلى النمط العام للشخصية الإنسانية التى بدورها تكون وتحدد عقيدة الفرد ومثله العليا وعموميات حياته . وأما العامل الطائفى فهو الذى يكون سمات الشخصية وخصائصها (مع ملاحظة أن مفهوم السمة عند آيز نك ليس كمفهوم السمة عند كاتل) مثل تحمل المسئولية أو الميل إلى السيطرة أو القدرة الاجتماعية وغير ذلك وهذه السمات هى المسئولة عند تحديد الاتجاه النفسى للفرد ناحية عناصر البيئة التى يعيش فيها ويتعامل معها فى حياته اليومية .

وأما العامل النوعى فهو يكون ويحدد استجابات الفرد التى تخص بمجموعة من المواقف متشابهة من ناحية الظروف والعناصر أو بمعنى آخر يكون خلفية سلوك الفرد فى التجمعات المتشابهة من المواقف وبالتالى يحدد رأى الفرد عموما وإطار أحكامه وقراراته . وأما عامل الخطأ — كما يسميه آيز نك — فهو ذلك العامل النوعى جداً الذى يكون خلفية سلوك الفرد فى موقف واحد فقط دون المواقف الأخرى وبالتالى يحدد الإطار العام للرأى الشخصى الخاص للفرد .

وأخيراً فإن آيز نك يقرر أن دراساته وبحوثه وتحليلاته الرياضية والإحصائية لم تعط بعد الفرصة لتكوين نظرية متكاملة لتفسير الشخصية الإنسانية .

والأمر لا يقف عند هذا الحد بل أن آيز نك يعتقد كذلك أن مثل هذه النظرية لم توجد بعد .

٤ ـ التفسير الاجتماعي للشخصية الإنسانية :

لا يمكن لنا أن نعتبر مثل هذا المذهب فى تفسير الشخصية مدرسة مستقلة فى حد ذاتها ذلك لأن علاقة هذا التفسير بالمذاهب الأخرى قد تكون واضحة بنفس درجة الوضوح التى تميز علاقة عناصر هذا التفسير بعضها ببعض

فهناك التفاعل الاجتماعي الذي يدل على حركية التفسير كما أن هناك أيضاً علاقة واضحة — كما سنرى فيما بعد — بين كثير من الآراء التي أوردها أصحابها وبين النواحي السيكلوجية في عمق الشخصية الإنسانية .

ولكن ما أردنا أن نجمعه هنا في هذا التفسير هو الاتجاهات المتشابهة التي نظن أنها تساعد على تكوين مذهب في تفسير الشخصية على النحو الذي ذكرناه . من هذه الزاوية سوف نستعرض ونناقش آراء جاكوب مورينو الذي يعتبر نفسه من أصحاب النظرية في ميدان الشخصية رغم اختلاف الآراء حوله وحول الاسهامات التي قدمها فيميدان دراسة سلوك الإنسان .

ففي الدراسات التي قام بها مورينو يمكن لنا أن نتعرف على عدد من المفاهيم التي تساعد على تحديد نظرة مورينو إلى سلوك الفرد ومن ثم إلى شخصيته . وفيما يلي نستعرض بعض هده المفاهيم :

أ - الذرة الاجتماعية *Socialatom* :

يقول مورينو أن الذرة الاجتماعية هي أصغر وحدة اجتماعية قائمة بذاتها وهي كذلك عبارة عن صفة العلاقة القائمة بين فرد وآخر من حيث التبادل سواء كانت هذه العلاقة موجبة أو سالبة أي كلا الفردين يختار أو يرفض كل منهما الآخر . ولكن « الذرة الاجتماعية » في حد ذاتها كما يقول مورينو متعادلة فلا هي سالبة ولا هي موجبة ، إذ أنها تصف فقط الكيان والبناء الاجتماعي القائم بين طرفي العلاقة .

وللذرة الاجتماعية وضعان مختلفان أولهما سيكلوجي حيث تدل على فرد واحد وعلاقته بالآخرين : مثل علاقة ا ، ب (صديق وآخر) فهذه ذرة نفسية اجتماعية . والوضع الآخر جمعي Collective حيث تدل على أصغر تكوين في المجتمع الإنساني (بين فردين أيضاً) ولكن ليس لهذا التكوين الصفات الجذرية والخلفية النفسية التي تتميز بها الذرة السيكلوجية كما هي الحال في العلاقة بين الصديق والصديق أو بين الرجل وزوجته . أما في الحالة الأخرى — الصفة الجمعية — نجد أن العلاقة بين البائع والمشتري في أحد

المحلات التجارية على سبيل المثال هى من النوع اللحظى الذى ليست له مثل تلك الخلفية السابقة .

وبناء على ذلك التصور فإنه — كما يقول مورينو — يمكن فى حالة الذرة السيكلوجية أن نتنبأ بما سيكون عليه نمط السلوك فى موقف معين بين صديق وآخر أو بين الرجل وزوجته . بينما لن يكون ذلك ممكنا — بنفس القدر على الأقل — فى حالة العلاقة بين البائع والمشترى فى إحدى المحلات التجارية .

وربما كانت هذه الملاحظة التى يبديها مورينو هى اللمسة الأولى من جانبه تجاه شخصية الإنسان .

وللذرة الاجتماعية عند مورينو صفة أخرى هى صفة النمو والزيادة حيث أن الذرة لا يمكن أن توجد بمعزل عن العناصر الاجتماعية الأخرى فهى فى علاقة زيادة ونمو معها . وفى هذا النمو يزيد عدد مركبات الذرة وبالتالى يتغير دور كل من الأفراد المشتركين فى مثل هذه العلاقة . وربما كانت هذه النقطة تشير إلى إمكانية تعديل سلوك الفرد نتيجة تأثره بالآخرين . وهذه لمسة أخرى من جانب مورينو تجاه الشخصية . ويميز مورينو أيضا بين الذرة الاجتماعية والذرة الثقافية أو الحضارية Cultural . فالذرة الحضارية هى عبارة عن أصغر وحدة حضارية فى المجتمع وهى مكونة من الدور أو الأدوار الأساسية التى يلعبها الفرد فى علاقاته الحضارية بالجماعة ككيان معنوى ، فعلى سبيل المثال يمكن أن ننظر إلى علاقة الرجل الملون بالمجتمع الأمريكى المعاصر من هذه الزاوية . فالرجل الملون يمكن أن تكون له علاقة برجل أبيض فى ذرة اجتماعية (صداقة أو عمل . . .) بينما لا يمكن أن يكون للرجل الملون علاقة بالرجل الأبيض فى ذرة ثقافية أو حضارية : فثقافة المجتمع الأمريكى وحضارته تمنع مثلا التزاوج بين البيض والزنوج أو تواجدهم معاً فى مؤسسة حضارية أو ثقافية من نوع ما .

وهنا أيضاً نجد الكثير من الضمنية التى تشير إلى آثار العوامل الحضارية

على سيكلوجية الفرد ومن ثم فإن نتاج هذه الآثار — وهو الشخصية — سوف يكون مختلفاً عن حالة أخرى يمكن فيها أن تتكون الذرات الاجتماعية والذرات الحضاريه أو الثقافية دون موانع أو قيود. وهذه أيضاً إشارة أخرى من جانب مورينو إلى شخصية الفرد.

ويستطرد مورينو فى تصوره هذا فيقول إنه عندما تتحد ذرتين أو أكثر من هذه الذرات الاجتماعة فإنه يتكون ما يسمى بالجزىء الاجتماعى Social molecule وهذا بدوره عند الاتحاد بغيره من الجزئيات يكون الشبكة الاجتماعية network.

ب ـ الإحساس التواصلي Tele:

يقول مورينو فى تعريفه لمعنى الإحساس التواصلى Tele أنه أبسط وحدة إحساسية يمكن أن يبثها فرد تجاه فرد آخر.

والإحساس التواصلى يعبر عن عملية ثنائية أى متبادلة ومشتركة بين طرفى العلاقة — ولكن ليس بالضرورة أن يكون التبادل من نفس النوع أو نفس الدرجة — فى حين أن عملية الإحساس بشعور الغير empathy كما يعرفها ليبس هى عملية أحادية أى من جانب واحد تدل على إحساس غير متبادل تجاه فرد آخر، وكذلك فإن عملية التحويل trenference كما يعرفها فرويد هى أيضا عملية إسقاط وهمية من جانب واحد أى من فرد إلى فرد آخر.

لذلك فإن مورينو يرى أن عملية الإحساس التواصلى تجمع بين العمليتين: عملية الإحساس بشعور الآخرين وعملية الإسقاط الوهمى.

ويرى أيضا أن هذه العملية هى الأساس فى التفاعل الاجتماعى بين الأفراد. حيث أنها كما يقول أكبر من مجرد الاستجابة لسلوك الآخرين.

وبالتالى يمكن أن نستنتج من ذلك — كما تضمنت آراء مورينو — أن

شخصية الإنسان ليست هي مجرد أنماط سلوكه واستجاباته فى المواقف المختلفة ولكنها أشمل وأكبر من ذلك كله .

جـ - الدور الاجتماعي ***Social Role*** :

ينظر مورينو إلى موضوع « الدور » على أنه ضرورة يقوم بها الفرد فى جميع مواقف حياته المتصلة التى هى خليط من المواقف النفسية والمواقف الاجتماعية وعلى فكرته هذه بنى أو ابتدع ماسماه بالسيكودراما والسوسيودراما وكلتاهما طريقتان فى العلاج النفسى أو العلاج الاجتماعى .

وهناك عدة قواعد واستنتاجات منطقية يمكن استخراجها من كتابات مورينو توضح معنى ومفهوم الدور :

١ — قد يكون الدور الذى يقوم به الفرد حقيقيا أو وهميا .

٢ — يمكن للشخصية الانسانية أن تنمو وتتطور من خلال تعدد الأدوار الاجتماعية التى يقوم بها الفرد فى حياته .

٣ — يمكن تعديل سلوك الإنسان عن طريق تعديل أو تغيير الدور الذى يقوم به .

٤ — يكون الفرد صورة ذاته من خلال أدائه للأدوار الاجتماعية المختلفة .

٥ — تتناسب درجة المرونة الشخصية **Flexibility** مع كثرة الأدوار الاجتماعية التى يلعبها الفرد تناسبا طرديا . أى أنه كلما زاد عدد الأدوار التى يلعبها الفرد فى حياته كلما زادت درجة المرونة فى شخصيته .

د - التلقائية ***Spontaneity*** :

يقول مورينو أن الفرد لا يمكن له أن يتعدى مكانته الاجتماعية الحالية إلى ما هو أبعد أو أعلى إلا إذا تفاعل مع عناصر بيئية بصورة تلقائية : أى عن طريق الاستخدام التلقائى لقدراته ومواهبه دون انتظار لمثير خاص حتى يبدأ تفاعله مع هذه البيئة .

والتلقائية من هذه الزاوية يمكن أن تفهم على أساس أنها ذلك « السلوك النابع ذاتياً » من الانسان "The Self-initiated behaviour" وهى خاصة شخصية ذات أهمية كبيرة — من وجهة نظر مورينو — فى تفسير شخصية الفرد اجتماعياً وكذلك فى التمييز بين شخصية وأخرى .

ويقول مورينو كذلك إن الشخصية الانسانية بلا تلقائية تصبح قالبا أو نمطاً جامداً لا ينمو ولا يتطور لأن هذه التلقائية « هى التى تطلق العبقرية الكامنة فى الجنس البشرى » .

ويرى مورينو أن خاصة التلقائية بهذا المعنى تتكون عند الانسان قبل ميلاده من خلال التكيف الوظيفى للطفل فى رحم الأم ومن ثم تزداد هذه الخاصة بسرعة ومعدل كبيرين فى سنوات حياته الأولى حتى تصل إلى درجة يمكن اعتبارها شبه ثابتة .

هـ - الإبداع *: Creativity*

الإبداع أو الخلقية من وجهة نظر مورينو تختلف عن التلقائية بحيث يمكن القول بأن التلقائية عامل مساعد فى نجاح أو إتمام أهداف عملية الإبداع. وعملية الابداع كما يعرفها مورينو « هى عملية استحداث وإنشاء كل ما هو جديد فى حياة الفرد » . وهى — أى عملية الإبداع — أكثر من عملية التكيف والانضباط بل ربما تعدتها وفاقتها لتصل إلى الجانب الآخر — جانب عدم التكيف والانضباط .

وهى أيضاً خاصة شخصية هامة كما يرى ذلك مورينو حيث يؤكد أن إبداعية الانسان هى السبب فى استمرار حياته وسيطرته على عناصر بيئته ويقول « إن مستقبل الحضارة أى حضارة يتقرر أولا وأخيراً عن طريق إبداعية أفراد ومؤسسات هذه الحضارة » .

وليست الابداعية — كما يقول مورينو أيضاً — خاصة شخصية وقفاً على

العباقرة والموهوبين دون غيرهم من الناس ولكنه يرى أن هناك عدة مستويات وأشكال للإبداع أو بمعنى آخر فهو يعتقد أن الإبداعية نسبية .

هذه هى بعض المفاهيم التى يمكن استخلاصها من آراء وكتابات مورينو عن سلوك الإنسان وهى ولا شك ذات صلة بشخصية الإنسان فى الخلفية الاجتماعية . وهذا مدخل للتفسير لا بأس به إذ أنه اهتم كثيراً بعلاقات الشخصية الانسانية بعناصر البيئة الخارجية كما اهتم أيضاً بالعمليات النفسية (من ناحية الوظيفة فقط) التى تكون خلفية هذه العلاقات .

وصاحب المدرسة الآخر هو ساليفان Sullivan الذى تتميز آراؤه فى ميدان الشخصية الإنسانية بالمنطقية والترتيب فهو يؤكد منذ البداية اقتناعه بأن المجتمع هو الذى يخلق شخصية الفرد . وأن الفرد يمكنه أن يغير ويطور التنظيم الأساسى لشخصيته من خلال عملية النضج الاجتماعى التى يمر بها .

ويؤكد ساليفان كذلك أن الفرد يعيش ويتفاعل فى بيئة اجتماعية تتميز بالتوتر وعدم الاتزان فهو يحس بهذا التوتر فى داخله أى مع نفسه ويحس به كذلك فى علاقاته مع الأفراد الآخرين . وعليه يزعم ساليفان أن شخصية الفرد هى نتاج هذين النوعين من التوتر .

وتتضح آراء ساليفان فى موضوع الشخصية عندما نستعرض بعض المفاهيم التى تبلورت فى بحوثه ودراساته :

١ - العلاقات البينية ***Inter- Relation :***

يقول ساليفان أنه من غير الجائز أو من غير الصحيح أن نناقش الشخصية الانسانية فى معزل عن القوى الاجتماعية المحيطة بهذه الشخصية . إذ أنه لا يمكن أن يكون للفرد ما يسمى بالشخصية إلا إذا كانت هناك شخصيات أخرى وقوى اجتماعية متباينة تتكون منها تلك الشبكة التأثيرية التى تخلق شخصيات الأفراد . والطفل منذ ولادته يدخل إلى متسع هذه الشبكة فيتأثر

بها نتيجة احتكاكه بشخصية كل فرد يحيط به ومن ثم تتكون شخصيته وتتشكل ويظل هذا الاحتكاك طالما ظل الفرد حيا يتفاعل مع الآخرين .

وعندما يتكلم ساليفان عن مبدأ العلاقات البينية والتفاعل الاجتماعى فإنه يأخذ فى حسابه أيضاً احتكاك الأفراد وتفاعلهم مع العناصر الأخرى سواء من الماديات (الجماد) أو من الشخصيات الوهمية (يقول مثل بابا نويل — سوبرمان . . . إلخ) بجانب تفاعلهم مع بعضهم البعض .

٢ - توتر البيئة :

يرى ساليفان أن الفرد يسعى دائماً إلى إزالة ما يشعر به من توتر وعدم اتزان وذلك من أجل أن يصل إلى مرحلة من الاستقرار المؤقت لا يكاد يدخل إليها حتى يعود إليه الاحساس بالتوتر من جديد — نتيجة فى تطور علاقاته بعناصر البيئة — ومن ثم يسعى إلى إزالة هذا الإحساس ليصل إلى اتزان مؤقت . وهكذا .

وينشأ التوتر من مصدرين هما :

(ا) إلحاح الحاجات العضوية : ومنها ما هو أساسى لكل الشخصيات مثل الحاجة إلى الهواء والحاجة إلى الماء والطعام ومنها ما هو نوعى مثل الحاجة إلى نوع خاص من الطعام أو الشراب .

وإشباع هذه الحاجات ضرورى لإعادة إحساس الفرد بالاتزان والاستقرار .

(ب) الإحساس بعدم الأمن الاجتماعى : وهذا الاحساس هو الذى يؤدى إلى القلق وعدم الاطمئنان ويتكون هذا الإحساس نتيجة نشاط الحاجات الاجتماعية الأخرى للفرد مثل حاجة الطفل إلى الحب والتعاطف الأمن وما إلى ذلك .

ويرى ساليفان كذلك أن مثل هذا التوتر يمكن أن يتناسب مع قدرة

الفرد على التكيف والانضباط مع البيئة حيث يمكن لنا أن نلاحظ الفرق بين الأفراد الذين يعيشون فى بيئة واحدة فى إحساسهم بالتوتر من ناحية النوع والدرجة .

٣ ـ القلق :

يقول ساليفان أن الانسان « حيوان قلق » ذلك لأن مبدأ القلق المرتبط بالتوتر هو الذى يؤدى بالانسان إلى التطور والتغير من أجل إزالة هذا القلق .

والقلق ـ فى صورة مخففه ـ ضرورى جداً لنمو الفرد اجتماعياً وحضارياً ولكن إذا تركز هذا القلق وازداد عن تلك الصورة المخففة أصبح ذا دلالة مرضية . ويرتبط القلق ـ فى مفهوم ساليفان ـ بتنظيم الذات عند الفرد حيث يتم هذا التنظيم والترتيب من أجل تجنب القلق فيدخل إلى هذا التنظيم معنى الاثابة والعقاب ومعنى الطاعة والعصيان ومعنى الانضباط والتمرد وهكذا بحيث يصبح من مكونات ذات الفرد مثل هذه المعانى التى تتصل بتجنب القلق أو التعرض له .

٤ ـ تحقيق التفاعل :

يرى ساليفان أن هناك ثلاثة عمليات ضرورية يتم عن طريقها تحقيق تفاعل شخصية الفرد مع الشخصيات الأخرى وهذه العمليات الثلاثة هى :

(ا) الدينامية dynamism وهى عبارة عن أى فعل معتاد أو اتجاه أو إحساس يشعر به الفرد تجاه فرد آخر أو أفراد آخرين .

والديناميات بهذا المعنى هى وحدات سلوكية إحساسية تتراكم عند الفرد من خلال خبرته واحتكاكاته الاجتماعية حتى تصل إلى حد ما من التعقيد والتركيب لتكون نهجاً خاصاً بالفرد فى حياته .

فمن أمثلة هذه الديناميات دينامية الشره التى تتمثل فى سلوك المقامرة ودينامية الرهبة التى تتمثل فى سلوك الخوف الشديد من المواقف الجديدة

ودينامية العدوان حيث تبدو واضحة فى ميـل الفرد الواضح إلى العراك والمشاجرة .

(ب) تصورات الذات : وهى عبارة عن مفاهيم الذات التى كونها الفرد أولا عن نفسه ثم عن الآخرين . ومن خلال عملية تكوين مفاهيم الذات تتلون علاقة الفرد بغيره فقد تكون علاقة قالبية حيث يصوغ الفرد صورة ذاته فى قالب من ذوات الآخرين أو قد تكون محاولة عكسية حيث يرفض الفرد أن يكون صورة ذاته إلا على نمط يختلف عن الآخرين وفى ذلك تتدخل ديناميات فرعية كثيرة .

(ج) الخبرة المعرفية : وهى عبارة عن تكوين الرصيد المعرفى للفرد من معلومات وخبرات وغير ذلك من وحدات المعرفة المختلفة . وهذا الرصيد المعرفى كما هو واضح يتدخل بصورة أو بأخرى فى عمليـات نزوعية وانفعالية كثيرة .

وتلخيصاً لآراء ساليفان — أخيراً — يمكن لنا أن نقول أنه بنى تفسيره لشخصية الإنسان عن طريق مفهومين أساسين أولهما التأثير المتبادل بين الفرد وغيره فى البيئة الاجتماعية وثانيهما التوتر الذى يشعر به الفرد دائماً — حيث أن حياته سلسلة من حلقات توترية — حتى أن ساليفان يعتقد أن شخصية الفرد تكوين متماسك وأساس هذا التماسك هو التوتر .

والرأى الثالث لتفسير شخصية الفرد فى هذه المدرسة هو رأى أدلر .

والمدخل إلى آراء أدلر فى الشخصية الانسانية ليس سهلا كما كانت الحال مع الآراء السابقة ذلك لأن آراء أدلر فى حد ذاتها تتصف بالتطور والتغــير .

فقد بدأ أدلر فكرته عن الإنسان على أنه كائن حى يتصف سلوكه

المعقد بالبحث عن القوة والغلبة والسيادة — وبذلك فقد رفض مبدأ الجنس الذى اعتنقه زميله فرويد على أنه المحرك الأساسى لسلوك الإنسان — وعلى هذا فإن آدلر يرى أن الدافع الحقيق لسلوك الفرد هو البحث عن العظمة والعلو .

وكان أدلر يرى أيضاً أن الإنسان حيوان تملؤه الرغبة والشهوة ولكنه بعد ذلك يغير رأيه فيقول أن الإنسان حيوان مسئول من الوجهة الاجتماعية .

وهكذا كانت آراء أدلر تتغير بالنسبة لتفسير سلوك الفرد إلى أن استقرت أخيراً واقتنع أدلر أن « ذلك الحيوان البشرى (يقصد الإنسان) عنده من الاهتمامات الاجتماعية ما هو عميق ودفين وذلك بالنسبة لرفاقه أبناء الجنس البشرى » .

وتدور آراء أدلر حول عدة مبادىء رئيسية تفسر اتجاهه نحو معالجته لسلوك الإنسان ومن ثم شخصيته . وهذه المبادىء هى :

١ ـ مبدأ الإحساس بالنقص :

يعتقد أدلر أن الإنسان يولد ومعه إحساس موروث بالنقص وعدم القدرة والكفاءة ثم يتأكد هذا الإحساس عندما يجد نفسه عاجزاً عن القيام بأعمال — أى أعمال — يقوم بها غيره . وهذا الإحساس بالنقص سواء كان نقصاً عضوياً أو فسيولوجيا أو نفسياً فإنه ذلك الدافع الذى يدفع الفرد إلى محاولة رفع مستواه وتعويض نقصه من خلال سلوكه للتغلب على العقبات كما يدركها ويراها .

٢ ـ مبدأ الإحساس بالعظمة والعلوية :

وهو مبدأ — من وجهة نظر أدلر — مكمل للمبدأ السابق حيث يرى أن إحساس الفرد بالنقص هو الذى يدفعه إلى البحث عن القوة والعظمة والعلوية

ومعنى ذلك أن ما يطلبه الإنسان ويرغب إليه هو العظمة والعلو . فهو - أى أدلر - يعتقد أن جميع الدوافع عند الإنسان هى دافع واحد فقط هو الرغبة فى العلو.

ولا يعنى هذا بالضرورة كما يقول أن يسعى الإنسان لقهر الآخرين ليعلو ويتفوق عليهم مادياً أو معنوياً ولكن قد يكون الأمر كما يعنى أدلر نفسه بالعلوية هى أن يتفوق الإنسان على ذاته ونفسه .

٣ ـ مبدأ نهج الحياة:

لأن يصل الانسان إلى العظمة والعلو متخلصاً من إحساسه وشعوره بالنقص وعدم القدرة لابد وأن يكون له نهجاً خاصا به فى حياته . ويرى أدلر أن هذا النهج وحيد منفرد أى لا يوجد لشخصين نهج واحد فى الحياة ولكن على الرغم من ذلك فإن هناك عوامل مشتركة بين الناس جميعا .

ويرى أدلر كذلك أن هذا النهج الشخصى يتكون عند الطفل منذ بداية ولادته ويتكامل عندما يبلغ السادسة من العمر تقريباً — ويتم هذا التكامل بناء على الخصائص الموروثة عند الطفل وبناء على استخدام الطفل لهذه الخصائص .

بناء على ذلك فإنه يمكن لنا أن نستنتج أن هذا المنهج مرتبط بشخصية الإنسان بل ربما يحددها ويرسم إطارها وطالما أنه سوف يكتمل عند سن السادسة فإن مثل هذا الإطار والتحديد سوف يكتمل أيضا عند سن السادسة ومن ثم تتحدد شخصية الفرد عند هذا السن .

٤ ـ مبدأ الإبداع:

يقول أدلر أن الإنسان أكثر من حصيلة تفاعله مع البيئة . والإنسان أكثر من حيوان يحدده ماضيه الموروث . وهو بهاتين الخاصتين أو الصفتين قادر على أن يفسر حياته تفسيرا جديدا ويستحدث فيها الجديد تلو الجديد .

والسبب فى ذلك هو النفس الخلاقة المبدعة التى تعمل وتحقق من الأشياء ما لم يكن فى الأصل موجودا أو محسوسا — وذلك وجهة نظر أدلر .

لذلك فإن خاصية الإبداع فى شخصية الفرد لها أهمية عظمى فى انتقال الفرد من الاحساس بالنقص إلى الاحساس بالعظمة والعلو .

٥ ـ مبدأ الذات الواعية :

يرفض أدلر آراء زميله فرويد عن دور اللاشعور وما قبل الشعور فى شخصية الفرد إذ أنه يعتقد أن الانسان واع دائما لكلما يقوم به من أعمال فهو يعى أين يذهب . ولماذا يقوم بهذا العمل دون ذاك . وبهذا فإن الانسان — كما يقول أدلر — لديه القدرة والإمكانية لأن يخطط لسلوكه ويوجهه إلى هدف يدركه على مستوى الوعى والشعور .

٦ ـ مبدأ الهدف الوهمي :

لم يقصد أدلر بالهدف الوهمى أو التخيلى أن يكون بعيدا عن متناول الفرد بصورة قاطعة بحيث لايتسنى له أن يصل إليه — ولكن ما قصد إليه أدلر هو الأهداف المثالية فى البحث عن الكمال فى كل شىء . فهو يعتقد أن مثل هذه الأهداف هامة جدا وضرورية لسلوك الانسان واتجاهه نحو إنجاز ما يحقق علوه وعظمته .

٧ ـ مبدأ الاهتمام الاجتماعي :

يقول فرويد أنه « لا يرى الانسان إلا إنسان آخر » فالآباء والمعلمون على سبيل المثال يقومون بتربية الأطفال . وهذا أساس عملية التطبيع أو التنشئة الاجتماعية التى هى عصب حياة الانسان كفكرة ومثل ومعنويات واستمراره كمجتمع وجماعة . فلابد إذن وأن يتوفر عنصر الاهتمام الاجتماعى عند طرفى العلاقة .

وبالمثل لابد أيضاً وأن يتوفر هذا العنصر عند الفرد حتى يتم التفاعل الاجتماعى بينه وبين غيره من الآخرين فى الجماعة التى ينتمى إليها .

٨ ـ التفسير البيوفيزيكي للشخصية الإنسانية :

أصحاب هذا المذهب أربعة هم فرويد وشيلدون وموراى ويونج . وهذا المذهب يماثل سابقه — التفسير الاجتماعى — فى أنه مجموعة من الآراء نجد أن التناسق بينها لايزيد عن علاقة المذهب ككل بالمذاهب الأخرى فى تفسير شخصية الإنسان .

والحقيقة هى أن الصفة الفيزيكية أو الجسمانية هى الغالبة على أراء أصحاب هذا المذهب سواء كانت هذه الآراء فلسفية أو بيولوجية .

والكلام عن فرويد وآرائه فى تفسير شخصية الانسان قد يعتبر ضربا من البحث فى أراء وأفكار اعتبرت أسطورية فى ميدان علم النفس . فكثير من دارسى علم النفس — بالإضافة إلى غير المتخصصين — يعتبرون فرويد من الأسماء التى يجب أن يرتبط بها علم النفس . كما أننا أيضاً نجد الكثير من علماء النفس وخاصة المحدثين منهم يرفضون آراء فرويد وأفكاره ويعتبرونها لا أكثر من إضافات إلى متحف علم النفس القديم .

وعلى العموم سوف نشير فى إيجاز إلى بعض المبادىء التى أكدها فرويد فى كتاباته من أجل تفسير سلوك الانسان :

١ ـ مبدأ اللذة :

يقول فرويد أن الانسان حيوان يبحث عن اللذة وعليه فإن دافعية الفرد تنشط وتوجه سلوكه من أجل البحث عن هذه اللذة وتجنب الألم .

وإذا أردنا أن نبنى شيئا ما على هذا الزعم فإنه يمكن لنا أن نقول أن إمكانية التنبؤ بسلوك الفرد فى أى موقف من المواقف الاجتماعية أمر سهل إذ لا يكلفنا ذلك أكثر من معرفة أين توجد اللذة وأين يوجد الألم وبالتالى سوف نعرف إلى أين سوف يتجه الفرد .

ولكن مايجب أن نسأله هو : هل هناك درجات متفاوتة من اللذة تؤثر فى اتجاه سلوك الفرد ؟ وهل مفهوم اللذة أمر موضوعى أم ذاتى ؟

٢ - مبدأ الواقعية :

يوضح هذا المبدأ أن الانسان حقيقة يبحث عن اللذة ولكنه فى نفس الوقت يرى حدود الواقع الذى يعيش فيه وهو مرتبط به فيؤجل الحصول على لذة موقتة من أجل الوصول إلى لذة دائمة .

وبمعنى آخر يمكن أن نقول أنه بناء على هذا المبدأ يقوم الفرد بتكوين تنظيم هرمى لرغباته واتجاهاته نحو اللذة .

٣ - مبدأ تقليل التوتر :

وهذا مبدأ يقترب كثيرا من المبدأين السابقين — والتوتر من وجهة نظر فرويد ليس هو عدم الاتزان والاستقرار ولكنه عبارة عن قوة الشد التى يتعرض لها الانسان وهو بين اللذة والواقعية .

وعلى ذلك فإن على الفرد أن يقلل قوة هذا الشد وإلا فإنه سوف يتعرض للهلاك ويعنى ذلك تقليل التوتر من أجل الحياة .

٤ - مبدأ القطبية الثنائية :

يقول فرويد أن هذا المبدأ يفسر سلوك الإنسان فى كل المواقف تقريباً حيث يكون هناك احتمالان يختار الفرد بينهما فإذا ترك أحدهما فإنه ولابد سوف يتجه إلى القطب الآخر أو الاحتمال الآخر .

وقد يبدو ذلك بديهيا للوهلة الأولى حيث نظن أنه طالما أن الموقف يتكون من ا ، ب وعلى الفرد أن يختار بينهما فإنه إذا رفض (ا) فسوف يختار (ب) . ولكن قد يكون هناك غير ذلك فقد يرفض كليهما أو يتخذ موقفاً آخر لا يمكن لهذا المبدأ أن يغطيه أو ينطبق عليه .

٥ ـ مبدأ التكرار الاجباري:

يوضح هذا المبدأ أكثر من تفسير لتعود الإنسان على عمل ما. أو بمعنى أصح كيفية تكوين العادة عند الإنسان فيقول فرويد أن الفرد إذا قام بنشاط معين ثم كرر هذا النوع من النشاط فإنه سوف يصل إلى مرحلة يقوم فيها بهذا النشاط دون وعي أو تفكير. وبذلك يكون سلوك الفرد فى فترة ما — من وجهة نظر فرويد — هو سلوك ليست له خلفية الوعي والتفكير.

هذه المبادىء الخمسة تلخص وجهة نظر فرويد فى تفسير سلوك الانسان كسلوك وتصرف وقد لا يرضى القارىء أن نترك فرويد قبل أن نتكلم عن الذات السفلى والذات الواعية والذات العليا ولكن هذه المفاهيم لاتختص بالسلوك — من وجهة نظرنا نحن — بقدر ما تختص ببناء وتركيب النفس الانسانية من وجهة نظر فرويد.

وأما شيلدون — وهو الزعيم الثانى فى هذه المدرسة — فقد كانت آراؤه صريحة وواضحة ومتكاملة فقد بدأ هذه الآراء بقوله أن فرويد وأتباعه يضيعون الوقت هباء لأنهم غير متفهمين لحقيقة معينة وهى أنه لا فرق بين اللاشعور وجسم الإنسان.

ويرى أن الاخصائى الذى يريد أن يفهم لا شعور الفرد عليه أن يقوم بعدة قياسات مورفولوجية لجسم الانسان توضح مفهوم ومحتوى هذا اللاشعور.

وعلى ذلك فقد عرف شيلدون أنه يبحث عن سيكلوجية الفرد من خلال مورفولوجيته وفسيولوجية جسمه. وبمعنى آخر فإن آراء شيلدون تتلخص فى أن هناك علاقة متبادلة بين تركيب جسم الانسان وشكله الظاهرى وبين سلوكه فى المواقف الاجتماعية المختلفة.

وهناك عدة مبادىء وأسس يحددها شيلدون من أجل توضيح ما يذهب إليه بشأن هذه العلاقة :

١ ـ مبدأ علاقة الجسم بالمزاج :

من أجل هذا المبدأ أو القاعدة يقسم شيلدون الناس إلى ثلاثة أقسام حسب مورفولوجية كل منهم ويربط بين كل قسم وبين نوع خاص من السلوك الذى يفسر بدوره نوعا خاصا من الشخصية .

وذلك يتضح من التوزيع التالى :

مورفولوجية الجسم	السلوك	الشخصية
١ — يميل إلى السمنة	يميل إلى الانبساط	سمين منبسط
٢ — عضلى	يميل إلى الحزم والتصميم	عضلى حازم
٣ — نحيف	يميل إلى الانطواء	نحيف منطوى

وتفصيلا لذلك فإن شيلدون يقول إن الشخص السمين المنبسط يميل فى سلوكه اليومى العام إلى أن يتقيد بعدة خصائص سلوكية أهمها :

١ — الانبساط أثناء الحركة أو فى حالة السكون .

٢ — الميل إلى الراحة الجسمية (من ناحية الملبس) .

٣ — رد الفعل البطىء حيث لا يستجيب للأحداث بسرعة واهتمام .

٤ — ميله الشديد إلى الطعام .

٥ — يكره أن يتناول طعامه بمفرده .

٦ — حبه لأن يكون دائما مع الجماعة (اجتماعى) .

٧ — سهولة الموافقة وعدم الرفض .

٨ — قدرة كبيرة على التحمل .

٩ — ينام بعمق .

١٠ — يحب أن يعرض متاعبه على الناس .

أما الشخص العضلى الحازم المصمم فإن سلوكه اليومى يتميز بعدة خصائص منها :

١ — العزم والتصميم فى الحركة والسكون .
٢ — الميل إلى المخاطرة والمغامرة .
٣ — الطاقة المتوفرة .
٤ — الميل إلى النشاط والتمرن .
٥ — الرغبة فى السيطرة .
٦ — الجرأة والاندفاع .
٧ — العدوانية فى التنافس .
٨ — الخوف من الأماكن المغلقة .
٩ — الصوت الجهورى الواضح .
١٠ — يميل إلى العمل السريع لحل مشاكله .

وأما الشخص النحيف المنطوى فيقول شيلدون إن سلوكه يتميز بما يلى :

١ — الانطواء فى الحركة والسكون .
٢ — الحساسية الفسيولوجية (الاستعداد الدائم لكل مثير) .
٣ — الاستجابة السريعة فى المواقف الاجتماعية .
٤ — الميل إلى العزلة والخصوصية .
٥ — الانتباه الزائد لمجريات الأمور .
٦ — الاحتفاظ بسرية إحساساته وانفعالاته وعواطفه .
٧ — عدم توفر الميل إلى التجمع .
٨ — الخوف من الأماكن المفتوحة أو الواسعة .
٩ — عدم الاستقرار أثناء النوم .
١٠ — شدة الحساسية للألم .

هذه هى الصفات السلوكية المختلفة التى يربطها شيلدون بمورفولوجية جسم

الإنسان ولكنه يتحفظ نوعا ما فى استخدام هذه السمات السلوكية على الإطلاق فيقول أن هناك بطبيعة الحال أنماط مختلفة بين هذه التوزيعات الثلاثة . فعلى سبيل المثال نجد أن النساء عموما أكثر تمثيلا لهذه الأنماط المختلفة وخاصة بين نحافة الانطواء وسمنة الانبساط .

٢ ـ مبدأ المتغير المستمر :

يقصد شيلدون بهذا المبدأ أن كل إنسان لا يمكن أن تكون شخصيته نمطا واحدا فقط من الأنماط الثلاثة السابقة ولكن كل إنسان توجد فيه هذه (المتغيرات) الثلاثة بنسب متفاوته ولكن إحداها تكون نسبته أعلى وبذلك يصبح الصفة الغالبة لسلوك الفرد وشخصيته .

ويستخدم شيلدون نظاما عدديا خاصا فى الإشارة إلى كل نمط من هذه الأنماط الثلاثة حيث يشير إلى كل منها مستخدما فى ذلك استمرار قياسى يبدأ من ١ إلى ٧ ثم يصف كل شخصية بمقوماتها مثال ذلك :

(٧ — ١ — ٧) شخص تتساوى فى تكوينه نسبة النمط الأول (السمين المنبسط) مع نسبة النمط الثالث (النحيف المنطوى) بينما تقل فيه نسبة النمط الثانى (العضلى الحازم) إلى أدنى مستوى . وهكذا يمكن إعطاء كثير من الأمثلة من واقع جدول شيلدون الخاص بهذا الترقيم حيث نجد فيه ٣٤٣ مثالا مختلفا .

٣ ـ مبدأ القياس الموضوعي :

يعتقد شيلدون بصورة واضحة فى إمكانية قياس شخصية الإنسان قياسا موضوعيا وهو يبدأ ذلك بقياسه لجسم الفرد بأبعاده المختلفة ثم ملاحظة السلوك ملاحظة دقيقة مفصلة ثم إيجاد العلاقة بين هذين المتغيرين .

وقد أجرى شيلدون ومعاونوه تجربة قياس على عدد كبير جدا من طلبة الجامعات فوجد أن هناك فعلا علاقة منطقية بين أنماط الجسم وأنماط السلوك كما يتضح فى الجدول التالى :

أنماط الجسم

أنماط السلوك	سمين	عضلى	نحيف
١ — منبسط	٧٩و٠		
٢ — حازم	— ٢٩و٠	٨٢و٠	
٣ — انطوائى	— ٣٢و٠	— ٥٨و٠	٨٣و٠

٤ ـ مبدأ ثبات نمط الجسم :

يزعم **شيلدون أن النسبة** بين عناصر مورفولوجية الجسم تظل ثابته على الرغم من أنه يقول أن الانسان يزداد وزنه ويصبح أكثر سمنة تحت ظروف كثيرة .

ولكن ما يهتم به شيلدون فى قياسات الجسم هو النسبة بين الرأس والعنق ، والصدر والجذع ، الأذرع ، المعدة ، الجذع ، الساقين . ولذلك فهو يزعم أن كل هذه النسب ثابته ولكن ما يتغير هو توزيع كمية الدهون على أجزاء الجسم المختلفة وهذا أمر لا يهتم له كثيرا .

الزعيم الثالث فى هذه المدرسة هو موراى الذى تقوم نظريته فى تفسير الشخصية على أن « الإنسان حيوان له دافعية » « motivoted animal » . وعلى ذلك فإن موراى يلخص نظريته فى عدة أسس ومبادىء هامة نعرض لها فيما يلى :

١ ـ مبدأ السيادة :

يقصد موراى بهذا المبدأ سيادة وسيطرة المخ على جميع أنماط سلوك الإنسان وبالتالى على شخصيته وبناء على ذلك فهو يقول « حيث لا يوجد مخ لا توجد شخصية « Nobrain No Personality » .

ومعنى هذا — من وجهة نظر موراى — أن المخ أكثر من كيان فسيولوجى يوجه النشاط العصبى للانسان ويسيطر عليه .

وقد يمكن أن ينشأ هنا سؤال هام وهو أنه قد نجد بعض الخصائص الشخصية مشتركة بين ضعاف العقول والعباقرة . ولكن موراى يرد على ذلك عندما يقول لأحد العلماء (يشوف) « أننى أقصد المخ ولا أقصد الذكاء » .

٢ ـ مبدأ الدافعية :

يعتبر مبدأ الدافعية عند موراى من أهم المبادىء التى يبنى عليها نظريته فى تفسير شخصية الفرد . فهو يقول أن سلوك الإنسان مبنى على دافعية : حيث ينشط الفرد دائماً من أجل إزالة مايتعرض له من توتر وعدم استقرار مبعثه إحساس الفرد بإلحاح حاجاته من أجل أن تشبع ، وكذلك الضغوط الاجتماعية التى تسببها عناصر البيئة .

٣ ـ مبدأ الامتداد الطولى :

يقصد موراى بهذا المبدأ امتداد الخبرة والصفة على طول شخصية الفرد منذ بداية حياته فيقول إن « تاريخ الشخصية هو الشخصية » وعلى من يريد دراسة شخصية الإنسان أن يبحث فى جذورها التاريخية حتى يتعرف عليها .

٤ ـ مبدأ العملية الفسيولوجية :

يؤكد موراى مرة أخرى من خلال هذا المبدأ أهمية الوظيفة الفسيولوجية فى جسم الإنسان وكيف أنها تؤثر على سلوك الفرد وبالتالى على شخصيته .

٥ ـ مبدأ التجريد :

حيث يرى موراى أن سلوك الإنسان تجريد لمعانى ليست ظاهرية أو سطحية ولكنها قد تكون غير ذلك . فسلوك الإنسان من زاوية هذا

المبدأ رمز لعملية داخلية أو دينامية غير منظورة . ولكن لا نريد أن يفهم من ذلك ضرورة الاتفاق بين آراء موراى وفرويد على علاقة هذه الدينامية الداخلية بالسلوك الخارجى أو حتى على وظيفة وتركيب هذه الدينامية الداخليـة .

٦ ـ مبدأ التفرد والتمايز :

يلخص موراى هذا المبدأ فى عبارته المشهورة « ليس هناك شخص يشبه شخصاً آخر فى كل الصفات والخصائص ولكنه يشترك مع معظم الآخرين فى بعض الصفات والخصائص .

٧ ـ مبدأ فهم الدور :

وهذا المبدأ هو تلخيص لفكرة يفهمها الجميع — كما يقول موراى — فالعالم كله عبارة عن خشبة مسرح كبير وجميع الرجال وجميع النساء يقومون بأدوار معينة تمليها عليهم ظروف المسرحية التى يعيشونها والتى منها يستمدون كيانهم ووجودهم .

والرجل الناجح فى حياته أو بمعنى أصح فى أداء دوره هو صاحب الشخصية التى تفهم دورها وتستوعب أبعادها جيداً .

والرابع والأخير من زعماء هذه المدرسة هو يونج الذى يرى أن الإنسان آخذ فى النمو والتطور فى سلسلة من التغيرات حتى يصل إلى صورته الحالية المتحضرة وهو فى ذلك — أى الإنسان — يمثل خيطاً متصلا مستمراً فى جميع الخصائص والصفات .

وعلى ذلك فإنه يعطى أهمية متساوية تقريباً لمراحل النمو المختلفة ولم يحصر نمو الشخصية وبنائها فى مرحلة واحدة فقط مثل مرحلة الطفولة على سبيل المثـال .

ويفسر يونج سلوك الكائن الحى ومن ثم شخصيته باستخدام عدة مبادىء نعرض لها فيما يلى :

١ ـ مبدأ القطبية :

يختلف فهم يونج لمعنى القطبية عن فهم فرويد لها فيقول يونج إن الإنسان حقيقة فى صراع بين قطبين اثنين ولكن نهاية هذا الصراع نوع من الإستقرار والاتزان المؤقت بينما يقول فرويد أن نهاية هذا الصراع هو إحباط مؤلم للفرد .

لذلك نجد أن يونج يعتقد فى قدرة الفرد على تعديل أهدافه أثناء تفاعله مع عناصر بيئته الخارجية .

٢ ـ مبدأ التكافؤ :

يبنى يونج هذا المبدأ على أحد القوانين الطبيعية وهو القانون الأول لحركيات الحرارة (الديناميكا الحرارية) الخاص بعدم فناء الطاقة . وهذا القانون ينص على أن الطاقة المبذولة من أجل تغيير حالة شىء ما لا يمكن أن تفنى ولكنها تعود وتظهر فى صورة أخرى . فالطاقة المستخدمة فى حرق قطعة من الفحم لاتفنى ولكنها تتحول إلى طاقة حرارية ويقول يونج أن رغبة الانسان تجاه شىء معين عندما تخبو فإن كمية مساوية من الرغبة توجه ناحية شىء آخر .

٣ ـ مبدأ التعادل :

كما فى حالة المبدأ السابق فقد بنى يونج محتواه على القانون الثانى للديناميكا الحرارية الخاصة بانتقال الحرارة من الجسم الأعلى درجة إلى الجسم الأقل درجة .

فعند وضع قطعة من النحاس الساخن بجوار قطعة أخرى باردة . فإن

الحرارة سوف تنتقل من الجسم ذى الدرجة الأعلى إلى الجسم ذى المستوى الأقل . ويطبق يونج هذا القانون على سلوك الانسان فيقول إنه إذا كان الانسان فى موقف اجتماعى خاص فإن سلوكه يتأثر بمعنى هذا القانون أى أى السلوك ينتقل من منطقة الجهد الأعلى إلى منطقة الجهد الأقل ليتم التعادل والاتزان .

٤ ـ مبدأ تحقيق الذات :

وهو المبدأ الذى يفسر حالة التوازن التى يصل إليها الفرد أى تلك الفترة المؤقتة التى يصل الفرد فيها إلى مرحلة التعادل بين قطبى الصراع كما سبق أن أشرنا إلى ذلك .

هذه هى بعض الأسس والمبادى التى بنى عليها يونج نظرته إلى شخصية الفرد وتفسيره لسلوكه . وبها تنتهى هذه الصفحات التى استعرضنا فيها التفسيرات المختلفة لشخصية الانسان . وكان الهدف منها كما كان واضحاً هو أن نربط بين شخصية الفرد — على أى مفهوم من المفاهيم — وبين سلوكه وهو الأمر الذى يقع فعلا فى بؤرة اهتمام هذا الفصل من الكتاب .

ثالثاً ـ بناء الشخصية الإنسانية :

هذا جزء هام آخر من أجزاء هذا الفصل حيث تتناول فيه بالوصف والمناقشة والتعليق الآراء والتصورات المختلفة الخاصة ببناء شخصية الفرد الإنسان ، ونقول آراء وتصورات مع تحفظ بسيط حيث أن بعض هذه التصورات له أساس علمى واقعى وبعضها ليس كذلك .

فنحن لا نستطيع أن ننكر أن هناك تصوراً قدمه فرويد وأتباعه عن نفس الإنسان وبنائها من الأعماق حيث تكلم عن الذات الواعية والذات العليا والذات السفلى وهو وأتباعه فى هذا يتصورون أن شخصية الإنسان

كإنسان متكامل لابد وأن يكون بناؤها متقيداً بهذا التصور أو الوصف الوهمى للنفس الإنسانية .

ونحن الآن لسنا بصدد نقد هذه الآراء وتفنيدها إذ أنه ليس من الضرورى أن نناقش مثل هذه الآراء الاستبطانية رغم أن هناك الكثير ممن يثقون فيها ويؤمنون بها .

ولكن ما يجب أن نركز عليه فى هذا الموضع هو آراء كاتل وآيزنك لا لأن هذه الآراء أكثر أهمية ووضوحا فقط بل لأن منهجية الوصول إلى هذه الآراء تتميز بالعلمية الموضوعية .

وكما يقول رايت ومعاونوه « إن اهتمامنا بآراء كاتل وآيزنك فى بناء الشخصية الإنسانية يرجع إلى عاملين أولهما أن هذه الرجلين هما ولا شك أول من قام بدراسة كمية موضوعية للشخصية وثانيهما هو أن كاتل يفهم بناء الشخصية عن طريق السمة بينما نجد أن آيزنك يفهم هذا البناء عن طريق النمط » .

وواضح أنه يمكن الإضافة إلى ذلك بأن كاتل وآيزنك من العلماء المعاصرين فى علم النفس والذين قطعوا شوطا كبيراً فى دراسة ما سبقهما من آراء وتصورات .

وجهة نظر كاتل :

يحدد كاتل وجهة نظره فى نظريته المعروفة بنظرية العوامل الطائفية Group Factor وأهم مفهوم تقوم عليه هذه النظرية هو مفهوم السمة Trait . وهو المفهوم الذى يقوم عليه تصور كاتل لنموذج شخصية الإنسان .

يرى كاتل أن السمة « بناء عقلى mental Structare ودالة للسلوك الظاهرى المنتظم المتكرر الحدوث . وقد تمكن كاتل عن طريق استخدامه أكثر من منهج أهمها منهج التحليل العاملى أن يحدد السمات الأصيلة أو المصدرية

التى يعتبرها الأساس الفعلى للبناء الكلى لشخصية الإنسان . وبذلك تكون السمة المصدرية هى المتغير المستقل Independent variable الذى يحدد شكل وموضوع السلوك الظاهرى الذى يمكن أن نلاحظه فى الحياة اليومية للفرد والذى تتشابه وحداته فنظنه كلا مستقلا بذاته .

وللتوضيح فإن هذا المفهوم عند كاتل — أى مفهوم السمة الأصيلة أو المصدرية — يشبه إلى حد كبير مفهوم القدرة Ability . فعلى سبيل المثال نحن نعلم أن القدرة الرياضية هى ذلك المتغير المستقل الذى يحدد شكل وموضوع سلوك الإنسان فى المواقف المتعلقة بالرياضيات . فنحن نلاحظ سلوك الفرد ومهارته أثناء العمليات الرياضية المختلفة . فنلاحظ أنه ماهر فى عمليات الجبر ومعالجة الأشكال الهندسية واستخدام المنطق الرياضى فى حل المسائل والمعضلات . كل هذه أنماط من السلوك تبدو لنا أنها ذات صلة بعضها ببعض لتكون تجمعاً خاصا أو نمطا خاصا من السلوك نظن خطأ أنه كل مستقل بذاته . ولكن فى حقيقة الأمر هذا التجمع أو النمط من السلوك هو متغير تابع لذلك المتغير المستقل الذى هو القدرة الرياضية .

وبالمثل فإنه فى حالة السمة الصدرية فإنها تكون أساسا لعدة أنماط من السلوك الظاهرى تبدو متعلقة بعضها البعض ومتكاملة مع بعضها البعض مثل الغضب السريع والخوف مما هو مجهول والبكاء وعدم ضبط العاطفة بحيث نظن أن هذه الأنماط كل مستقل بذاته ولكنها جميعا فى الواقع ما هى إلا متغير تابع لمتغيرمستقل هو سمة مصدرية يمكن أن نسميها «الثبات الانفعالى» .

وهنا نجد أن كاتل يستخدم مفهوما آخر ليشير به إلى المتغير التابع وهو مفهوم السمة السطحية أو الظاهرية Surface trait ليدل على ذلك التجمع أو النمط من السلوك المتشابه الذى نلاحظه فى تفاعل الفرد مع عناصر بيئته الخارجية .

ويقول كاتل إن هذه السمات الظاهرية أو السطحية تنتج عن تفاعل السمات الأصيلة، أو المصدرية مع مثيرات البيئة المحيطة بالانسان ولذلك فإنها نتاج مؤقت أولها ثبات واستقرار نسبى لا يمكن مقارنته بالثبات والاستقرار الأكثر عمقا الذى تتميز به السمة المصدرية .

ويقول كاتل كذلك أن منهج التحليل العاملى هو السبيل الوحيد للتمييز بين السمات المصدرية الأصيلة وبين السمات السطحية الظاهرية وعليه فإنه يمكن تجنب الأخطاء التى وقع فيها الكثيرون حيث اعتبروا بعض السمات الظاهرية سمات بنائية فى الشخصية الانسانية .

وقد استخدم كاتل هذا المنهج فعلا حيث قام ببناء وتطبيق عددا من المقاييس المشتقة من الحياة اليومية للأفراد ومن الملاحظات الاكلينيكية للإخصائيين ومن التفهم الموضوعى للسلوك الانسانى . وبناء على ما قام به من دراسة وتجريب حدد كاتل مفهومه أو تصوره لبناء شخصية الانسان .

يرى كاتل أن شخصية الفرد العادى تبنى من ١٦ إلى ٢١ سمة مصدرية أصيلة وهى السمات التى يمكن أن يفصلها ويحصل عليها عن طريق عملية التحليل العاملى والتى سماها أحيانا العوامل الطائفية group factors .

ولكن بما هو معروف أن الستة عشر عاملا التى حددها كاتل أولا هى العوامل المتفق عليه والتى لم يختلف عليها الرأى بين كاتل ومعاونيه إلا قليلا .

وفيما يلى عرض مبسط لهذه العوامل الستة عشر :

العامل الأول (ا) :

الانبساط Cyclothymia	⟵ ⟶	الانعزالية Schizothymia
بمعنى الميل إلى تكوين علاقات طيبةمع الآخرين — يتم استهواؤه بسهولة — يميل إلى أن يشترك فى كل شىء مع الآخرين فى الحديث أو العمل أو غير ذلك		يمعنى الميل الشديد إلى المحافظة — والبعد عن الآخرين والميل إلى نقد أعمالهم وبرودة العلاقات الاجتماعية بينه وبينهم

العامل الثانى (ب) :

الذكاء المتفوق	←→	الذكاء غير المتفوق
بمعنى القدرة الواضحة على التفكير المجرد — التميز بالقدرة العقلية التحصلية.		التميز بالتفكير غير المجرد أو الواقعى فقط (بمعنى الملموس) قلة القدرة العقلية التحصليلة
(Higher Scholastic mentafity		(Lower Scholastic mentality)

العامل الثالث (حـ) :

الثبات الانفعالى	←→	عدم الثبات الانفعالى
الميل إلى ضبط الانفعال ومواجهة الواقع والحقائق بموضوعية هادىء — يتميز بقوة وتماسك الذات.		سريع التأثر — حساس المشاعر غير ثابت من الناحية العاطفية — يغضب بسهولة. يتميز بضعف وعدم تماسك الذات
(Higher ego Strength.)		(Lower ego Strength.)

العامل الرابع (هـ) :

السيطرة والتسلط	←→	الخضوع والخنوع
الميل إلى العدوانية والاستقلالية والعناد فى علاقاته مع الآخرين.		الميل إلى التواضع الدائم والرقة والطاعة والمجاملة فى التعامل مع الآخرين
(Dominance.)		(Submissiveness)

العامل الخامس (و) :

كثرة الحركة	←→	قلة الحركة
الميل إلى الاعتماد على عوامل الحظ والصدفة — عدم الاهتمام بالأمور — سرعة التحمس لأى رأى من الآراء.		الميل إلى الانتباه الهادىء — متعقل متزن — جاد — قليل الكلام.
(Surgency)		(Desurgency.)

العامل السادس (ز) :

قوة الذات العليا (الضمير) ←—→	ضعف الذات العليا
الميل الشديد إلى التمسك بالمبادىء والقواعد والقوانين — والصراحة والاستقامة في إبداء الرأي والملاحظة	الميل إلى سلوك الطرق الجانبية للوصول إلى الهدف والقدرة على التحايل على القاعدة أو القانون
(Stronger Superego Strengh)	(Weaker snperego Strengh)

العامل السابع (ح) :

الجرأة الاجتماعية ←—→	الخوف الاجتماعي
الميل إلى المخاطرة والمبادأة وعدم الاكتراث بالمصاعب — التلقائية	الخجـــل الواضح والانسحابية الارتباك في المواقف

العامل الثامن (ط) :

الليونة ←—→	الصلابة والشدة
رقة الحاشية — الاعتماد على الغير بصورة واضحة — يطلب دائماً حماية الغير — شدة الحساسية	صلابة الرأي — الثقة في النفس بصورة واضحة — الواقعية — عدم الايمان بالخرافات .

العامل التاسع (ى) :

الحذر والحيطة ←—→	سلامة الطوية
الشك الدائم في الأمور وعـــدم قبولها بسهولة — لا تنطلي عليه الحيل بسهولة	يثق في كل شيء — يتكيف بسهولة للظروف لا يحسد أحدا — يسهل التعامل معه .

العامل العاشر (ل) :

التخيلية ←—→	الواقعية
عدم الاهتمام بالوقائع والحقائق — الميل إلى الانطلاق بالخيال والحياة في الأوهام — البوهيمية	عملي — يهتم بكل شيء — يأخـــذ الحقائق والوقائع في حسابه — يهتم بالضغوط الخارجية .

العامل الحادى عشر (م):

الحدة والدقة ←—→ عدم التكلف

يحسب كل شىء من وجهة نظره هو — أنانى ومتمركز حول ذاته وخاصة فى البحث عن الثروة والجاه — يتدخل فى كل شىء

طبيعى فى معاملاته — غير متكلف يهتم بالمشاعر الإنسانية — عاطفى.

العامل الثانى عشر (ن):

الإحساس الدائم بالندم ←—→ الطمأنينة والارتياح

الميل إلى الاكتئاب والقلق وتجسيم المتاعب والمشاكل

مطمئن بصورة واضحة — لا يهتم كثيراً بالمتاعب والمصاعب — يثق بنفسه

العامل الثالث عشر (ك١):

التقدمية ←—→ المحافظة

يميل إلى التجريب والانتقاد وحرية التفكير والتحليل المنطق

يحترم ما هو قائم من تقاليد وعادات — لا يميل إلى التغير ويتحمل ما تسببه التقاليد من مشاكل ومعوقات.

العامل الرابع عشر (ك٢):

الاكتفاء بالذات ←—→ التعلق بالجماعة

يثق فى قراراته التى يتخذها بمفرده ويعتمد دائماً على نفسه — له طريقته الخاصة فى اتخاذ القرارات وإصدار الأحكام.

يبحث دائماً عن استشارة الآخرين فى كل قرار يحاول اتخاذه — تابع جيد سهل الانقياد.

العامل الخامس عشر (ك$_{٣}$) :

الاهتمام بصورة الذات	← →	الاهمال
يتقيد بالنظم الاجتماعية بدقة - ويهتم بردود فعل الآخرين اهتماما خاصاً منظم مهندم فى علاقاته مع الآخرين		تلقائى فى كل شىء — يتصرف بلا تفكير سابق — يهمل النظم الاجتماعية غير مهندم أو منظم فى علاقاته مع الآخرين .

العامل السادس عشر (ك$_{٤}$) :

شدة التوتر الطاقى	← →	قلة التوتر الطاقى
قابل للخوف والهلع - لا يحس بالأمن والطمأنينة شديد الحساسية للمتاعب		آمن مطمئن لا يشعر غالباً بالاحباط هادىء مرتاح البال .

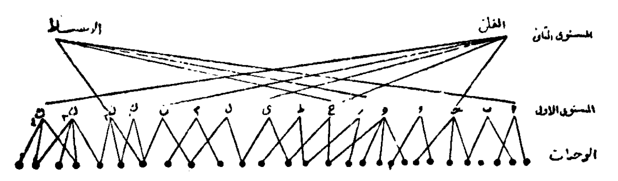
(ملحوظة : الرموز ا ، ب ، حـ ... ك$_{١}$ ، ك$_{٢}$ ، ك$_{٣}$ ، ك$_{٤}$ هى الرموز المناظرة لتلك التى اقترحها كاتل ومعاونوه للعوامل الستة عشر التى استخلصها من منهج التحليل العاملى كما سبق الإشارة) .

هذه هى العوامل الأساسية من وجهة نظر كاتل التى تبنى عليها شخصية الفرد الإنسان والتى كانت دائماً محور دراسات وكتابات كاتل ومعاونيه .

وفى الدراسات الحديثة وجد كاتل — بناء على تحليل أكثر عمقاً — إن أهم هذه العوامل الستة عشر هما عاملان : الانبساط الاجتماعى والقلق ، ذلك لأن القلق — على سبيل المثال — له علاقة بالعامل الثالث (ج) والعامل السابع (ح) والعامل الثانى عشر (ن) والعامل التاسع (ى) والعامل الخامس عشر (ك$_{٣}$) والعامل السادس عشر (ك$_{٤}$) .

أما الانبساط فله علاقة بالعامل الأول (ا) والعامل الخامس (و) والعامل الرابع عشر (ك$_{٢}$) والعامل الرابع (هـ) والعامل التاسع (ى) .

وعلى ذلك فإنه يمكن توضيح تصور كاتل ومعاونوه لبناء الشخصية الانسانية كما يلى :



التنظيم الهرمى لبناء الشخصية كما يراه كاتل

وجهة نظر آيزنك:

آيزنك — كما سبق وأشرنا — من علماء الشخصية النمطيين أى الذين يؤمنون بأن هناك أنماطا تحدد الشخصية وخصائصها . ووجهة نظر آيزنك تتضح فى نظريته المعروفة بنظرية الأبعاد dimensional Theory وهى نظرية تتبع فى إطارها العام التقليد الانجليزى فى منهج التحليل العاملى حيث يهدف هذا التقليد إلى استخلاص عامل واحد فقط (العامل العام G) تتلوه عوامل أخرى أقل عمومية وأهمية وهـذا التقليد هو حصاد آراء الرواد الانجليز الأول سبيرمان وبيرت . أما التقليد الأمريكى فهو واضح فى منحى كاتل حيث يساوى فى الأهمية بين أكثر من عامل واحد (العوامل الطائفية) تتلوها عوامل أخرى تابعة وأقل عمومية . وقد بدأ آيزنك دراساته منذ فترة ليست بالقصيرة حيث طبق مجموعة من الاختبارات السلوكية والاكلينيكية على حوالى عشرة آلاف فرد ثم أجرى عملية التحليل العاملى للنتائج فأمكنه أن يستخلص عاملين هامين هما الانطواء والعصابية .

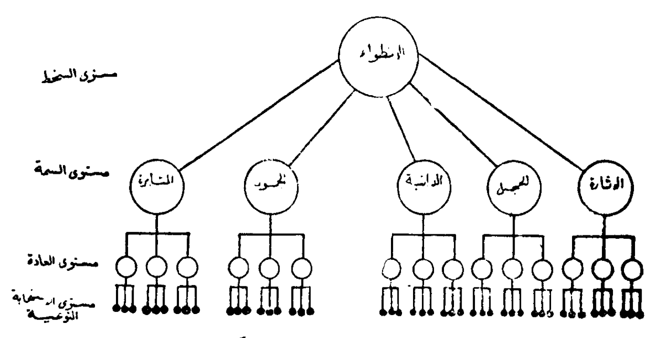
ويصف آيزنك « النمط المنطوى » من الشخصية بأنه حذر يحتاط بشدة فى علاقاته مع الآخرين والبعد عن الأجواء الاجتماعية والميل الواضح إلى القلق والتوتر ثم الاكتئاب . ويقول آيزنك كذلك أن النمو الجسمى يزداد بمعدل رأسى أكثر من المعدل الأفقى (أى يسبق طول الفرد عرض منكبيه) .

وأما النمط المنبسط فهو عكس ذلك حيث يميل الفرد إلى الحياة الاجتماعية والاندفاع الذى قد يتحول إلى بعض الأعراض الهستيرية التحولية . وفى هذه الحالة — كما يقول آيزنك — يزداد النمو الجسمى بمعدل أفقى أكثر من المعدل الرأسى (أى يسبق نمو منكبى الفرد طوله) .

وفى دراسات أخرى لاحقة لايزنك أضاف بعداً ثالثاً إلى الانطواء والعصابية هو الذهانية. وبذلك أصبحت هذه الأبعاد الثلاثة هى أنماط آيزنك فى الشخصية الانسانية .

ويرى آيزنك أن كل نمط من هذه الأنماط يليه فى الأهمية خصائص وسمات تميزه عن غيره من الأنماط ويستند آيزنك فى تصوره هذا إلى نتائج دراساته ومنهج التحليل العاملى الذى أفاد منه كثيراً كما أفاد منه كاتل .

وعلى ذلك فإنه يمكن توضيح وجهة نظر آيزنك بالشكل التالى :



التنظيم الهرمى لبناء الشخصية الانسانية كما يراه آيزنك

ويتضح من هذا التصور أن آيزنك يرى أن « النمط » يأتى فى الدرجة الأولى (العليا) من الأهمية يليه فى ذلك مستوى السمة أو الخاصة كما يوضحها آيزنك ثم مستوى الاستجابة المبنية على العادة أو التعود وأخيراً مستوى الاستجابة النوعية التى تختص بموقف دون آخر من المواقف والمثيرات التى يتعامل معها الفرد فى حياته اليومية .

وقد يكون من المفيد هنا أن نوضح فى شىء من الإيجاز الاختلافات الرئيسية بين وجهة نظر كاتل من ناحية ووجهة نظر آيزنك من ناحية أخرى . فقد كان من المتوقع ألا يكون هناك خلاف حيث أن كلا من هذين الباحثين استخدما أسلوبا واحدا أو منهجا واحدا هو منهج التحليل العاملى الذى يعتمد فى الأصل على مصفوفة معاملات الارتباطات البينية الخاصة بمجموعة من الاختبارات والمقاييس .

والحقيقة أن منهج التحليل العاملى فى حد ذاته ليس مسئولا عن الخلاف بقدر ما هو ليس مسئولا عن التشابه والتماثل لأن هذا المنهج ما هو إلا آلة طيعة فى يد الباحث يحصل عن طريقها على نتائج المقدمات التى بدأ بها .

فنحن نجد أن كاتل يرى أن شخصية الإنسان تبنى من ١٦ عاملا أساسيا وأهم هذه العوامل جميعاً عاملان هما القلق والانبساط ولكن هذين العاملين ليس لهما علاقة بنمطية الشخصية ولكنهما عوامل كبقية العوامل الأخرى من ناحية المستوى ولكنهما أكثر نشاطا من الناحية الوظيفية فقط .

أما آيزنك فيرى أن هناك ثلاثة أنماط رئيسية لشخصية الإنسان وكل نمط يحتوى من الخصائص والسمات ما يميزه عن غيره .

ويلاحظ هنا أن الخلاف بين وجهتى النظر قد يرجع إلى تفسير نتائج التحليل العاملى التى هى فى الأصل كما قلنا تعبير عن علاقات بين مقاييس سلوكية مختلفة وليست كيانات قائمة مستقلة بذاتها . ونقول أيضاً أن آيزنك قد استخدم فى دراساته مجموعات عصابية وذهانيه بينما نجد أن كاتل قد استخدم مجموعات عادية طبيعية . ثم أن آيزنك قد استخدم منهجا فى التحليل العاملى يؤدى إلى استخلاص عوامل لا ترتبط ببعضها البعض orthogonal بينما نجد كاتل قد استخدم أسلوبا آخر يؤدى إلى استخلاص عوامل يمكن أن ترتبط ببعضها البعض oblique .

وعلى ذلك فإن اختلاف العينة أدى إلى الاختلاف فى الخصائص والسمات التى حصل عليها كل من آيزنك وكاتل لأن الأول تغلب على عينة دراسته المجموعات من غير العاديين بينما العكس فى حالة وكاتل . وأما اختلاف أسلوب التحليل العاملى المستخدم فى الحالتين فهو الذى يفسر وضع العوامل التى تم استخلاصها عند كاتل حيث فيها الكثير مما يتصل ببعضه البعض بينما ليست الحال كذلك عند آيزنك .

وهناك اختلاف آخر بين وجهتى النظر المشار اليهما وهو أن كاتل يعتقد أن بناء شخصية الفرد يبدأ من أسفل إلى أعلى أى يبدأ من المستوى الأول

الذى يساعد على التنبؤ بسلوك الفرد فى موقف ما ثم المستوى الثانى الذى يعتمد فى تكوينه على المستوى الأول .

بينما نجد آيزنك يرى أن بناء شخصية الفرد يبدأ من أعلى إلى أسفل حيث يعطى الأهمية الكبرى للنمط الذى يمكن عن طريقه التنبؤ بسلوك الفرد فى موقف ما .

وهناك أيضاً اتفاق وتشابه بين آيزنك وكاتل فى أن كليهما يؤمن بمنهج التحليل العاملى كوسيلة لاستنباط بناء الشخصية الإنسانية .

وكلاهما أيضاً يعتبر دون أدنى شك رائدا من رواد دراسة الشخصية دراسة علمية تجريبية موضوعية حيث رفض كل منهما أى تصور . أو معالجة لمفهوم أو بناء الشخصية يكون مصدره تلك المفاهيم « العتيقة البالية » التى يعتز بها أصحاب مدرسة التحليل النفسى التى بنيت أصلا على تأملات فلسفية لم تعرف الموضوعية أو التجريب .

رابعاً ـ قياس الشخصية الإنسانية :

هذا هو الجزء الرابع والأخير فى هذا الفصل عن الشخصية وسلوك الإنسان وقد رأيت أن أفرده لمناقشة عملية قياس الشخصية من الناحية النظرية والتطبيقية .

وأساس هذا النقاش هو تناول الطرق المعروفة أو المقترحة لقياس شخصية الإنسان ثم استعراضها ونقدها حتى تتيح للقارىء فرصة أكبر وأوسع لفهم هذه الطرق ومن ثم مقارنتها بالنسبة لبعضها البعض .

وقد فهمنا مما سبق الإشارة إليه فى هذا الفصل وخاصة الجزء الخاص بمعنى الشخصية وبنائها أن هناك أكثر من مدخل لفهم شخصية الإنسان وتحديد معناها وعليه فلن يكون هناك بالضرورة أكثر من مدخل بالنسبة لعملية القياس .

ولكن ما يجب أن نعتقده أولا أنه مهما تعددت الطرق أو المداخل فإن هناك سمات أو خصائص تميز كل شخصية عن أخرى وأنه سواء كان مفهوم السمة أنها وحدة بناء الشخصية أو أنها وحدة بناء النمط فإنها سوف تكون فى أغلب الأحيان — هى هدف عملية القياس والتقدير. لذلك كان من الأجدى أن نبدأ هذه المناقشة بتوضيح العقبات والصعوبات العامة التى تعترض دائماً الطريق أمامنا من أجل الحصول على مقياس على موضوعى لشخصية الانسان.

(ا) أولى هذه المصاعب هى تلك الصعوبة الكلاسيكية فى القياس النفسى وهى صعوبة الذاتية والموضوعية. وهذه الصعوبة تكون واضحة تماماً فى حالة قياس الشخصية أكثر من قياس أى ظاهرة نفسية أخرى، ذلك لأنه فى حالة قياس الشخصية يتدخل عامل جديد هو « ميل الفرد إلى وضع نفسه مكان الآخرين » أو ميل الفرد إلى أن يشعر بشعور الآخرين » empathic tenedency وهذا الميل يؤكد ذاتية الفاحص الذى يتولى قياس شخصية الآخرين.

فعلى سبيل المثال عندما يجد الفاحص استجابة من نوع ما يقدمها المفحوص فى موقف ما فإن الفاحص يميل دائماً — ولو بصورة غير شعورية — إلى أن ينكر فى موقف المفحوص عن طريق تفهم شعوره وإحساساته وعليه فإنه سوف يعلل استجابة المفحوص أو أن يلتمس له العذر الأمر الذى قد يؤدى به إلى تقدير يختلف عن التقدير الحقيق لشخصية المفحوص. أو أن يكون الأمر غير ذلك حيث يتحيز الفاحص ويميل إلى اتخاذ موقف مضاد للمفحوص بناء على نفس الخاصية (empathic tendency) وتكون النتيجة أيضاً تقديراً يختلف عن حقيقة شخصية المفحوص.

وفى كلتا الحالتين نجد أن الفاحص قد جعل من صورة ذاته Self-concept

إطاراً مرجعياً يحكم به على ذوات الآخرين كما يراها هو . وكأن الأمر فى هذه الحالة لا يكون قياساً أو تقديراً لشخصية الآخرين بقدر ما هو قياس لمطابقة استجابات الأفراد لما يعتقده الفاحص أنه استجابة صحيحة .

وبطبيعة الحال فإن أثر ذاتية الفاحص على قياس شخصية المفحوص ليس ثابتاً وبدرجة واحدة فى جميع الحالات ولكنه يختلف باختلاف الطريقة المتبعة فى قياس الشخصية .

ففى حالة استخدام الملاحظة المباشرة نجد أن أثر الذاتية أعلى مما هو عليه فى حالة استخدام الاستفتاء أو مقاييس التدريج وهكذا .

(ب) الصعوبة الثانية هى ميل الفرد المفحوص إلى المعايير الاجتماعية وهو ما يسميه إدواردز Social desirability variable وقد ناقشه كثيراً بل أن معظم كتابات إدواردز عن قياس الشخصية والتى بدأ بها فى ١٩٥٧ نجدها تدور دائماً حول هذه الصعوبة .

فالفرد المفحوص يميل دائماً إلى إظهار أحسن مافيه أو بمعنى آخر يعطى الاستجابة الحسنة التى يقبلها المجتمع ويرغب فيها سواء كانت هذه الاستجابة حقيقية واقعية أو افتراضية . وقد حاول إدواردز ونجح إلى حد ملموس فى تقليل عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية عن طريق المعالجة الرياضية التى سوف نتعرض لها بالتفصيل فى سياق المناقشة .

ومعنى ميل المفحوص إلى إعطاء الاستجابة المرغوبة اجتماعيا هو أن هذه الاستجابة لا تمثل حقيقة استجابة المفحوص لمثل هذا الموقف الاجتماعى وعليه تصبح عملية القياس غير دقيقة .

(ح) الصعوبة الثالثة والتى لها علاقة بالصعوبة السابقة هى موضوع التفضيل داخل هذه الاستجابات المرغوبة اجتماعيا . فقد تكون هناك أكثر من استجابة يظن الفاحص أنها متساوية فى الدرجة من ناحية التفضيل الاجتماعى

سواء أصدر هذا الحكم نتيجة معالجة نظرية أو مستعيناً بالطرق التى وصفها إدواردز ، فإن المفحوص له طريقته الخاصة فى تفضيل استجابة على استجابة أخرى من نفس النوع ومن نفس الدرجة . وهذا ما سماه روزنبرج فى أحد كتبه عن المجتمع وصورة الذات عند المراهقين ما سماه القيمة الذاتية أوقيمة الذات حيث يستخدم كل فرد وسيلة تختلف عن الفرد الآخر فى اختيار وتفضيل الإستجابة التى يقدمها فى موقف معين .

وفى حقيقة الأمر قد تبدو هذه الصعوبة للوهلة الأولى وكأنها ليست صعوبة على الإطلاق بل قد تكون كما وصفها بعض الباحثين أنها سمة من سمات الشخصية المطلوب قياسها وعلى ذلك فإنه من المتوقع أن يختلف فيها شخص عن شخص آخر .

ولكن عندما نتمعن فى الأمر نجد أنها ليست كذلك فهى بالدرجة الأولى ليست متغيراً مستقلا يمكن أن نعطيه صفة السببية أى أنها ليست سبباً ولكنها نتيجة .

وهى كذلك عامل لا يمكن التحكم فيه أو إخضاعه للتثبيت حتى يمكن قياس الشخصية الانسانية فى حالة ثباته واستقراره .

ولهذا فنحن أكثر ميلا إلى اعتبار هذه الصعوبة ذات أهمية واضحة فى قياس وتقدير شخصية الفرد .

(د) هناك صعوبة أخرى إذا أردنا أن نتكلم عن عملية القياس من ناحية الموضوع والتفاصيل وهى أن معظم سمات الشخصية الانسانية ليس من السهل علينا أن نحدد معانيها ودقائق محتوياتها بالدقة المطلوبة من أجل القيـاس .

كما أن هذه السمات أيضاً متداخلة فى بعضها البعض . بحيث يصعب علينا أن نضع خطاً فاصلا واضحاً بين كل سمة وأخرى مهما كانت دقة الباحث

وبراعته بل أننا نجد بعض الباحثين حديثاً رضى بالأمر الواقع واستفاد منه حيث استخدم بعض الاختبارات التى تقيس كل عبارة فيها أكثر من سمة شخصية فى وقت واحد .

فعلى سبيل المثال نجد أن الفاصل ليس واضحاً تماماً بين سمة من السمات مثل الانطواء وسمة أخرى مثل التردد أو بطء الاستجابة الاجتماعية .

وكذلك ما يمكن لبعض الباحثين أن يسميه حيوية ونشاطاً يسميه البعض الآخر عدوانية ويسميه البعض الثالث ميلا إلى التسلط والسيطرة ويسميه فريق رابع جرأة ومخاطرة أو استعراضية . وهكذا .

وعليه فإن موضوع تحديد معنى السمة ومحتوياتها ووضع حدود فاصلة بينها وبين السمات الشخصية والأخرى لا بد وأن يأتى فى الدرجة الأولى من الأهمية عندما يفكر الباحث فى بناء مقياس أياً كان نوعه لتقدير شخصية الانسان .

(هـ) هناك صعوبة لابد لنا أن نعترف بها ونعطيها قدرها من حيث الأهمية وهى أن ظروف القياس وخاصة فى ميدان الشخصية الإنسانية ظروف اصطناعية سواء كانت أداة القياس هى الملاحظة أو المقابلة الشخصية أو الاستفتاء أو غير ذلك .

وعليه فإن ظروف الاصطناع هذه سوف تؤثر على السمة المفروض أن نقيسها ونقدرها كما تتأثر الخلية الحية عندما تترك جسم الكائن من أجل دراستها ودراسة خواصها تحت المجهر .

ولهذا فإننا نقول إن عملية القياس بظروفها الراهنة عملية لابد منها لأنه لا يمكن للفاحص أن يلجأ إلى المواقف الطبيعية لدراسة شخصية الانسان أو لقياسها وتقديرها لأن ذلك سوف يقوده إلى الكثير من عدم الدقة والذاتية عند التقدير .

(و) وأخيراً يجب أن نأخذ فى اعتبارنا أيضاً أمرين : أولها أن السلوك الإنسانى ليس من البساطة والسهولة — مهما كان يبدو كذلك — بحيث يمكن لنا أن نعزوه إلى سمة شخصية واحدة . بل أن سلوك الإنسان معقد متشابك من ناحية الشكل والموضوع .

وثانيهما هو أن السمة الشخصية عادة لا تكون وقفاً على إنتاج نمط واحد فقط من السلوك بل هى دائما عامل مشترك بين عدة أنماط فسمة الثبات الانفعالى ليست وقفا فقط على سـلوك الانفعال من حيث الحزن أو البكاء أو الفرح والابتهاج ولكنها أيضاً ذات مسئولية مشتركة مع بعض السمات الأخرى فى النمط الاجتماعى الناجح من سلوك الإنسان .

لذلك كان من الواجب على الباحث أن يتحسس طريقه جيداً ويحذر عندما يحاول أن يقيس سمات الشخصية الانسانية .

هذه الصعوبات الستة التى أشرت إليها لم أقصد بها أن أمنع عملية القياس بل أردت أن يكون الباحث قد أخذ مثل هذه الصعوبات وغيرها فى حسابه عند محاولته قياس الشخصية وتقديرها .

فهذه الصعوبات لا تمنع القياس ولكن القياس يصبح دقيقاً إذا أخذت فى الحسبان .

بجانب ما سبق هناك مشكلتان أساسيتان لابد من بحثهما أيضا قبل أن نبدأ فى استعراض ومناقشة طرق قياس الشخصية . وهاتان المشكلتان هما :

أ ـ مشكلة الصحة أو الصدق في مقاييس الشخصية:

وهذه مشكلة من المشاكل الرئيسية التى تجابه أى اختبار وأى نوع من المقاييس حيث أن موضوع صدق المقياس أساس ضرورى لاعتبار المقياس وسيلة قياس حقيقية .

ومشكلة الصدق فى مقاييس الشخصية مشكلة مفهوم أكثر منها مشكلة طريقة وتكنيك حيث أن السؤال الذى يحتاج دائماً إلى إجابة ليس هو « ماذا يقيس هذا الاختبار ؟ » ولكن هو « ما معنى السمة التى يمكن أن يقيسها هذا الاختبار ؟ وحقيقة الأمر أن من يستخدم مقاييس الشخصية — بحكم طبيعة وهدف استخدامه لهذه المقاييس — لا ينظر إلى العلاقة المباشرة بين الدرجة التى يعطيها الاختبار وبين الاختبار فى حد ذاته من ناحية البناء والتكوين ولكنه يحاول دائماً أن يفسر هذه الدرجة بما هو أبعد وأعمق من البناء الظاهرى للاختبار . فإذا كان الاختبار على سبيل المثال يقيس أو يعين استجابات المفحوص فى بعض المواقف الاجتماعية أو الانفعالية نجد أن الفاحص يميل إلى اعتبار درجة المفحوص دالة لقدرته الاجتماعية أو لخاصة ثباته الانفعالى ، وهذا أمر لا يمكن أن نزعم أنه صحيح بالقدر الذى يسمح بصحة أو بصدق بنود الاختبار من ناحية ما تحتويه من مفاهيم .

لذلك كان الأساس فى مناقشة مسألة الصدق هو المفهوم أكثر منه ما يبدو أو يظهر فى بناء الاختبار فى حد ذاته .

وإكمالا للصورة فإنه مما هو معروف أن صحة المقياس أو صدقه تعنى أمورا ثلاثة لا يمكن إهمال أحدها :

١ — أن يكون المقياس قادرا على أن يقيس ما هو مفروض أن يقيسه من قدرة أو سمة أو خاصة سواء تحدد ذلك بطريقة أو بأخرى .

٢ — أن يكون المقياس قادرا على أن يميز بين السمة التى يقيسها وبين السمات النفسية الأخرى .

٣ — أن يكون المقياس قادرا على أن يميز بين طرفى السمة النفسية أو الشخصية التى يقيسها بمعنى أن يكون على درجة عالية من الكفاءة فى التمييز بين من يمتلكون هذه القدرة أو السمة وبين من لا يمتلكها .

وبناء على ذلك يتحدد موقف اختبارات الشخصية : فالسمة الشخصية من الصعب أن تحدد محتوياتها كما أنه من الصعب أيضا أن نضع حدودا واضحة فاصلة من كل سمة نفسية وسمة أخرى . وهذا يمثل عجزا ملموسا فى معالجتنا لأمور السمات الشخصية الوضع الذى سوف يعكس نفسه بطبيعة الحال على بناء المقياس . وهذا أول مأخذ على صحة اختبارات الشخصية .

ويمكن أن نناقش الأمر من ناحية أخرى — أو على وجه التحديد — من وجهة نظر الذين يؤمنون بفكرة التحليل العاملى من أجل تعيين صدق المقياس أو صحته . وهـــذه الفكرة ترجع فى الأصل إلى أصحاب مقاييس القدرات حيث اقتنعوا بأنه فى حالة صحة المقياس فإن هناك عاملا عاما يجرى فى بنود الاختبار ويجمع بينها. وعندما انتقلت هذه الفكرة إلى ميدان قياس الشخصية كان لابد لنا أن نشك فى معنى هذا العامل العام الذى يحتمل أن نجده يربط بين بنود مثل هذا المقياس . ونحن على حق فى مثل هذا الشك لأن هذا العامل العام قد يكون :

١ — تلك السمة الشخصية التى يقيسها الاختبار فعلا .
٢ — طريقة خاصة يتميز بها المفحوصون فى الاستجابة لبنود الاختبار
٣ — عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية .

وهذه الاحتمالات الثلاثة متساوية من ناحية فرصة حدوثها بل ربما كان الاحتمال الأول — بناء على ما سبق أن قدمناه — أقلها فرصة فى الحدوث .

لهذا السبب كان هناك اتجاه قوى للحديث عن صحة اختبارات الشخصية بالذات من زاوية الصحة البنائية أو التكوينية وقد تزعم هـــذا الاتجاه كرونباخ وميل حيث يقول الباحثان « إن تعيين الصدق البنائى أو التكوينى للمقياس يعنى فحص الخلفية النظرية للاختبار أو بمعنى آخر تعيين وتحديد « المعنى السيكلوجى » للدرجة التى يعطيها الاختبار أو المقياس .

وربما عنى الباحثان بذلك أنه لا بد من وجود ترابط فى المعنى والمضمون بين وحدات بناء الاختبار بحيث تتمايز هذه الوحدات ككل عن وحدات أخرى تفترض مسبقا أنها قليلة أو عديمة الصلة بموضوع السمة المطلوب قياسها .

وهناك اتجاه آخر — ولو أنه تقليدى — يبحث فى صحة اختبارات الشخصية بالذات على أنها صحة خارجية أى أن صحة أو صدق المقياس ترتبط بصحة محك خارجى سواء كان هذا المحك اختبارا آخر أو ملاحظات تنبؤية . وحتى فى هذه الحالة أيضا يتدخل اختلاف مفهوم السمة فنجد على سبيل المثال ما عناه الاختبار الأصلى بسمة ما يختلف عما يعنيه المحك الخارجى بنفس هذه السمة .

وعلى ذلك فإن المشكلة الأساسية الأولى فى بناء اختبارات الشخصية هى مشكلة الصحة أو الصدق .

أما المشكلة الثانية فهى :

ب ـ مشكلة ثبوت نتائج الاختبارات وخلوها من أخطاء الصدفة :

وهذه مشكلة أخرى تستحق أن نشير إليها فإن كل مقياس نفسى يعانى من هذه المشكلة : الثبات أو الوثوق بنتائج هذا المقياس .

وفى مقاييس الشخصية ربما تتجسم المشكلة أكثر وأكثر حيث أن هناك زعم قوى أنه فى حالة قياس سمة من السمات أو خاصة من الخصائص فانما نقيس اتجاه الفرد نحو الاستجابة الخاصة بتلك السمة فى موقف ما . وعليه أصبح من المتوقع أن يكون مثل هذا الاتجاه قليل الثبات قابلا للتغير من فترة إلى فترة ولذا ما يمكن أن نعتبره راجعاً إلى أخطاء الصدفة فى نتائج مقياس الشخصية هو فى الواقع راجع إلى قابلية اتجاه الفرد نحو الاستجابات المختلفة إلى التغير وعدم الثبات .

ثم أن هناك نقطة أساسية أخرى وهى أنه بناء على ما سبق مناقشته لابد أن نفرق بين استجابة الفرد للاختبار الذى يقيس سمة شخصية معينة وبين استجابة الفرد للمحتوى الحقيقى للاختبار — ذلك لو أمكن تعيين هذا المحتوى الحقيقى .

وهنا يمكن لنا أن نقول أن الاستجابات الأولى لا بد وأن تكون قليله الثبات لأنها متعلقة بشكل الاختبار أكثر منها تعلقا بمحتواه وأما الاستجابات من النوع الثانى أى الاستجابة للمحتوى الحقيقى لابد وأن تكون أكثر ثباتا من النوع الأول .

بناء على ذلك يمكن لنا أن نقول أن محاولة حساب معامل ثبات الاختبار فى ميدان قياس الشخصية أكثر صعوبة من محاولة حساب معامل الثبات بالنسبة لأى مقياس آخر . لذلك لن يكون هناك تعميما واحداً بالنسبة لحساب مثل هذا المعامل ولكن سوف نوضح طريقة حساب كل معامل فى كل حالة على حدة .

وإكمالا لهذه المناقشة فإن الطرق التقليدية لحساب درجة ثبات نتائج الاختبار هى إعادة تطبيق الاختبار وطريقة الصورة المتكافئة وطريقه التجزئة النصفية وطريقة التناسق الداخلى « كودر وريتشاردسون » .

فأما عن الطريقة الأولى الخاصة بإعادة تطبيق المقياس فهذه تحمل فى ثناياها من الاعتراضات والمشاكل حتى فى حالة الاختبارات الأخرى ما يجعل إمكانية استخدامها فى حالة اختبارات الشخصية أمراً غير مضمون العاقبة وربما احتاج من الاحتياط والضبط أكثر من أى تطبيق آخر .

والطريقة الثانية وهى طريقة الصورة المتكافئة ربما كانت أكثر مناسبة فى حالة مقاييس الشخصية ذلك لأنه قد يكون فى إمكان الإخصائى أن يبنى اختبارين متكافئين وقد يكون أيضاً فى إمكان المفحوص أن يجلس إلى

اختبارين متتاليين — وذلك إذا لم نأخذ فى حسابنا عامل الملل والتعب — ولكن مما هو معتاد فى حالة مقاييس الشخصية أن يكون الاختبار ذا طول معين حتى يغطى عناصر السمة الشخصية ما أمكن ذلك . وعليه فإن مضاعفة مثل هذا الطول سوف يكون عبئا على الفاحص والمفحوص بدرجة واحدة تقريباً .

والطريقة الثالثة وهى طريقة التجزئة التصفية يمكن أن تكون طريقة مناسبة إذا كان الأمر يتعلق بإجابة صحيحة وإجابة خاطئة ولكن إذا أمكن للفاحص أن يضع معيارا حقيقياً ليميز بين اتجاهين مختلفين للاستجابة أمكن له أيضاً أن يستخدم مثل هذه الطريقة فى حساب معامل ثبات الاختبار ودرجاته .

والطريقة الأخيرة وهى طريقة التناسق الداخلى قد تكون أكثر هذه الطرق صلاحية للاستخدام فى حالة استفتاءات واختبارات الشخصية . وواضح أنه فى حالة استخدام معادلة كودر وريتشاردسون فاننا نبحث عن نسبة الاستجابات الصحيحة ونسبة الاستجابات الخاطئة وبذلك يكون الأمر سهلا فى حالة استخدام استفتاء من النوع البسيط الذى تنحصر فيه الاستجابة بين نعم أو لا حيث تكون إحدى الاستجابتين صحيحة والأخرى خاطئة . وأما إذا كان الاستفتاء من النوع عديد الاختبار كان على الفاحص أن يحدد وزنا لكل إستجابة فى بداية الأمر من أجل أن يحصل كل مفحوص على درجة . وبعد ذلك على الفاحص أن يحدد استجابة واحدة فقط تكون هى الاستجابة الصحيحة وتكون بقية الاستجابات فى حكم الاستجابة الخاطئة .

وواضح مما سبق أن هذه المعالجة تركزت على الاختبار أو الاستفتاء كوسيلة لقياس الشخصية علماً بأن الاستفتاء طريقة من عدة طرق مختلفة كل منها يبحث عن صدق وثبات . فهناك المقابلة الشخصية والملاحظة والتدريج

وأخيراً الاستفتاء وكل طريقة من هذه الطرق لها منهج خاص بها لتقدير صحتها وثباتها الأمر الذى سيطرح للمناقشه فى هذا الفصل .

طرق قياس الشخصية.

١ ـ طريقة الملاحظة :

تعتبر الملاحظة من الأساليب الأساسية فى كل العلوم سواء كانت هذه العلوم طبيعية مثل الكيمياء أو الفيزياء أو كانت هذه العلوم إنسانية اجتماعية مثل علوم النفس أو الاجتماع وغير ذلك .

وفى حقيقة الأمر لابد لنا أن نقول أن أسلوب الملاحظة كمنهج علمى للدراسة والتحقيق والتجريب يعتبر من أدق وأنجح وسائل القياس لو توفر ما يلى :

(ا) قلة العوامل الذاتية من جانب الملاحظ وضبط موضوعيته .

(ب) قلة ظروف الاصطناع التى يشعر بها المفحوص — أى إحساسه بأنه تحت الملاحظة .

(حـ) إعداد دليل للملاحظة يخرج بها عن كونها مجرد مشاهدة مقصودة إلى مشاهدة مقصودة منظمة هادفة إلى ملاحظة نوع خاص من الأداء دون غيره .

والملاحظة كما سبقت الإشارة إلى ذلك هى مشاهدة مقصودة تتصف بالمنهجية والمنطقية أى لابد أن يكون هناك منهج خاص للملاحظة سواء كانت ملاحظة شاملة أو ملاحظة رتيبة منظمة ، ولابد أن يكون هناك فروض خاصة تهدف الملاحظة إلى تحقيقها واختبارها وليست مجرد مشاهدة من أجل جمع البيانات : أى بيانات كانت .

فبخصوص النقطة الأولى التى تدور حول قلة عوامل الذات عند الملاحظ فهى تعتبر صعوبة أساسية فى إجراء أسلوب الملاحظة ولو أنه يمكن لنا أن

ننصح الملاحظ أن يكون لديه مسبقا دليلا مفصلا لأنماط السلوك التى يرغب فى ملاحظتها وتسجيلها وكلما كان هذا الدليل موضوعيا مفصلا كلما كانت عوامل الذاتية أقل ما يمكن فى موقف الملاحظة .

وبخصوص النقطة الثانية الخاصة بعوامل الاصطناع التى يشعر بها المفحوص فهناك أحد احتمالين : إما أن يستخدم الملاحظ المرآة المنفذة وهذا يمكن إذا كان المفحوصون من الأطفال وكان مجال نشاطهم محدودا أى فى حجرة مغلقة أو ما شابه ذلك .

والاحتمال الثانى أن يلجأ الملاحظ إلى إجراء نوع خاص من الملاحظة التمهيدية يسبق الملاحظة الحقيقية التى سوف يقوم فيها بتسجيل ملاحظاته ومشاهداته والهدف من هذه الملاحظة التمهيدية هو تكوين نوع من الألفة والتعارف بين الملاحظ والمفحوصين فيصبح من المعروفين لديهم ومن المشتركين فى أنشطة حياتهم اليومية فلا يقوم المفحوصون بإخفاء بعض أنماط سلوكهم الحقيقى أو انفعالاتهم واستجاباتهم المختلفة .

وإكمالا لذلك يتحتم على الفاحص أثناء إجرائه الملاحظة الحقيقية ألا يقوم بتدوين ملاحظاته وتسجيل انطباعاته أمام المفحوصين حتى لا يلجأوا إلى رد فعل خاص بموقف الاختبار والفحص .

وأما بالنسبة للنقطة الثالثة وهى منطقية ومنهجية الملاحظة لابد من أن تتوفر الفروض الأساسية التى ستقوم الملاحظة عليها فتصبح الملاحظة أسلوبا من أجل اختبار الفروض واستنتاج الحقائق العلمية ولا تصبح فقط مجرد مشاهدة شاملة لبعض أو كل أنماط سلوك الفرد .

وفى ميدان الشخصية سوف نتعرف على نوعين من الملاحظة هما الملاحظة الشكلية والملاحظة الموضوعية أو الملاحظة السلوكية .

ففى النوع الأول من الملاحظة لا يقوم الفاحص بملاحظة سلوك

الانسان وإنما يقوم بملاحظة شكلية تختص دائماً بمظهر الفرد الخارجى أو مورفولوجيته .

ويحاول هذا النوع من الملاحظة أن يجيب على العلاقة التى يمكن أن توجد بين مورفولوجية الفرد وبين نمط شخصيته .

ففى وقت من الأوقات كان لابد للملاحظ أن يقوم بتسجيل كل شىء عن طول الفرد ووزنه وبنيته الجسدية وحجم رأسه وتركيب جمجمته واتساع جبهته وحجم فكه ولون شعره ولون حدقة عينيه وشكل أصابع اليد وخطوط الكف وغير ذلك من المظهرية التى يكون لها — فى اعتقاد أصحاب هذا المذهب — أهمية بالغة فى تحديد سمات الفرد الشخصية .

فأصحاب هذا المذهب يعتقدون أن الفك العريض يدل على العزم والتصميم والمثابرة والجبهة الواسعة تدل على الذكاء والفكر المنظم والبنية النحيلة الدقيقة تدل على المكر والدهاء وسعة الحيلة .

وما يمكن لنا أن نعلق به على مثل هذه الملاحظة هو الاجتهاد فى تفسيرها فنحن نعتقد أن لهذه الفروض أو الملاحظات خلفية تتكون من مصدرين :

أولهما : أن هناك تياراً حضاريا قويا ساد الفكر القديم اليونانى أو العربى أو المصرى مفاده أنه يمكن الحكم على السمات الشخصية للأفراد اعتماداً على أقرب الحيوانات شبهاً بهم . فالوجه الدقيق النحيل الذى يشبه فى تقاطيعه وجه الثعلب دل على أن صاحبه على قدر وافر من المكر والدهاء وسعة الحيلة . والوجه الذى يشبه فى تقاطيعه وجه الأسد دل على أن لصاحبه شجاعة وإقداماً وشهامة وهكذا .

وثانيهما : أن هناك أيضاً مدرسة فكرية كانت قوية جداً فى وقت من الأوقات ترى أنه يمكن تصنيف المظاهر المورفولوجية للأفراد غير العاديين

وأن كل طائفة من هؤلاء الأفراد يشتركون فى بعض أو كل هذه المظاهر التى تميزهم عن غيرهم .

فيقول أصحاب هذه المدرسة أن المجرمين يتميزون بسمات مظهرية خاصة وأن العلماء والموهوبين يتميزون أيضاً بمظاهر مورفولوجية معينة . وهكذا ويقول كذلك أصحاب هذه المدرسة أنه يمكن التنبؤ بسلوك الفرد أو قياس شخصية اعتمادا على هذه المجموعات المتشابهة ظاهريا من الأفراد . فمن يشترك فى السمات المظهرية مع المجرمين فهو منهم ومن يشترك فى المظاهر الموفولوجية مع العلماء والموهوبين أصبح كذلك .

هذا اجتهاد لتفسير هذا المنحى فى قياس الشخصية الانسانية باستخدام الملاحظة الشكلية أو المورفولوجية .

وفى الحقيقة أن الأمر لم يكن مقصوراً فى هذا المنحى على القدماء من المشتغلين بالعلوم الانسانية ولكن أيضاً اهتم بهذه الناحية بعض العلماء المحدثين ومنهم كرتشمر وآيزنك . وكلاهما ممن يؤمن بالنمطية فى شخصية الانسان فيقول كرتشمر أن غالبية مرضى الانفصام يتميزون بطول القامة والنحافة المفرطة واصفرار البشرة . فى حين أن مرضى الاكتئاب من النوع القصير الممتلىء . ويحاول كرتشمر بعد ذلك أن يعمم هذه الملاحظات على الأفراد العاديين فيصبح كل شخص طويل نحيف مفرط فى النحافة ميالا إلى مرض انفصام الشخصية فى حين أن كل شخص قصير بدين يميل إلى الاكتئاب . ولكن كرتشمر لم ينجح كثيراً فى ذلك .

وأما آيزنك فقد حاول فى ١٩٥٢ أن يوجد علاقة بين أبعاد الجسم وبين نمط شخصية الفرد فقد توصل إلى نسبة خاصة بعد عدة مقارنات جسمانية كما يلى :

$$= \frac{\text{الطول} \times ١٠٠}{٦ \times \text{قطر الصدر}}$$

فإذا كانت هذه النسبة = ١٠٠ — كما يزعم آيزنك — فإن الفرد عادى وإذا ارتفعت إلى ١٣٠ كان الشخص انفصاميا وإذا انخفضت إلى ٧٠ كان الفرد مكتئباً .

ولكن ليس لنا أن نؤكد أهمية هذه الطريقة طالما أن آيزنك نفسه صاحب هذه النسبة يتحسس طريقه بحذر أثناء التوضيح والمناقشة .

وهناك تجربة أخرى طريفة قام بها (لانديس) حيث طلب من مجموعة من الحكام القيام بترتيب عدد من المفحوصين بالنسبة للذكاء وبعض السمات الشخصية الأخرى ولم يكن المفحوصون موجودين بذواتهم ولكنه استعاض عنهم بصورهم الفوتوجرافية . ووجد لانديس النتائج التالية :

١ — أن معامل الارتباط بين درجات الذكاء التى حصل عليها المفحوصون من اختبار مقنن وبين ترتيب الحكام لم يزد عن ١,٠ .

٢ — أن هناك معامل ارتباط عالى بعض الشىء بين أحكام الحكام أنفسهم وهذا يعنى أن هناك شبه اتفاق بين الحكام على الملامح الخاصة بالذكاء والغباء (مع ملاحظة عدم صحة ذلك استنادا على ضعف معامل الارتباط بين درجات الذكاء المقنن وترتيب الحكام) .

٣ — إن الحكام أجمعوا على الأسس التالية فى إصدار أحكامهم بالنسبة لذكاء الفرد أو غبائه :

(أ) العينين اللامعتين .
(ب) النظرة النفاذة .
(ج) لبس نظارة طبية .
(د) شبه قائم بين صاحب الصورة وبين شخص ذكى يعرفه الحكم مسبقاً .

٤ — إنه كانت هناك معاملات ارتباط أعلى قليلا من السابقة بين درجات المفحوصين على اختبارات مقننة فى بعض السمات الأخرى مثل القدرة

الاجتماعية والميل إلى الفكاهة والمرح وتحمل المسئولية والانفعال وبين ترتيب الحكام لهؤلاء المفحوصين بالنسبة لهذه الخصائص .

وأما النوع الثانى من الملاحظة هو الملاحظة الموضوعية أو السلوكية والتى فيها يقوم الملاحظ بتسجيل أنواع أنشطة الفرد المختلفة تسجيلا يخدم الهدف الأساسى من الملاحظة وهو تقدير أو قياس سمة شخصية معينة .

وهنا أيضاً يمكن لنا أن نتعرف على نوعين اثنين من الملاحظة السلوكية :

النوع الأول هو ملاحظة السلوك التعبيرى expressive behaviour .

النوع الثانى هو ملاحظة السلوك التكيفى Adaptive behaviour .

فأما عن السلوك التعبيرى فهو ذلك النوع من السلوك أو الاستجابة الذى يأتيه الفرد فى موقف معين دون أن يكون له صلة بنائية بهذا الموقف . فعلى سبيل المثال عندما يتكلم الإنسان فإن العضلات التى هى ذات صلة بنائية بموقف الكلام هى عضلات الرئتين والحنجرة واللسان وأما حركات الأيدى أو الرأس أو القدمين أثناء الكلام فإنها سلوك تعبيرى أى ليست له صلة بنائية بالموقف فى حين أن حركة عضلات الرئتين والحنجرة واللسان هى سلوك تكيفى لأن له علاقة بنائية بموقف الكلام .

وقياساً على ذلك يمكن لنا أن نعتبر نبرة ونغمة الصوت من الحركات التعبيرية أو طريقة الكتابة والخط وهكذا لأن مثل هذه الحركات ليست لها صلات بنائية بمضمون الموقف .

فقد حاول فريق من العلماء إثبات علاقة بين حركات الأيدى أثناء الحديث وبين سمات الشخصية عند مرضى الانفصام ومرضى الاكتئاب ولكن لم تكن هناك نتيجة حاسمة يمكن حتى أن نعممها على هذين النوعين من المرضى . وإنما كانت مثل هذه الدراسات ذات فائدة منهجية ولا شك .

فنجد على سبيل المثال أن جيكوبسن قد اعتمد فى تصميمه جهازاً لمعالجة

مرضى العصاب بإزالة التوتر والتقلص الذى تعانى منه بعض العضلات — اعتمد فى ذلك على نظرية العلاقة بين الانفعال وتقلص العضلة .

ونجد كذلك لورا فى تجاربه لإثبات العلاقة بين الانفعال وحركة الأيدى قد صمم جهازاً خاصاً يقيس تقلص وانبساط عضلات الأيدى أثناء تعرض المفحوص لاختبار تداعى الأفكار حيث أمكن له تحديد ذلك عندما تمر برأس الفرد فكرة تدل على خبرة انفعالية حادة أو غير ذلك .

هذا بخصوص حركة الأيدى أما فيما يختص بنبرة صوت الإنسان وعلاقتها ببعض سمات شخصيته فقد وجد بير أنه يمكن استنتاج وظيفة الفرد وعمره الزمنى تقريبا وطبيعة الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها من خلال سماع صوته فقط دون رؤيته .

وقد أكد كونر هذا الاتجاه وزاد عليه بأنه يمكن أيضاً عن طريق ذبذبات صوت الفرد ونغمته وعمقه قياس طبيعة وكمية انفعال الفرد ولكن هناك تحفظ واحد هو أن ذلك صحيح فى حالة مرضى الانفصام والاكتئاب حيث تدل نبرة الصوت على مدى وطبيعة الانفعال الذى يعانى منه الفرد .

وهناك أيضاً تجارب ألبورت وكانتريل التى تتلخص فى البحث عن العلاقة بين نبرة صوت المتكلم وبين بعض سمات وخصائص شخصيته .

فقد وجد الباحثان أن معامل الارتباط بين الاتجاه السياسى للفرد كما هو وبين ما تخيله الحكام المستمعون لصوته لا يزيد عن ٢, . ومعامل الارتباط بين ميل الفرد للتسلط والسيطرة كما هو وكما استنتج الحكام من نبرات صوته يصل إلى ٤, . بينما كان معامل الارتباط بين الوصف الكلى لشخصية الفرد — كما تحدده الاختبارات الموضوعية — وبين الوصف الكلى لشخصية الفرد كما أعطاه الحكام السامعون لصوته فقط يصل إلى ٤١, .

وهناك أيضاً ما يمكن إضافته إلى حركة اليدين ونبرات الصوت كسلوك

تعبيرى وهو خط اليد . وهذا أمر شغل وما زال يشغل ذهن الكثيرين وخاصة الذين يتصورون أنهم يستطيعون فهم وتحديد بعض سمات الإنسان الشخصية من مجرد دراسة خطه المكتوب . وفى الواقع أن التجارب الشاملة التى أجراها كلاجز وسوديك وغيرهما كانت رداً حاسما على مثل هذا الزعم حيث وجد الدارسون جميعا أن مثل هذا الاتجاه لا يسنده دليل علمى واحد .

نأتى أخيراً إلى تعليق أساسى على هذا الأسلوب فى الملاحظة وهو خاص بمنهجه وتطبيقه . فقد وجد أن أحسن السبل إلى تسجيل السلوك التعبيرى يكون فى المواقف التى يطبق فيها اختبار من نوع خاص — وليكن اختباراً فى القدرات مثلا من الناحية المظهرية — ولكن الفاحص يكون فى حقيقة الأمر مهتما بتسجيل أساليب السلوك الأخرى التى يبديها المفحوص أثناء تأديته هذا الاختبار .

ولابد أن يشمل مثل هذا التسجيل بعض النقاط الأساسية مثل :

(ا) النشاط العام (الاضطراب — سرعة الحركة — قضم أظافر اليدين . . . إلخ) .

(ب) الحركة أثناء الأداء (تناسق ودقة الحركة — الحذر — الانتقال من حركة إلى أخرى) .

(ج) التكوين الطبيعى (القوة والطاقة وبنية الجسد والصحة والحيوية) .

(د) التعبير الشخصى (المظهر المتأنق — المظهر المعتاد — الابتسام — التشاؤم . . .) .

(ه) طريقة الحديث .

(و) الثقة بالنفس .

(ز) التعاون .

(ح) الانتباه والتركيز .

(ط) الانفعال العام .

ويعتمد الفاحص أو الملاحظ على دقائق كل عنصر من العناصر السابقة عند تسجيل أساليب سلوك المفحوص أثناء تأديته اختبار القدرة الذى لم يقصد منه إطلاقا اختبار قدرة المفحوص بل كان المقصود أصلا تسجيل السلوك التعبيرى للفرد . وقد استخدمت هذه الفكرة حتى يمكن لنا أن نتفادى فطنة المفحوص لطبيعة اختبار الشخصية الذى كان مفروضاً له أن يطبق بدلا من اختبار القدرة .

ولما عن ملاحظة السلوك التكيفى وهو ذلك السلوك الذى يكون له علاقة بنائية بالموقف فإن الأمر يختلف لأن الموقف لابد وأن يكون مصمما قبلا ولابد أيضاً أن يكون الملاحظ سوف يقوم بتسجيل ذلك السلوك المترتب على المثيرات التى يحتويها الموقف .

هذا ويتعين علينا أن نأخذ فى حسابنا أن المفحوص لن يكون سلوكه طبيعيا أو ممثلا لأنماط سلوكه فى حياته اليومية العادية ذلك لعلمه أنه فى موقف فحص واختبار .

وقد قام فريق من الباحثين بإجراء تجارب عديدة وتصميم الكثير من المواقف التى تمكنهم من قياس بعض السمات الشخصية عند الأفراد .

فنجد أن فيرنالد يحاول قياس قدرة الفرد على التحمل والمثابرة ذلك عن طريق تسجيل الزمن الذى يقضيه الفرد واقفا على أصابع القدمين رافعا العقبين إلى أعلى .

وكذلك تجارب ماكدوجال وشوستر التى أدت إلى تصميم جهاز خاص يعرض للمفحوص دوائر متحركة مختلفة الأقطار تتابع فى سرعة غير منتظمة ويطلب من الفرد أن يضع نقطة بالقلم الرصاص داخل كل دائرة من هذه الدوائر .

ويلاحظ أن بعض المفحوصين يكفون نهائيا عن المحاولة عندما تزداد

السرعة وبعضهم يصدر أصواتا أو حركات تدل عن الانفعال الشديد والضيق وعدم الارتياح وهكذا .

وهناك الكثير من التجارب والأجهزة التى يمكن لنا سردها ومناقشتها ولكنها جميعا تتفق فى المبدأ والأساس .

ويقول أولسن وغيره أن قياس الشخصية فى الموقف الحقيقى — أى ملاحظة الفرد وتسجيل وتحليل سلوكه — يكون أكثر سهولة ودقة من قياس شخصية الفرد فى المواقف المصطنعة أو المصممة والتى يكون فيها المفحوص على درجة ملموسة من الحرص والانتباه .

فنى المدرسة الابتدائية على سبيل المثال يمكن للملاحظ أن يختار نمطا من السلوك لملاحظته وتسجيله وليكن السلوك العدوانى .

وهنا يجب على الملاحظ أو الملاحظين (وهذا هو المعتاد) أن يتفقوا مقدما على تعريف وتحديد لهذا النمط والسلوك وعلى مفهومه وعناصره . ثم يلى ذلك تسجيل أسماء الأطفال الذين يقومون بهذه العناصر من السلوك وعدد المرات التى قاموا بها وهكذا . أو أن يختار ملاحظ آخر سمة الانفعال حيث تكون عناصرها كثرة البكاء والقلق الظاهر وعدم الاستقرار وقضم الأظافر وما إلى ذلك . ثم يقوم بتسجيل أسماء الأطفال الذين يصدرون هذا النوع من السلوك وعدد المرات التى يحدث فيها هذا النوع من كل طفل وهكذا .

وقياسا على ذلك يمكن قياس أنماط أخرى من السلوك مثل السلوك الزعامى أو السلوك الانطوائى أو السلوك الاجتماعى .

وبهذا يمكن قياس شخصية أطفال المدرسة الابتدائية إذا كان هناك فريق متخصص مدرب على أساليب الملاحظة الدقيقة بحيث يقوم كل عدد من الملاحظين بتسجيل نمط معين من السلوك يتصل بسمة شخصية معينة ثم يمكن بعد ذلك رسم تخطيط مبدئى للصورة التى تبدو عليها شخصية كل طفل .

يلاحظ هنا أن المدخل إلى قياس شخصية الفرد كان مدخلا جزئيا أى عن طريق السمات منفصلة عن بعضها البعض من الناحية الافتراضية .

ومن أمثلة هذه الدراسات دراسة بارتن التى قامت بها على ٣٤ طفلا من أطفال دور الحضانة حيث أرادت الباحثة أن تقيس سمة القدرة الاجتماعية فبدأت برصد قائمة من أنواع وأنماط السلوك المختلفة التى تتعلق بهذه القدرة ولاحظت الطفل لفترة زمنية محدودة يوميا وذلك لمدة ستين يوما . ثم قامت بعد ذلك بتحويل تكرار أنماط السلوك وكيفيته إلى درجات على مقياس خاص بالقدرة الاجتماعية .

وقد وجدت الباحثة أن ثبات نتائج هذه الطريقة يمكن قبوله من الناحية الإحصائية حيث لاحظت أن هناك معامل ارتباط موجب ذا دلالة إحصائية بين الدرجات التى حصل عليها الطفل فى الأيام الأحادية وتلك التى حصل عليها فى الأيام الزوجية (الأحد — الثلاثاء — الخميس ، السبت — الاثنين — الأربع) .

وهناك بحث قديم آخر قام به بيرث أثناء الحرب العالمية الأولى أجراه على ٥٣ شابا من أجل تقدير بعض سماتهم الشخصية مثل الثبات الانفعالى والقدرة الاجتماعية والسلوك الزعامى . وقد استخدم بيرث فى بحثه أكثر من ملاحظ واحد . وعند حساب العلاقة بين أحكام هؤلاء الملاحظين وبين أحكام مجموعة أخرى من الملاحظين المدربين والذين هم على قدر كبير من الدقة والموضوعية وجد أن معامل الارتباط يتراوح بين ٤٤, إلى ٥٤, .

وهذا قد يدل على أن بعض أنماط السلوك وسمات الشخصية يمكن ملاحظتها بسهولة وأن مفاهيمها تكون أوضح من بعض السمات الأخرى .

ولنا تعليق أخير وهو أن طريقة الملاحظة تعتبر طريقة ناجحة فى قياس وتقدير بعض سمات الشخصية إذا توفرت الشروط التالية :

١ — تحديد مفهوم كل نمط من أنماط السلوك المطلوب ملاحظتها وتسجيلها مع إعطاء الأمثلة العديدة المتنوعة لخصائص كل سلوك وعناصره حتى يسهل على الملاحظ عملية التسجيل مثال ذلك تحديد الأفعال التى تدل على سمة القدرة الاجتماعية مثلا كسرعة الحركة والانتقال من شخص إلى آخر وإطلاق الفكاهة المرحة والدخول فى أكثر من جماعة والاشتراك فى أكثر من نشاط وكثرة الأصدقاء والرفاق وما إلى ذلك .

٢ — إعداد الملاحظ المدرب تدريباً كافيا وافيا بحيث يتحتم عليه إتقان أمريين :

(ا) إتقان عملية تسجيل أنماط السلوك المطلوبة وكذلك التمييز بين أنواع ومظاهر السلوك المختلفة .

(ب) المهارة فى مشاركة أعضاء الجماعة أنشطتهم من أجل تكوين علاقة (مهنية) ناجحة .

٣ — الموضوعية فى تحليل محتوى التسجيلات وذلك يتطلب إعداد دليل للتحليل يكون شاملا ودقيقا وواضحا ويبنى على مرحلة من الملاحظة التمهيدية حتى يكون واقعيا بالنسبة لأنشطة الأفراد المطلوب ملاحظتهم .

وكذلك يجب علينا أن نقول أن موضوع الصحة والثبات بالنسبة لطريقة الملاحظة أمر نسبى إلى حد كبير وربما كان السبيل الوحيد إلى حساب ثبات الدرجات المشتقة من أسلوب الملاحظة هو مقارنة الدرجات أو الرتب التى يعطيها أكثر من ملاحظ وسوف نتعرض لذلك فى شىء من التفصيل عند مناقشة الطريقة التالية وهى طريقة المقابلة الشخصية .

كما يمكن أيضا البحث فى ثبات أسلوب الملاحظة عن طريق مقارنة محتوى التسجيل الذى قام به كل ملاحظ مع محتويات التسجيل الأخرى

وبطبيعة الحال فإن تطابق هذه التسجيلات تعنى إلى حد ما ثبات الملاحظة وخلوها من عوامل التحيز أو التحامل أو أخطاء الصدفة .

٢ ـ طريقة المقابلة الشخصية:

وهذه طريقة ثانية لقياس وتقدير شخصية الإنسان وهى من أكثر الطرق شيوعا واستخداما وخاصة فى الميادين المهنية والتربوية ومجالات التشخيص وخاصة فى حالات الانحراف أو الاضطراب النفسى والشخصى .

وتتم المقابلة الشخصية عن طريق عقد جلسة (رسمية) بين الفاحص والمفحوص يقوم فيها الفاحص بتوجيه بعض الأسئلة ومناقشة المفحوص فى إجاباته وردوده عليها . وبناء على هذه المناقشة يقوم الفاحص أو المقابل بإعطاء تقدير معين لهذا الفرد أو ذاك .

وغالبا ما تعقد المقابلة الشخصية من أجل اختبار الأفراد أو المقارنة بينهم من أجل مهنة أو وظيفة معينة وكذلك يستخدم هذا الأسلوب فى التعرف على بعض السمات الشخصية عند الأفراد سواء من أجل قياس هذه السمات فى حد ذاتها أو من أجل بحث مدى مناسبة هذه الخصائص أو السمات لمهنة ما أو وظيفة ما .

ونتيجة لأهمية أسلوب المقابلة الشخصية وكثرة وسهولة استخدامها كان من الضرورى البحث فى تقنين هذا الأسلوب من ناحية الشكل والموضوع . وأول ما يتطرق إلى الذهن فى هذا الموضع هو تقليل ذاتية المقابل أو الفاحص ما أمكن ذلك وهذا مما يزيد فى موضوعية المقابلة . والإجابة على هذا هو استخدام دليل سابق للمناقشة التى سوف تدور بين الفاحص والمفحوص على أن يكون هذا الدليل فى حد ذاته موضع اتفاق بين مجموع الفاحصين — إذا كانت هناك مجموعة — بخصوص المفاهيم التى تتطرق إليها الأسئلة والاستجابات المحتملة بحيث يكون الفاحص مستعدا لكل استجابة محتملة

كما يتم الاتفاق أيضا بين مجموعة الفاحصين على الطريقة التى سوف تتبع من أجل تقييم استجابات المفحوص ومن ثم الحكم على خصائصه وسماته .

ويمكن أيضا — وخاصة إذا كان الهدف فقط قياس السمة — الاستعاضة عن مثل هذا الدليل باختبار مقنن يقوم الفاحص بتطبيقه على المفحوص فى صورة فردية وبطبيعة الحال سوف يصبح المتغير الذى يؤدى إلى التباين فى هذه الحالة هو طريقة شرح وتوضيح الفاحص لعبارات الاختبار والتفاعل بينه وبين المفحوص . ويجب أن يؤخذ ذلك فى الاعتبار عند تحليل نتائج المقابلة ومقارنة هذه النتائج بغيرها .

والشائع دائما هو استخدام أكثر من فاحص واحد للقيام بعمليـــة المقابلة الشخصية من أجل تقليل ذاتية الأحكام التى تصـدر عن فاحص واحد . وربما ترتب على هذا البحث فى ثبات نتائج المقابلة الشخصية أى خلوها ما أمكن ذلك من عوامل الذاتية والتحيز أو التحامل وأخطاء الصدفة والانطباع .

وفى هذا قام هولنجورث بإجراء أول دراسة لتقدير ثبـات المقابلة الشخصية حيث كلف ١٢ حكما بمقابلة ٥٧ مفحوصا ثم القيام بترتيبهم حسب معيار معين وكانت نتيجة هذه الدراسة أن الباحث لم يجد تطابقاً كاملا بين أى اثنين من الحكام .

ودراسة أخرى مشابهة تقريبا قام بها هارتوج وآخرون حيث قام فريقان من الحكام بمقابلة ١٦ مفحوصا . وبعد ذلك قام كل حكم من أعضاء كل فريق بإعطاء تقدير خاص لكل مفحوص بالنسبة للذكاء والانتباه وبعض الخصائص الشخصية الأخرى .

وكانت نتيجة هذه الدراسة ذات شقين : الشق الأول هو أن هناك اتفاق لا بأس به بين أعضاء الفريق الواحد بالنسبة للحكم على المفحوصين

والشق الثانى هو أنه لم يكن هناك أى اتفاق واضح بين أحكام الفريقين .

والطريقة التى نقترحها لحساب معامل ثبات المقابلة الشخصية هى أن نلجأ إلى حساب معامل الرتب ولهذه الطريقة حالتان .

الحالة الأولى : عندما يكون هناك فاحصان فقط يقومان بمقابلة عدد معين من الأفراد وليكن ن فنى هذه الحالة يقوم كل فاحص على حدة بعد انتهاء المقابلة بإعطاء رتب لهذه المجموعة من المفحوصين وبذلك يكون كل مفحوص قد حصل على رتبتين : إحداهما من الحكم الأول والثانية من الحكم الثانى .

يحسب بعد ذلك معامل ارتباط الرتب من القانون التالى :

$$ر = ١ - \frac{٦ \, مج \, ف^٢}{ن(ن^٢ - ١)}$$

حيث مجـ ف٢ هو مجموع مربع الفروق ، ن عدد المفحوصين ويتضح ذلك من المثال التالى :

نفرض أن الحكم (ا) والحكم (ب) اشتركا فى مقابلة خمسة أفراد هم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ من أجل تقدير سمة تحمل المسئولية كسمة شخصية عند هؤلاء المفحوصين الخمسة .

وبعد انتهاء المقابلة قام كل حكم على حدة بترتيب هؤلاء الأفراد الخمسة حسب سمة تحمل المسئولية وكانت النتائج كما يلى :

المفحوصون	رتبة الحكم (ا)	رتبة الحكم (ب)	ف	ف٢
١	٤	٣	١	١
٢	٣	٤	— ١	١
٣	٥	٥	صفر	صفر
٤	١	٢	— ١	١
٥	٢	١	١	١
				مج = ٤

∴ معامل ارتباط الرتب (سبيرمان) $= ١ - \frac{٦ \times ٤}{٥ (٢٥ - ١)} = ٠,٨$

بعد ذلك يكشف عن الوضوح الإحصائى لهذا المعامل فإذا كان واضحاً إحصائياً دل ذلك على ثبات نتائج هذه المقابلة الشخصية وإذا كان غير ذلك فإن هذه المقابلة تكون قد تدخلت فيها عوامل الذاتية إلى درجة واضحة أو بمعنى آخر تصبح نتائجها غير ثابتة .

ويكشف عن معامل سبيرمان بالنسبة للوضوح الاحصائى إذا كان عدد المفحوصين ه يتراوح بين ٤ — ٣٠ فى جداول خاصة . أما إذا كانت ه = ١٠ أو أكثر من ذلك فإنه يمكن بالإضافة إلى هذه الجداول تحويل ر إلى ت عن طريق استخدام القانون التالى :

$$ت = ر \sqrt{\frac{ه - ٢}{١ - ر}}$$

ثم يكشف عن الناتج فى جداول ت العادية آخذين فى الاعتبار أن درجات الطلاقة = ه — ٢ .

ففى مثالنا السابق حيث ه = ٥ يكفى استخدام جداول الكشف الخاصة لتقرير مستوى الوضوح الإحصائى للمعامل ر .

ولكن إذا كانت ه = ١٨ ، ر = ٠,٦ فإنه يمكن تحويل ر إلى ت كما يلى :

$$ت = ٠,٦ \sqrt{\frac{١٨ - ٢}{١ - ٠,٦}} = ٣,٨٤$$

وبالرجوع إلى جداول ت وعند درجات الطلاقة ١٦ نلاحظ هذه القيمة واضحة إحصائيا عند مستوى أقل من ٠,٠٠٥ وعليه يصبح هذا المعامل ذا دلالة إحصائية واضحة .

الحالة الثانية : عندما يكون هناك أكثر من فاحصين وليكن عددهم ثلاثة أو أربعة أو ... ك من الحكام يقومون بمقابلة عددا من المفحوصين وليكن عددهم ه .

ففي هذه الحالة نستخدم معاملا آخر غير معامل سبيرمان وهو معامل كندال (و) للتوافق (Kendall W-Cof.) .

$$\text{حيث و} = \frac{\text{س}}{\frac{1}{12}\text{ك}^2(\text{ه}^3-\text{ه})}$$

حيث س = مجموع مربعات انحرافات مجموع الرتب عن المتوسط العام للرتب .

ك = عدد الحكام

ه = عدد المفحوصين

مع ملاحظة أن $[\frac{1}{12}\text{ك}^2(\text{ه}^3-\text{ه})]$ هي عبارة عن أقصى حالات احتمال الاتفاق الكامل بين الحكام .

ويتضح ذلك من المثال التالي :

نفرض أن ثلاثة من الحكام هم ا ، ب ، حـ قاموا بمقابلة مجموعة من المفحوصين هم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ من أجل قياس خاصة الثبات الانفعالى عند كل فرد من هذه المجموعة .

وبعد انتهاء المقابلة الشخصية قام كل حكم على حدة بترتيب هؤلاء الأفراد الستة حسب درجة الثبات الانفعالى عند كل منهم . وكانت النتائج كما يلي :

الحكام	المفحوصون						
	١	٢	٣	٤	٥	٦	
ا	١	٦	٣	٢	٥	٤	
ب	١	٥	٦	٤	٢	٣	
ح	٦	٣	٢	٥	٤	١	
مجموع الرتب	٨	١٤	١١	١١	١١	٨	المتوسط = ٦٣/٦ = ١٠,٥
انحرافات مجموع الرتب	—٢,٥	٣,٥	٠,٥	٠,٥	٠,٥	—٢,٥	
مربع انحرافات مجموع الرتب	٦,٢٥	١٢,٢٥	,٢٥	,٢٥	,٢٥	٦,٢٥	المجموع = ٢٥,٥

∴ يصبح معامل التوافق و = ٢٥,٥ / (١/١٢ × ٩ × ٢١٠) = ٠,١٦

وواضح من هذا المعامل أنه معامل بسيط ولكن يكشف عن الوضوح الاحصائى لهذا المعامل آخذين فى الاعتبار حجم مجموعة المفحوصين إذا كانت صغيرة (أقل من ٧) أو إذا كانت كبيرة (أكثر من ٧) وذلك بتحويل هذا المعامل إلى كا٢ والكشف عن وضوحها الاحصائى .

هذا المعامل يدل على ثبات الدرجات أو الرتب المشتقة من أسلوب المقابلة الشخصية وسوف نعطى مقالا لكيفية الكشف عن الوضوح الإحصائى لهذا المعامل .

فى مثالنا السابق كانت و = ١٦,   حيث ك = ٣ ، ه = ٦

وفى هذه الحالة تكون العينة صغيرة حيث أن ه تتراوح بين ٣ — ٧. وهنا يرجع إلى جداول (فريدمان ١٩٤٠) لفحص الوضوح الاحصائى باستخدام قيمة س . ويتضح من ذلك أن و فى هذه الحالة غير واضحة إحصائياً وعليه تكون نتائج هذه المقابلة غير ثابتة (كما سنشير إلى ذلك فيما بعد) .

وفى مثال آخر نفترض أن عدد الحكام ١٣ وعدد المفحوصين ٢٠ وكانت قيمة (و) فى هذه الحالة = ٥٨,٠ ذلك يدل على أن العينة ليست صغيرة إذ أن ه زادت عن ٧ .

وعلى ذلك نقوم بتحويل قيمة و إلى كا٢ (X^2) باستخدام القانون التالى :

كا٢ = ك (ه — ١) و

حيث ك هو عدد الحكام ، ه عدد المفحوصين ، و قيمة معامل التوافق .

∴ كا٢ = ١٣ (٢٠ — ١) ٥٨,

= ١٤٣,٣

وتصبح درجات الطلاقة df = ن — ١ = ١٩

ومن ثم نكشف عن مستوى وضوح كا٢ ذات القيمة التى تساوى ١٤٣,٣ والتى تقع عند درجات الطلاقة التى تساوى ١٩ وذلك فى جداول كا٢ العادية وبذلك نجد أن هذه القيمة واضحة عند مستوى أقل من ٠,٠٠١ وعليه نرفض الفرض الصفرى الذى ينص على أن التوافق بين آراء الحكام الثلاثة عشر كان بمحض الصدفة .

هذا بالنسبة للعينات الكبيرة أما بالنسبة للعينة الصغيرة فإننا سوف نستخدم جداول فريدمان ١٩٤٠ والتى أضاف إليها زيجل فى ١٩٥٦ وفيما يلى نورد هذه الجداول :

الجدول الأول (مستوى الوضوح الاحصائى ٠,٠٥)

ك (الحكام)	ن (المفحوصون)				
	٣	٤	٥	٦	٧
٣			٦٤,٤	١٠٣,٩	١٥٧,٣
٤		٤٩,٥	٨٨,٤	١٤٣,٣	٢١٧,٠٠
٥		٦٢,٦	١١٢,٣	١٨٢,٤	٢٧٦,٢
٦		٧٥,٧	١٣٦,١	٢٢١,٤	٣٣٥,٢
٨	٤٨,١	١٠١,٧	١٨٣,٧	٢٩٩,٠٠	٤٥٣,١
١٠	٦٠,٠٠	١٢٧,٨	٢٣١,٢	٣٧٦,٧	٥٧١,٠٠
١٥	٨٩,٨	١٩٢,٩	٣٤٩,٨	٥٧٠,٥	٨٦٤,٩
٢٠	١١٩,٧	٢٥٨,٠٠	٤٦٨,٦	٧٦٤,٤	١١٥٨,٧

مثال توضيحى : إذا كان عدد الحكام ك = ٣ وعدد المفحوصين ٦ فإنه لأن تكون (و) واضحة إحصائياً عند ٠٫٠٥ فإن قيمة س فى القانون السابق الإشارة إليه لا بد أن تساوى ١٠٣٫٩ أو تزيد عنها .

جدول ملحق بالجدول الأول (مستوى الوضوح الاحصائى ٠٫٠٥)

ك (الحكام)	ﻫ = ٣
٩	٥٤٫٠٠
١٢	٧١٫٩
١٤	٨٣٫٨
١٦	٩٥٫٨
١٨	١٠٧٫٧

الجدول الثانى (مستوى الوضوح الإحصائى ٠٫٠١)

ك (الحكام)	ﻫ (المفحوصون)				
	٣	٤	٥	٦	٧
٣			٧٥٫٦	١٢٢٫٨	١٨٥٫٦
٤		٦١٫٤	١٠٩٫٣	١٧٦٫٢	٢٦٥٫٠٠
٥		٨٠٫٥	١٤٢٫٨	٢٢٩٫٤	٣٤٣٫٠٠
٦		٩٩٫٥	١٧٦٫١	٢٨٢٫٤	٤٢٢٫٠٠
٨	٦٦٫٨	١٣٧٫٤	٢٤٢٫٧	٣٨٨٫٣	٥٧٩٫٩
١٠	٨٥٫١	١٧٥٫٣	٣٠٩٫١	٤٩٤٫٠٠	٧٣٧٫٠٠
١٥	١٣١٫٠٠	٢٦٩٫٨	٤٧٥٫٢	٧٥٨٫٢	١١٢٩٫٥
٢٠	١٧٧	٣٦٤٫٢	٦٤١٫٢	١٠٢٢٫٢	١٥٢١٫٩

جدول ملحق بالجدول الثانى (مستوى الوضوح الإحصائى ٠,٠١)

ن (الحكام)	ع = ٣
٩	٧٥,٩
١٢	١٠٣,٥
١٤	١٢١,٩
١٦	١٤٠,٢
١٨	١٥٨,٦

بهذا نكون قد أشرنا فى شىء من التفصيل إلى الطريقة التى نحسب بها معامل ثبات المقابلة الشخصية والأصل فى هذه الطريقة هو أننا نقبل أو نرفض الفرض الصفرى الذى يعنى ضمنا أن أى اتفاق بين آراء الحكام قد جاء نتيجة عوامل الصدفة .

الشق الثانى الذى يجب أن نعنى به هو معامل صدق أو صحة المقابلة الشخصية وربما كان ذلك أصعب بكثير من حساب معامل الثبات .

يمكن لنا أن نقول فى هذه الحالة أن حساب معامل الصدق يخضع أولا وقبل كل شىء لمحتوى المقابلة فى حد ذاتها فإذا كان محتوى المقابلة عبارة عن اختبار فردى أى قام المقابل بتطبيقه على المفحوص فإنه من المنطقى أن نحسب صدق المقابلة بإحدى الطرق المناسبة لحساب صدق الاختبار مثل حساب معامل الارتباط بين النتائج التى يحصل عليها الفاحص وبين اختبار مقنن آخر ثبتت صحته بطريقة أو بأخرى .

ولكن كما سبق أن قدمنا فإن كثيراً ما تستخدم المقابلة الشخصية كأسلوب لتقدير بعض السمات والصفات الشخصية للفرد وقد يلجأ الفاحص أو المقابل فى مثل هذه الحالة إلى استخدام أكثر من أداة من أجل إصدار حكمه على الفرد المفحوص .

وعلى ذلك فإن ما نقترحه لحساب معامل صدق أو صحة المقابلة الشخصية في هذه الحالة هو أن نقيس القدرة التنبؤية لتقديرات الحكام التى صدرت بناء على دليل خاص بهذه المقابلة .

ومن الواضح أن مثل هذه العملية ليست قصيرة المدى ولكنها تحتاج إلى وقت وجهد حتى تتم كما ينبغى لها أن تكون .

وحساب القدرة التنبؤية لتقديرات الحكام يمكن أن يتم من خلال مقارنة هذه التقـــديرات بآراء المشرفين والمخالطين والملاحظين لهؤلاء المفحوصين بعد متابعة وتدقيق .

وهناك مدخل آخر لقياس صحة المقابلة الشخصية وذلك عن طريق تعيين مدى قدرة تقديرات الحكام والفاحصين على التمييز بين مجموعتين من المفحوصين يمثلان نهايتى أو طرفى السمة التى نقصد أن نقيسها أو نقدرها عن طريق المقابلة الشخصية .

فإذا كانت هذه السمة هى الثبات الانفعالى فإنه لكى تكون المقابلة الشخصية صحيحة أو صادقة فلابد أن تكون أدواتها من أسئلة واستفسارات واستبارات قادرة على التمييز بوضوح بين مجموعة من الانفعاليين ومجموعة أخرى من الأفراد من ذوى الثبات الانفعالى الواضح .

٣ ـ طريقة الاستفتاء أو تقييم الذات :

طريقة الاستفتاء أو الاختبار أصبحت وكأنها الطريقة الوحيدة المعروفة تقريباً لقياس الشخصية الانسانية . فإننا نجد معظم الدراسات والبحوث التى تجرى فى ميدان قياس الشخصية تستعين دائما باستفتاء Questionnaire أو قائمة inventory أو اختبار test والهدف من ذلك كله هو الحصول على تقدير لشخصية الفرد كما يعطيها الفرد ذاته أو بمعنى آخر الحصول على تقييم ذاتى للفرد .

وهنا لا بد أن نتوقع المتاعب والمصاعب لأن هناك أكثر من عقبة ينبغى علينا أن نجد لها الحل و نتغلب عليها حتى يمكن لنا أن نقول أنه أصبح أمامنا استفتاء يقيس سمة شخصية .

ويحسن بنا فى بداية الأمر أن نصنف استفتاءات الشخصية من حيث الشكل حيث يسهل علينا دراستها فيما بعد . وعليه فإننا نتعرف على نوعين أساسيين من هذه الاستفتاءات هما :

(ا) استفتاءات تقيس سمة شخصية واحدة : وغالباً ما تكون هذه الاستفناءات من النوع الذى يستند إلى نظرية تكوين الشخصية أو بنائها من خصائص وسمات وليست أنماطا . وهذا النوع غالباً ما يكون بسيطا يتناول العناصر والمكونات السلوكية لسمة من السمات الشخصية مثل التسلط والسيطرة أو المسئولية الاجتماعية أو الثبات الانفعالى أو الانبساط الاجتماعى أو غير ذلك.

ومن أمثلة هذه الاستفتاءات استفتاء وودورث الذى يقيس بعض الاضطرابات الانفعالية والقلق . وهو استفتاء يتكون من عدد كبير من الأسئلة جميعها مشتق من الخبرة الاكلينيكية والعلاجية مثل الأسئلة التالية :

١ — هل تشعر دائما أنك فى صحة جيدة ؟	نعم	لا
٢ — هل يحدث أن تمشى وأنت نائم ؟	نعم	لا
٣ — هل تعانى أحيانا من زغللة فى البصر ؟	نعم	لا
٤ — هل تمتعت فعلا بطفولة سعيدة ؟	نعم	لا
٥ — هل تشعر دائما أن هناك من يحاول إيذاءك ؟	نعم	لا
٦ — هل تشعر بالخوف عندما تعبر جسر فوق النهر ؟	نعم	لا
٧ — هل تخشى أحيانا أن تصاب بمرض عقلى ؟	نعم	لا
٨ — هل هناك أحد من أسرتك يد من المخدرات ؟	نعم	لا

ومن أمثلة هذه الاستفتاءات أيضا استفتاء تايلور لقياس القلق الظاهرى

وتتناول عبارات هذا الاستفتاء بعض مظاهر القلق والانفعال الشديد مثل برودة الكفين والقدمين وعسر الهضم والإسهال وتصبب العرق البارد كرد فعل عصبي وسرعة نبضات القلب وتقلصات المعدة والإحساس الدائم بما يشبه الجوع والخوف من المجهول وغير ذلك من أنواع الوساوس التهرية .

ومن الأمثلة الأخرى استفتاء جوخ فى المسئولية الاجتماعية الذى يتناول أبعاد هذه السمة فى صور مبسطة مفهومة فى حدود مدرك الفرد العادى لهذه الخاصة ويضعها فى مواقف عملية مثل المحافظة على نظافة الشوارع واتباع تعليمات شرطى المرور ومراعاة شعور الآخرين فى الأماكن العامة وما إلى ذلك .

ومن الأمثلة الأخرى اختبار لارد فى القدرة على تحمل المسئولية وهو يستخدم أسلوبا آخر غير الأسلوب البسيط الذى تكون فيه الأسئلة إجاباتها محصورة بين نعم أو لا ، صحيح أو خطأ وما إلى ذلك .

فأسلوب لارد هو الأسلوب العديد الاختيار حيث يعرض على المفحوص عددا من احتمالات الاستجابة وعلى المفحوص أن يختار إحداها ومثال ذلك :

ما هو موقفك من مسئولية ما ؟

(ا) أحاول أن أتجنبها .

(ب) أقبلها إذا فرضت على .

(ج) لا يهمنى أن أقبلها أو أرفضها .

(د) أحب أن أقبل هذه المسئولية .

(ه) أرحب جداً بحمل هذه المسئولية .

ومن الواضح أن المفحوص سوف يختار استجابة واحدة من هذه الاحتمالات الخمسة .

وكذلك مقياس الانطواء الاجتماعى الذى أعده فرايد وآخرون وهو

عبارة عن مجموعة من الأنماط السلوكية تتلخص فى العناصر التالية :

(ا) الإحساس بالخجل .

(ب) أحلام اليقظة .

(ج) تفضيل الخبرة النظرية على الخبرة العملية .

(د) الخوف من مواجهة المتاعب .

(ه) الإحساس الدائم بالإجهاد والتعب .

(و) شدة الإحساس بالذات .

(ز) الخوف من بدء الحديث أمام الآخرين .

(ح) الحركة البطيئة المترددة .

(ط) عدم الترحيب بالاشتراك فى المناسبات الاجتماعية .

(ب) استفتاءات تقيس أكثر من سمة شخصية واحدة : وهذا النوع من الاستفتاءات غالبا مايضم عدداً كبيراً من العبارات ويهدف إلى تقدير شخصية الفرد بصورة عامة أو متعددة الجوانب بحيث يحصل الفاحص على ما يمكن تسميته تجاوزاً « درجة عامة لشخصية المفحوص » . وتصلح هذه الاستفتاءات فى البحوث والدراسات التى تكون فيها شخصية المفحوص متغيراً وسيطاً وليست هدف الدراسة والتحليل فى حد ذاتها إذ أنه فى الحالة الأخيرة هذه يكون من الأدق استخدام الاستفتاءات التى تقيس سمة واحدة .

وهنا أيضا يمكن لنا أن نتعرف على نوعين من هذه الاستفتاءات :

١ — النوع الأول وهو ذلك النوع الذى يتكون فيه الاستفتاء المركب من عدد من الاستفتاءات البسيطة : أى عدد من الاستفتاءات التى تقيس كل منها سمة واحدة ثم تجمع العبارات جميعها معا وتصبح مقياسا مركبا .

وميزة هذا النوع هو أنه يمكن للفاحص عزل أى استفتاء بسيط من الاستفتاء المركب واستخدامه على حدة إذا دعت الظروف إلى ذلك .

وميزة أخرى لهذا النوع هى سهولة التصحيح والحصول على درجة المفحوص عن طريق التصحيح البسيط أى إعطاء وزن خاص لكل استجابة صحيحة ووزن آخر لكل استجابة خاطئة .

ومن أمثلة هذه المقاييس مقياس كاتل الذى يقيس سبعة خصائص شخصية مختلفة منها القلق العصابى والقلق الهستيرى والوساوس القهرية والصرع والبارانويا . وهذا اختبار تشخيصى يستخدم كثيراً فى ميادين العلاج النفسى .

ومن أشهر الأمثلة على هذا النوع من الاستفتاءات هو اختبار الشخصية المتعدد الأوجه (M.M.P.I) وهو من عمل هاثاواى وماكينلى . وقد ترجم إلى العربية واستخدم فى كثير من الدراسات المتخصصة وغيرها .

ويتألف هذا الاختبار من ٥٥٠ عبارة تغطى الكثير من الأنماط السلوكية والاهتمامات والاتجاهات الاجتماعية . ولكل عبارة من هذه العبارات ثلاثة استجابات يختار منها المفحوص الاستجابة التى تناسبه . والاستجابات هى إما (صحيح) أو (خطأ) أو (لا أدرى)

وغالباً ما يستغرق إجراء مثل هذا الاختبار فترة تتراوح بين ثلاثين دقيقة وبين ساعتين أو أكثر وذلك حسب إمكانية المفحوص .

ويقيس هذا الاختبار أو الاستفتاء هوس المرض، والاكتئاب، والميول الهيسترية والانحراف النفسى المرضى ، والذكورة والأنوثة ، والبارانويا ، والهبوط النفسى ، والانفصام .

ومن الاختبارات المشهورة الأخرى اختبار كاتل وهو يقيس ستةعشر متغيرا من متغيرات الشخصية الإنسانية وهو اختبار مبنى على منهج التحليل العاملى الذى استخدمه كاتل كثيرا فى دراساته الشخصية .

ويضم هذا الاستفتاء حوالى ١٩٠ عباره تقيس هذا العوامل :

الثبات الانفعالى — السيطرة — كثرة الحركة — قوة الذات العليا (الضمير) — الجرأة الاجتماعية — الليونة — الحذر والحيطة — التخيلية — الدقة والحدة — الإحساس الدائم بالندم — التقدمية — الاكتفاء بالذات — الاهتمام بالذات — شدة التوتر الطاقى .

وقد ترجم هذا المقياس إلى اللغة العربية ولكنه لم يستخدم بنفس الكثرة التى استخدم بها اختبار M.M.P.I. .

ويصلح هذا الاستفتاء لتقدير شخصية الشباب من الجنسين فى مرحلة الدراسة الجامعية ومن فى مرحلتهم السنية .

واختبار آخر أعده جيلفورد ومارتن ليقيس عدة عوامل شخصية هى :

الانكماش الاجتماعى — التفكير الانطوائى — الاكتئاب — اللامبالاة — النشاط الإجتماعى — السيطرة والتسلط — الاتجاهات الذكرية — الشعور بالنقص — التوتر العصبى .

واختيار آخر أعده بويد ليقيس عنصرا من عناصر الشخصية ولكن فرنون فيما بعد أمكنه عن طريق تحليل العوامل أن يضغط هذه العناصر العشرين إلى أربعة عناصر أساسية هى :

الميول العصابية — عدم القدرة على تحمل المسئولية — الاهتمام الزائد بالأمور البسيطة — اختلافات الجنس .

٢ — أما النوع الثانى من هذه الاستفتاءات التى تقيس أكثر من سمة واحدة فهى تلك الاستفتاءات التى يزعم أصحابها أن كل عبارة من عبارات الاستفتاء تقيس أكثر من سمة شخصية واحدة .

إذن فهذا النوع ليس استفتاءا مركبا من عدة استفتاءات بسيطة ولكنه هو من ناحية الشكل استفتاء بسيط وكل عبارة من عباراته لها استجابة واحدة يختارها المفحوص وهذه الاستجابة لها أكثر من تفسير . ومن أمثلة

هذا النوع من الاختبارات اختبار بير نرويتر حيث يزعم صاحبه أنه يقيس أربعة سمات شخصية هى :

الميول العصابية — الانطواء — السيطرة والتسلط — الاعتماد على النفس .

ويحتوى الاختبار على ١٢٥ عبارة تقيس كل عبارة منها هذه الخصائص الأربعة ولكل عبارة استجابات ثلاث إما نعم أو لا أو غير متأكد . ويقوم المفحوص بقراءة كل عبارة واختيار استجابة واحدة فقط من هذه الاستجابات الثلاثة .

ويتضح ذلك من المثال التالى :

العبارة	الاستجابة
هل تراودك أحلام اليقظة كثيرا ؟	نعم لا غير متأكد

ويتم تفسير الاستجابة وإعطائها الدرجة على النحو التالى :

	ميول عصابية	انطواء	سيطرة	اعتماد على النفس
نعم	+ ٥	+ ٣	— ١	+ ١
لا	— ٤	— ٤	+ ١	— ١
غير متأكد	— ٢	صفر	+ ٢	+ ٢

ومعنى ذلك أن الفرد المفحوص إذا اختار الاستجابة (نعم) لهذا السؤال أى تراوده أحلام اليقظة كثيرا فإن :

هذا الفرد عنده ميول عصابية موجبة + ٥
« « « ميل للانطواء + ٣
« « ليس عنده ميل للسيطرة — ١
« « عنده ميل بسيط للاعتماد على النفس + ١

وهكذا حيث نلاحظ أنه لو أن فردا آخر اختار الاستجابة (لا) لنفس السؤال السابق أى لا تراوده أحلام اليقظة فإن :

هذا الفرد ليس عنده ميول عصابية — ٤
« « ليس عنده ميل للانطواء — ٤
« « عنده ميل بسيط للسيطرة + ١
« « لايميل كثيرا إلى الاعتماد على نفسه — ١

وقد اختار صاحب هذا الاختبار هذه الأوزان بناء على استخدام طريقةمقارنة طرفى السمة محل القياس بطرفى سمة مماثلة فى اختبارات أخرى .

ومن الطريف أن هذا الاختبار جذب انتباه الكثيرين فقام فريق من الباحثين بدراسته واستخدامه حيث اتضح أولا أن عنصر الميول العصابية يقترب كثيرا من عنصر الانطواء حيث بلغ معامل الارتباط بينهما حوالى ٩٣و٠

واتضح ثانيا أن عنصر السيطرة يرتبط ارتباطا ساليا بالعنصرين السابقين فنجد أن معامل الارتباط بين السيطرة والميول العصابية هو — ٨١و٠ ومعامل الارتباط بين السيطرة والانطواء هو — ٦٧و٠

واتضح ثالثاً أن خاصة الاعتماد على النفس تكاد تكون خاصة متميزة بذاتها ولو أنها ترتبط بعض الشيء بعنصر السيطرة . فنجد أن معاملات الارتباط بين خاصة الاعتماد على النفس وبين الميول العصابية والانطواء والسيطرة هى على الترتيب — ٤١و٠ ، — ٠,٣٢ ، + ٠,٥٨

ولا نريد أن نذهب أبعد من ذلك فى استعراض هذا الاختبار ولكن لابد لنا من أن نقول أن فلاناجان — وهو من رواد القياس النفسى — قام بدراسة هذا الاختبار عن طريق التحليل العاملى وتحليل التجمعات فوجد أن هذا الاختبار يقيس عنصرين فقط لا أربعة عناصر كما زعم بيرنرويتر وأن هذين العنصرين هما :

١ — عنصر مركب من العصابية والانطوائية والاستسلام وعدم الاعتماد على النفس .

٢ — عنصر القدرة الاجتماعية .

نعود مرة ثانية ونصنف استفتاءات الشخصية من حيث التصميم وذلك بعد تصنيفها من حيث الشكل كما ورد فى الفقرات السابقة .

فمن ناحية التصميم يمكن أن نتعرف على ثلاثة أنواع من الاستفتاء هى :

(ا) الاستفتاء البسيط : Simple choice Quest

وهو ذلك الاستفتاء الذى تكون عباراته يلزم للاجابة عليها أحد احتمالين فقط إما نعم أو لا ، صحيح أو خطأ ، ١ أو ٢ وهكذا بحيث لا يكون أمام المفحوص سوى استجابتين فقط يختار إحداهما .

وهذا هو النوع كثير الاستخدام فى ميادين القياس المختلفة ولكنه فى الواقع يحصر المفحوص بين استجابتين فقط بحيث لا يستطيع أن يستخدم احتمالا ثالثاً قد يكون هو الأقرب إلى تصور المفحوص وأكثر مطابقة لحالته الحقيقية ، لذلك قد يلجأ المفحوص إلى ترك الإجابة كلية .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد أن المفحوص — إذا استجاب للعبارة — فإنه ولا شك سوف يختار إحدى استجابتين وعليه فإنه سوف يختار الاستجابة التى تكون أكثر قبولا من معايير المجتمع وقيمة السائدة . فإذا كانت العبارة كما يلى على سبيل المثال :

هل تستذكر دروسك جيدا   نعم   لا

فإذا طرحت هذه العبارة على أطفال فى فصل مدرسى يسوده جو التنافس العلمى الواضح فإن أغلبية الأطفال سوف يختارون (نعم) لأن هذه الاستجابة مرغوبة اجتماعيا (إذا اعتبرنا أن الفصل هو مجتمع الطفل) وكذلك لأنها أقرب ما تكون إلى القيم والمعايير السائدة فى هذا المجتمع .

ذلك ما تكلم عنه إدواردز فى ١٩٥٧ وسماه عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية Social desirability variable . وسوف نناقشه بالتفصيل فى مكان آخر من الفقرات القادمة .

لذلك يجب علينا أن نقول أن هذا النوع من الاستفتاءات رغم سهولة تصميمه وتصحيحه وإعداد تعليماته وعباراته إلا أنه يجب أن نأخذ فى اعتبارنا ما سبق أن أشرنا إليه فى بداية وصف هذا النوع من صعوبة .

وبطبيعة الحال عند تصحيح مثل هذا الاستفتاء للحصول على درجات المفحوصين أو بمعنى آخر عند تجهيز بيانات ونتائج الاستفتاء يجب على الفاحص أولا أن يحدد اتجاه القياس وعليه يمكن أن نقول أى هذه الاستجابات صحيح وأيها خاطىء فقد تكون (نعم) فى بعض العبارات استجابة صحيحة أى مع اتجاه القياس وقد تكون استجابة خاطئة فى بعض العبارات الأخرى أى ضد اتجاه القياس . وتكون الحال كذلك بالنسبة للاستجابة الأخرى (لا) .

ويجب على الفاحص ثانيا أن يقوم بإعطاء الوزن المناسب لكل استجابة من هاتين الاستجابتين وغالبا ما تكون ١ ، صفر أو ١ ، ٢ حسب ما يرى الفاحص ويكون مناسبا لهدف وطبيعة الاستفتاء .

بعد ذلك يتم تصحيح الاستفتاء بناء على هاتين الخطوتين : خطوة تحديد اتجاه القياس وخطوة إعطاء الوزن المناسب وهنا يمكن للفاحص أن يلاحظ دائما أن نسبة الإجابات الصحيحة + نسبة الإجابات الخاطئة = ١

بعد الحصول على درجات المفحوصين على هذا الاختبار البسيط غالبا ما يكون تحليل هذه الدرجات خاضعا للفرض الصفرى بحيث يكون المضمون هو أن هذه الدرجات التى حصل عليها الأفراد إنما كانت نتيجة عوامل الصدفة فقط أو بمعنى آخر يكون الفرق بين عدد الذين استجابوا مع اتجاه القياس وعدد الذين استجابوا ضد اتجاه القياس يساوى صفرا .

وبناء على هذا الافتراض يمكن للباحث معالجة النتائج إحصائياً بالصورة التى يراها مناسبة فإما أن يحسب كا² فقط أو أن يستطرد فيحسب معامل الترافق C أو أن يحسب معامل فاى Φ وهو الأكثر مناسبة فى حالة معالجة

نتائج الاختبار البسيط وخاصة إذا كانت الأوزان المعطاة للاستجابات هى صفر ، ١ .

ومعامل ф = $\sqrt{\frac{كا^2}{ن}}$ حيث ن هى عدد الحالات .

ب ـ الاستفتاء عديد الاختيار ***Multi choise Quest*** :

وهذا هو النوع الثانى من استفتاءات الشخصية من حيث التصميم . وهو نوع يختلف عن النوع السابق فى اعتبارين :

١ ــ أنه أعطى حرية أكثر للاختيار فبعد أن كان اختيار المفحوص محصوراً بين استجابتين فقط عليه أن يقرر بالنسبة لإحداهما أصبح لديه فرصة أوسع ليختار استجابة واحدة من بين ثلاثة أو أربعة أو ربما عدد أكثر من الاستجابات . ولذلك كان من المتوقع ألا يترك المفحوص أحد الأسئلة أو العبارات كما كان من الممكن أن يحدث فى حالة النوع الأول .

٢ ــ أنه أصبح من المحتمل أن يقل بعض الشىء أثر عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية فى اختيار المفحوص للاستجابة المناسبة وذلك ربما يكون نتيجة عملية المقارنة التى سوف يقوم بها المفحوص بين عدة استجابات قد يكون معظمها من الاستجابات المرغوبة من الناحية الاجتماعية . إلا أن هذا يعتبر حلا جزئياً للمشكلة .

ويتألف هذا النوع من الاستفتاءات من عدد من الأسئلة أو العبارات يتبع كلا منها عدد من الاستجابات يتراوح غالباً بين ثلاثة وخمسة ويقوم المفحوص باختيار استجابة واحدة فقط لتدل على اتجاهه نحو السؤال أو العبارة .

وهذا النوع أيضاً كثير الاستعمال وخاصة فى ميادين استطلاع الرأى إذ غالبا ما تكون احتمالات الرأى كثيرة ومتعددة .

وعند تجهيز البيانات من هذا الاستفتاء متعدد الاختيار يجب على الفاحص أولا أن يحدد الهدف من عملية القياس كما يعكسها الاستفتاء ككل ويكون ذلك بصورة واضحة بحيث يسهل عليه أن يقوم بالخطوة التالية وهى أن يحدد اتجاه القياس كما تعكسها كل عبارة على حدة وذلك من ناحية مضمون العبارة وهل هو مع هدف عملية القياس التى يعكسها الاستفتاء ككل أو ضد هذه العملية .

وبناء على ذلك تكون الخطوة الثالثة وهى عملية إعطاء الأوزان المختلفة للاستجابات ويعتمد الفاحص فى ذلك على المسافة بين كل استجابة وبين اتجاه عملية القياس كما تعكسها كل عبارة وبين هدف عملية القياس ككل .

وربما كانت هذه العملية مركبة وفى حاجة إلى توضيح تطبيق حتى يسهل استيعابها على القارىء ولنأخذ لذلك مثالا :

نفرض أولا أن هدف عملية القياس ككل هو تقدير سمة الاعتماد على النفس وكان لدينا السؤال التالى : (أحد الأسئلة التى تكون الاستفتاء ككل) .

إذا أردت أن تشترى لنفسك شيئا ما فهل :

١ — تذهب بمفردك لشرائه (الاستجابة رقم ١)
٢ — تصحب معك بعض الزملاء (الاستجابة رقم ٢)
٣ — ترسل من ينوب عنك لشرائه (الاستجابة رقم ٣)

وتصبح بعد ذلك الخطوة الثانية هى تحديد اتجاه العبارة كما يظهر من مضمونها . ففى حالتنا هذه نجد أن هذه العبارة تعنى أن الفرد المفحوص سوف يضع نفسه فى موقف من يحتاج إلى شىء ما ولا بد من شرائه وعليه فإنه سوف يستجيب لهذا الموقف كما هو محدد بعدد الاستجابات الثلاثة الموجودة بعد العبارة .

وعلى ذلك يقوم الفاحص بإعطاء الأوزان لهذه الاستجابات — وهذه هى الخطوة الثالثة — كما يلى :

الاستجابة رقم ١ فى ضوء مضمون العبارة وهدف عملية القياس تعطى أعلى الأوزان : ٣

الاستجابة رقم ٢ فى ضوء مضمون العبارة وهدف عملية القياس تعطى الوزن التالى مباشرة : ٢

الاستجابة رقم ٣ فى ضوء مضمون العبارة وهدف عملية القياس تعطى الوزن الأخير : ١

ذلك لأن الاستجابة رقم ١ والتى أعطيت الوزن (٣) وهو أعلى الأوزان تدل على أن الفرد المفحوص يعتمد على نفسه بصورة كلية وأنه سوف يذهب بمفرده لشراء ما يحتاجه . بينما نجد أن الاستجابة رقم ٢ والتى أعطيت الوزن التالى (٢) تدل على أن المفحوص الذى يختار هذه الاستجابة يعتمد على نفسه بصورة جزئية حيث اصطحب معه بعض زملائه من أجل مساعدته فى اتخاذ ما يجب عليه أن يتخذه من قرار فى مثل هذه الحالة .

وأما الاستجابة رقم ٣ والتى أعطيت أقل الأوزان جميعاً (١) فإنها تدل على أن المفحوص الذى يختار مثل هذه الاستجابة لا يعتمد على نفسه وذلك بصورة واضحة جداً حيث أنه لم يذهب بمفرده ولم يصطحب معه أحداً ولكنه أرسل شخصاً آخر لينوب عنه فى عملية الشراء أو بمعنى أدق لينوب عنه فى عملية اتخاذ القرار وعلى ذلك فقد أعطيت هذه الاستجابة أقل الأوزان .

والآن لننظر إلى هذه العبارة من زاوية أخرى حتى نفهم جيداً ما هو المعنى الحقيقى للخطوة الأولى وهى خطوة تحديد الهدف الكلى لعملية القياس .

لنفرض الآن أن الهدف الكلى لعملية القياس هو تقدير القدرة الاجتماعية وكان لدينا نفس العبارة ونفس الاستجابات :

(ضمن مجموعة كبيرة من العبارات التى تكون الاستفتاء)

إذا أردت أن تشترى لنفسك شيئاً ما فهل :

١ ــ تذهب بمفردك لشرائه (الاستجابة رقم ١)

٢ ــ تصحب معك بعض الزملاء (الاستجابة رقم ٢)

٣ ــ ترسل من ينوب عنك لشرائه (الاستجابة رقم ٣)

وهنا تأتى الخطوة الثانية وهى تحديد مضمون العبارة أو ما تعنيه هذه العبارة فى ضوء هدف عملية القياس ككل . فيمكن لنا أن نقول أن هذه العبارة تمثل موقفاً من المواقف الاجتماعية التى تمر بحياة الفرد اليومية والتى عادة ما تمثل مواقف تكوين واكتساب الخبرة عند الفرد أو بمعنى آخر تمثل موقفاً من مواقف تعامل الفرد مع بعض عناصر بيئته الخارجية وعلى ذلك فإن القدرة والمهارة الاجتماعية مطلوبة فى مثل هذا الموقف وبناء عليه يقوم الفاحص بالخطوة الثالثة وهى عملية إعطاء الوزن . وتكون كما يلى :

الاستجابة رقم ٣ فى ضوء مضمون العبارة وهدف عملية القياس تعطى أعلى الأوزان ٢ .

الاستجابة رقم ٣ فى ضوء مضمون العبارة وهدف عملية القياس تعطى الوزن التالى ٢ .

الاستجابة رقم ١ فى ضوء مضمون العبارة وهدف عملية القياس تعطى الوزن الأخير ١ .

ذلك لأن الاستجابة رقم ٢ والتى أعطيت أعلى الأوزان (٣) تدل على أن المفحوص الذى يقوم باختيار مثل هذه الاستجابة له ميوله الاجتماعية الواضحة كأن يحب أن يكون دائما مع الآخرين وعليه فإنه اصطحب زملاءه معه عندما أراد أن يشترى لنفسه شيئا ما . وأما الاستجابة رقم ٣ والتى أعطيت الوزن التالى (٢) فإنها تدل على أن المفحوص ما زالت عنده

هذه الميول الاجتماعية ولكن بصورة غير مباشرة فهو له علاقة طيبة بالآخرين يثق فيهم ويثقون به وعليه فإنه اختار أحد هؤلاء الزملاء فأنابه عنه ليشترى له ما يريد .

وأخيراً فإن الاستجابة رقم ١ والتى أعطيت أقل الأوزان جميعا (١) فإنها تدل على أن المفحوص لا يحب أن يشرك معه أحد أو يشترك مع أحد فى تعامله مع مواقف حياته اليومية أو بمعنى آخر فإنه لا يحب أن يكون مع الآخرين فى مثل هذا الموقف وعليه فإن قدرته الاجتماعية قليلة بصورة واضحة .

وهناك مدخل آخر لإعطاء الأوزان للاستجابات وهذا يتلخص فى اعتبار الاستجابات جميعها نوعا من التدريج ذى الطرفين حيث يكون هناك طرف موجب وآخر سالب . ويمكن تمثيل ذلك بعبارة من اختيار لارد الذى سبق الإشارة إليه .

ما هو موقفك من مسئولية ما ؟

(ا) أحاول أن أتجنبها .

(ب) أقبلها إذا فرضت على .

(ح) لا يهمنى أن أقبلها أو أرفضها .

(د) أحب أن أقبل هذه المسئولية .

(ه) أرحب جدا بحمل هذه المسئولية .

وفى مثالنا هذا نجد أن إعطاء الأوزان يتم عندما يعتبر الفاحص أن الاستجابة الثالثة (ج) تمثل نقطة عدم الاهتمام بالقبول أو الرفض ولذلك يعطيها (صفر) ويصبح الاتجاه الموجب هو اتجاه قبول المسئولية وذلك يتمثل فى الاستجابة الرابعة (د) والاستجابة الخامسة (ه) وعليه فإن الاستجابة (د) تعطى الوزن (+١) بينما تعطى الاستجابة (ه) الوزن (+٢) .

ويصبح كذلك الاتجاه السالب هو اتجاه رفض المسئولية وذلك يتمثل فى الثانية (ب) .

والاستجابة الأولى (ا) وعليه فإن الاستجابة (ب) تعطى الوزن (— ١) بينما تعطى الاستجابة (ا) الوزن (— ٢) .

وبهذا تصبح أوزان الاستجابات كما يلى : —

(ا) . . . . . . — ٢

(ب) . . . . . . — ١

(حـ) . . . . . . صفر

(د) . . . . . + ١

(هـ) . . . . . + ٢

وعليه فإنه يمكن لنا أن نقول — للتلخيص — أن عملية إعطاء الوزن فى حالة الاستفتاء عديد الاختيار تكوين على نوعين :

أما الأوزان المستمرة مثل ٣ ، ٢ ، ١ ، صفر وهكذا .

أو الأوزان ثنائية التنظيم مثل + ٢ + ١ صفر — ١ — ٢ وهكذا .

بقى أن نشير إلى حساب درجة المفحوص فى أى حالة من هذه الحالات وهى سوف تكون الجمع النهائى للأوزان التى حصل عليها المفحوص فى جميع عبارات الاستفتاء .

جـ ـ الاستفتاء قهري الاختيار *Forecd choise Quest :*

هذا هو النوع الثالث والأخير من استفتاءات الشخصية وهو يختلف عن النوعين السابقين فى أنه صمم خصيصاً ليتغلب على عقبة أساسية من تلك التى تعترض موضوعية استفتاءات الشخصية وهى التى ناقشها إدواردز كثيراً إبتداء من ١٩٥٧ حتى الآن وسماها عامل الميـــل إلى المعايير الاجتماعية Social desirability variable .

وتقوم فكرة هذا النوع من الاستفتاءات على إعطاء الموقف للمفحوص

فى صورة مثير تفاضلى differential stimulus بمعنى أن يقوم المفحوص بالمقارنة والمفاضلة بين استجابتين كلتاهما على درجة واحدة من القرب أو البعد من المعايير الاجتماعية السائدة فى الجماعة وعلى المفحوص أن يختار أو يرفض إحداهما وهو فى ذلك يكون متأثراً فقط باتجاهه الشخصى نحو الموقف وهو الأمر المطلوب قياسه .

ويبدأ حوار إدواردز فى تحديد معنى عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية بأن يفترض أن هناك ثلاثة أنواع من العبارات يمكن أن نتعرف عليها فى أى اختبار من اختبارات الشخصية وهى :

١ — عبارات موجبة positive statments : وهى تلك العبارة التى يميل أغلب الناس إلى وصف أنفسهم بها ويحرصون دائماً أن تكون مثل هذه الصفات من خصائص شخصياتهم .

ومثال لهذه العبارة :

شخص يساعد الآخرين دائماً .

٢ — عبارات سالبة Negative statments : وهى تلك العبارة التى يميل أغلب الناس إلى عدم وصف أنفسهم بها بل يحرصون على تجنب مثل هذه الصفات .

ومثال لهذا النوع :

شخص يكره الأطفال .

٣ — عبارات محايدة Nuatral Statments : وهى تلك العبارة التى لا يهتم الفرد كثيراً بأن يصف أو لا يصف نفسه بها ويكون موقفه منها موقفاً محايدا .

ومثال لهذا النوع :

شخص يتناول غذاءه الساعة الثانية بعد الظهر .

واقتراض إدواردز فى ذلك معقول فعلا ولكنه يؤدى بالضرورة إلى أن مقياس الشخصية لابد من أن يتكون من مجموعة من العبارات تتحدى اتجاه الفرد وتفكيره بمعنى أنها لابد وأن تكون ذات لون محدد يثير استجابة الفرد .

وهنا فسوف تكون هذه العبارات إما سالبة أو موجبة . ولكنها لن تكون محايدة لأن مثل هذه العبارة لن توضح استجابة الفرد بصورة محددة .

يكون محور المناقشة إذن بعد ذلك هو كيف يمكن لنا أن نحدد بصورة كمية أثر عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية فى عبارات مقياس الشخصية .

يقترح إدواردز طريقة بسيطة وسهلة ويمكن الوثوق بها لتعيين درجة كل عبارة من عبارات الاستفتاء على مقياس الميل إلى المعايير الاجتماعية ويستعين فى ذلك بطريقة رياضية وصفها ثرستون وشيف فى ١٩٢٩ ويمكن تلخيص خطوات هذه الطريقة كما يلى :

١ — يقوم الفاحص بإعداد العبارات الصحيحة (سوف نناقش ذلك فيما بعد) . والتى يتم الاتفاق على أنها صالحة لقياس سمة شخصية معينة ويطرحها على مجموعة من الحكام .يكونون من أعضاء الجماعة التى سوف يطبق عليها الاستفتاء فيما بعد . أو بمعنى آخر يكون هؤلاء الحكام من الأفراد المتأثرين بالقيم والمعايير الاجتماعية السائدة فى الجماعة .

ويرى إدواردز أنه سواء كان عدد هؤلاء الحكام كبيراً (حوالى المائة) أو صغيراً حوالى (١١) فإن الناتج لا يتغير كثيراً .

٢ — تعرض هذه العبارات على الحكام مسبوقة بالتعليمات التالية :

فيما يلى بعض العبارات التى تصف سلوك النا س . وبعض هذه العبارات

يحب معظم الناس أن يصفوا أنفسهم بها دائما . وبعض هذه العبارات لا يحب أحد أن يصف نفسه بها على الإطلاق . والبعض الثالث لا يهتم أحد بأن يصف أو لا يصف نفسه بها .

وكل عبارة من هذه العبارات يتبعها تدريج من الرقم (١) إلى الرقم (٩)

والمطلوب منك أن تقرأ كل عبارة جيداً فإذا وجدت أنها من النوع الأول أى أن معظم الناس يرغبون دائما أن يصفوا أنفسهم بها ضع دائرة حول الرقم (٩) . وإذا وجدتها من النوع الثانى - أى العكس - ضع دائرة حول الرقم (١) . وإذا كانت العبارة محايدة فضع دائرة حول الرقم (٥) .

وهكذا يمكنك إعطاء درجة لكل عبارة من ١ إلى ٩

وإليك بعض الأمثلة :

(ا) يساعد الناس ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ (٨) ٩

هذه عبارة نلاحظ أن كثيراً من الناس يحبون أن يصفوا أنفسهم بها لذلك وضعت دائرة حول (٨) وكان يمكن أن توضع الدائرة حول ٩ أو ٧ ولكن هذا يرجع إلى تقديرك .

(ب) يكره الأطفال ١ (٢) ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

وهذه عبارة أخرى عكس السابقة أى أن معظم الناس لا يحبون وصف أنفسهم بصفة كراهية الأطفال ولذلك وضعت دائرة حول الرقم (٢) .

وكان يمكن أن يكون (١) ولكن هذا يرجع إلى تقديرك أيضاً .

(ا) يتناول غذاؤه ظهراً ١ ٢ ٣ ٤ (٥) ٦ ٧ ٨ ٩

وهذه عبارة ثالثة محايدة ولذلك وضعت الدائرة حول الرقم ٥

لا تتردد فى أن تسأل كما تشاء ، ولكن المهم هو الحكم بكل دقة على موقف العبارة كما ترى أنت وتقدر ذلك .

٣ — بعد ذلك يقوم الفاحص بتصنيف آراء الحكام جميعاً بالنسبة لكل عبارة من العبارات وذلك كما يلى :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
$\text{ه}_{١}$	$\text{ه}_{٢}$	$\text{ه}_{٣}$	$\text{ه}_{٤}$	$\text{ه}_{٥}$	$\text{ه}_{٦}$	$\text{ه}_{٧}$	$\text{ه}_{٨}$	$\text{ه}_{٩}$
$\text{س}_{١}$	$\text{س}_{٢}$	$\text{س}_{٣}$	$\text{س}_{٤}$	$\text{س}_{٥}$	$\text{س}_{٦}$	$\text{س}_{٧}$	$\text{س}_{٨}$	$\text{س}_{٩}$

حيث $\text{ه}_{١}$ هى عدد الحكام الذين أعطوا هذه العبارة الدرجة ١

(قس على ذلك $\text{ه}_{٢}$ $\text{ه}_{٣}$ . . . $\text{ه}_{٩}$)

$\text{س}_{١}$ هى نسبة الحكام الذين أعطوا هذه العبارة الدرجة ١ وينتج من

قسمة $\frac{\text{ه}_{١}}{\text{العدد الكلى للحكام}}$

(قس على ذلك $\text{س}_{٢}$ $\text{س}_{٣}$ . . . $\text{س}_{٩}$)

٤ — بعد ذلك يمكن حساب درجة العبارة على مقياس عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية من القانون التالى :

$$\text{ق} = \text{ح} + \frac{\text{٥,} - \text{مج س}}{\text{س}_{\text{و}}} \times \text{ى}$$

حيث ق هى الدرجة المطلوبة

ح : الحد الأدنى للفئة الوسيطية ولاحظ أن الفئة الوسيطية هى تلك الفئة التى يتجمع فيها أكبر عدد ممكن من الحكام فإذا كانت الفئة الوسيطية ٦ مثلا فإن الحد الأدنى لها ٥,٥

مج س : مجموع النسب التى تقع قبل الفئة الوسيطية ففى هذا المثال تكون $\text{س}_{١} + \text{س}_{٢} + \text{س}_{٣} + \text{س}_{٤} + \text{س}_{٥}$

س و : النسبة الوسيطية (أى $س_٧$)

ى : مدى الفئة وتعتبر دائماً الوحدة

وفيما يلى مثالا تطبيقيا لتوضيح هذا القانون :

نفترض أن عدد الحكام الذين عرض عليهم العبارات هو ١٠٠

وبالنسبة لتوزيع آرائهم بالنسبة إلى عبارة ما وجد كما يلى :

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
ك	٥	٥	٢٠	١٠	١٠	٣٠	١٠	٥	٥
س	٠٥,	٠٥,	٢,	١,	١,	٣,	١,	٠٥,	٠٥,

الفئة الوسيطة هى ٦ لأنها تحوى أكبر عدد من الحكام

النسبة الوسيطة هى ٣,٠

$$\therefore ن = ٥,٥ + \frac{٥ - ,٥}{,٣} \times ١$$

$$= ٥,٥$$

∴ درجة هذه العبارة على مقياس عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية هى ٥,٥

واعتمادا على ما قدمه إدواردز قام كاتل وجوردون وآخرون ببناء مقاييس للشخصية هى استفتاءات الاختيار القهرى . ويتم ذلك بأن يجمع الفاحص كل عبارتين معاً بحيث يكون لهما نفس الدرجة على مقياس عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية ويطلب من المفحوص اختيار أو رفض أحدهما .

وربما كان أقرب الأمثلة التوضيحية لذلك هو اختبار المؤلف فى الشخصية

(١٩٦٦) وقد بنى على فكرة الاختيار القهرى هذه ، وهو يضم ٦٠ عبارة جمعت فى رباعيات (١٥ رباعية) بحيث كان فى كل رباعية عبارتان موجبتان (أى تمثلان صفتين مرغوبتين اجتماعيا) وعبارتان سالبتان (عكس السابقة) ويطلب من المفحوص أن يعين عبارة كأقرب ما تكون إلى شخصيته وعبارة أخرى كأبعد ما تكون عن شخصيته .

وهذا الاختبار يقيس أربعة خصائص شخصية هى السيطرة والثبات والانفعالى والمسئولية والقدرة الاجتماعية . وقد استخدم المؤلف فى هذا الاختبار اللهجة المصرية المحلية وبعض الأقوال الشائعة والأمثلة المعروفة حتى يضمن اتفاق المفحوصين بالنسبة إلى معنى مضمون العبارات .

وقد كانت تعليمات هذا الاستفتاء أو الاختبار كما سبق الإشارة تقضى بأن يختار المفحوص عبارة من العبارات الأربعة كأقرب ماتكون إلى وصف شخصيته وعبارة أخرى كأبعد ما تكون عن وصف شخصيته مثال ذلك :

	أقرب	أبعد
١ — شخص عصبي المزاج	. . . .	. . . .
٢ — شخص دائماً هو الكل فى الكل	. . . .	. . . .
٣ — شخص يحب يقعد دائماً لوحده	. . . .	. . . .
٤ — شخص صبور ويستحمل الشغل	. . . .	. . . .

(لاحظ أن كل عبارة تمثل سمة من السمات الأربعة) .

ويقوم المفحوص بوضع علامة (×) أمام العبارة التى يعينها وتحت البيان المناسب (أبعد أو أقرب) .

وربما يساعدنا هذا المثال أيضاً على توضيح كيفية حساب درجة المفحوص أو تجهيز بيانات استفتاء الاختيار القهرى تمهيداً لتحليله وهى فى الحقيقة لاتخرج عن عملية إعطاء الأوزان التى سبق الإشارة إليها .

نلاحظ فى العبارات الأربعة السابقة مايلى :

		أقرب(+١)	أبعد(—١)
١ — العبارة الأولى غير مرغوبة اجتماعيا	(تعطى — ١)	— ١	+ ١
٢ — العبارة الثانية مرغوبة اجتماعياً	(تعطى + ١)	+ ١	— ١
٣ — العبارة الثالثة غير مرغوبة اجتماعياً	(تعطى — ١)	— ١	+ ١
٤ — العبارة الرابعة مرغوبة اجتماعياً	(تعطى + ١)	+ ١	— ١

ومن الواضح أيضاً أن المفحوص سوف يعين عبارتين أى أنه سوف تكون هناك علامتان فقط فى كل رباعة .

ولنأخذ الآن احتمالات الاختيار :

(ا) فى حالة اختيار العبارة الأولى كأقرب ما تكون إلى شخصيته يعطى الدرجة — ١ وهى حاصل ضرب رمز العبـــارة — ١ × رمز قمة العمود + ١ (أقرب) .

(ب) فى حالة اختيار العبارة الأولى كأبعد ما تكون عن شخصيته يعطى الدرجة + ١ وهى حاصل ضرب رمز العبارة — ١ × رمز قمة العمود — ١ (أبعد) .

(ج) فى حالة اختيار العبارة الثانية كأقرب ما تكون إلى شخصيته يعطى الدرجة + ١ وهى حاصل ضرب رمز العبارة + ١ × رمز قمة العمود + ١ (أقرب) .

(د) فى حالة اختيار العبارة الثانية كأبعد ما تكون عن شخصيته يعطى الدرجة —١ وهى حاصل ضرب رمز العبارة + ١ × رمز قمة العمود—١ (أبعد) .

وهكذا مع ملاحظة أن ما ينطبق على العبارة الأولى ينطبق على العبارة الثالثة وما ينطبق على العبارة الثانية ينطبق على العبارة الرابعة .

ومن ثم تصبح الدرجة النهائية للمفحوص هى المجموع الجبرى للدرجات التى حصل عليها فى رباعيات الاختبار ككل .

تحدثنا فيما سبق عن تصنيف استفتاءات الشخصية من ناحية الشكل ومن ناحية التصميم فقلنا إن هناك ما يقيس سمة واحدة وما يقيس أكثر من سمة كما أن هناك ما هو بسيط الاختيار وفيها ما هو متعدد الاختيار وهناك أيضاً ذلك النوع الأخير وهو استفتاء الاختيار القهرى .

ونريد أن نورد الآن بعض الملاحظات العامة والأساسية بالنسبة إلى الاستفتاء كأداة من أدوات القياس عامة ومن أدوات قياس الشخصية على وجه الخصوص وتتعلق هذه الملاحظات بما يلى :

١ — تعليمات الاستفتاء :

يقصد بتعليمات الاستفتاء تلك التوجيهات التى يقدمها الفاحص للمفحوص وهى بذلك عبارة عن الدليل الذى سوف يسترشد به المفحوص أثناء الإجابة على الاستفتاء وقد يرجع إليها أكثر من مرة محاولا أن يفسر كل كلمة فيها . وهى عبارة أيضا عن العلاقة المهنية التى يكونها الفاحص مع المفحوص بصورة غير مباشرة فقد يقبل المفحوص على الاستفتاء وقد ينفر منه بناء على عدة فقرات بسيطة هى التعليمات التى تسبق الأسئلة .

ولهذه التعليمات عدة شروط ومواصفات نوضحها فيما يلى :

(ا) لا بد أن تكون التعليمات سهلة وبسيطة ومنطقية ومبوبة . بمعنى أن تكون الألفاظ المستخدمة فى متناول فهم المفحوص من حيث السهولة والصعوبة وأن يكون تركيبها بسيط بحيث لا يحتاج المفحوص إلى وقت كبير لحل ألغاز الصياغة والتركيب بل تكون الجملة واضحة وبسيطة ومفهومة.

وكذلك يجب أن تكون التعليمات ككل منطقية أى ممكنة التنفيذ وماهو مطلوب من المفحوص يمكنه إتمامه دون جهد ومشقة فلا يشعر أنه يدور فى

حلقة مفرغة عند قراءته للتعليمات بل يشعر أن كل فقرة تؤدى إلى الفقرة التى تليها وهكذا .

(ب) لابد أن يشعر المفحوص بقيمة التعليمات : بمعنى إحساس المفحوص أن قراءته لهذه التعليمات قد أفادته فى محاولته للإجابة عن الاستفتاء ، وذلك يأتى عن طريق عرض الأفكار الأساسية وما يتعلق بما هو مطلوب من المفحوص فى أسلوب شيق سهل وكذلك إضافة بعض الأمثلة البسيطة التى تساعد المفحوص على استيعاب المطلوب .

٢ — عبارات الاستفتاء :

عبارات الاستفتاء هى وحداته البنائية أو بمعنى آخر هى نسيجه العام وكلما كانت العبارات دقيقة ومنتقاة كلما كان الاستفتاء أداة مضبوطة للقياس والتقدير .

ومن الناحية العامة فإن هنـاك عدة مواصفات يجب أن تتوفر فى عبارة الاستفتاء نلخصها فيما يلى :

(ا) قصر العباره ودقتها وصلتها المباشرة بمـا تقيسه وتقدره . بمعنى أن تكون العبارة دقيقة أى تحدد الموقف تحديداً واضحاً وأن تهدف مباشرة إليه دون لف أو دوران .

(ب) يجب أن تمثل العبارة موقفا من مواقف الحياة اليومية الواقعية للفرد . ذلك حتى تكون استجابة الفرد لمثل هذه العبارة مرتبطة بحاجة ودافع وعليه يمكن أن تؤدى دورا فى عملية قياس شخصية الفرد .

(ج) يجب أن تمثل العبارة موقفا أو مثيرا يتحدى تفكير الفرد ويدفعه إلى الاستجابة . فلا يكون الموقف سهلا دون مستوى تفكيره ولا يكون كذلك على درجة من الصعوبة بحيث لا يقبل الفرد على العبارة .

(د) يجب أن يكون الموقف الذى تمثله العبارة بعيـدا عن المستوى

الشخصى الدقيق حتى لا يشعر المفحوص أن استجابته ترتبط بخصوصياته الدقيقة التى لا يجب أن يتعرف أحد عليها .

(هـ) يجب أن تكون العبارة تمثل موقفا واحداً فقط يستدعى استجابة المفحوص فلا تمثل العبارة موقفا مزدوجا قد يستجيب المفحوص إيجابا لجزء منه وسلبا لجزء آخر .

(و) يجب أن تمثل العبارة موقفا « محلولا » أو يمكن حله وإبداء الرأى فيه أو بمعنى آخر لا تكون استجابة المفحوص حتمية مفروضة .

(ز) يجب أن تكون هناك استجابة صحيحة واحدة للعبارة أو إذا كان هناك أكثر من استجابة صحيحة يجب أن تتدرج فى الصحة بوضوح . وبمعنى آخر لا يكون هناك للعبارة استجابتان من طبقة واحدة .

٣ - صحة عبارات الاستفتاء :

العبارة الصحيحة هى العبارة التى تقيس السمة الشخصية المفروض أن تقيسها وهى التى تستطيع أن تميز بين فردين يختلفان فعلا عن بعضهما البعض فى هذه السمة وهى أيضاً تلك العبارة التى يمكنها أن تقيس هذه السمة بالذات دون غيرها .

ولتوضيح ذلك فإن العبارة التى تقول « أحب أن أكون دائماً مع الآخرين » من المفروض أنها تقيس الميل الاجتماعى أو القدرة الاجتماعية فلابد أن تكون كذلك حتى تكون صحيحة ولابد أيضاً أن تميز هذه العبارة بين الرجل الذى يحب الجلوس دائماً بمفرده والرجل الذى يجب أن يعيش حياة الجماعة دائماً . وأخيراً — وربما كان أكثر أهمية — لابد أن تكون هذه العبارة صالحة فقط لقياس سمة الميل الاجتماعى أو القدرة الاجتماعية دون غيرها فلا يختلط الأمر وتقيس أيضاً سمة « الاستقلالية » عند الفرد وإلا أصبحت غير صحيحة . وهذا نقد صحيح يمكن أن يوجه إلى اختيار

بيرنروبتر وغيره من الاختبارات التى يزعم أصحابها أن كل عبارة من عبارات الاختبار تقيس أكثر من سمة واحدة فى وقت واحد .

وبطبيعة الحال يجب أن نعلم أن العبارة الصحيحة سوف تؤدى إلى استفتاء صحيح لأن العبارة هى الوحدة البنائية للاستفتاء .

ويمكن الرجوع دائماً إلى بعض المصادر الأخرى لمعرفة الطرق التى يمكن الاستعانة بها لتعيين صحة الاستفتاء ولكن هذا لن يمنع من استعراض هذه الطرق فى إيجاز :

١ — يمكن حساب معامل صدق أو صحة الاستفتاء باستخدام فكرة حساب معامل الارتباط بين (الدرجات) التى يعطيها هذا الاستفتاء وبين الملاحظات أو الدرجات التى نحصل عليها من محك خارجى صحيح .

وكلما كان هذا المعامل كبيراً كلما كانت صحة الاستفتاء عالية .

وهذا المحك الخارجى الصحيح يمكن أن يكون :

(ا) استفتاء آخر يقيس نفس السمة بحيث يكون قد ثبتت صحته قبلا .

(ب) ملاحظات الرؤساء أو المشرفين على الأفراد موضع القياس والتى يمكن اعتبارها مصدراً صحيحاً للحكم على شخصيات هؤلاء الأفراد .

(حـ) ملاحظات الزملاء والمخالطين والمتعاملين مع الأفراد موضع القياس والتى يمكن أيضا أخذها فى الاعتبار كمحك خارجى صحيح .

٢ — يمكن أيضا حساب معامل صدق أو صحة الاستفتاء باستخدام فكرة (القدرة التنبؤية) لهذه الأداة . ويتم ذلك عن طريق حساب معامل الارتباط بين الدرجات التى يعطيها هذا الاستفتاء وبين الدرجات المشتقة من التقارير (البعدية) أى تلك التى يتم إعدادها بعد الاستفتاء بفترة زمنية تسمح بظهور قدرة الاستفتاء على التنبؤ .

وهنا أيضا كلما زادت القوة التنبؤية للاستفتاء كلما كان صحيحا صادقا.

٣ — يمكن كذلك حساب معامل صدق أو صحة الاستفتاء عن طريق الاستعانة بمنهج التحليل العاملى الذى ابتدعه بيرســـون وسيرمان والذى استخدمه الأخير فى حساب معامل صحة أو صدق اختبارات الذكاء والقدرات. وقد استخدم نفس المنهج فرنون وكاتل وغيرهما فى حساب معاملات صحة استفتاءات الشخصية . والفكرة الأساسية فى استخدام منهج التحليل العاملى لتعيين صحة الاستفتاء هى البحث عن العامل العام أو المشترك الذى يربط عبارات الاستفتاء جميعا والعبارة الصحيحة هى التى تكون مشبعة بهذا العامل أكثر من غيرها .

ولكن هناك ملاحظة لها أهميتها يجب أن نأخذها دائما فى حسابنا إذا فكرنا فى استخدام منهج التحليل العاملى لحساب معامل صحة استفتاء من استفتاءات الشخصية . هذه الملاحظة هى أنه من الممكن جداً ومن المحتمل أيضا أن يكون ذلك العامل العـــام أو المشترك الذى يربط بين عبارات الاستفتاء ليس هو السمة الشخصية التى نتصور أن الاستفتاء يقيسها بقدر ما هو عامل آخر قد يكون عامل الميل إلى المعايير الاجتماعية أو عامل خاص بنظام إستجابة الأفراد لمثل هذه العبارات كأن يكون هناك اتجاه (مع أوضد) مسبق قبل قيام المفحوصين بالاستجابة لمثل هذا الاستفتاء .

٤ — هناك أيضا فكرة أخرى لحساب معامل صحة أو صدق استفتاء الشخصية هى فكرة الصحة البنائية أو الصدق التكوينى وقد ناقش هذه الفكرة كرونباخ وميل ١٩٥٥ وأعاد عرضها وتعميقها فرنون ١٩٦٤ وقد قام المؤلف بتعديلها واستخدامها فى تعيين صحة عبارات «اختبار الشخصية» فى ١٩٦٦ .

وتتلخص هذه الفكرة فى الاستعانة بالمحتوى البنائى للسمة الشخصية المطلوب قياسها ومدى ارتباط هذا المحتوى البنائى ببعضه البعض بمعنى أن

يقوم الفاحص بحساب مدى الترابط بين العناصر والمكونات الأساسية للسمة الشخصية أو بمعنى آخر يقوم الفاحص بإيجاد معنى سيكلوجى للدرجة التى يعطيها الاستفتاء عندما يقيس هذه السمة .

وقد كان تعديل المؤلف لهذه الفكرة يعتمد على أساس أن الفرد إنما يشتق صورة ذاته وخصائص شخصيته من طبيعة التفاعل بينه وبين أعضاء الجماعة وأن مفهوم السمة الشخصية وبنائها ومحتواها إنما تحدده طبيعه هذا التفاعل . والدليل على صحة هذا المذهب أن مفاهيم السمات الشخصية محلية أى بيئية وليست مطلقة . فما نسميه بيئة خاصة « قدرة اجتماعية » لا تعطيه بيئة أخرى هذه التسمية بل ربما تنظر هذه البيئة الأخيرة إلى محتوى هذه السمة نظرة عدم تقدير واستحسان . فعلى سبيل المثال نجد بعض المجتمعات الأوربية يعتبرون سلوك المجاملة عند بعض المجتمعات الشرقية (وهو دليل القدرة الاجتماعية) عبارة عن سلوك يتصل بعدم الثبات الانفعالى أو العاطفى.

بناء على ذلك استخدم المؤلف فكرة اشتقاق محتويات السمة من البيئة المحلية نفسها وذلك بالاستعانة بكل مقومات هذه البيئة ثقافيا واجتماعيا وماديا فسمة الثبات الانفعالى مثلا فى المجتمع العربى يمكن الاستدلال على محتواها من الأنماط الحضارية والثقافية السائدة فدليلها الاتزان والوقار وضبط النفس وعدم القلق وقلة التوتر وقوة الأعصاب وما إلى ذلك وكل هذه صفات ونعوت تتردد كثيراً فى ثقافة هذا المجتمع .

ويمكن شرح هذه الطريقة فيما يلى آخذين خاصة الثبات الانفعالى كمثال :

(أ) يتم جمع عدد كبير من العبارات التى يظن الفاحص أنها تقيس خاصة الثبات الانفعالى كما سبق له أن حدد معناها ومحتواها . وتكون هذه العبارات مستوفية للمواصفات التى سبق الإشارة إليها .

(ب) تعرض هذه العبارات على مجموعة من الحكام المدربين وكلما كان

عددهم كبيراً كلما كانت النتائج أدق وأقرب إلى الصحة . وتكون العبارات مسبوقة بالتعليمات التالية :

« أمامك عدد من العبارات يحتمل أنها تقيس ما يمكن أن نسميه خاصة « الثبات الانفعالى » بمعنى قدرة الفرد على التحكم فى أعصابه فى معظم المواقف وقدرته على ضبط النفس وخلوه من القلق والتوتر ومحافظته على هدوئه أثناء تعامله مع الآخرين سواء أثناء التعاون فى العمل أو المناقشة .

ويلى كل عبارة من هذه العبارات تدريج من صفر إلى ١٠ . فاذا كنت تعتقد أن هذه العبارة تقيس فعلا وبكل تأكيد خاصة الثبات الانفعالى ضع دائرة حول الرقم (١٠) بغض النظر عن اتجاه العبارة سواء كان موجبا أو سالبا .

وإذا كنت تعتقد أن العبارة لا تقيس خاصة الثبات الانفعالى أبدا ضع دائرة حول (صفر) بغض النظر أيضا عن اتجاه العبارة .

وهكذا درج كل عبارة من (صفر) إلى (١٠) ومعنى ذلك أن الدرجة التى سوف تعطيها لكل عبارة تدل على قدرة هذه العبارة على قياس سمة الثبات الانفعالى وسوف تتراوح هذه القدرة بين صفر و ١٠ .

وإليك المثال التالى :

١ — أشعر دائما بالقلق والتوتر ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ (١٠)

٢ — أنام فى هدوء مهما كانت المشاكل ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ (١٠)

فكل من العبارتين يقيس خاصة الثبات الانفعالى بدرجة ملحوظة — وذلك كما يعتقد الحكم الذى قام بالتدريج — ولذلك وضعت دائرة حول (١٠) أمام كل منهما . رغم أن اتجاه العبارة الأولى سالب واتجاه العبارة الثانية موجب .

(ج) بعد أن يحصل الفاحص على استجابات الحكام يقوم بتصنيف هذه الأحكام على غرار ما قام به الفاحص أثناء حسابه درجة العبارة على مقياس

الميل إلى المعايير الاجتماعية تمهيداً لتطبيق معادلة ترستون وشيف لحساب الدرجة المقننة ق .

(د) يقوم الفاحص بحساب هذه الدرجة (ق) لكل عبارة من العبارات التى طرحت على الحكام وبناء على ذلك يتم ترتيب العبارات بحيث تكون العبارة الأولى هى صاحبة أكبر درجة من هذه الدرجات .

(هـ) يختار الفاحص عبارات الثلث الأعلى فقط لتكون هى العبارات الصحيحة التى يبنى منها الاستفتاء المقترح لقياس سمة الثبات الانفعالى .

٤ ـ التناسق الداخلي بين عبارات الاستفتاء:

التناسق الداخلى بين وحدات أو بنود الاستفتاء يدل على مدى ارتباط هذه الوحدات أو البنود فيما بينها كما يدل أيضاً ضمنا على مدى ارتباط كل وحدة من هذه الوحدات بالاستفتاء ككل متكامل .

والتناسق الداخلى أيضا يغطى مفهومين أساسيين هما مفهوم صدق أو صحة الاستفتاء إذا حسب هذا الصدق عن طريق التحليل العاملى مثلا حيث يكون البحث — كما سبق الإشارة — عن عامل عام أو رابطة تربط وحدات الاستفتاء ببعضها البعض .

والمفهوم الثانى هو مفهوم ثبات درجات الاستفتاء وخلوها من أخطاء الصدفة حيث أن ارتباط العبارات فيما بينها بدرجة عالية يدل على ثبات استجابات المفحوصين لهذه العبارات والوحدات .

وربما كانت هذه النقطة — ثبات درجات الاستفتاء — هى التى تحتاج بعض المناقشة من خلال الفقرات التالية .

فإنه من الممكن أن نحسب معامل ثبات درجات الاستفتاء بإحدى الطرق التقليدية التى يمكن أن نجدها بالتفصيل فى بعض المصادر الأخرى . فيمكن مثلا أن نتكلم عن إعادة تطبيق الاستفتاء أى تطبيقه مرة ثم إعادة تطبيقة على نفس المجموعة مرة أخرى . ثم نحسب معامل الارتباط بين الدرجات

التى حصلنا عليها فى الحالتين . وكلما كان معامل الارتباط عاليا كلما كانت درجة ثبات الاستفتاء عالية كذلك .

ويمكن أيضا أن نتكلم عن طريقة الصور المتكافئة حيث نطبق صورتين متكافئتين من الاستفتاء على نفس المجموعة ونحسب معامل الارتباط بين الدرجات التى نحصل عليها من كلا التطبيقين ليدل ذلك المعامل على ثبات درجات الاستفتاء .

وهناك أيضا طريقة التجزئة النصفية حيث تؤخـــذ نتائج أحد نصفى الاستفتاء ويحسب معامل الارتباط بينها وبين نتائج النصف الآخر . ثم يصحح المعامل الناتج باستخدام معادلة سبيرمان وبراون :

$$\text{ر}_{١،١} = \frac{٢\,\text{ر}_{\frac{١}{٢}\frac{١}{٢}}}{١ + \text{ر}_{\frac{١}{٢}\frac{١}{٢}}}$$

حيث $\text{ر}_{١،١}$ هو معامل ثبات الاختبار ككل .

$\text{ر}_{\frac{١}{٢}\frac{١}{٢}}$ هو معامل ثبات نصف الاختبار (أو معامل الارتباط بين نصفى الاختبار) .

فإذا كان المعامل المحسوب من التجربة ٦,٠ أى $\text{ر}_{\frac{١}{٢}\frac{١}{٢}}$ = ٦,٠

∴ يصبح معامل ثبات الاستفتاء ككل = ٧٥,٠

ولكن الطريقة التى أشرنا إليها فى بادىء الأمر وهى طريقة حساب معامل التناسق الداخلى أو التكافؤ المنطقى فإنها تعتبر أصلح الطرق تقريبا لحساب معامل ثبات الاستفتاءات عموما ومعامل ثبات استفتاءات الشخصية على وجه الخصوص .

وتعتمد هذه الطريقة على معادلة كودر وريتشاردسون رقم ٢٠ والتى هى :

$$ر_{١,١} = \frac{ن}{ن - ١} \times \frac{ع^٢ - مج\ ص\ خ}{ع^٢}$$

حيث $ر_{١,١}$ = معامل ثبات الاستفتاء

ن = عدد بنود الاستفتاء

ص = نسبة الأفراد الذين أجابوا إجابات صحيحة عن كل بند

خ = نسبة الأفراد الذين أجابوا إجابات خاطئة عن كل بند .

$ع^٢$ = تباين الاستفتاء (مربع الانحراف المعيارى للدرجات)

ويجب أن يلاحظ هنا أن مج ص خ تمثل مجموع تباين بنود الاستفتاء إذ أن تباين البند الذى يعطى الوزن صفر أو ١ (خطأ أو صحيح) يصبح تباينه ص خ .

ويمكن استخدام هذه الطريقة متبعين الخطوات التالية :

١ — نحسب التباين العام للاختبار أو الاستفتاء : $ع^٢$

٢ — نحسب نسبة الأفراد الذين أجابوا إجابة صحيحة فى كل بند ولتكن ص .

٣ — نحسب نسبة الأفراد الذين أجابوا إجابة خاطئة فى كل بند ولتكن خ .

٤ — نوجد حاصل ضرب ص × خ فى كل بند من البنود .

٥ — نحسب المجموع العام لعمليات الضرب السابقة فتصبح مج ص خ

٦ — ثم نستخدم القانون السابق .

والآن لنفرض أنه فى أحد التجارب مستخدمين فيها اختبار الشخصية الذى يتكون من ستين عبارة حيث كان عدد أفراد التجربة ٨٥ فردا حصلنا على ما يلى :

التباين العام للاختبار $ع^٢$ = ٧٢,٢٥

مجموع تباين البنود مج ص خ = ١٢,٤٣

∴ يصبح معامل التناسق الداخلى لهذا الاختبار

$$= \frac{٦٠}{٥٩} \times \frac{٧٢,٢٥ - ١٢,٤٣}{٧٢,٢٥} = ,٨٤$$

٤ ـ طريقة التدريج *Rating* Scales :

هذه هى الطريقة الرابعة والأخيرة من طرق قياس الشخصية التى نستعرضها فى هذا الفصل . وهذه طريقة شائعة كثيرة الاستعمال بنفس درجة وشيوع استعمال طريقة الاستفتاء أو تقييم الذات . فإذا كانت طريقة تقييم الذات كما يدل عليها اسمها تعتمد على استجابات الفرد المفحوص لعبارات الاستفتاء بهدف إعطاء صورة عن شخصيته وسماتها وخصائصها فإن طريقة التدريج تعتمد على أن يقوم الآخرون بإعطاء هذه الصورة وهذا الوصف عن شخصية الفرد المطلوب معرفة شخصيته .

ويقول آيزنك « أنه إذا كانت معظم دراسات الشخصية فى انجلترا قد بنيت على استخدام طريقة التدريج فإن معظم هذه الدراسات فى أمريكا قد قامت على طريقة الاستفتاء أو تقييم الذات » .

وتعتمد طريقة التدريج هذه على مدى معرفة زملاء الفرد به وتعاملهم معه ومدى حساسيتهم وتفسيراتهم لأنماط سلوكه وعمق فهمهم لدوافعه وأهدافه

ولذلك كان من الضرورى أن نأخذ ذلك فى حسابنا عند الاستفادة من طريقة التدريج فى قياس وتقدير الشخصية الانسانية . ومثل هذا الاحتياط يتمثل فى النقاط التالية :

١ ــ معرفة مدى عضوية الفرد فى مثل هذه الجماعة : أى منذ متى وهو عضو فيها .

٢ ــ معرفة مدى وعمق عضويته فيها : أى نوع علاقاته ببقية أفراد الجماعة وتأثره بهم وتأثيره فيهم .

٣ — معرفة مدى موضوعية أو ذاتية العلاقات السائدة فى الجماعة .

وبذلك يصبح من الواضح فى بداية المناقشة أن من سيقوم بالاستفادة من هذه الطريقة لابد وأن يكون على دراية كافية بأبعاد الجماعة ومقوماتها الأمر الذى لايتوفر إلا لمشرف على هذه الجماعة كرئيس فى عمل أو معلم فى فصل دراسى أو إخصائى اجتماعى فى مؤسسة ما وهكذا .

وطريقة التدريج هذه لها عدة أساليب مختلفة والحقيقة أن جميعها يصلح للاستخدام وخاصة إذا أراد المشرفون معلمين كانوا أم إخصائيين الحصول على درجات للشخصية تخص الجماعات التى يعملون بها .

ويمكن أن نعرض هذه الأساليب فيما يلى :

أ - أسلوب الترتيب البسيط ***Simple Ranking :***

يعتبر هذا الأسلوب من أبسط الأساليب جميعا ولا يستخدم إلا إذا كان عدد الأفراد المطلوب ترتيبهم قليلا (أى ه لا تزيد عن ٧) ويطلب من المدرج (الذى يقوم بعملية التدريج وهو فرد فى الجماعة) أن يقوم بترتيب أفراد الجماعة بالنسبة إلى سمة شخصية معينة ولتكن مثلا سمة القدرة على تحمل المسئولية . ومن المفروض بطبيعة الحال أن تكون تعليمات التدريج فى هذه الحالة شاملة لأنماط السلوك والمحتوى البنائى الذى يتعلق بسمة القدرة على تحمل المسئولية . ويتم التدريج ابتداء بأعلى الأفراد قدرة على تحمل المسئولية وينتهى بأقلهم قدرة . ثم بعد ذلك يمكن تحويل متوسط الرتب إلى درجات على مقياس عشرى إذا أراد الفاحص ذلك . ومن الملاحظ أيضا أن الفاحص غالبا ما يستخدم أكثر من مدرج واحد أى يكلف ثلاثة مثلا للقيام بعملية التدريج هذه .

ولنأخذ مثالا تطبيقيا لتوضيح هذا الأسلوب :

نفرض أن الإخصائى الذى يشرف على جماعة من جماعات النشاط أراد

أن يحصل على تقديرات لشخصية أفراد هذه الجماعة بالنسبة لسمة القدرة على تحمل المسئولية ولهذا الغرض كلف ثلاثة من مساعديه بترتيب أفراد هذه الجماعة وعددهم خمسة. وبعد أن أعطى الاخصائى لمساعديه التعليمات الكافية المفصلة قاموا بترتيب هذه الجماعة (ا ، ب ، ج ، د ، ه) كما يلى :

المساعدين	ا	ب	ج	د	ه (الأفراد)
١	١	٥	٤	٢	٣
٢	١	٤	٥	٣	٢
٣	٢	٤	٥	٣	١
مجموع الرتب	٤	١٣	١٤	٨	٦
الرتبة المتوسطة	١ $\frac{1}{3}$	٤ $\frac{1}{3}$	٤ $\frac{2}{3}$	٢ $\frac{2}{3}$	٢

∴ تصبح الرتب النهايه كما يلى :

الأفراد	الترتيب	
ا	الأول	(١ $\frac{1}{3}$)
ب	الرابع	(٤ $\frac{1}{3}$)
ج	الخامس	(٤ $\frac{2}{3}$)
د	الثالث	(٢ $\frac{2}{3}$)
ه	الثانى	(٢)

ويكتفى بذلك طالما أن عدد المجموعة صغير ويصبح واضحاً لدى الأخصائى ن الفرد (ا) هو أكثر هذه المجموعة قدرة على تحمل المسئولية بينما الفرد ج) هو أقل هذه المحموعة قدرة على ذلك :

ب ـ أسلوب المقارنة الزوجية **Pair Comparison** :

وهذا أسلوب بسيط آخر تقوم فكرته على مقارنة كل فردين من أفراد المجموعة ببعضهما بالنسبة لسمة من السمات الشخصية . ويستخدم هذا الأسلوب أيضاً فى الجماعات ذات العدد البسيط إذ أنه فى النهاية سوف يؤدى إلى رتب نسبية كما كانت الحال فى الأسلوب السابق .

فإذا أخذنا نفس المثال السابق فإن الإخصائى سوف يعطى لمساعديه نفس التعليمات المفصلة الكافية عن مفهوم القدرة على تحمل المسئولية ولكنه لا يطلب منهم ترتيب الأفراد الخمسة بل يكون المطلوب كما يلى :

١ — أيهما أكثر قدرة على تحمل المسئولية : ا أو ب (ضع علامة ✓)
٢ — « « « « « « « : ا أو ج
٣ — « « « « « « « : ا أو د
٤ — « « « « « « « : ا أو هـ
٥ — « « « « « « « : ب أو ج
٦ — « « « « « « « : ب أو د
٧ — « « « « « « « : ب أو هـ
٨ — « « « « « « « : ج أو هـ
٩ — « « « « « « « : ج أو هـ
١٠ — « « « « « « « : د أو هـ

ويلاحظ أن عدد الأزواج = $\frac{ن(ن - ١)}{٢ \times ١}$

حيث ن = عدد أفراد الجماعة :

يقوم الفاحص بعد ذلك بحساب عدد العلامات (صح) التى حصل عليها كل فرد من هؤلاء الأفراد الخمسة عن طريق تقدير مساعديه الثلاثة ويكون المجموع النهائى لعدد العلامات هو دليل الرتبة التى يوضع فيها الفرد .

جـ - أسلوب التدرج الرقمي **Numerical Rating** :

يعتمد هذا الأسلوب على الأرقام فى حساب درجة الفرد بالنسبة لسمة من سمات الشخصية . ويتم ذلك عن طريق استخدام تدريج رقمى خاص يكون فى الغالب مكونا من خمسة نقاط ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ أو — ٢ — ١ صفر + ١ + ٢ أوما إلى ذلك .

ويطلب من المدرج أن يقوم بإعطاء الدرجة المناسبة للفرد على هذا التدريج . ولكن مما هو متعارف عليه أن تكون التعليمات مفصلة ووحدة التدريج ليست هى السمة الكامله ولكنها عنصر السمة أو إحدى مكوناتها .

ويتضح ذلك فى المثال التالى :

لنفرض أن الفاحص يريد معرفة درجات الأفراد فى أى مجموعة من المجموعات بالنسبة لخاصة الثبات الانفصالى كسمة شخصية. لذلك فإن الفاحص يقوم أولا بتحليل خاصة الثبات الانفعالى إلى عناصرها وترتب هذه العناصر على هيئة عبارات فى صحيفة تدريج كما يلى :

إسم المدرج ..... إسم الفرد المفحوص .....

تاريخ التدريج . ...

المطلوب منك أن تقوم بتدريج كل فرد من أفراد المجموعة التى تعمل معها — والأسماء مرفقة فى قائمة خاصة . — على التدريج الذى يتبع

كل عبارة فإذا كنت ترى أن سلوك المفحوص يطابق تماماً مضمون العبارة ضع دائرة حول الرقم (٥) .

وإذا كنت تجد العكس ضع دائرة حول الرقم (١) وهكذا تدرج تقييمك بالنسبة للفرد المفحوص على كل عباره من العبارات التالية :

١ — كثير البكاء	١	٢	٣	٤	٥
٢ — مضطرب فى تصرفاته مع الآخرين	١	٢	٣	٤	٥
٣ — سريع الغضب	١	٢	٣	٤	٥
٤ — سريع التأثر	١	٢	٣	٤	٥
٥ — هادىء الأعصاب	١	٢	٣	٤	٥
٦ — عاطفى جداً	١	٢	٣	٤	٥
٧ — متزن الحديث	١	٢	٣	٤	٥
٨ — يسيطر على أعصابه بسهولة	١	٢	٣	٤	٥
٩ — مطمئن فى علاقته مع الآخرين	١	٢	٣	٤	٥
١٠ — لاينفعل دائماً	١	٢	٣	٤	٥

وتصبح الدرجة النهائية للفرد المفحوص هى مجموع أو متوسط التدريجات التى يحصل عليها من المدرجين .

وهناك نقطة يجب الإشاره إليها وهى أن المدرج بطبيعته يميل إلى التحيز إلى فئة خاصة من التدريجات ولأن يتجنب هذه الصعوبة يجب على الفاحص أن يوضح للمدرجين فكرة التوزيع الاعتدالى لهذه السمة الشخصية أوغيرها على الأساس التالى :

١	٢	٣	٤	٥
٪٧	٪٢٤	٪٣٨	٪٢٤	٪٧

د ـ أسلوب التدرج التحليلي **Analytical Rating** :

وهذا الأسلوب يتشابه إلى حد كبير مع الأسلوب السابق من حيث الاعتماد على فكرة تحليل السمة إلى عناصرها ومكوناتها ثم تدريج الفرد على كل عنصر من هذه العناصر ثم جمع التدريجات لتعطى التدريج الكلى للفرد على السمة الشخصية المعينة.

إلا أن هذا الأسلوب يختلف أساساً عن الأسلوب السابق فيما يلي:

١ — فى هذا الأسلوب لا يكتفى بعملية التحليل إلى العناصر فقط ولكن يعطى كل عنصر وزناً خاصاً حسب أهميته كمكون للسمة المطلوب تحليلها لتدريج الأفراد بالنسبة إليها.

٢ — تعطى هذه الأوزان بناء على أفراد مجموعة مدربة من الحكام من حيث ترتيب العناصر من حيث الأهمية (فمثلا فى رأى البعض نجد أن عنصر فقدان النوم من أثر القلق أكثر أهمية من عنصر قضم الأظافر وذلك بالنسبة لخاصة الثبات الانفعالى).

٣ — تؤخذ هذه الأوزان فى الاعتبار عند حساب الدرجة النهائية للفرد التى يتم حسابها كما فى حالة الأسلوب السابق إلا أنه فى هذه الحالة تصبح الدرجة هى تكرار العنصر × وزنه.

هـ ـ أسلوب التدرج النسبي **Rationnal Rating** :

أهم شىء فى هذا الأسلوب بل ما يميزه عن غيره من الأساليب الأخرى لطريقة التدريج هو التعليمات التى تعطى المدرج والتى تعتمد على فكرة «الإطار المرجعى العام» الذى تكونه عند المدرج قبل أن يقوم بعملية التدريج. وتتضح أهمية هذه التعليمات كما يلى:

« سوف تقوم الآن بإعطاء درجة لكل فرد من أفراد الجماعة التى تعمل

معهـا : مرفق قائمة بالأسماء — وذلك على مقياس مدرج من ١ إلى ٥ بالنسبة إلى سمة التسلط والسيطرة بالمعنى الذى تم شرحه سابقاً .

والمطلوب منك الآن :

(ا) تذكر الشخص الذى قابلته فى حياتك سواء من هذه الجماعة أو غيرها والذى من وجهة نظرك هو أكثر الناس ميلا إلى التسلط والسيطرة واكتب اسمه فوق الرقم ٥ على التدريج .

(ب) تذكر الشخص الذى قابلته فى حياتك سواء من هذه الجماعة أو غيرها والذى من وجهة نظرك هو أقل الناس ميلا إلى التسلط والسيطرة واكتب اسمه فوق الرقم ١ على نفس التدريج .

(ج) والآن ضع علامة على الرقم الذى يناسب موضع الفرد المفحوص على هذا التدريج وبالنسبة للفردين السابق ذكرهما .

ويمكن أن تتضح ذلك فى المثال التالى :

لنفرض أن المجموعة — مكونة من الأفراد ا ، ب ، ج ، د ، ه

وأن أحد المدرجين حدد الفردين س، ص كبداية ونهاية للمقياس المدرج.

	س				ص
ا	١	(٢)	٣	٤	٥
ب	١	٢	٣	٤	(٥)
ج	١	٢	٣	(٤)	٥
د	(١)	٢	٣	٤	٥
ه	١	٢	(٣)	٤	٥

ومعنى ذلك أن الفرد (ب) هو أكثر هذه الجماعة ميلا للتسلط والسيطرة

أو بمعنى أصح يجب أن نقول أن الفرد (ب) هو أقرب هـــذه الجماعة شبهاً بالفرد (ص) الذى هو بدوره يمثل التطرف الموجب فى الإطار المرجعى الذى اتخذه المدرج .

ونقول كذلك أن الفرد (د) هو أقرب هذه الجماعة شبهاً بالفرد (س) الذى هو بدوره يمثل التطرف السالب فى نفس الإطار المرجعى .

و ـ أسلوب التدرج بالعبارات *Statment bating* :

فى هذا الأسلوب من التدريج نستعيض عن الدرجات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ أو — ٢ — ١ صفر + ١ + ٢ بالعبارات المتدرجة ويقوم المدرج بوضع علامة أمام العبارة التى تصف سلوك الفرد المفحوص أكثر من غيرها .

ومن أمثلة ذلك :

يفقد الفرد (ا) السيطرة على أعصابه :

يحدث ذلك فى جميع المواقف	يحـــدث فى أغاب المواقف	يحدث ذلك أحيـــانا	يحدث ذلك فى مواقف قليلة	لا يحدث ذلك إلا نادرا

ويقوم المدرج بوضع علامة أمام العبارة المناسبة .

أو هناك صورة أخرى :

أقرب الصفات إلى سلوك الفرد (ا) هى :

١ — ينهار أمام مواقف الأزمات .

٢ — يمكنه أن يتدبر الأمر بصعوبة .

٣ — يستطيع أن يتقبل الأزمات .

٤ — يستطيع أن يقف بشجاعة فى الأزمات .

٥ — يمكنه أن يساعد غيره على تحمل الأزمة .

ز - أسلوب التدرج المقنن **Standardizid Rating :**

هذا الأسلوب عبارة عن محاولة لتقنين درجات المقياس أو بمعنى أصح محاولة لضبط المسافات بين وحدات التدريج .

فإذا كانت وحدات التدريج هى ا ب ج د ه ولتكن عبارات أو أرقام فإنه يتم تقنين هذه الوحدات عن طريق تطبيقها على مجموعة كبيرة جدا من الأفراد ثم تستخرج رتبة كل وحدة من هذه الوحدات وتحول إلى درجة معيارية على مقياس عشرى وبذلك تصبح المسافة بين كل وحدة وأخرى معروفة .

وقد يتم التقنين بطريقة تشابه الطريقةالتى استخدمها (بينيه) فى استخراج معامل الذكاء . وقد استخدم هذه الطريقة فاينلاند فى مقياسه للنضج الاجتماعى للأطفال حيث قام بتقنين وحدات التدريج حسب العمر الزمنى :

يتعرف على الأب والأم والإخوة	٤ شهور
يجفف يده بمفرده	٢½ سنة
يتعرف على وحدات النقود المختلفة	٥½ سنة
يستطيع استخدام التليفون بمفرده	١٠½ سنة

هذا وقد تم التقنين على مجموعة كبيرة من الأطفال الأمريكيين حيث حسب الباحث العمر الاجتماعى لكل طفل وكذلك معامل النضج الاجتماعى .

ح - أسلوب التدرج الانتخابى **Selective Rating :**

ويصلح هذا الأسلوب إذا كان المدرج والمفحوصين من بين أطفال المدارس حيث يكون مفهوم التدريج بالمعنى الأصلى من الصعب إدراكه عند أفراد الجماعة .

ومثال لهذا الأسلوب :

١ — هناك ثلاثة من زملائك فى الفصل يحبون المرح دائماً والجميع يحبونهم ويميلون دائماً إلى اللعب معهم ، هؤلاء الثلاثة هم : (أكتب الأسماء بالترتيب) .

١ — .. .. ..

٢ — .. .. ..

٣ — .. .. ..

٢ — هناك ثلاثة من زملائك فى الفصل لا يحبون اللعب مع الجميع ويميل كل منهم دائماً إلى الجلوس بمفرده والابتعاد عن بعض الزملاء .

هؤلاء الثلاثة هم : (أكتب الأسماء بالترتيب)

١ — .. .. ..

٢ — .. . ..

٣ — .. .. ..

ط ـ أسلوب تدريج السمة ***trait Rating :***

نقصد بهذا الأسلوب أن يقوم المدرج بترتيب أو تدريج عدد من الصفات السلوكية التى لها علاقة بالسمات الشخصية المطلوب تدريج الأفراد بالنسبة لها ويقوم الفاحص بعد ذلك بحساب درجة كل مفحوص على كل سمة من هذه السمات ومن ثم تتم المقارنة بين أفراد الجماعة

ومثال هذا الأسلوب ما يلى :

« رتب الصفات التالية حسب وضوحها الدائم وتكرارها فى سلوك الأفراد المفحوصين ا ، ب ، ج ، د ، ه وذلك بوضع الرقم (١) أمام الصفة الأهم والأكثر وضوحا وتكرارا والرقم (٢) أمام الصفة التى تليها فى ذلك وهكذا .

الأفراد

ا ب ج د ه

الصفات السلوكية

١ — الميل إلى العزلة

٢ - كثرة الكلام (الثرثرة)

٣ — حب الظهور

٤ — السرحان المستمر

٥ — شدة الحساسية

٦ — العاطفية الواضحة

٧ — . . .

. . .

. . .

. . .

بذلك نكون قد أشرنا إلى الطرق الموضوعية الممكنة التى تستخدم فى قياس الشخصية الإنسانية وبهذا نكون قد أكملنا الصوره الخاصة بعلاقة الشخصية بسلوك الإنسان وهى علاقة أكيده وطيدة كما سبق وقدمنا فى بداية هذا الفصل .

المراجع

1 — Adorno, T. and others, the authoretarian Persenality, 1950, Harper.

2 — Bandura and Walters, Social learning and Personality develop. 1970, Holt.

3 — Bischof L. J., Interpreting Personality theories, 1964 Harper.

4 — Borgatta, E, Handbook of Personality, 1968, Mc Nelly,

5 — Cattell, R.B, Personality and Morivation, 1957, N. Y.

6 — Cattell, R. B, the scientific analysis of personality, 1967.

7 — Cronbach and Meehl, Construct validity . . . . , Psychol. Bull. 1955.

8 — Eysenck H. J, the structure of human Personality, 1965. Methuen.

9 — Taft R, multiple methods of Personality assessment, Psychol. Bull. 1959.

10 — Vernon P.E, Personality aesessment, 1959, Methuen.

11 — Wright, D, and others, Introdueing psychol, 1970, clay.

١٢ — سعد عبد الرحمن — أسس القياس النفسي الاجتماعي — القاهرة الحديثة — ١٩٦٧

الفصل الرّابع

• القُدرَات وَسُلوك الإنسَان

القدرة الإنسانية مدخل كبير آخر لفهم السلوك البشرى وهى لا بد بحكم كونها وتسميتها أن تكون ذات أثر فى سلوك الإنسان. فسلوك الإنسان القادر يختلف بطبيعة الحال عن سلوك الإنسان الأقل قدرة أو غير القادر.

وقدرة الإنسان مفهوم عام قد يشمل أداءه وسلوكه ومعالجته للأمور وكل ما يتعلق بتفاعل الإنسان مع عناصر بيئته الخارجية فهناك قدرة الفرد على الأداء سواء كان هذا الأداء عضليا أم لفظيا وهناك القدرة على السلوك الذكى الناضج والسلوك الذى هو ليس كذلك وهناك قدرة على المعالجة الذهنية والرمزية والتجريد للأمور والمسائل كما أن هناك قدرة على المعالجة الملموسة المحسوسة للأشياء والأدوات. وهناك قدرات كثيرة لا تخلو منها أحاديثنا اليومية نذكرها دائما كلما أردنا أن نفرق بين فرد وآخر.

وربما كان هذا هو سبيلنا إلى دراسة القدرات الإنسانية فطريقة المفاضلة أو إبراز الفروق بين الأفراد فى قدرة من القدرات توضحها بصورة إجرائية عملية. كما أن محاولة إبراز الفروق بين القدرات بعضها البعض يؤدى إلى تحديدها والتعريف بها.

فليس هناك شك أن ما سوف نجادل ونحاج فيه من خلال الفقرات الواردة فى هذا الفصل إنما هو تراث من الحوار والجدل والمناقشة بدأ منذ بداية اهتمام الإنسان بدراسة نفسه وقدراته وسلوكه ولا نستطيع أن ننكر على كل كاتب أو دارس فى هذا الميدان أنه أضاف جديدا – مهما كانت النوعية – إلى هذا التراث والرصيد من المعلومات ولنبدأ الآن بعرض الموضوع.

أولاً ـ مفهوم القدرة الإنسانية :

لقد كان هناك مفهوم سائد لسنوات طويلة عن العقل الإنسانى وتركيبه ووظيفته وكان لحوى هذا المفهوم أن هناك ما يسمى بالملكات Faculties أو قوى العقل Powers وهذه الملكات والقوى هى المسئولة عن السلوك التحصيلى للفرد .

فقد كان هناك الشخص الذى يتمتع بملكة الذاكرة فيحفظ كل شىء من أرقام وغيرها عن ظهر قلب وهناك الذى له ملكة التخيل ومن له ملكة التفكير وهكذا بحيث أصبح كل نمط من أنماط سلوك الإنسان له ملكة خاصة به . ومن ثم انتظم هذا المحتوى انتظاما منطقياً من الناحية الشكلية وكون علما مستقلا هو علم دراسة العقل والمخ Phrenology الذى قام أساسا على الزعم بأن مخ الإنسان مقسم إلى مناطق وإن كل منطقة تقوم على خدمة ملكة من ملكات العقل وعليه فإن حجم هذه المنطقة كبيرا كان أم صغيرا يدل على قوة الملكة المتصلة بها .

وطالما أن أصحاب هذا العلم — جول وشبورتزهايم — لن يتمكنوا من رؤية مناطق المخ من الداخل فى الإنسان الحى فإن أبعاد الجمجمة من الخارج سوف تدل على قوة الملكات الواضحة فى مخ الفرد . وأصبح أساس هذا العلم هو دراسة أبعاد جمجمة الإنسان للاستدلال على قواه العقلية وملكاته الذهنية وأصبح هذا الأساس أيضا منطلقا لعلم الفراسة الذى كانت وسيلته « التفرس » فى وجه الفرد لإعطاء تقرير شامل عن قواه وقدراته .

وهكذا أصبحت فكرة الملكات أو قوى العقل أساس التفكير ليس عند رجل الشارع فقط عندما يتحدث عن قدرته وموهبته فى عمل ما ولكن أيضا عند المتخصصين من رجال التربية والفلسفة وعلم النفس . وحتى فى هذا المستوى لم يكن هناك معرفة كاملة عن طبيعة هذه الملكات أو بنائها أو حتى عددها أى كم ملكة عند الإنسان .

لكن فيما بعد أمكن لهؤلاء أن يتحدثوا عن ٣٧ ملكة منها ملكات الإحساس والإدراك والشعور وما إلى ذلك .

وكل ما نستطيع أن نقوله بجانب أن هذا مدخل غير علمى وغير موضوعى هو أن جول أو شبورتزهايم أو كومب وهم أصحاب هذه النظرية — إذا جاز لنا أن نسميها كذلك — لم يتمكن أحد من هؤلاء أن يتحدث عن أى دليل يؤكد أهمية بعض هذه الملكات عن البعض الآخر أو أن يتحدث عن علاقة هذه الملكات بعضها ببعض أى أيها مرتبط بالآخر وأيها مستقل بذاته .

وهناك شىء آخر نحب أن نقوله وهو أن مفهوم الملكات بهذه الصورة غير العلمية الموضوعية كانت له تطبيقات تربوية ظلت راسخة فترة طويلة من الزمن حيث تشكلت المدرسة بمناهجها ووسائلها ومعلميها لتأخذ الشكل الذى يرضى نظرية ومفهوم الملكات .

فكان الهدف من تدريس العلوم الطبيعية هو تقوية ملكة الملاحظة والهدف من تدريس الشعر أو (جدول الضرب) هو تقوية ملكة الذاكرة كما أصبح هناك مفهوم يسود مدرسة ذلك العصر يسمى « تدريب الملكات » وعليه بنيت جميع البرامج والأنشطة المدرسية . فنجد على سبيل المثال أنه فى المدارس البريطانية حول ١٩٣٠ أوصت لجنة تعليمية بتدريس مادة التربية البدنية فى هذه المدارس ليس فقط من أجل تقوية أجسام الأطفال ولكن أيضا من أجل تدريب ملكة الانتباه وضبط النفس .

كما أنه أيضا كان من المعتقد السائد حينئذ أن ملكة التفكير عند طفل المدرسة الابتدائية لا يمكن تدريبها وتقويتها لأنها لم تنضج بعد فى حين أن ملكة الذاكرة قابلة لمثل هذه التقوية وهذا التدريب ولذلك كان تركيز المناهج المدرسية على المواد الحفظية والاستظهارية واضحا كما انعكس ذلك بطبيعة الحال على طرق التدريس فأصبحت طرقا تلقينية أكثر منها أى شىء آخر .

ويمكن لنا أن نقطع بخطأ هذا الافتراض حاليا حيث أن هناك رصيد

كبير من نتائج البحوث العلمية الموضوعية التى تجرح مثل هذا المذهب فقد وجد أن الأطفال حول سن الثلاث سنوات يمكنهم القيام بعملية تفكير سليمة بالنسبة للمشاكل التى تدخل فى نطاق اهتماماتهم وأن القدرة على تعلم أشياء جديدة تزيد بصورة واضحة جدا حيث تبلغ قمتها حوالى سن السابعة وأن هذه القدرة على تعلم الأشياء الجديدة لا يمكن أن تتحسن عن طريق الحفظ والاستظهار .

كما أن هناك شيء آخر يجرح ما ذهبت إليه تلك اللجنة التعليمية البريطانية بخصوص تدريس مادة التربية البدنية فى المدارس وهى تجربة ساتكليف وكانهام فى ١٩٣٧ حيث لم يجد الباحثان أى علاقة بين زيادة ساعات التدريبات البدنية وبين أى إنتاج عقلى من أى نوع .

كما انتقلت أيضا نظرية الملكات هذه إلى الحياة التطبيقية والعملية وقتئذ فكان الوالدان على سبيل المثال ينظران إلى ولدهما المتخلف فى المواد النظرية فى مدرسته على أنه قادر على العمل بيديه ليعوض مثل هذا التخلف .

وكان صاحب العمل ينظر إلى العامل البطىء على أنه أكثر دقة من العامل السريع وهكذا . وكان المعلم يصف بعض تلاميذه بأن هذا عنده ملكة الزعامة وهذا لديه ملكة الخطابة وذلك عنده ملكة الحوار والمناقشة .

وكذلك عمليات التوجيه المهنى والانتقاء الوظيفى والحربى كلها كانت تخضع لفكرة الملكات هذه حيث كانت النظرة هى تقسيم الناس إلى أنماط من حيث المهارة والكفاية والإمكانية .

وهناك نظرية أخرى حول مفهوم القدرة الإنسانية تسمى نظرية « الأقسام » وهى نظرية بدائية قديمة حتى أنه يصعب على القارىء أن يصدق أن مثل هذه النظرية كانت سائدة فى وقت ما .

ترى هذه النظرية أن عقل الإنسان وعاء كبير يتكون من عدد من

« الأقسام » أو الغرف وكل قسم من هذه الأقسام يختص بخزن نوع خاص من المعلومات الذهنية وهذه المعلومات أو المادة العقلية كما تسميها هذه النظرية تتكون من الأفكار والصور الذهنية والإحساسات والمشاعر .

وتعتقد هذه النظرية أيضا أن كل قسم من هذه الأقسام ذو سعة محدودة بحيث تسمح باختزان قدر معين فقط من هذه المواد العقلية . ولكن يمكن أن يستثنى من هذه القاعدة الصور الذهنية حيث أنها ذات طبيعة تشبه الغازات ولذلك يمكن إدخال قدر أكبر منها تحت الضغط والقهر .

وبناء على هذا التصور — شبه الخرافى — فإن طبيعة العملية العقلية أصبحت لا تخرج عن استقبال المعلومات ثم القيام بتصنيفها بحيث تدخل كل مجموعة من العناصر إلى القسم الخاص بها حيث يتم اختزانها ثم تستدعى حين الحاجة إليها .

وحقيقة الأمر أن هذه النظرية كان لها كثير من الأنصار وخاصة من بين غير المتخصصين لأن معظم مفاهيمها بسيطة تعجب رجل الشارع ويمكنه تصورها بسهولة . كما كان لهذه النظرية أيضا أنصار من بين أئمة المتخصصين فى ذلك الوقت أو بعده بقليل فوصف فرويد لنفس الانسان على أنها مكونة من الذات العليا والذات السفلى والأنا هو وصف لا يخرج فى مضمونه ومحتواه وفى شكله الخارجى أيضا عن مفاهيم هذه النظرية فيقول فرويد « إن اللاشعور عند الانسان حجرة كبيرة أمامية تزدحم فيها المثيرات العقلية بعضها فوق بعض ، ويتصل بهذه الحجرة الأمامية الكبيرة حجرة صغيرة أخرى هى عبارة عن حجرة استقبال يقيم فيها الوعى والشعور ولكن هناك باب يفصل هاتين الحجرتين يقف عليه حارس وظيفته اختيار المثيرات العقلية والأفكار التى تريد أن تعبر من الحجرة الأمامية الكبيرة إلى حجرة الاستقبال فيرفض منها ما لا يوافق عليه ويسمح بمرور ما يوافق عليه . ويستطرد فرويد فيقول « إن الذات الواعية التى تقيم فى حجرة الاستقبال لا يمكنها أن

ترى ما فى الحجرة الأمامية من مثيرات وأفكار عقلية » .

واضح من هذه الفقرة أن فرويد ومعظم المشتغلين بالتحليل النفسى يؤمنون أن البناء العقلى للفرد وكذلك بناءه العصبى أيضا لابد من أن يتكون من مثل هذه الأقسام والحجرات .

وهناك نظرية ثالثة تدور أيضا حول مفاهيم القدرات العقلية والعمليات الذهنية وتسمى هذه النظرية بنظرية « الارتباط » . وهى ليست جديدة بل ربما عادت أسسها إلى عهد أرسطو عندما وصف العملية العقلية بقوله إن العقل عندما يعمل من أجل معالجة شىء جديد فإنه يبحث فى ثناياه عن الخبرات السابقة ويظل يبحث إلى أن يجد خبرة سابقة تتشابه مع الخبرة الجديدة فيستدعيها ليعتمد عليها فى معالجة الخبرة الجديدة .

وعادت هذه النظرية لتزدهر مرة أخرى عندما تكلم هارتلى فى بريطانيا عن سيكلوجية الارتباط وذلك فى منتصف القرن الثامن عشر . حيث تأثرت بها جميع الفلسفات سواء فى ميادين التربية أو الأخلاقيات أو القانون . وما يهمنا نحن هنا هو انعكاس هذه الأفكار على العملية التربوية فى ذلك الوقت فقد آمنت المدرسة بأن تكوين (عقلية) الطفل يأتى عن طريق إحداث الروابط بين أنواع الخبرات المتشابهة وأن قدرات الطفل وإمكانياته إنما هى حصيلة هذه الارتباطات التى تشبه — على حد زعم أصحاب هذه النظرية — الروابط الكيميائية بين العناصر .

وعلى ذلك فقد أصبح منهج المدرسة فى جميع مراحلها يؤمن بهذه الفكرة وينفذها فاهتم المعلم بعمليات التخيل والذاكرة والتفكير المبنى على الربط من خلال ما يعلمه للأطفال . ولكن نسى هذا المعلم ونسيت النظرية التى بنى عليها منهجه وطريقة تدريسه أن إحداث الارتباط لا يمكن أن يتم عنوة وقهرا ولابد أن يكون هناك فرصة أمام الطفل ليختار ما يريد من خبرة ويربطها بما يشاء من خبرات أخرى .

وهذا فى الحقيقة هو النقد الأساسى الذى يمكن توجيهه إلى نظرية الارتباط فى تفسير قدرات وقوى العقل عند الإنسان وهو أنها تجاهلت رغبة الفرد واستعداده لأحداث الرابطة بين عنصرين من عناصر الخبرة أياً كانت .

وهناك أنواع عديدة من الارتباط تحدث عنها أصحاب هذه النظرية مثل الارتباط بالتعاطف أو الجوار أو القرب أى يستطيع الفرد أن يكون رابطة بين حدثين متتاليين وهناك الارتباط بالتشابه أى يتم الربط بين العنصرين أو الحدثين المتشابهين وهناك أيضا الارتباط بالتضاد مثل ارتباط الأبيض بالأسود والليل بالنهار وهكذا .

والنظرية الرابعة فى محاولة تفسير مفهوم قوى العقل الإنسانى والقدرات هى النظرية التكوينية أو البنائية وملخص هذه النظرية أن عقل الإنسان أو قواه وقدراته عبارة عن (تكوين) وهذا التكوين ينمو من خلال اكتساب الخبرة وأن جزءا من هذا (التكوين) موروث والجزء الباقى مكتسب .

ولقد كان ماكدوجال من أحسن من كتبوا فى هذه النظرية فهو يقول إن العقل الناضج والقدرات المتكاملة تعطى لصاحبها الإمكانية المعرفية لينظم ويصنف كل شىء تنظيما عقليا يشبه تفرع الشجرة . وأن التكوين العقلى للفرد أيضا ينمو ويتكامل بهذه الطريقة : مثل النبات الذى يعطى فروعا صغيرة من سوقه لتنمو ثم تعود وتتفرع أيضا وهكذا .

وبهذا نجد أن أصحاب هذه النظرية يؤمنون بأن القدرة أو الإمكانيه فيها جزء موروث هو النسيج الأساسى لها وأما البقية المكتسبة فإنها تلك الإضافات والخبرات التى تترسب على هذا النسيج الأساسى أثناء تعامل الفرد مع بيئته الخارجة .

وقد ذهب بعض أصحاب هذه المدرسة أبعد من ذلك حيث زعموا أن كل خبرة الأجيال السابقة ممثلة فى الجهاز العصبى للفرد وفى تكوينه العقلى كذلك وخاصة فى الجزء الموروث أى نسيجه الأساسى .

وانعكست هذه النظرية كما هو متوقع بطبيعة الحال على المؤسسة التربوية والعملية التربوية بكل عناصرها ومقوماتها فأصبحت مناهج المدرسة تأخذ هذا البناء أو التكوين والطريقة التى تكون بها فى حسابها فتميزت مواد الدراسة بالتفرع والاستطراد الجانبى الملحوظ حتى تتناسب مع عملية عقلية تسير فى نفس النظام والروتين .

وهناك نظرية خامسة لتحديد مفهوم العقل الانسانى بما فيه من قوى وقدرات تسمى نظرية (الشكل) وهى نظرية تؤكد الشكل العام لتركيب عقل وقدرات الإنسان على عكس نظرية الارتباط مثلا التى اهتمت بالجزئيات التى ترتبط مع بعضها البعض لتكون كلا عقليا معرفيا .

فهذه النظرية تؤكد كلية وعمومية المحتوى العقلى للانسان وتنكر أو تعارض أن هذا المحتوى العقلى يمكن أن يحلل أو يجزأ إلى العناصر التى نفترض أنه تكون منها . والأساس فى ذلك أن كلية الشكل فى المحتوى العقلى لها من الخصائص والصفات ما لا يمكن توفره فى الجزئيات والعناصر التى كونت هذا الكل .

وهنا يجب أن نقول أن الأساس العلمى لهذه النظرية قد قام على تجارب فرتهايمر فى الحركة الظاهرة التى أوضحت أن الانسان يدرك الكل المتحرك فى حين أن جزئيات هذا الكل ليست لها صفات الحركة . مثل ما يحدث عند رؤية الانسان لفيلم سينمائى فهو يرى الشخص يتحرك ككل فى حين أن هذه الحركة الكلية تتكون من جزئيات غير متحركة .

ولذلك فإنه من وجهة نظر هذه الفكرة تصبح عملية التحليل العقلى غير مقبولة بل وخاطئة أيضا .

وعندما وجه النقد إلى هذه النظرية نجد أن وبليام جيمس يرد قائلا بأنه ليس من الضرورة أن يتكون الكل المتكامل فى بداية التكوين العقلى عند

الطفل ولكن حتى فى هذه المرحلة الأولية هناك شكل كلى من نوع ما ، ثم ينمو هذا الكل ككل حتى يتكامل .

وبذلك نجد أن نظرية الشكل هذه — التى اعتمدت على تجارب فريتهايمر — تأخذ ما هو حقيق وصحيح فى نظرية الارتباط وهو أن الأحداث العقلية ليست حلقات متقطعة ولكنها سلسلة متصلة ومرتبطة بعضها البعض وتأخذ أيضا ما هو جيد من النظرية التكوينية وهو أن الخبرة العقلية تنمو متسعة متنوعة ثم تزيد على ذلك أن الخبرة العقلية كل متكامل يتميز فى خصائصه وصفاته عن جزئياته .

وبطبيعة الحال أثرت هذه النظرية وكذلك نظرية فريتهايمر عن الجشتطالت والتى بنيت على تجاربه أيضا — أثرت على العملية التعليمية والتربوية فنشأت اتجاهات جديدة فى مناهج المدرسة وطرق التدريس فيها جميعها يدور حول فكرة تكوين الشكل الكلى عند الطفل أولا ، أو بمعنى آخر اهتمت وسائل التعليم بالكليات أولا ثم الجزئيات فيما بعد .

وحقيقة الأمر أن هذه النظرية ما زالت جذورها قوية حتى الآن وخاصة فى ميدان تفسير الإدراك .

وهناك نظرية سادسة وأخيرة فى تفسير وتحديد مفاهيم قوى العقل والقدرات عند الانسان وهى نظرية (الحصيلة) أو النتاج أو المحصلة .

وخلفية هذه النظرية أن مرحلة النمو العقلى عند الطفل هى مرحلة إعدادية أو تمهيدية لمرحلة الكبر والنضوج أى أن طفل الخامسة عشر مثلا لا يجب أن يكون له ما يميزه من خصائص عقلية كطفل فى هذه السن ولكن يجب أن تكون خصائصه فى هذه المرحلة تمهيدا لخصائص مرحلة أخرى هى مرحلة الكبر والنضوج والرجولة .

واعتمادا على هذه الخلفيـــة يمكن إكمال الصورة حتى تتضح النظرية

فنقول أنه كان من المعتقد أيضا أن هؤلاء الأطفال أو المراهقين هم حصيلة الكبر والنضوج عبر أجيال سابقة فالطفل ينمو زاحفا على أربع ثم يقف على قدميه ثم يمسك بالأشياء وهكذا بحيث يطابق نمو الطفل مزاعم نظرية النشوء والارتقاء على سبيل المثال . كما أن السلوك الاجتماعى للطفل يبدو غير مهذم أو مهذب ثم ينتقل إلى صورة مقبولة من المجتمع مطابقا فى ذلك تعديل السلوك الاجتماعى ابتداء من إنسان الغابة حتى إنسان المدنية المتحضر وهكذا.

ويقول هربرت سبنسر وهو أحد أصحاب مذاهب الفلسفة فى التربية أن العملية التربوية يجب أن تعيد ولو فى صورة مختصرة تاريخ الإنسان ونمو حضارته ومدنيته .

وقد كان هناك سند علمى أسندت إليه هذه النظرية ولكن لا ندرى مدى الصحة فى هذا الإسناد . وذلك السند هو الدراسات القائمة فى نطاق علم الأجنة فمن الملاحظ أنه أثناء نمو جنين الانسان هناك بعض الخصائص المتعلقة بالجهاز الهضمى والجهاز الدورى والتى تختفى عقب الولادة . كما يلاحظ أيضا أن هذه الخصائص المؤقتة فى جنين الانسان والتى اختفت فى مرحلة معينة هى خصائص دائمة مميزة لنفس الأجهزة الهضمية والدورية فى الأسماك . من ذلك ينشأ الزعم بأن جنين الانسان فى فترة ما كان معدا للحياة فى الماء مثل الأسماك .

وهنا نجد أن نظرية الحصيلة هذه تعتمد على بعض الحقائق المختارة فى علم الأجنة لتزعم وتقول أن الفرد هو حصيلة الأجيال السابقة وأن بصمات هذه الأجيال ما زالت مطبوعة على النمو العقلى والفيزيكى للانسان . وهى بذلك تمثل الوجـــه السيكلوجى لنظرية تشارلس داروين فى النشوء والارتقاء بما فيها من افتراضات مذهلة مدهشة ولكنها على جانب كبير من الخطورة .

وأما عن آثار هذه النظرية على العملية التربوية فإنه لم تكن فى وضع يمكنها من التأثير على الفكر التربوى إلا فى جزئها الأول فقط والذى يرى أن الطفل رجل مصغر وعليه فقد تلونت المدرسة بكل مقوماتها لتخدم هذه الفكرة وتدرب الطفل والمراهق على خصائص ومهارات مرحلة الكبر والنضوج والرجولة دون أن تغير خصائص المراهقة أى انتباه أو اهتمام . وهذا ما أدى بمثل هذه النظرية وغيرها إلى الاضمحلال نتيجة الحقائق العلمية التى اكتشفها العلم بأسرع مما يتوقع أصحاب هذه النظريات .

نلاحظ فى النظريات الستة السابقة أنها حاولت تحديد مفهوم القدرة أو القوة العقلية وكان مدخلها إلى ذلك مدخلا استنبطانياً بحتاً .

كما أنها لم تشر من قريب أو بعيد إلى سلوك الفرد الذى هو بلا أدنى شك ذو علاقة قوية بمثل هذه القوى والقدرات ولكنها اكتفت بأن تشير إلى ذلك التصور الوهمى الذى نسميه تارة الملكة وتارة القوة العقلية وتارة المحتوى العقلى وهكذا .

ولكن ما هو مدخلنا حالياً إلى دراسة قدرة الإنسان ؟ وما هى نظريتنا التى نستند إليها ؟ .

مدخلنا إلى دراسة قدرة الإنسان هو سلوك الإنسان .

ونظريتنا التى تستند إليها هى أن القدرة هى دالة مجموعة أنماط مرتبطة متكاملة من سلوك الإنسان .

إذا كان مدخلنا إلى دراسة قدرة الانسان هو السلوك فإنه ولا شك يصبح منهجنا بالضروره منهج قياس واختبار لهذا السلوك وذلك إذا أردناه أن يكون منهجا علميا موضوعيا .

وتقدير السلوك يعنى من الناحية العامة أن نفرق بين سلوك قادر وسلوك غير قادر أو بمعنى أصح سلوك ناجح وسلوك فاشل ونحن لا نستطيع أن

ننكر أن هناك قدرة ما اتفق المشتغلون بعلم النفس بل وبغير علم النفس والمتخصصون وغير المتخصصين على أنها قدرة تميز بين السلوك القادر وغير القادر وسموا هذه القدرة الذكاء .

وأكثر من ذلك أنه فى بعض المراجع العلمية نجد كلمة السلوك الذكى والسلوك غير الذكى .

ولكن هناك سؤالا سوف يقفز بالضرورة إلى ذهن القارىء : ما هو هذا الذكاء وما علاقته بالقدرات الأخرى ؟ وهل هو قدرة مستقلة بحذذاتها أم أنه قدرة من نوع خاص يرتبط بالقدرات جميعا؟ وسوف نحاول الإجابة على مثل هذه الأسئلة فيما يلى :

علاقة الذكاء بالقدرات الإنسانية:

يقول فيليب فرتون — وهو أحد الرواد الأوائل فى ميدان الذكاء والقدرات — إن علماء النفس عامة والمتخصصين فى القياس النفسى على وجه التحديد على الرغم من إسهامهم فى عمليات تقدير وقياس الذكاء إلا أنهم لم يتفقوا فيما بينهم على تعريف الذكاء تعريفا واحداً شاملا .

ولنأخذ رأى بينيه — وهو أول من قاس الذكاء أو بمعنى أصح أول من ألف اختبارا فى قياس الذكاء — نجده يعرف الذكاء على أنه القدرة على الحكم (إصدار القرار) ، والقدرة على الفهم ، والقدرة على التفكير السببى ، والمبادأة والقدرة على التكيف للظروف والعوامل الجديدة .

مثل هذا التعريف هو الذى بنى عليه سيمون وبينيه اختبارهما فى قياس وتقدير الذكاء . وذلك من أجل التميز بين الأطفال العاديين وغير العاديين .

وهناك تعريف آخر أجمع عليه بعض المشتغلين بعلم النفس ومؤداه أن الذكاء هو قدرة الإنسان على الاستفادة من الخبرة السابقة وهى القدرة التى تميز الحيوانات العليا على الحيوانات الدنيا .

وبناء على مثل هذا التعريف أنشأت عده اختبارات لقياس الذكاء وبطبيعة الحال فإنه لابد أن تختلف عن مقياس سيمون وبينيه وبالتالى لابد أن تقيس شيئا يختلف عما يقيسه هذا الاختبار .

وهناك تعريف ثالث يؤكد القدرة على التفكير المجرد وتعريف رابع يؤكد القدرة على التعلم وتعريف خامس يؤكد القدره على التكيف مع البيئة وتعريف سادس يؤكد القدرة على إدراك العلاقات والمتعلقات وتعريف سابع يؤكد القدره على الإبتكار وهكذا .

ويمكن لنا أن نلحظ فى بعض هذه التعريفات تداخلا وتشابهاً ولكن محاولة مناقشة هذه التعريفات من أجل توضيح الخلفية النظرية لكل منها أمر سيعود بلا شك فى النهاية إلى طريق مسدود .

لذلك قد يكون من المفيد أن نفهم الذكاء عن طريق السلوك الذكى الناجح وأن نحاول أن نتصور ماذا ستكون عليه العلاقة بينه وبين القدرات . فقد سبق لنا القول أن نظريتناهى أن القدره الإنسانية دالة مجموعة من أنماط سلوكية مرتبطة متكاملة .

لهذا فنحن نتوقع أن يكون هناك نوعين من العلاقة بين ذلك السلوك الذكى الناجح وبين تلك الأنماط السلوكية المرتبطة المتكاملة :

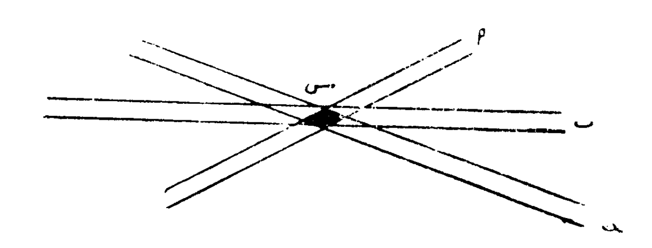
النوع الأول : أن تكون تلك العلاقة على قدم المساواه أى تتساوى فى الأهمية جميع أنماط السلوك التى تدل على القدرات جميعا .

النوع الثانى : أن تكون هذه العلاقة هرمية بمعنى أن تكون هناك قدرة على قمة التنظيم يليها عدد ما من القدرات يليها عـــدد أكثر وهكذا .

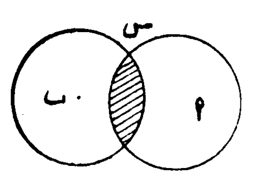
وفى الواقع أن هذين هما الاتجاهين الرئيسين فى موضوع علاقة الذكاء بالقدرات . فأصحاب الرأى الأول يروون أنه ليست هناك قدرة عامة واحدة هى الذكاء ولكن هناك مجموعة من القدرات كلها هام وعام .

وأما أصحاب الرأى الثانى فهم يرون أن الذكاء قدرة عامة هامة تأتى على قمة تنظيم القدرات يليها عدد من القدرات الخاصة ثم يلى ذلك عدد أكثر من القدرات النوعية .

ومن أجل تبسيط هذين الاتجاهين يمكن لنا أن نتصور أن القدرات الإنسانية عبارة عن مجموعة من القنوات فإذا كان التصور الأول كانت هذه القنوات تسير فى خطوط متقاطعة ولكن معظمها أو بعضها قد يلتقى فى مساحة معينة وهذه المساحة المعينة هى التى يمكن لنا جوازا أن نطلق عليها الذكاء :

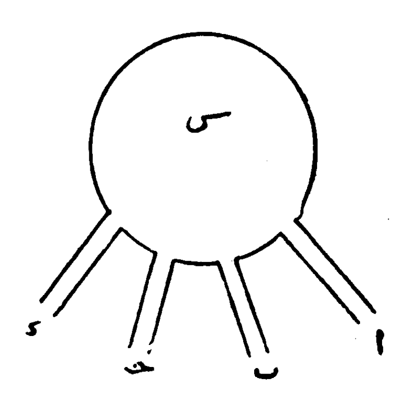


نجد من هذا الشكل أن القدرات ا، ب ج، قد تقاطعت عند المساحة س . ولو أردنا أن نتصور مساحة التقاطع هذه كمقطع يمكن أن تصبح كما يلى :



وينبنى على ذلك أن المساحة س ليست ثابتة بالنسبة إلى كل قدرة من القدرات بل تختلف من حالة إلى أخرى وهذا ما سوف نناقشه فيما بعد .

أما التصور الثانى وهو التصور الهرمى يمكن لنا تبسيطه باعتبار هذه القنوات أو القدرات نابعة من مصدر واحد كبير أو (خزان) حيث تختلف هذه القنوات ضيقاً وسعة .



فتصبح فى هذه الحالة كل قدرة من هذه القدرات تأتى تحت هذا الخزان الكبير (الذكاء) . الذى ينساب فى هذه القنوات بنسب متفاوتة مختلفة .

الأمر الذى سوف نناقشه أيضاً فيما بعد .

واضح من هذين التصورين أن هناك علاقة من نوع ما بين الذكاء والقدرات وبطبيعة الحال تختلف هذه العلاقة من حيث الشكل فقط تبعاً لكل تصور وأمامن ناحية الموضوع فليس هناك خلاف فالذكاء مختلط بالقدرة الإنسانية سواء كان على هيئة المساحة س التى تختلف من حيث الكبر والصغر بالنسبة لكل قدرة دون أخرى . أو كان على هيئة الخزان س الذى ينساب فى القنوات ا ، ب ، ج ، د بنسب متفاوتة تختلف من قدرة إلى أخرى .

وعليه فقد أصبح من الضرورة أن يكون مدخلنا إلى دراسة تركيب وبناء قدرة الإنسان مدخلا كمياً فى الأصل والأساس حيث أنه لا يمكن بغير هذا الطريق أن نبحث فى بناء القدرة الإنسانية .

ثانياً ـ بناء القدرة الإنسانية :

موضوع بناء القدرة عند الإنسان من المواضيع الشيقة الشائكة فى علم النفس التعليمى عامة وفى ميدان القياس النفسى على وجه الخصوص ،ويرجع عنصر التشويق فى دراسة تركيب القدرة الإنسانية إلى أنه أصبح من غير الصعب أن نقول أن قدرة ما تتركب من العناصر ا ، ب ، ج . . . ن على

سبيل المثال وأن العنصر ا نسبته إلى ب إلى حـ . . . . / د كنسبة ٥ : ٤ : ٣ ، . . . إلخ .

وبناء على ذلك يمكننا أن نقول كما يقول كاتل فى بعض مقالاته عن تركيب سمات وخصائص الشخصية أن سمة ما ولتكن س يمكن أن تكون تركيبها كما يلى :

س = ٠,٥ ا + ٠,٥ ب + ... + ٠,٤ حـ

حيث ا ، ب ، حـ هى العناصر أو العوامل التى تتكون منها السمة أو بمعنى آخر هى مركبات هذه القدرة أو السمة س .

وأما عنصر الصعوبة فى دراسة تركيب القدرة فإنه يرجع إلى أن الوسيلة أو المنهج الذى يتحتم علينا أن نلجأ إلى منهج رياضى فيه شىء من الصعوبة التى قد تسبب بعض الضيق للدارس العادى الذى لم تتح له فرصة التعرف إلى الرياضيات من قبل . وهذا المنهج هو منهج التحليل العاملى الذى يرجع الفضل فى ابتداعه وتنظيمه واستخدامه إلى كارل بيرسون وتشارلس سيبرمان .

ولنبدأ الآن فى شرح مبسط للمدخل الذى سوف نلتزم به لدراسة تركيب القدرة الإنسانية . فقد سبق أن قلنا أن القدرة الإنسانية من وجهة نظر ما نذهب إليه هى مجموعة أنماط سلوكية جميعها تتشابه وتتكامل من ناحية الشكل والمحتوى والوظيفة . وعلى ذلك فإنه يمكن لنا كمتخصصين فى علم النفس أن نقول أن سلوك القراءة بمكوناته المختلفة وسلوك الكتابة وسلوك إجادة استخدام الأساليب اللفظية فى كتابة القصة أو فى نظم الشعر وسلوك إجادة كيفية الإلقاء والنطق بالحروف وسلوك المعرفة اللفظية مثل معرفة مرادفات الكلمات وعكس الكلمات ومعانيها إلى آخر مثل هذه الأساليب ، يمكن لنا أن نقول أن هذه الأنماط السلوكية أنماط متشابهة متكاملة من ناحية الشكل والمحتوى والوظيفة وأن جميعها تشير إلى قدرة واحدة يمكن أن نسميها مبدئيا قدرة اللغة أو القدرة اللفظية .

ولكن كيف يتسنى لنا أن نحكم على تشابه وتكامل هذه الأنماط السلوكية أو أنها ذات علاقة وظيفية تربط بينها تلك الرابطة التى تجعلنا نقول أنها جميعا تشير إلى قدرة واحدة.

من الناحية الجدلية البحتة يمكن أن نقول أنه لابد من توافر شرطين :

(١) أن تكون هذه الأنماط متكاملة فيما بينها فعلا .

(ب) أن تكون هذه الأنماط جميعها غير قابلة للتكامل مع أى أنماط سلوكية أخرى.

فاذا توافر هذان الشرطان جاز لنا أن نزعم أن هذه الأنماط السلوكية تؤلف فيما بينها وحدة واحدة لأنها تتشابه فيما بينها وتختلف عن غيرها . ولأن يتوافر هذان الشرطان لابد من أن نلجأ إلى وسيلة أكثر دقة من مجرد الانطباع الذى تتركه فى نفوسنا مثل هذه الأنماط السلوكية ، وبمعنى آخر لابد لنا أن نقيس مدى التشابه أو التكامل أو الارتباط بين هذه الأنماط . أى لابد لنا من حساب معامل الارتباط بن هذه الأنماط بعضها البعض .

ومعامل الارتباط هذا هو دالة إحصائية لقياس مدى انسجام ظاهرتين معا . فمعلم الرياضيات فى الفصل المدرسى يستطيع أن يلاحظ على سبيل المثال أن الطلبة المتقدمين فى مادة الجبر متقدمين أيضا فى مادة الهندسة وعليه يمكن أن يقول أن معامل الارتباط موجب بين مادتى الجبر والهندسة . وإذا كان هناك معلم آخر يلاحظ أن الطلبة المتقدمين فى مادة الجبر متخلفين فى اللغة الانجليزية أمكنه أن يقول أن معامل الارتباط سالب بين مادتى الجبر واللغة الانجليزية . وإذا كان هناك معلم ثالث لا يلاحظ إطلاقا أى علاقة من هذا النوع بين مادة الهندسة ومادة التاريخ فإنه يستطيع أن يقول أن معامل الارتباط بين هاتين المادتين يساوى صفرا .

معنى ذلك أن معامل الارتباط دالة إحصائية تتراوح بين — ١ ، + ١

أى بين الارتباط التام السالب والارتباط التام الموجب . وتقيس مدى ارتباط أى ظاهرتين معا .

وإكمالا للصورة فإننا نعرض ملاحظة بسيطة تجعل الأمر أكثر توازنا أمام القارىء فقد سبق أن أخذنا القدرة اللفظية كمثال لتكامل وتشابه أنماط السلوك أو العناصر الداخلة فى تركيبها وأوضحنا ذلك من الناحية الجدلية البحتة . ولنأخذ الآن مثالا آخر يجعل من الضرورى استخدام دالة إحصائية لقياس الترابط الفعلى بين عناصر القدرة . وليكن هذا المثال هو القدرة على التذكر فهناك الطفل الذى يتذكر أرقام التليفونات وأرقام السيارات وأسماء زملائه فى الفصل وأسماء أصدقاء والده وهنا يتضح ارتباط هذه الأساليب السلوكية جميعا . ولكن هناك أيضا المعلم الذى يتذكر كل شىء عن المادة التى يدرسها بدقائقها تماما وتفصيلاتها ولكنه لا يتذكر أسماء تلاميذه أو يبدو دائماً شارد الذهن . وهنا لا نجد ارتباطا أو تكاملا بين عناصر القدرة الواحدة التى سميناها الذاكرة .

وبذلك فإن الأمر ليس بالبساطة التى تصورناها فى بداية الأمر فليس مجرد التشابه والتكامل فقط هو الذى سوف يدل على وحدة هذه العناصر جميعا فى قدرة واحدة لأنه عندما افتقدنا ذلك التشابه والتكامل فى مثالنا الأخير لم نستطع أن ننكر أن تذكر المعلم للمادة التى يقوم بتدريسها وتذكره لأسماء تلاميذه لا ينتمى لنفس القدرة الواحدة .

إذن ماذا ؟ ما هو الطريق إذن لربط هذه العناصر معا حتى نستطيع أن نتكلم عنها كما نتكلم عن قدرة واحدة .

ليس الطريق هو حساب معامل الارتباط فقط بين هذه العناصر بعضها البعض لأن هذه خطوة واحدة فقط من خطوات عديدة . ولكن الطريق

هو أن نبحث عن (عنصر العناصر) أو ذلك العامل المشترك الذى يوجد فى هذه العناصر جميعا فيوحد بينها إلى درجة ما وتصبح جميعها تنتمى إلى كل واحد نسميه قدرة . وقد يكون هناك أكثر من عامل مشترك وفى هذه الحالة يصبح الانتماء أكثر قوة وأبعد عمقا .

وسؤالنا الآن كيف نقيس مدى الارتباط بين عنصر وعنصر آخر . فعلى سبيل المثال كيف نقدر مدى الارتباط بين إجادة الفرد لأسلوب كتابة القصة ونظم الشعر ومعرفة مرادفات الكلمات وعكسها كعناصر للقدرة اللغوية .

الإجابة على ذلك هو أن نقيس مدى إجادة الأفراد لهذه الأساليب أولا عن طريق الاختبارات المناسبة ثم حساب معامل الارتباط بين نتائج هذه الاختبارات .

وللتلخيص فإن مدخلنا إلى دراسة تركيب القدرة الإنسانية يعتمد على قياس مجموعة من الأنماط السلوكية عن طريق الاختبارات المناسبة ثم بعد ذلك نحسب معاملات الارتباطات البينية ونبحث فيها عن ما سميناه سابقاً بعنصر العناصر أو ذلك العامل العام المشترك الذى يظهر فى هذه المعاملات جميعا . وعملية البحث هذه هى عملية التحليل العاملى التى يجب علينا ألا نحملها أكثر مما تطيق إذ أنه يجب أن تسبق هذه العملية عملية أخرى تخطيطية تبنى على أساس نظرى منطقى قوى وسليم وإلا أصبحت عملية التحليل العاملى فى حد ذاتها لا أكثر من تمرين رياضى عديم الفائدة .

وقبل أن نبدأ بشرح خطوات هذه العملية يجدر بنا أن نشير إلى بعض المسلمات الهامة التى تستند إليها هذه العملية .

نحن نبحث عن عوامل مشتركة بين الاختبارات أو المقاييس التى قمنا بتطبيقها على مجموعة من الأفراد . ومعنى ذلك أننا نفترض أن :

(أ) كل مقياس يحتوى على هذا العامل أو غيره بدرجة ما تجعله يختلف عن المقياس الآخر .

(ب) الدرجة التى يحتوى بها المقياس هذا العامل أو غيره تسمى درجة التشبع (ع) .

(جـ) معامل الارتباط بين الاختبار (س) والاختبار (ص) يساوى حاصل ضرب درجة تشبع الاختبار (س) بعامل ما × درجة تشبع الاختبار (ص) بنفس العامل .

(د) قياسا على (جـ) فإن معامل الارتباط بين الاختبار ونفسه تساوى ($ع^٢$) حيث (ع) هى مدى تشبع هذا الاختبار بأحد العوامل .

ويمكن توضيح ذلك بالمثال التالى :

لنفرض أن ٨٠٪ من طلبة الجامعة يدرسون العلوم السياسية .

وأن ٦٠٪ من الطلبة الذين يدرسون العلوم السياسية يدرسون اللغة الألمانية إذن نستطيع أن نقول أن ٤٨٪ من طلبة الجامعة يدرسون العلوم السياسية واللغة الألمانية حيث $\frac{٨٠ \times ٦٠}{١٠٠ \times ١٠٠}$ = ٤٨٪ أى حاصل ضرب النسبتين .

والآن لنفرض أن اختبارا (س) مشبع بنسبة ٨٠٪ بأحد العوامل أو العناصر السيكلوجية وأن الاختبار (ص) مشبع بنسبة ٦٠٪ بنفس هذا العامل .

إذن يمكن أن نقول أن المساحة المشتركة بين هذين الاختبارين أو بمعنى آخر معامل الارتباط بينهما يساوى حاصل ضرب النسبتين أى ٤٨, .

وللتوضيح فلو كان الاختبار (س) فى الرياضيات وهو مشبع بنسبة ٨٠٪ بالذكاء العام .

وكان الاختبار (ص) فى اللغة وهو مشبع بنسبة ٦٠٪ بالذكاء العام أيضاً فإن نسبة ذكاء اللغة من ذكاء الرياضيات أو نسبة ذكاء الرياضيات من ذكاء اللغة وهو ما يربط بين هذين الاختبارين س ، ص لا بد وأن يساوى حاصل ضرب النسبتين أى يساوى ٤٨, .

وذلك يوضح الافتراض رقم (حـ) المشتق من (ا ، ب) والذى يفسر الافتراض رقم (د) .

ونعود الآن إلى خطوات عملية التحليل العاملى ولنبدأ بأبسط الصور التى تعتمد على افتراضنا أن هناك عدداً من الاختبارات جميعها مشبع بعامل واحد فقط .

لتكن هذه الاختبارات كما يلى :

الاختبار	س	وهو مشبع بعامل عام بنسبة	ا
الاختبار	ص	وهو مشبع بنفس العامل العام بنسبة	ب
«	ع	« « « « « «	حـ
«	ط	« « « « « «	د

والمطلوب الآن هو الحصول على مقدار ا ، ب ، حـ ، د

١ ـ نحسب معاملات الارتباطات البينية للاختبارات س ، ص ، ع ، ط ثم تنظم فى جدول يسمى (مصفوفة معاملات الارتباط) .

وفى حالتنا هذه سوف نعتمد على الافتراضين السابقين حـ ، د لاستنتاج معاملات الارتباطات :

	(ا) س	(ب) ص	(حـ) ع	(ء) ط
(ا) س	ا^{2}	اب	احـ	اء
(ب) ص	با	ب^{2}	بحـ	بء
(حـ) ع	حـا	حـب	حـ^{2}	حـء
(ء) ط	ءا	ءب	ءحـ	ء^{2}

حيث ا^{2} هو معامل الارتباط بين الاختبار س و نفسه (راجع الافتراض د) اب هو معامل الارتباط بين الاختبار س والإختبار ص وهو حاصل ضرب ا × ب .

(راجع الافتراض حـ) .

وهكذا بالنسبة لبقية المعاملات الأخرى .

٢ — نقوم بجمع الأعمدة الرأسية من أجل البحث عن قيمة ا ، ب ، ج ، د كما يلى :

	س	ص	ع	ط
س	ا^{2}	ا ب	ا حـ	ا د
	+	+	+	+
ص	ا ب	ب^{2}	ب حـ	ب د
	+	+	+	+
ع	ا حـ	حـ ب	حـ^{2}	حـ د
	+	+	+	+
ط	ا د	د ب	د حـ	د^{2}
	ا (ا + ب + حـ + د)	ب (ا + ب + حـ + د)	حـ (ا + ب + حـ + د)	د (ا + ب + حـ + د)

٣ — نجمع جمعاً أفقيا من أجل استكمال البحث عن قيمة ا ، ب ح ، د وذلك كما يلى :

ا (ا + ب + ح + د) + ب (ا + ب + ح + د) + ح (ا + ب + ح + د) + د (ا + ب + ح + د) = (ا + ب + ح + د) (ا + ب + ح + د) .

٤ — معنى ذلك أن نتيجة الجمع الأفقى تساوى $(ا + ب + ح + د)^{٢}$ أى مربع مجموع تشبعات الاختبارات الأربعة بالعامل العام وعليه يمكن الحصول على مجموع هذه التشبعات بحساب الجذر التربيعى للجمع الأفقى الذى نسميه جمع المجاميع لأنه الجمع النهائى أفقيا للجمع الرأسى للأعمدة .

وعليه يكون الجذر التربيعى يساوى (ا + ب + ح + د) .

٥ — لو نظرنا الآن إلى الجمع الرأسى للعمود الأول مثلا تحت الاختبار س نجد أن هذا الجمع يساوى ا (ا + ب + ح + د) فلو قسمنا هذه الكمية على الجذر التربيعى لجمع المجاميع الذى يساوى (ا + ب + ح + د) كما يلى :

$\frac{ا\ (ا + ب + ح + د)}{(ا + ب + ح + د)}$ لكان الناتج = ا وهو مقدار تشبع الاختبار س بالعامل العام .

فإذا كررنا هذه الخطوة بالنسبة للجمع الرأسى تحت ص ، ع ، ط لأمكن لنا أن نحصل كذلك على قيمة كل من ب ، ح ، د .

٦ — لاحظ أنه يمكن لنا بعد الحصول على قيمة ا ، ب ، ح ، د يمكن أن نستنتج معاملات الارتباط كما سبق أن أوضحنا ذلك فى الخطوة الأولى .

هذه صورة مبسطة لخطوات عملية التحليل العاملى من الناحية العامة أو الفكرة الأساسية ولنأخذ الآن مثالا عدديا حتى تصبح الفكرة السابقة

أكثر وضوحا وحتى يمكن لنا أن نخطو خطوة أبعد من الخطوات البسيطة السابقة .

المشكلة الآن تتلخص فيما يلى :

على مجموعة كبيرة من طلبة وطالبات المدارس الثانوية أجريت ستة اختبارات منها ما هو لفظى ومنها ما هو غير لفظى وهى :

الاختبار الأول	(١)	: اختبار المفردات اللغوية
الاختبار الثانى	(٢)	: المرادفات اللغوية
الاختبار الثالث	(٣)	اختبار التصنيف اللغوى
الاختبار الرابع	(٤)	« بناء المكعبات
الاختبار الخامس	(٥)	« التصور البصرى المكانى
الاختبار السادس	(٦)	« لوحة الأشكال

والمطلوب الآن هو البحث عن عنصر العناصر أو ذلك العامل الذى يربط هذه الاختبارات جميعاً .

وعليه سوف نبدأ بالخطوات السابق الإشارة إليها فى مقالنا الرمزى السابق . فنحسب معاملات الارتباط البينية لهذه الاختبارات الستة وننظمها جميعاً فى جدول واحد يسمى مصفوفة معاملات الارتباطات .

وبناء على ذلك عند حساب هذه المعاملات وجدت كما يلى :

	(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)
(١)	,٧٩	,٧٦	٠,٧٩	٠,٤٥	٠,٤١	٠,٣٤
(٢)	٠,٧٦	,٧٦	٠,٦٨	٠,٤٤	٠,٣٥	٠,٢٦
(٣)	٠,٧٩	,٦٨	,٧٩	٠,٤٩	٠,٣٩	٠,٣٢
(٤)	٠,٤٥	٠,٤٤	٠,٤٩	٠,٥٨	٠,٥٨	٠,٤٤
(٥)	٠,٤١	٠,٣٥	٠,٣٩	٠,٥٨	٠,٥٨	٠,٥٥
(٦)	٠,٣٤	٠,٢٦	٠,٣٢	٠,٤٤	,٥٥	٠,٥٥
الجمع :	٣,٥٤ +	٣,٢٥ +	٣,٤٦ +	٢,٩٨ +	٢,٨٦ +	٢,٤٦ = ١٨,٥٥

$\sqrt{١٨,٥٥}$ = ٤,٤ تقريبا

(مصفوفة معاملات الارتباط)

نلاحظ أولاأن الخلايا القطرية خالية أى ليس هناك معاملات الارتباطات بين الاختبارات ونفسها وعليه فإننا نقوم بملء هذه الخلايا بأعلى معاملات الارتباط الواردة فى العمود المناظر فمثلا ليس عندنا معامل الارتباط بين الاختبار الأول ونفسه وعليه نملأ هذه الخلية بوضع أعلى معامل ارتباط فى العمود ويساوى ٧٩, . فى حالتنا هذه .

ولكن لماذا فعلنا كذلك ؟ لأنه من المنطق أن يكون معامل الارتباط بين الاختبار ونفسه أعلى من معامل الارتباط بينه وبين أى اختبار آخر . ومعامل الارتباط بين الاختبار (١) والاختبار (٣) هو ٧٩و . إذن فيكون معامل الارتباط بين الاختبار (١) ونفسه بالضرورة أعلى من ٧٩, . ولكن حيث أننا لا نعلم إلى أى درجة هو أكبر فسوف نكتفى بهذا المعامل ٧٩, .

وكما يتضح من الجدول السابق أننا أضفنا أعلى المعاملات فى الخلايا القطرية ثم جمعنا الجمع الرأسى فالجمع الأفقى (جمع المجاميع) وحسبنا الجذر التربيعى له الذى يناظر (ا + ب + حـ + ء) فى مثالنا الرمزى السابق وكما هو معروف أيضا فإن الجمع الرأسى للعمود الأول مثلا الذى يساوى هنا ٣,٥٤ فإنه يناظر المقدار ا (ا + ب + حـ + ء) فى مثالنا الرمزى السابق .

وعليه يمكن حساب مقدار تشبع كل اختبار بالعامل العام عن طريق قسمة الجمع الرأسى لكل عمود على الجذر التربيعى لجمع المجاميع .

وعند إجراء هذه الخطوة نحصل على النتيجة التالية :

الاختبـار	مدى التشبع بالعامل العام
(١) المفردات اللغوية	٠,٨
(٢) المرادفات اللغوية	٠,٧
(٣) التصنيف اللغوى	٠,٨
(٤) بناء المكعبات	٠,٧
(٥) التصور البصرى المكانى	٠,٦
(٦) لوحة الأشكال	٠,٥

بعد ذلك نحاول الحصول على معاملات الارتباطات مرة أخرى وهى الممثلة فى الجدول الأول أو مصفوفة معاملات الارتباط عن طريق ضرب مدى التشبع × نفسه أو × غيره حسب ما أشرنا إليه سابقا ولنحاول ذلك الآن :

	٠,٨ (١)	٠,٧ (٢)	٠,٨ (٣)	٠,٧ (٤)	٠,٦ (٥)	٠,٥ (٦)
٠,٨ (١)	٠,٦٤	٠,٥٦	٠,٦٤	٠,٥٦	٠,٤٨	٠,٤٠
٠,٧ (٢)	٠,٥٦	٠,٤٩	٠,٥٦	٠,٤٩	٠,٤٢	٠,٣٥
٠,٨ (٣)	٠,٦٤	٠,٥٦	٠,٦٤	٠,٥٦	٠,٤٨	٠,٤٠
٠,٧ (٤)	٠,٥٦	٠,٤٩	٠,٥٦	٠,٤٩	٠,٤٢	٠,٣٥
٠,٦ (٥)	٠,٤٨	٠,٤٢	٠,٤٨	٠,٤٢	٠,٣٦	٠,٣٠
٠,٥ (٦)	٠,٤٠	٠,٣٥	٠,٤٠	٠,٣٥	٠,٣٠	٠,٢٥

(جدول العامل العام)

كان المفروض بطبيعة الحال أن نحصل على نفس معاملات الارتباطات تقريبا التى رصدناها فى مصفوفة معاملات الارتباطات الأولى ولكن لم نحصل عليها كما وضح الآن .

السبب فى ذلك أننا افترضنا خطأ أن هناك عامل واحد فقط يربط بين هذه الاختبارات جميعا . فلو كان الأمر كذلك لحصلنا فى ذلك الجدول على نفس معاملات الارتباطات الأولى تقريبا (آخذين فى حسابنا أخطاء الصدفة) .

ولكن لابد لنا أن نفترض أن هناك أكثر من عامل يربط هذه الاختبارات حتى نستطيع أن نفسر هذه الظاهرة .

والآن نحب أن نرى كم يبلغ الفرق بين مصفوفة معاملات الارتباط الأولى التى بدأنا بها وبين الجدول الذى حصلنا فيه على معاملات ارتباطات نتيجة ضرب مدى تشبع كل اختبار بالعامل العام فى نفسه أو غيره — أى جدول العامل العام .

نحصل على ذلك الفرق بطرح جدول العامل العام من المصفوفة الأولى .

وإذا أجرينا هذه الخطوة نحصل على جدول البواقى كما يلى :

	(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)
(١)	+ ٠,١٥	+ ٠,٢٠	+ ٠,١٥	− ٠,١١	− ٠,٠٧	− ٠,٠٦
(٢)	+ ٠,٢٠	+ ٠,٢٧	+ ٠,١٢	− ٠,٠٥	− ٠,٠٧	− ٠,٠٩
(٣)	+ ٠,١٥	+ ٠,١٢	+ ٠,١٥	− ٠,٠٧	− ٠,٠٩	− ٠,٠٨
(٤)	− ٠,١١	− ٠,٠٥	− ٠,٠٧	+ ٠,٠٩	+ ٠,١٦	+ ٠,٠٩
(٥)	− ٠,٠٧	− ٠,٠٧	− ٠,٠٩	+ ٠,١٦	+ ٠,٢٢	+ ٠,٢٥
(٦)	− ٠,٠٦	− ٠,٠٩	− ٠,٠٨	+ ٠,٠٩	+ ٠,٢٥	+ ٠,٣٠

(جدول البواقي) .

يمكن لنا أن نلاحظ فى هذا الجدول شيئين :

(ا) أن معاملات الارتباطات بين الاختبارات الثلاثة الأولى على حدة موجبة وأن معاملات الارتباطات بين الاختبارات الثلاثة الأخيرة على حدة موجبة .

(ب) أن معاملات الارتباطات بين الاختبارات الثلاثة الأولى والاختبارات الثلاثة الثانية معاملات سالبة .

ولنعد الآن إلى بداية البداية حيث قمنا بتطبيق الاختبارات الستة حيث كان يجب أن نقول — ولو أن ذلك واضح جداً — أن الاختبارات الثلاثة الأولى تنتمى جميعها إلى قدرة واحدة هى القدرة اللفظية أو اللغوية بينما نجد أن الاختبارات الثلاثة الأخيرة تنتمى إلى قدرة أخرى هى القدرة على معالجة الأشكال الهندسية . ومن الواضح أنه كان لابد أن يصل بنا المطاف إلى هذا الجدول .

هذا مفهوم بالنسبة للاختلاف بين القدرتين ولكن ما هو الوضع بالنسبة لمكونات القدرة الواحدة ؟ أى هل هناك عامل آخر غير العامل العام يربط بين هذه الاختبارات الثلاثة ؟ يجب أن نتوقع ذلك حيث أن جدول البواقى فى هذا الجزء منه عبارة عن معاملات موجبة . ونلاحظ ذلك بين الاختبارات الثلاثة الأولى أى فى الربع الأعلى الأيمن من الجدول . كما نلاحظه أيضا فى الربع الأسفل الأيسر من نفس الجدول .

وهنا لا نتردد فى أن نغض النظر أو نهمل الجزء الأعلى الأيسر والجزء الأسفل الأيمن من نفس الجدول . ويصبح لدينا جدولين صغيرين كما يلى :

	(١)	(٢)	(٣)
(١)	٠,١٥	,٢٠	٠,١٥
(٢)	٠,٢٠	,٢٧	٠,١٢
(٣)	,١٥	,١٢	٠,١٥
	٠,٥٠ +	,٥٩ +	٠,٤٢ = ١,٥١

$\sqrt{١,٥١}$ = ١,٢٣

	(٤)	(٥)	(٦)
(٤)	٠,٠٩	٠,١٦	٠,٠٩
(٥)	٠,١٦	٠,٢٢	٠,٢٥
(٦)	٠,٠٩	٠,٢٥	٠,٣٠
	,٣٤ +	,٦٣ +	,٦٤ = ١,٦١

$\sqrt{١,٦١}$ = ١,٢٧

نعامل كلا من هذين الجدولين نفس المعاملة التى عالجنا بها مصفوفة معاملات الارتباط الأولى حيث حصلنا على الجمع الرأسى ثم الجمع الأفقى ثم حساب الجذر التربيعى لجمع المجاميع . ثم قسمة كل جمع راسى على هذا الجذر التربيعى فنحصل فى حالتنا هذه على مدى تشبع كل اختبار بالعامل الثانى وهو بطبيعة الحال عامل غير عام لأنه فى حالة الاختبارات الثلاثة الأولى يختلف من حيث المعنى والطبيعة عنه فى حالة الاختبارات الثلاثة الأخيرة . ففى الحالة الأولى سيكون خاصا باللغة وفى الحالة الثانية سيكون خاصاً بالقدرة على معالجة الأشكال الهندسية .

وبذلك تصبح النتيجة كما يلى :

الاختبار	مدى التشبع بالعامل الثانى: عامل اللغة	مدى التشبع بالعامل الثانى: عامل معالجة الشكل الهندسى
(١) المفردات اللغوية	٠,٤	
(٢) المرادفات اللغوية	٠,٥	
(٣) التصنيف اللغوى	٠,٣	
(٤) بناء المكعبات		٠,٣
(٥) التصور البصرى المكانى		٠,٥
(٦) لوحة الأشكال		٠,٥

وهنا سؤال يطرح نفسه : ماذا يحدث لو ضربنا مدى التشبع فى نفسه أو فى غيره ؟ هل يكون الناتج معامل ارتباط أم ماذا ؟

والإجابة على ذلك نقول أن حاصل الضرب هو معامل ارتباط فعلا ولكنه يختلف عن المعامل الذى حصلنا عليه فى جدول العامل العام لأن المعامل السابق مبنى على التشبع بالعامل الأول أو العامل العام أما فى هذه المرة فالمعامل مبنى على التشبع بالعامل الثانى أو العامل الخاص (أو الطائفى) .

ومعنى ذلك أنه لا بد أن نتوقع أن يكون بين الاختبار ونفسه أكثر من معامل ارتباط أحدها مبنى على العامل العام والثانى مبنى على العامل الخاص وقد يكون هناك ثالث . ولكن فى جميع الحالات وتحت جميع الظروف لابد أن يكون مجموع هذه المعاملات جميعا هو الوحدة أى + ١ .

والآن نحاول أن نجمع كل ما حصلنا عليه من معلومات حول هذه الاختبارات الستة :

الاختبار	مدى التشبع بالعامل العام	مدى التشبع بالعامل الخاص: عامل اللغة	مدى التشبع بالعامل الخاص: عامل الشكل الهندسى
١) المفردات اللغوية	,٨	,٤	
٢) المرادفات اللغوية	,٧	,٥	
٣) التصنيف اللغوى	,٨	,٣	
٤) بناء المكعبات	,٧		,٣
٥) التصور البصرى المكانى	,٦		,٥
٦) لوحة الأشكال	,٥		,٥

ثم نحسب معامل الارتباط المناظر فى كل حالة ، ونجمع كلا المعاملين ونطرحهما من الوحدة :

الاختبار	(أ) معامل الارتباط (١)	(ب) معامل الارتباط (٢)	(حـ) (١+٢)	(ء) ١ − (١ + ٢)
(١)	,٦٤	,١٦	,٨٠	,٢٠
(٢)	,٤٩	,٢٥	,٧٤	,٢٦
(٣)	,٦٤	,٠٩	,٧٣	,٢٧
(٤)	,٤٩	,٠٩	,٥٨	,٤٢
(٥)	,٣٦	,٢٥	,٦١	,٣٩
(٦)	.٢٥	,٢٥	,٥٠	,٥٠

وبذلك يصبح العمود الأخير (د) يمثل معامل الارتباط بين الاختبار ونفسه مبنياً على عامل ثالث غير العام والخاص ويمكن أن نسميه العامل النوعى . وطالما أن معامل الارتباط موجود فإنه يمكن حساب مدى تشبع كل اختبار من الاختبارات الستة وذلك بحساب الجذر التربيعى لمعامل الارتباط لأن معامل الارتباط هو عبارة عن مربع مقدار التشبع . وبذلك نحصل على ما يلى :

الاختبار	مدى التشبع بالعامل النوعى
(١)	,٤٥
(٢)	,٥١
(٣)	,٥٢
(٤)	,٦٥
(٥)	,٦٣
(٦)	,٧١

وبذلك نكون أكملنا تحليل هذه الاختبارات الستة وحصلنا على مدى تشبع كل اختبار منها بالعامل العام والعامل الطائفى أو الخاص والعامل النوعى :

الاختبار	العامل العام	العامل الخاص		العامل النوعى					
		لغة (ا)	هندسة (ب)	(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)
(١)	٠,٨	٠,٤		٠و٤٥					
(٢)	٠,٧	٠و٥			٠,٥١				
(٣)	٠و٨	٠,٣				٠,٥٢			
(٤)	٠,٧		,٣				٠و٦٥		
(٥)	٠,٦		,٥					٠,٦٣	
(٦)	٠,٥		,٥						٠,٧١

ولكن ماذا تعنى هذه الخطوات الرياضية المتعاقبة حتى هذه اللحظة ؟ يمكن لنا جوازا أن نفسر هذه النتائج فنقول أن مصفوفة معاملات الارتباط الأولى كانت تحوى معاملات موجبة . حقيقة أن بعضها قليل وبعضها كبير

ولكن على العموم اتضح الاتجاه أن هناك عاملا عاما يربط الاختبارات الستة معا وهو عنصر العناصر بالنسبة إليها جميعاً .

وهنا يمكن لنا أن نسمى هذا العامل العام عامل الذكاء أو G. Factor كما سنتعرض لذلك فيما بعد إذ أن الذكاء العام عامل يؤثر فى اللغة ويؤثر أيضا فى القدرة على التصور البصرى المكانى ولكنه يؤثر بدرجات متفاوتة .

ثم إذا نظرنا فيما بعد إلى جدول البواقى لوجدنا أن هناك معاملات ارتباطات موجبة وأخرى سالبة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك فالمعاملات الموجبة هى تلك التى تربط بين الاختبارات اللغوية — وهى الثلاثة الأولى — فيما بينها فقط وتلك التى تربط بين اختبارات التصور البصرى المكانى وهى الثلاثة الأخيرة فيما بينها أيضا فقط .

وعليه فإنه يمكن أن نقول أن هناك عاملا خاصا يربط بين الاختبارات اللغوية وعاملا خاصا آخر يربط بين اختبارات معالجة الأشكال الهندسية . وهو فى الحالة الأولى عامل خاص يسمى العامل اللغوى أو القدرة اللغوية وفى الحالة الثانية عامل خاص يسمى القدرة على معالجة الأشكال الهندسية أو التصور البصرى المكانى .

ولكن ما يتحتم علينا أن نوضحه للقارىء أن هذا العامل أو القدرة ليس عنصراً عقليا مثل ما قصدت إليه نظرية الملكات فكانت ملكة اللغة على سبيل المثال هى قوة عقلية مفترض أنها فى البناء العقلى للفرد ولكن عامل اللغة أو قدرة اللغة كما حصلنا عليها نتيجة عملية التحليل العاملى لا تشير إلى أى قوة عقلية ولكنها تدل على نوع خاص من الرابطة بين أنماط سلوكية متكاملة كما سبق أن تعرضنا لهذه النقطة .

وبعد جدول البواقى اتضح لنا أن هناك عاملا نوعيا يتعلق بكل اختبار على حدة ولا يربط بين أى اختبار واختبار آخر إذ أنه عامل خاص جداً أو نوعى .

فعلى سبيل المثال يكون هذا العامل فى اختبار المفردات اللغوية هو قدرة الفرد على استدعاء عدد معين من الكلمات المحفوظة وفى حالة اختبار بناء المكعبات مثلا يكون هو قدرة الفرد على معالجة المكعب كشكل هندسى . ومما يجب الإشاره إليه أيضا أن الاتفاق ليس كاملا حول العامل النوعى فالبعض يرى أن ما يتبقى بعد العامل العام . والعامل الطائفى أو الخاص إنما هو أخطاء الصدفة لأن من الطبيعى ألا يكون معامل ثبات أى اختبار دائما واحد صحيح وعليه فإن معامل الارتباط الناتج من طرح مجموع المعاملين الذين يرجعان إلى العامل العام والعامل الخاص من الوحدة هو مقدار يشير إلى أخطاء الصدفة وليس إلى وجودعامل نوعى .

ولكن هناك البعض الذى يرى أن هناك عامل نوعى وهناك أيضا أخطاء الصدفة فى حالة اختبار المفردات اللغوية على سبيل المثال لو كان معامل ثبات الاختبار يساوى ٩٢, فإن تباين أخطاء الصدفة = ٠٨, وعليه فإن معامل الارتباط الذى يعود إلى تشبع هذا الاختبار بالعامل النوعى يصبح ١٢, وليس ٢٠, كما هو موضح فى جدول سابق .

ونعود مرة أخرى ونسأل إلى أى مدى يمكننا أن نعتمد على منهج التحليل العاملى فى تحليل اختبارات القدرات ومعرفة مكوناتها وخصائصها ؟

فى بداية الأمر وكما وضح لنا من الوصف السابق لهذه العملية يمكن أن نقول أن هذه العوامل سواء كانت اثنتين أو ثلاثة أو غير ذلك فإن جداول التحليل العاملى لا تخرجها وتسميها بأسمائها فلا يقول منهج التحليل العاملى أن العامل الأول ذكاء أو قدرة لغة أو قدرة رياضية ولكن كل ما يوضحه هو ارتباط بين عدة مقاييس أواختبارات أو متغيرات . ولكن نحن الذين نفسر هذه الروابط أو العناصر المشتركة أو العوامل ونعطيها أسمائها ومن هنا يمكن أن ينشأ بعض الخطأ عندما يختلف المفسرون فى تفسير هذه العوامل فقد يرى البعض أنها روابط سيكلوجية ذات معنى خاص فيعطيها الاسم الذى ينطبق

عليها والبعض الآخر يرى أنه من المحتمل جدا أن تكون هذه الرابطة مجرد تشابه أو تكامل شكلي بين هذه المتغيرات . فعلى سبيل المثال لو كانت هناك مجموعة من الاختبارات عددها عشرين وهناك عامل يربط بين ستة منها فقط فإنه من المحتمل أن تكون هذه الاختبارات الستة جميعها ذات تركيب متشابه من ناحية الشكل أى جميعها مثلا عديدة الاختيارات وعليه تكون تسمية هذا العامل الذى يربطها تسمية سيكلوجية خاصة تسمية غير صحيحة . ويمكن أن نستشهد هنا بقول سيرل بيرت وهو من الرواد الأول فى ميدان التحليل العاملى فهو يرى « أن هذه العوامل التى تساعدنا عملية التحليل العاملى على الحصول عليها ليست إلا تجريدات إحصائيـة رياضية وليست بناءات مستقلة بذاتها » . فليس هناك معنى حقيقى لمجرد تحويل مكونات اختبار إلى عوامل عامة وخاصة ونوعية قد تكون صلتها الحقيقية بموقف الاختبار غير مقبولة من الناحية المنطقية وعليه فإنه يتحتم على الإحصائى النفسى أن يكون حذرا كل الحذر عند استخدام طريقة التحليل العاملى وعند تسمية العوامل التى يصل إليها .

وثانيا يمكن لنا أيضا أن نقول أن طريقة التحليل العاملى شأنها شأن — أى طريقة تحليـل أخرى لا يمكنها أن تعطى فكرة عن بناء وتركيب شىء غير قائم وغير موجود . فهى وسيلة لتحليل اختبارات يختارها الفاحص بعيدا عن عملية التحليل العاملى ويطبقها بعيدا عن عملية التحليل العاملى ويقوم بإعطاء الدرجات للأفراد بعيدا أيضا عن عملية التحليل العاملى . وفى حقيقة الأمر كل ما هو مهم فى الموضوع هو اختيار المقاييس وتطبيقها وإعطاء الأفراد درجات عليها . ودور عملية التحليل العاملى هى طاعة الباحث لإعطائه ما يريد الحصول عليه .

وعلى ذلك يجب ألا نحمل منهج التحليل العاملى أكثر مما يطيق أو نلقى عليه من الأعباء ما نكاد يجب على الأخصائى أن يأخذه فى حسابه عند التخطيط

للتجربة وتصميمها وعند تفكيره فى مكونات القدرات التى يهدف إلى تشريحها ومعرفة تركيبها وبنائها .

ويمكن أن نقول ثالثاً أن عملية التحليل العاملى تعطى دائما نتائجها متناثرة وفى غير ما ترتيب أو نظام وتكون مهمة الإخصائى هى إعادة ترتيب هذه النتائج وتنظيمها من وجهة نظره هو أو كما يعتقد أنه النظام المتناسق الذى يفسر موقف القدرة وعلاقتها بالقدرات الأخرى .

ورابعاً وأخيراً يجب أن نعلم أن هناك أكثر من إجابة يمكن أن نصل إليها عن طريق التحليل العاملى وذلك يتعلق بالإخصائى الذى يأخذ فى اعتباره ما يجده معقولا مقنعا ويترك غير ذلك . وهذا موقف يختلف فيه كل إخصائى عن إخصائى آخر .

من النقاط الأربعة السابقة أردنا أن نوضح موقف عملية التحليل العاملى عند تحليل القدرة الانسانية فلا نضعها فى موقف المسئولية الكاملة إذ أنها أداة ووسيلة ولا فضل للوسيلة إذا أحسنت اليد التى تتعامل بها استخدامها ولا ضير عليها إذا أساءت هذه اليد استخدامها واستعمالها وقبل كل شىء يتحتم على هذه اليد أن تفهم جيدا طبيعة هذه الأداة وخصائصها ومكوناتها .

نعود الآن إلى المشكلة الأولى والأساسية وهى كيف نسمى العناصر أو العوامل التى نستخرجها عن طريق التحليل العاملى ؟ لم تتفق الآراء تماما على هذه النقطة . فيرى جيلفورد وهو رائد له أعماله ودراسته وقيمته فى هذا الميدان شأنه شأن فرنون وسيفنسون والقوصى وغيرهم ، يرى جيلفورد أن الفاحص أو الباحث عليه أولا أن يفهم مادة الاختبارات التى يقوم بتحليلها وكذلك محتوياتها ومضموناتها وشكلياتها ثم يعمق تحليله المنطقى للاختبارات التى يجد لها تشبعات عالية بعامل ما ثم يستنتج طبيعة هذا العامل بناء على ذلك التحليل المنطقى لمادة الاختبار ومحتواه . وعليه فإن مثل هذا المنهج يؤدى إلى تسمية العوامل تسمية تعود إلى مادة المحتوى مثـــل العامل اللغوى والعامل

الرياضى أو الحسابى والعامل الميكانيكى إلخ . . . أو تسمية تعود إلى العملية العقلية الخاصة التى يقوم بها الأفراد أثناء استجاباتهم لموقف الاختبار حيث يمكن الاستدلال على مثل هذه العملية العقلية وطبيعتها عن طريق الاستبصار المنطقى والمعالجة الذهنية من جانب الفاحص . ومثال ذلك عامل الانتباه والتفكير السببى والتصور البصرى المكانى إلخ . .

وأما بنتلى وآخرون وكذلك فرنون وأتباعه فإنهم يعتقدون أنه لا داعى لإعطاء أسماء افتراضية أو ذاتية للعوامل بل يفضلون ترميز العوامل ثم تحليل هذه الرموز تحليلا إجهاديا للوصول إلى مكوناتها الحقيقية والأصلية دون بذل الجهد فى البحث عن أسماء لهذه الرموز أو العناصر .

والآن سوف نستعرض بعض الأعمال والبحوث الرئيسية التى أدت إلى توضيح تركيب القدرة عند الانسان والتى تساعد القارىء إلى حد كبير على فهم القصد من وراء هذا الحوار لشرح بناء القدرات .

القدرة الفطرية العامة أو الذكاء العام «تشارلس سبيرمان»:

يعتبر الكلام عن الذكاء العام — على الرغم من قدم هذا اللفظ — من مستلزمات وصف وتركيب القدرة الإنسانية فقد كان البحث عن هذه القدرة الفطرية العامة هو العمل الكبير الذى قام عليه مجد تشارلس سبيرمان (١٨٦٣ — ١٩٤٥) كرائد من رواد علم النفس الموضوعى . فقد عرف سبيرمان بأنه أول من ابتدع واستخدم طريقة التحليل العاملى — وإن كان شاركه كارل بيرسون فى ذلك إلى حد ما .

وعرف سبيرمان أيضاً بأنه لم يكن يقنع بمجرد التحليل الرياضى واستخلاص العوامل ثم وصف بنائها ولكنه كان يتطلع دائماً إلى نظرية بعيدة المدى تصف وتفسر طبيعة الذكاء الإنسانى ووظيفته . وقد كان له ما أراد فهو أول من وضع نظرية « الذكاء العام » التى أصبحت فيما بعد وحتى

وقتنا هذا جزءاً أساسياً من المعرفة السيكلوجية على المستوى المتخصص وعلى المستوى غير المتخصص كذلك .

ففى سنة ١٩٠٤ نشر سبيرمان شيئاً جديداً عن «الذكاء العام وموضوعية قياسه» وكان ذلك فى المجلة الأمريكية لعلم النفس حيث يختتم دراسته قائلا :

« إن التجارب التى أجريت على مجموعات متعددة من أطفال المدارس حيث استخدم منهج التحليل العاملى أوضحت أن كل فروع الأنشطة الذهنية تشترك جميعاً فى عامل واحد (أو مجموعة من العوامل) فى حين أن العناصر النوعية من الأنشطة تبدو متباينة فى كل حالة عن الحالة الأخرى . كما يتضح أيضاً أن التأثير النسبى للعامل العام إلى العامل النوعى (الخاص) يتراوح فى هذه الحالات بين ١٥ : ١ — ٤ : ١ ، ويتبع ذلك أن تكون الصور المختلفة للأنشطة الذهنية مرتبطة فيما بينها فى نظام خاص يتبع كمية تشبعها بهذا العامل العام » .

كان ذلك هو ما كتبه سبيرمان وما سمى بنظرية العاملين (العامل العام والعامل الخاص أو النوعى) والذى يمكن أن نستنتج منه وخاصة من الفقرات الأخيرة أن كل عمل أو نشاط عقلى لابد وأن يكون مشبعاً بدرجة ما بعامل الذكاء العام .

وقد أكد سبيرمان جدة نظريته هذه فى وصف القدرة الإنسانية عموماً والقدرة الفطرية العامة على وجه الخصوص حيث ميز بينها وبين نظريات ثلاثة سابقة . فهو يميز بينها وبين نظرية أو رأى يؤكد أن هناك قدرة واحدة فقط وليس هناك غيرها وهى قدرة الذكاء التى تسيطر على كل نشاط ذهنى أو عقلى أو معرفى، ويميز أيضاً بينها وبين نظرية ثانية تزعم أن هناك عدة أنواع من الذكاء والقدرة العامة ولكل نوع عمل معين ووظيفة معينة ثم يميز بينها وبين نظرية ثالثة ترى أنه ليس هناك ما يسمى بقدرة عامة أو ذكاء عام بل

هناك فقط قدرات متخصصة وذكاء متخصص نوعى يتعلق بكل موقف على حدة .

وبهذا نجد فعلا أن نظرية العاملين كما حددها ووصفها سبيرمان متميزة عن هذه الاتجاهات الثلاثة .

ولكن — كما يقول فيليب فرنون — إن مثل هذه النظرية لو أخذت بنصها وحرفها لأصبح كل اختبار يقيس ذكاء عاماً فقط وشيئاً آخر على درجة كبيرة من الخصوصية والنوعية وبهذا يصبح الأخذ بهذا فى الميدان العملى والتطبيق — وهو ميدان الإرشاد والتوجيه المهنى والتربوى — أمراً صعب التنفيذ .

وقد اعترف سبيرمان نفسه بمثل هذه الصعوبة فى آخر أيام حياته حيث يقول إنه من الحقيقة أن هذه النظرية لم تفسر كل شىء ولكنها فسرت معظم الأشياء وأهم الأشياء . فقد كان سبيرمان يعترف بصعوبة أن هناك قدرات خاصة أو طائفية مستقلة عن الذكاء العام وهذا ما يأخذه عليه معظم علماء النفس المحدثين — وخاصة أصحاب الرأى فى القياس النفسى — حيث يؤمنون جميعا بصحة وجود القدرة المتخصصة بعيدة عن الذكاء وليس كما آمن بها سبيرمان ووين جونز مثلا على أنها نبت فرعى من الذكاء العام وهى متعلقة بها .

ورغم ذلك فنحن يتحتم علينا أن نقول أن سبيرمان كان صاحب مدرسة كبيرة أنجبت أكثر المتخصصين والرواد فى هذا الميدان فهو أول من ابتدع واستخدم أسلوبا له خطره وأهميته كمنهج تحليلى وكذلك فإن نظرته إلى ما سماه بالذكاء العام كانت أساسا لمعظم الدراسات — حتى النقدية منها — التى جاءت من بعده .

تعديل نظرية سبيرمان :

كان السير سيرل بيرت من أقوى علماء النفس فى بريطانيا فى ذلك الوقت وكان زعيما رائدا لا يقل عن سبيرمان فى تأثيره على التفكير العلمى سواء فى أمريكا أو بريطانيا . فنى سنة ١٩٠٩ نشر بيرت شيئا آخر لا يقل جدة وأصالة عما نشره سبيرمان فى ١٩٠٤ .

كان بيرت يصف دراسة عميقة جيدة التصميم قام بها من أجل دراسة وتحليل التحصيل المدرسى عند الأطفال وكانت أهم النتائج التى وصل إليها هى « أن هناك عاملا جديداً غير العامل الذى اكتشفه سبيرمان وسماه الذكاء العام » .

ثم فى دراسات أخرى متلاحقة وأصيلة اكتشف بيرت الكثير عن التصور والتذكر والمزاج والتحصيل المدرسى . وكان ذلك حتى سنة ١٩١٧ حيث وضع بيرت علامة واضحة على الطريق إلى نظرية بناء القدرات فأشار عن طريق منهج التحليل العاملى أيضا إلى وجود عامل خاص باللغة وعامل خاص بالأعداد وعامل خاص بالأداء العملى كل ذلك بالإضافة إلى العامل العام الذى سبق أن أشار إليه سبيرمان . كما وصف بيرت أيضا فى هذه الدراسة طريقة الجمع البسيط فى التحليل العاملى والتى سماها ثرستون فيما بعد الطريقة المركزية centroid .

وقد وضح من دراسة بيرت أن عامل اللغة أو اللفظ ليس بسيطا ولكنه على مستويين اثنين : أولهما يختص بالمواد الأدبية والإنشائية والتاريخ والجغرافيا والعلوم .

وثانيهما يختص بما هو أكثر سهولة من ذلك وهو قراءة الكلمات وحفظ هجائها .

وأما عامل الأداء العملى فهو يشمل ويختص بالعمل اليدوى والرسم ومهارة الكتابة (أى حسن الخط) وسرعة الكتابة .

وأكد بيرت نتائجه فى تجارب أخرى وزاد على ذلك أن ٣٧,٩٪ من إمكانية التحصيل المدرسى تعود إلى العامل العام و ٢٠,٧٪ تعود إلى العوامل الخاصة أو الطائفية .

كما وجد بيرت أيضا أن العامل العام يرتبط باختبار من اختبارات الذكاء ارتباطا عاليا ولكنه ليس ارتباطا تاما موجبا . وهـــذا ما جعله يستنتج أن هناك قدره خاصة بالتحصيل المدرسى يتركب معظمها من العامل العام ولكن يضاف إليها بعض العوامل الخاصة الأخرى مثل الاهتمام والاجتهاد .

وكان ذلك أول تعديل جوهرى فى نظرية سبيرمان .

ثم أكد هذا التعديل عدد من الدراسين النابهين كان أولهم كيلى فى الولايات المتحدة وكان ذلك فى سنة ١٩٢٨ حيث قام الباحث بدراسة نتائج الاختبارات التى طبقها على ثلاث مجموعات من الأطفال بالمدارس الابتدائية وما قبلها بقليل وبنيت دراسته على منهج التحليل العاملى ولو أنه سلك الطريق الصعب غير الممهد — أو كما يقول فرنون . استخدم وسيلة لم يستخدمها أحد من بعده ، وأكد كيلى ما وصل إليه بيرت وزاد عليه قليلا فأشار إلى وجود عامل اللغة والعامل العددى وعامل الذاكرة الصماء (الحفظية) وعامل معالجة الشكل الهندسى وعامل السرعة فى الأداء . ولكنه اختلف قليلا عما ذهب إليه السير سيرل بيرت فى أنه قلل من أهمية العامل العام بل أنه حاول أن يفسر وجوده — رغم وضوح هذا الوجود — على أنه اختلافات تعود إلى عوامل السن ومستوى النضج والعنصر والتربية والجنس .

وفى سنة ١٩٣٠ قام باترسون وإليوت — وكان ذلك أيضا فى الولايات المتحدة — بدراسة تحليلية للقدرة الميكانيكية . وأول ما بنيت عليه هذه الدراسة هو أن متوسط معامل الارتباط بين ٢٦ اختباراً فى القدرات

الميكانيكية لم يزدعن +١٧ر. وعليه فقد أصر باترسون وإليوت على أن القدرة الميكانيكية شيء والقدرة الحركية شيء آخر مستقل تماما وبذلك أنكر كلا الباحثين أهمية أى عامل عام وكان ذلك بمثابة تجريح لنظرية سبيرمان .

ولكن لم يتمكنا من إنكار وجود عوامل طائفية أو خاصة ولو أنهما لم يفسرا طبيعة العوامل التى اعتقدا فى وجودها .

ويقول فرنون إن زعم الباحثين باستقلال القدرات الميكانيكية عن الذكاء العام أمر لا يقوم على برهان صحيح حيث أن ما استخدم فى هذا الصدد من اختبارات كان لغويا ثم أن العينة التى أجريت عليها هذه الدراسة كانت بمجموعات منتقاة وهذا ما يؤثر على تشبع الاختبارات والمقاييس بالعامل العام .

وفى سنة ١٩٣١ قام ستيفنسون فى بريطانيا بدراسة على عينة كبيرة نوعا ما فطبق سبعة اختبارات لفظية وثمانية اختبارات غير لفظية جميعها تقيس الذكاء على ١٠٣٧ تلميذة فى نهاية المرحلة الإبتدائية .

ولاحظ ستيفنسون أن الاختبارات الثمانية يمكن أن يفسر ما بينها من ارتباط عن طريق العامل العام الذى تكلم عنه سبيرمان . ولكن المشكلة كانت فى كيفية تفسير علاقة الاختبارات السبعة فيما بينها ثم العلاقة بينها وبين الاختبارات الثمانية الأخرى . وفسر الباحث هذه العلاقة على أن هناك رابطة مكونة من العامل العام وهو الذكاء العام ثم العامل الخاص وهو عامل اللغة حيث يقوم العنصر الأول بربط الاختبارات الخمسة عشر بعضها ببعض بينما يقوم العنصر الثانى بربط الاختبارات السبعة اللغوية فقط . ولكنه لم ينف أو يثبت وجود رابطة من نوع خاص بين الاختبارات الثمانية غير اللغوية .

ويلخص فرنون نتائج ستيفنسون كما يلى :

	العامل العام	العامل الخاص باللغة	العامل الخاص بالشكل الهندسى
متوسط تشبع الاختبارات غير اللفظية	٣٨,	صفر	صفر
« « « اللفظية	٣٦,	١٣,	صفر

وفى سنة ١٩٣٥ قام القوصى بوضع علامة أخرى على طريق فهم بناء القدرات الانسانية .

وذلك كما يقول فرنون ولافل وجيلفورد وجوتمان — فكان أول من أشار بدقة ووضوح إلى ما سماه عامل التصور البصرى المكانى (ك) وكان ذلك فى دراسته التى أجراها على ١٦٢ طفلا فى نهاية المرحلة الابتدائية وما بعد ذلك بقليل (من ١١ سنة إلى ١٣ سنة) .

وقد وجد القوصى — عن طريق تحليل الرباعيات — أن هناك ثمانية تشبعات بالعامل (ك) يتساوى تقريباً مع تشبعات العامل العام . ومن خلال التحليل البنائى والمنطق لهذه الاختبارات وجد أنها جميعا تحتاج إلى التصور البصرى من أجل الوصول إلى إجابات صحيحة لأسئلتها وبنودها .

وهنا كانت الدعامة الأساسية لاعتبار هذا العامل (ك) قدرة خاصة أو طائفية تختص بمجموعة من المواقف الأدائية المتشابهة .

وحوالى ذلك الوقت أى فى الثلاثينات المبكرة كان ثرستون فى أمريكا قد ابتدع الطريقة المركزية فى التحليل العاملى واستخدمها فى تحليل معاملات الارتباطات بين مقاييس الاتجاهات ومقاييس الشخصية . ووصل ثرستون بذلك إلى أنه ليس هناك ما يسمى بعامل عام يربط الاختبارات جميعا ثم عامل نوعى بكل اختبار كما أنه ليس هناك عامل عام ثم عامل خاص ثم عامل نوعى . . . . ولكن كما رأى ثرستون — وكانت هذه هى وجهة النظر الأمريكية كما سبق إليها كيلى وبانرسون وإليوت — أن هناك

مجموعة من العوامل المتعددة جميعها على قدم المساواة تقريبا فى الأهمية وسمى ذلك نظرية العوامل المتعددة فى بناء القدرات .

فإذا كانت نظرية سبيرمان فى بناء القدرات (العاملين) يمكن أن تمثل كما يلى :

	العامل العام	العامل النوعى
الاختبار الأول	+	+١
« الثانى	+	+٢
« الثالث	+	+٣
« الرابع	+	+٤
« الخامس	+	+٥

أى أنه هناك عامل عام يجرى فى جميع الاختبارات الخمسة ثم عامل نوعى يتميز به كل اختبار عن الآخر .

فإنه يمكن تمثيل نظرية العوامل الطائفية وهى التى تمخضت عن تعديلات بيرت وستيفنسون والقوصى التى أدخلت على نظرية سبيرمان كما يلى :

	العامل العام	العامل الخاص	العامل النوعى
الاختبار الأول	+	+١	+١
« الثانى	+	+١	+٢
« الثالث	+	+١	+٣
« الرابع	+	+٢	+٤
« الخامس	+	+٢	+٥

ومعنى هذا : أن هناك عامل عام يجرى فى الاختبارات جميعا .

وأن هناك عامل خاص (١) بالاختبارات الثلاثة الأولى يجرى فيها .

وأن هناك عامل خاص (٢) بالاختبارين الأخيرين يجرى فيهما .

وأن هناك عامل نوعى لكل اختبار من هذه الاختبارات الخمسة على حدة .

وكذلك فإنه يمكن تمثيل نظرية العوامل المتعددة التى عضدها ثرستون كما يلى :

	العامل العام	العامل الخاص	العامل النوعى
الاختبار الأول	(لا وجود	$+_{١ ، ٢}$	$+_{١}$
« الثانى	له فى هذه	$+_{١}$	$+_{٢}$
« الثالث	النظرية)	$+_{٢ ، ١ ، ٣}$	$+_{٣}$
« الرابع		$+_{٢}$	$+_{٤}$
« الخامس		$+_{٣ ، ١}$	$+_{٥}$

ومعنى هذا أنه لا يوجد عامل عام يربط بين هذه الاختبارات الخمسة أو يجرى فيها .

وأن هناك عوامل خاصة أو طائفية تجرى فى بعض الاختبارات دون دون البعض الآخر فنجد أن الاختبار الأول قد يرتبط بالاختبار الثانى عن طريق العامل الخاص رقم (١) ولكنه يختلف عنه فى أنه يحتوى على العامل الخاص رقم (٢) ويشترك هذا الاختبار الثانى مع الاختبار الثالث فى وجود العامل الخاص رقم (١) فى حين أن الاختبار الأول يشترك مع الاختبار الثالث فى وجود كل من العامل الخاص رقم (١) ، رقم (٢) بينما يتميز الثالث بوجود العامل الخاص رقم (٣) .

وهكذا ... بحيث لا نجد على الإطلاق — من وجهة النظر هذه — أى عامل واحد يجرى فى هذه الاختبارات جميعا .

كما أن هناك عامل نوعى يميز كل اختبار من هذه الاختبارات عن الآخر .

وهنا لنا تعليق له أهميته فقد كان يظن أن ما تقدم به ثرستون وما يخص العوامل المتعددة هذه يرجع فى الأصل إلى الطريقة الخاصة التى استحدثها واستخدمها وهى الطريقة المركزية فى التحليل العاملى . وظل هذا الزعم سائداً من ١٩٣٠ — ١٩٣٥ حيث أمكن ألكسندر أن يبطل هذه الفكرة بعمل تجريبى له أصالته فقام بتطبيق عدد كبير من الاختبارات التى تقيس الذكاء . منها ما هو لفظى ومنها ما هو غير لفظى بل أن هناك منها ما هو أدائى أيضا وذلك على مجموعة من الأطفال البنين والبنات ومجموعة من المراهقين بالمدارس الثانوية ومجموعة ثالثة من النساء البالغات . ثم حلل نتائجه التى حصل عيها باستخدم نفس الطريقة التى استخدمها ثرستون — وكان ألكسندر أول من فعل ذلك — وعليه فقد حصل على عوامل تؤيد نظرية سبيرمان المعدلة أو بمعنى آخر تؤيد وجهة نظر بيرت والقوصى وستفنسون فوجد أنه بالإضافة إلى العامل العام هناك عامل خاص باللغة وعامل خاص بالقدرة العملية .

وعليه فقد قام ألكسندر بتصميم اختباره المشهور فى الأداء والمكون من بناء المكعبات والقطع الخشبية والإزاحة وذلك من أجل قياس القدرة العملية .

كما وجد ألكسندر أيضاً ما يؤكد رأى بيرت بخصوص القدرة الخاصة بالتحصيل المدرسى فقد لاحظ وجود عامل مستقل بالتحصيل المدرسى بين الاختبارات التى قام بتطبيقها على مجموعات التلاميذ .

ولكن فى سنة ١٩٣٨ عاود ثرستون مرة أخرى هجومه على نظرية سبيرمان فنشر أول بحث مستفيض له عن القدرات الانسانية (وفى الواقع كانت سلسلة من المقالات العلمية) وكان يدور حول دراسة تحليلية لستة وخمسين

اختبارا طبقت على ٢٤٠ طالبا من طلبة الجامعة وانتهى بنتائج تعارض تماما فكرة سبيرمان عن العامل العام .

فقد وجد ثرستون « أنه ليس هناك ما يسمى بالعامل العام ، ولكن كل ما هنالك هو مجموعة من العوامل المتعددة سماها القدرات الأولية وكانت كما يلى :

١ — عامل اللغة : أى ما يختص بالمهارات اللغوية من حيث البناء والتكوين .

٢ — عامل سرعة الإدراك : أى ما يختص بالعمليات الإدراكية الحسية .

٣ — عامل التفكير الاستنباطى : أى ما يختص بعملية التحليل المنطقى للكليات من أجل الوصول إلى علاقة الأجزاء بعضها ببعض .

٤ — عامل التفكير الاستقرائى : أى ما يختص بعملية استنتاج وإيجاد العلاقات بين الجزئيات للوصول إلى كنه ومفهوم ومعنى الكليات .

٥ — العامل العددى : أو ما يختص بالأعداد ومعالجتها رياضيا .

٦ — عامل الذاكرة الصماء : أو ما يختص بالحفظ والاستظهار دون فهم أو مهارة عقلية .

٧ — عامل سيولة اللفظ : أو ما يختص بالقدرة على استدعاء اللفظ والكلمة .

٨ — العامل المكانى : أو ما يختص بتصور الأمكنة والأشكال وهو مناظر العامل (ك) للقوصى .

ويقول فرتون تعليقا على ذلك « أنه على الرغم من الاختلاف من ناحية المحتوى وطريقة الحساب فإن هذه القدرات الثمانية تتشابه من ناحية الأهمية والمكانة مع الملكات العقلية التى سادت نظريتها خلال القرن التاسع عشر والتى ظل يحاربها سبيرمان بشدة وعنف على مدى ثلاثين عاما » .

وفى سنة ١٩٣٩ رد سبيرمان على هجوم ثرستون حيث أشار إلى أن مجرد النظر إلى مصفوفات معاملات الارتباط الأولى فى دراسة ثرستون تجعلنا ندرك أن هناك عامل عام وعوامل أخرى خاصة أو طائفية حيث أن جميع هذه المعاملات موجبة .

وهنا التقط آيز نك وهولزينجر وهارمان هذه الملاحظة وأعاد هولزينجر وهارمان معا وآيز نك على انفراد تحليل المعاملات التى حصل عليها ثرستون . وكانت النتيجة فعلا كما توقع سبيرمان . حيث كان تباين العامل العام فى المتوسط = ٣٠,٨ ٪ (وذلك الذى أنكره ثرستون تماما) وتباين القدرات الخاصة جميعا فى المتوسط = ٢٣,٥ ٪ .

وهنا وكما يقول أصحاب هذه الدراسة أن محتوى القدرات الخاصة التى أدت هذه الطريقة الأخرى فى التحليل إلى تأكيد وجودها تتشابه إلى حد كبير مع محتوى العوامل الثمانيه التى سماها ثرستون القدرات الأولية .

والتعليق هنا أن طريقة ترستون فى التحليل العاملى صحيحة ولا غبار عليها من الناحية الرياضية البحتة كما أن طريقة سبيرمان صحيحة أيضا . ولكن ثرستون لم يثبت عدم وجود العامل وكل ما فعله هو أن وزع هذا العامل بين العوامل أو القدرات الأولية الأخرى .

وهكذا فإننا نجد أنه فى بناء القدرات هناك وجهتا نظر إحداهما البريطانية والتى يتزعمها سبيرمان وبيرت وستيفسون والقوصى وفرنون وهى أن هناك عامل عام أو قدرة عامة تأتى فى المكان الأول من الأهمية والتأثير يليها فى ذلك مجموعة منفصلة هى القدرات الخاصة أو الطائفية وهى أقل عمومية من القدرة العامة ثم يليها ثالثاً قدرات أو عوامل نوعية وهى تلك العوامل الخاصة جدا بكل مقياس على حدة .

وأما وجهة النظر الأمريكية وهى التى وقف على رأسها ثرستون — رغم أن كيلى وباترسون وإليوت كانت لهم نفس الميول سابقا — وعاونه فى ذلك

زوجته وكثير من تلاميذه ، وجهة النظر هذه تصر على أن القدرات الإنسانية مستقلة على الأقل من ناحية الشكل عن بعضها البعض وقد يكون هناك ارتباط بين بعضها ولكن ليس هناك عامل عام يربط هذه القدرات جميعا . كما أنه يلي كل قدرة مستقلة أو قدرة أولية عامل نوعى يتصل بخصوصية الموقف أو المقياس .

وفى الحقيقة أن ما لدى أمريكا من إمكانيات وخاصة فى الحقبة الزمنية الأخيرة قد ساعد كثيرا على انتشار مذهب ثرستون هذا نتيجة الدراسات الكثيرة والمتنوعة والتى أدت أيضا إلى تعديلات فى مفهوم ومحتوى تلك القدرات الأولية الثمانية التى أشار إليها ثرستون .

وكان حصاد ذلك فى الأربعينات المتأخرة (١٩٤٥) حيث ظهرت دراسة أجراها قسم خاص بالتحليل المهنى مستخدما حوالى مائة اختبار وكانت العنية من المتقدمين للمهن والوظائف المختلفة وعددهم يزيد عن الألفين (٢٢٠٠) وكانت النتائج تؤكد وجود العوامل الأولية الآتية :

١ — عامل اللغة .
٢ — عامل الإدراك .
٣ — عامل سرعة الحركة .
٤ — العامل العددى .
٥ — العامل الكتابى .
٦ — عامل مهارة الأصابع .
٧ — عامل مهارة اليد .
٨ — عامل دقة التصويب إلى الهدف .
٩ — العامل المكانى .
١٠ — عامل القدرة المنطقية .

وفى سنة ١٩٤٨ قام جيلفورد ومعاونوه بدراسات شاملة فى الطيران

الأمريكى مستخدمين نفس المنهج الذى دعا إليه ثرستون ونتيجة لذلك حددوا القدرات الأولية عند الطيارين الأمريكيين كما يلى :

١ — الدقة .

٢ — التكامل .

٣ — تقدير الأطوال .

٤ — الذاكرة .

٥ — الميل إلى الرياضيات .

٦ — المعلومات الميكانيكية .

٧ — سرعة الإدراك .

٨ — الميل إلى الطيران (العمل كطيار) .

٩ — القدرة على التخطيط .

١٠ — التناسق النفسى الحركى .

١١ — الدقة النفسية الحركية .

١٢ — السرعة النفسية الحركية .

١٣ — التفكير المنطقى .

١٤ — التصور البصرى المكانى .

١٥ — المهارة فى المواد الاجتماعية (الجغرافية إلخ ...) .

١٦ — القدرة اللغوية .

١٧ — التصور .

ورغم هذه الإمكانيات الفائقة التى توفرت للعلماء الأمريكيين إلا أنهم كانوا على أحسن الاحتمالات على قدم المساواة مع العلماء البريطانيين وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وما تعرضت إليه إمكانيات بريطانيا من أزمات .

ففى سنة ١٩٤٧ نشر فرنون أهم دراسة له فى ميدان القدرات وكانت بحق علامة أساسية على طريق فهم بناء القدرات الانسانية ليس فى بريطانيا وحدها بل فى الولايات المتحدة أيضا .

وقد أجرى فرنون دراسته هذه فى الجيش البريطانى فاستخدم ١٠٠٠ مجند من أجل الإجابة على ثلاثة عشر اختبارا ومن تحليل معاملات الارتباط التى حصل عليها الباحث أكد بما لا يدع مجالا للشك وجود العامل العام حيث أن تباين هذا العامل فى المتوسط يزيد عن ضعف متوسط تباين العوامل والقدرات الخاصة معا .

وعندما نترك العامل العام جانبا نجد أن الاختبارات تنقسم إلى قسمين متميزين من العوامل هما :

(ا) العوامل اللفظية والعددية والتعليمية .

(ب) العوامل العملية والميكانيكية والمكانية .

وعند الاستمرار والاستطراد فى التحليل نجد أن المجموعة الأولى (ا) تعود وتنقسم إلى :

١ — العوامل اللفظية .

٢ — العوامل العددية .

(أما النوع التعليمى من العوامل فهو لابد وأن يكون مشتركا بين هذين النوعين) .

كما أن المجموعة الثانية (ب) تعود هى الأخرى وتنقسم إلى :

١ — العوامل الميكانيكية .

٢ — العوامل الخاصة بالتصور البصرى المكانى (ك) .

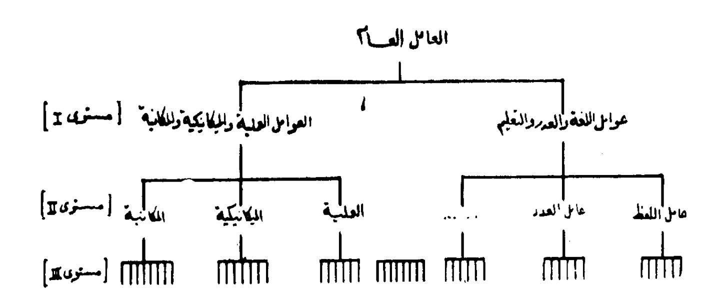
٣ — العوامل العددية .

وكان فرنون من الدقة والمهارة فى معالجة نتائجه بحيث أمكنه أن يستخدم المعلومات التى توفرت لديه فيناقش نظرية البناء الهرمى للقدرات مناقشة تقييمية بارعة .

نظرية البناء الهرمي للقدرات:

أول من قدم هذه النظرية هو سيرل بيرت الذى يعتقد أن هذه النظرية بقدر ما هى صالحة لوصف تنظيم بناء القدرات الانسانية بقدر ما هى صالحة أيضا لوصف البناء المزاجي والانفعالىللفرد وكذلك المقاييس الأنتروبومترية

ويمكن تمثيل هذه النظرية بالشكل التالى (عن فرنون ١٩٥٠) :



حيث المستوى I هو مستوى القدرات الخاصة العظمى التى تلى العامل العام مباشرة .

والمستوى II هو مستوى القدرات الخاصة الصغرى وتلى سابقتها من حيث الأهمية .

والمستوى III هو مستوى العوامل النوعية الخاصـــة بكل موقف على حدة .

ويقبل فرنون هذه النظرية على أنها ولا شك تعديل معقول لنظرية العاملين التى قدمها سبيرمان أو لنظرية العوامل المتعددة التى قدمهـا ثرستون وتبعه فيها عدد كبير من العلماء الأمريكيين . ويرى فرنون أن الشكل التوضيحى الذى يبسط أساس النظرية الهرمية يمكن أن نحصل عليه فعلا لو أمكن القيام بدراسة شاملة واسعة لجميع القدرات الإنسانية مستخدمين فى ذلك عدداً كبيراً من الاختبارات والمقاييس المناظرة لمكونات هذه القدرات

على عينة ذات حجم مناسب ومواصفات مناسبة مستر سلين فى التحليل العاملى حتى نصل إلى العوامل الدقيقة النوعية مع وجوب ملاحظة أنه ليس هناك اختبار واحد يستخلص منه عامل نوعى واحد فقط . ولابد لنا أن نقول هنا أن جميع الدلائل المشتقة من منهج التحليل العاملى سواء كان ذلك من خلال الطريقة الرياضية أو منطقية المنهج تشير إلى أن العوامل الطائفية أو الخاصة يمكن دائماً تحليلها إجهادياً أى نصل بها إلى أقل مكوناتها وعناصرها وذلك يعتمد بالدرجة الأولى على المدى الذى نريد أن نصل إليه فى عملية التحليل وكذلك عدد ونوعية الاختبارات والمقاييس المستخدمة .

ونستطرد أيضاً فنقول أنه من الممكن لو استخدمنا مجموعة متشابهة من المقاييس والاختبارات لأمكننا أن نحول أى عامل نوعى إلى عامل خاص أو طائفى .

والحقيقة التى يجب أن نؤكدها هى أن العامل أو العنصر النوعى الحقيقى والوحيد أى الذى لا يمكن تحليله هو تباين خطأ الاختبار ولذلك فإنه لو نظرنا إلى جداول التحليل العاملى كاملة مستوفاة لوجدنا أن مجموع معاملات الارتباطات بين الاختبار ونفسه والتى تعود إلى العامل العام والعوامل الخاصة فقط تقترب كثيراً جداً من معامل ثبات الاختبار ومثال ذلك :

فى اختبار المفردات اللغوية السابق الإشارة إليه :

مدى تشبعه بالعامل العام هو ٨,

∴ معامل الارتباط بين الاختبار ونفسه فى ظل العامل العام = ٦٤,

، مدى تشبعه بالعامل الخاص هو ٥,

∴ معامل الارتباط بين الاختبار ونفسه فى ظل العامل الخاص = ٢٥,

∴ المجموع العام = ٨٩,

فإذا كان معامل ثبات اختبار المفردات اللغوية هو ٩٤,

فيكون معامل الارتباط بين الاختبار ونفسه فى ظل العامل النوعى هو ٩٤, — ٨٩, = ٠٥,

فى حين أن معامل الارتباط الذى يرجع إلى تباين الخطأ

هو ١,٠ — ٩٤, = ٠٦,

كذلك فإنه من الممكن أيضاً أن نحول هذا العامل النوعى فى أى مجموعة من الاختبارات المتخصصة إلى عامل غام (وذلك من حيث الأهمية) . ولنأخذ لذلك مثالا :

فنى حالة إدماج اختبار خاص بقياس زمن الرجع فى مجموعة من اختبارات اللغة مثلا فإننا نلاحظ أن مدى تشبع مثل هذا الاختبار بالعامل العام والخاص ربما لا يزيد عن ١٠ ٪ فى حين أن مدى تشبعه بالعامل النوعى يصل إلى ٩٠ ٪ مثلا .

وعند إدماج اختبارين آخرين يقيس كل منهما زمن الرجع لوجدنا أن هناك عاملا خاصاً يكون إسمه عامل زمن الرجع لأن فى هذه الحالة أصبح هناك عامل يربط بين ثلاثة اختبارات من نفس النوع .

وعند زيادة عدد هذه الاختبارات المتخصصة يتحول ذلك العامل الخاص أو الطائفى إلى عامل عام يربط بين الاختبارات جميعا .

ولذلك فإنه يمكن لنا أن نقول أنه ليس هناك تمييز مطلق بين ما سماه سبيرمان بالعامل العام وبين ما سماه بالعامل النوعى . والأمر فى الواقع يتوقف على تنظيم وتصميم الدراسة قبل استخدام منهج التحليل العاملى .

وهناك تعليق على الجانب الآخر — وهى نظرية العوامل المتعددة — حيث زعم أصحابها أن هذه القدرات الأولية أو العوامل التى أشار إليها ترستون أو جيلفورد مثلا تقف جميعا على قدم المساواة من ناحية الأهمية البنائية والوظيفية . وهذا فى الحقيقة لا يمكن قبوله كما هو إذ أن عامل الذاكرة

الصماء على سبيل المثال — يعتبر عاملا خاصا غير مفهوم عن طريق ذاته فقط ولو أن ترستون مثلا يحاور فى هذا العامل ويوضح وجوده فى عمليات الحفظ والاستظهار فى جداول الضرب وهجاء الكلمات وكذلك عوامل المهارة اليدوية والحسية والحركية والتناسق الحركى جميعها عوامل لا يمكن أن تستقل بذاتها فقط عن محتوى الموضوع التى تزاول فيه وهى بذلك لايمكن فهمها عن طريق ذاتها فقط .

ولكن فى حالة واحدة فقط يمكن لنا قبول مثل هذه العوامل كعوامل خاصة ذلك إذا أمكن اكتشاف عامل عام أقوى وأشمل من العامل العام (الذى يشير إليه سبيرمان) فى اختبارات الذاكرة الصماء وهجاء الكلمات وجداول الضرب أو فى اختبارات المهارة اليدوية والحسية الحركية والتناسق الحركى لأنه فى هذه الحالة سوف نضطر إلى أن نغض النظر عن المحتوى والموضوع الذى تعمل فيه هذه المهارات .

ونقطة أخرى تستحق الإيضاح وهى ما أردنا أن نشير إليه بطريقة أو بأخرى من خلال مناقشتنا السابقة تلك هى نقطة الأهمية النسبية للعوامل أو القدرات . فمن الواضح أن النظرية الهرمية لوصف التنظيم البنائى للقدرات توحى بأن أنشطة الفرد اليومية إنما تعود إلى العامل العام بالدرجة الأولى ثم إلى عوامل أخرى أكثر تخصصاً هى العوامل الطائفية ثم العوامل النوعية . ومن خلال تجارب كثيرة نجد أن العامل العام يأتى دائماً فى المرتبة الأولى من الأهمية فى حين أنه فى بعض المواقف قد يتساوى فى الأهمية كل من العامل الطائفى أو الخاص والعامل النوعى وفى بعض المواقف الأخرى قد يسبق أحدهما الآخر فى الأهمية .

ولذلك فإننا نجد أن اختبارات الذكاء العامة مثل اختبار ستانفورد وبينيه أوترمان وميريل من الاختبارات ذات القدرة التنبؤية العالية فى الحياة

العامة بالنسبة للأطفال أو البالغين . فى حين أن اختبارات الذكاء المتخصصة يكون لها قدرة تنبؤية عالية فى ميادين التوجيه المهنى والتربوى .

وإكمالا للصورة فإن أهمية العوامل وظهورها عند إجراء عملية التحليل العاملى إنما تتوقف أيضا على تجانس العينة التى تجرى عليها الاختبارات . فعند إجراء اختبارات فى القدرة الميكانيكية وغيرها من القدرات على مجموعة من طلبة كلية الهندسة ومجموعة أخرى من طلبة كلية الآداب فإننا نجد أن ظهور العامل العام هنا لا يكون صحيحا أو حقيقيا لأن وجود الخبرة الهندسية عند طلبة كلية الهندسة جعلت أهمية العامل الخاص بالقدرة الميكانيكية يقترب من العامل العام من حيث الأهمية فى هذه المجموعة الأمر الذى لا يتوفر للمجموعة الأخرى من طلبة كلية الآداب .

وهناك نقطة أخرى يمكن أن تضيف جديداً إلى حوارنا الخاص بالأهمية النسبية للعوامل وهى خاصة بالعمر الزمنى لأعضاء العينة المستخدمة فى التجريب والتحليل . فقد كان هناك اتجاه كبير نحو اختلاف أهمية العامل العام باختلاف العمر الزمنى بحيث كلما زاد العمر الزمنى لأعضاء العينة كلما أدى ذلك إلى زيادة متوسط تشبع الاختبارات بالعامل العام .

ففى إحدى التجارب التى قام بها ويلايامز ١٩٤٨ على عينة من الأطفال كمجموعات سنية وجد الآتى :

العمر بالنسبة :	١٢	١٣	١٤
متوسط التشبع بالعامل العام :	٥١و	٥٦,	٦٢,

حيث أمكنه أن يعزز الاتجاه السابق .

إلا أن فرنون ومساعدوه يعارضون هذا الاتجاه — بناء على التجربة — ويقولون إنه ليس هناك أى اتجاه محدد يربط بين العمر الزمنى ومدى أهمية العامل العام .

ومما سبق يمكن لنا القول أن ما قصد إليه فرنون فى حواره ومناقشته

وبما قمنا به نحن من تفسير وتفصيل إنما يهدف إلى تعديل الفكرة الكلاسيكية عن التنظيم الهرمى للقدرات الانسانية فلا يمكن لنا أن نلتزم به تماماً حيث أن هناك بعض القدرات تغير من أهميتها حسب الموقف بمكوناته سواء كان ذلك الاختبار أو العينة التى تجرى عليها الاختبار .

وكذلك فإن مثل هذا التنظم لا يأخذ فى حسابه كثيراً من العوامل الأخرى مثل عوامل الشخصية والمزاج وغير ذلك .

بقى الآن أن نوضح موقف العامل الذى نتفق مع المدرسة الانجليزية فى وجوده وأهميته ألا وهو العامل العام .

قبل هذا التوضيح لا بد وأن نقول أن سبيرمان وأنصاره وتابعيه لم يتكلموا عن هذا العامل العام على أساس أنه الذكاء العام إلا فى بداية تأسيس النظرية أو عند تعديلها ولكن بعد ذلك كانوا يشيرون دائما إلى هذا العامل بالحرف g .

وأول هذا التوضيح هو ما ذهب إليه تومسون من أن العامل العام هذا ليس كمية ثابتة موروثة بل هو دالة مجموعة الارتباطات والروابط التى تعتمد على الخصائص النفسية الفسيولوجية للجهاز العصبى المركزى وبالتالى فإن هذا العامل العام سوف يتأثر عندما تتأثر هذه الروابط إذا ما تعرض الجهاز العصبى لأى عامل من عوامل الضرر أو الأذى أو حتى عوامل الكبر والشيخوخة ، وربما كان ذلك قريبا من أسس نظرية ديربورن وروتنى وفلمنج عن طبيعة النمو العقلى عند الانسان. وكذلك من نظرية فرنون وپارى عن طبيعة المثيرات العقلية التى تتولد عن المهنة أو الوظيفة التى يزاولها الفرد .

وكذلك من النظريات المختلفة والتى تختص باضمحلال الذكاء فى حالات الأمراض النفسية والعقلية الحادة .

وثانى هذا التوضيح هو أن هناك اتفاق بين المدرسة الأمريكية والمدرسة الإنجليزية على وجود هذا العامل من ناحية الوظيفة فقط ولكن ليس هناك

اتفاق بينهما على وجوده من الناحية البنائية. فكأن موقف العامل هنا موقف يتعلق بالتأثير أكثر منه بالكيان وعندما نتكلم عن المدرسة الإنجليزية فإننا نعني ذلك الرأى الذى يؤكد العامل العام من ناحية الوجود والوظيفة وأما المدرسة الأمريكية فهى ذلك الاتجاه الذى ينظر إلى العامل العام على أنه وظيفة فقط .

وأخيرا فإن موقف العامل العام أو كما بدأ به سبيرمان فى أوائل هذا القرن لم يتبدل كثيراً بل قد يكون قد اكتسب قوة كلما ظهرت هذه الدراسات والبحوث الموضوعية التحليلية لتؤكد وظيفته أولا وكيانه ثانياً .

النظرية التعويضة في القدرات :

هذه النظرية الخاصة بفكرة « التعويض » هى مجموعة آراء دارجة ظلت تتردد كثيراً فى أوساط غير المتخصصين حتى كونت خلفية ملموسة عند بعض المتخصصين . وخلاصة هذه الآراء أن قدرات الفرد منظمة تنظيما ثنائيا: أحد هذين الفرعين يختص بالنواحى النظرية الأكاديمية البحتة . والفرع الآخر يختص بالنواحى العملية الميكانيكية اليدوية . وكل من هذين الفرعين يشتق نشاطه ووظيفته من مصدر أساسى هو الذكاء العام . فإذا ضعف أحد الفرعين أو تعطل نشاطه فإن كمية الذكاء التى كان من المفروض أن تجرى فيه انتقلت إلى الفرع الآخر من أجل تعويض ذلك الضعف أو الخلل الذى أصاب الفرع الأول .

وتفسيراً لذلك فكثيراً ما نجد نظرة الناس إلى العاملين اليدويين تنطوى على أنهم أقل استعداداً للنواحى الأكاديمية النظرية من غيرهم . أو من جهة أخرى ينظر الناس إلى الرجل المشتغل بالمواد النظرية والأكاديمية على أنه غير قادر على العمل اليدوى أو الميكانيكى .

وشىء آخر يؤكد ذلك أيضا وهو كثيراً ما نلاحظ أنه عند فشل التلميذ فى المدرسة يأخذه الأبوان إلى مصنع أو إلى أى عمل يدوى ويتوقعون له

نجاحا وتفوقا فى مهنته العملية بقـــدر الفشل والتخلف الذى أصابه فى دراسته النظرية .

هذا رأى من الآراء الشعبية والذى كان له تأثير واضح فى الميادين المتخصصة حتى أن بيرت فى ١٩٤٣ وفرتون ١٩٥٠ يكذبان هـذا الزعم ويؤكدان خطأه عن طريق التجريب الموضوعى فقد ثبت أن الأطفال المتفوقون فى دراساتهم النظرية هم أيضا فوق المتوسط بوضوح بالنسبة لاختبارات القدرة الميكانيكية .

وهناك أيضا رأى آخر يقترب تماما من فكرة الأنماط الشخصية . وهذا الرأى مؤداه أن هناك أنماط من القدرات يتميز بها الأفراد فهناك الرجل الأكاديمى فقط والرجل اللغوى فقط والرجـــل الرياضى فقط وهكذا بالنسبة للنواحى العلمية كما أن هناك الرجل الذى يجيد العمل بيده أو بأصابعه وهكذا .

وأيضا نصيب هذا الرأى من الصحة لا يزيد عن نصيب الرأى السابق فقد ناقش سيرل بيرت هذا الاتجاه وأثبت خطأه بإشارة بسيطة إلى منهج التحليل العاملى عندما يجد بعض الاختبارات أو القدرات مشبع بأكثر من عامل خاص واحد حيث يدل ذلك على أنه من غير المعقول أن يكون الفرد ذا قدرة واحدة متميزة فقط ولكن قد يكون مثل هذا الفرد ينشط فى ميدان دون آخر نتيجة ميوله واهتماماته وليس نتيجة أنه نمط خاص من قدرة خاصة .

وبذلك نرى أن فكرة أو نظرية التعويض فى تنظيم القدرات وعلاقتها ببعضها البعض مرفوضة علميا سواء من قبل سيرل بيرت وهو يمثل المذهب الأصلى من المدرسة الانجليزية أو من قبل فرنون وهو يمثل المذهب الحديث المتطور من نفس المدرسة .

تصور جيلفورد لبناء القدرة الإنسانية:

قام جليفورد ومعاونوه بكثير من الدراسات العميقة الممتعة حول بناء القدرة الانسانية وكان ذلك فيمابين سنة١٩٤٥ وسنة١٩٦٦ بجامعة كاليفورنيا الجنوبيـة .

وانتهت هذه الدراسات إلى تصور خاص بقدرات الانسان حددجليفورد معالمه فى مهارة وقدرة .

بدأ جليفورد فروضه بتصنيف القدرات الانسانية حسب المعايير التالية:

(ا) العمليات السيكلوجية التى يمكن لنا أن نتصور أنها لب القدرة أو المنهج الذى يميز القدرة عن غيرها . وهذه العمليات هى التعرف ، التذكر ، التقييم ، الإنتاج الذهنى المتنوع ، الإنتاج الذهنى محدد الاتجاه .

(ب) نوع المادة أو المحتوى الذى يحدد القدرة مثل الحروف والأرقام والكلمات والمعنويات .

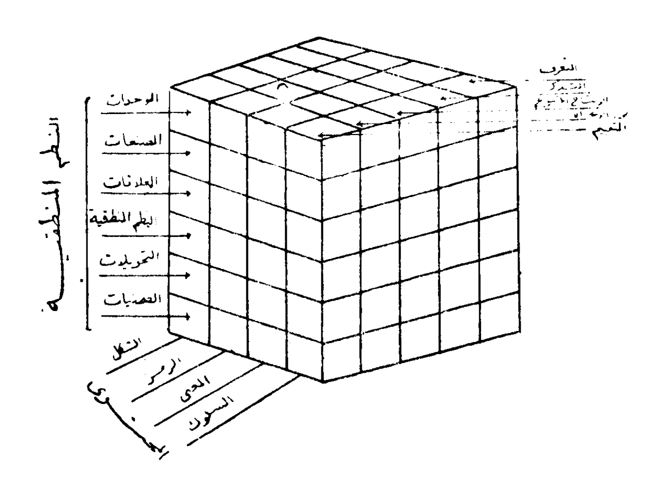
(حـ) تنظيم المعلومات وشكل العلاقات السائدة بين هذه المعلومات فقد يتم تنظيم هذه المعلومات على هيئة مصنفات مستقلة أو نظم منطقية أو مجرد علاقات أو قد تحول المعلومات إلى صورة أخرى مختلفة .

ويقول جليفورد ومعاونوه أن العمليات السيكلوجية عددها خمسة ، وأنواع المادة أو المحتوى عددها أربعة ، كما أن أنواع التنظيم ستة . وبناء على هذا الافتراض تصور جليفورد عوامل القدرات . انظر (ص ٣٤٢) .

ويكمل جيلفورد تصوره هذا بأن يقول أنه طالما هذه العناصر مستقلة عن بعضها البعض فإنها سوف تنتج عدداً كبيراً من القدرات الذى يساوى ٥ × ٤ × ٦ = ١٢٠ التى تمثل أبعاد هذا الشكل الثلاثى .

وقد ثنى على هذه النظرية جوتمان (١٩٦٥) وهمفريز (١٩٦٢) ، ولـكن يمكن لنا أن نسأل بعد عرض هذه النظرية لماذا يختار جيلفورومعاونوه

هذا الشكل الثلاثى بالذات وما الذى ينطوى عليه هذا الاتجاه ؟ لماذا لم يكن هذا الشكل خماسياً أو سداسياً أو ثنائياً مثلا ؟



يرد ميريفيلد سنة ١٩٦٦ — وهو أحد أتباع جيلفورد وأنصاره — على هذا التساؤل ويقول إن الشكل الثنائى ليس كافياً لأن يوضح الاختلافات والاحتمالات المتوقعة بين هذه العناصر بعضها وبعض كما أن الشكل الرباعى أو الخماسى أكثر من الضرورى لتوضيح هذا التباين والاحتمال وعليه فإن الشكل الثلاثى هو أنسب الأشكال لتصوير هذه العلاقات . . ! !

نعود مرة أخرى إلى تصور جيلفورد لنستعرض العمليات الخمسة التى هى الأساس الأول فى تصنيف القدرات . فنجد أن المقصود بالتعرف Cognition هو الإدراك المعرفى للأشياء أى الفهم والتفسير المبنى على الخبرة والتعلم ومعالجة المسائل والمفاهيم .

فى حين أن الذاكرة أو التذكر تعنى كما هو واضح استعادة العلاقات بين الأحداث والوحدات أوتذكر هذه الأحداث وهذه الوحدات دوناستدعاء

أو استعادة هذه العـــلاقات . وكذلك نجد أن المقصود بالإنتاج المتعدد أو المتنوع هو القدرة على معالجة المسائل والمشاكل التى لا يكون لها بالضرورة حل واحد صحيح بل قد يكون لها أكثر من حل أو اتجاه وذلك غير الإنتاج المحدود الاتجاه الذى يبنى على القدرة على معالجة المسائل اعتماداً على معلومات سابقة لابد وأن تؤدى بالضرورة إلى حل واحد صحيح .

وأما بالنسبة للتقييم فهى عملية مقارنة إدراكية للأشياء حيث تعطى الفرد قيمة لما يلاحظه من أشياء بالنسبة إلى إطار مرجعى خاص كونه نتيجة الخبرة والمعرفة أو بمعنى آخر هى عملية قياس للمعلومات فى ضوء مقياس أساسى هو إطار الخبرة والمعرفة .

ويمضى جيلفورد ومعاونوه فيقولون أن كل عملية من هذه العمليـات الخمسة يمكن أن يتـكون بنـاء عليها أربعة وعشرون نوعا من القدرات يوضحونها كما فى المثال التالى : (عن العملية المعرفية) :

	(١) الشكل ك	(٢) الرمز م	(٣) المعنى ع	(٤) السلوك س
١) الوحدات ح	ف ك ح	ف م ح	ف ع ح	ف س ح
٢) المصنفات ص	ف ك ص	ف م ص	ف ع ص	ف س ص
٣) العلاقات ں	ف ك ں	ف م ں	ف ع ں	ف س ں
٤) النظم المنطقية ل	ف ك ل	ف م ل	ف ع ل	ف س ل
٥) التحويلات ت	ف ك ت	I	ف ع ت	ف س ت
٦) الضمنيات ه	ف ك ه	ف م ه	ف ع ه	ف س ه

ملحوظة : الحروف المرافقة لكل كلمة هى حروف رمزية مع ملاحظة أن العملية المعرفية سوف يرمز إليها بالرمز ف .

ولتوضيح محتويات هذا الجدول نأخذ المثال التالى :

إذا كانت هناك عملية معرفية (ف) استخدمها الفرد فى معالجة رموز (م) من أجل تكوين وتنظيم المعلومات (الرموز) على هيئة وحدات (ح) تكون القدرة أو العامل العقلى المنظم لهذه العملية أو الناتج منها يرمز له بالرمز ف م ح .

وبناء على هذا المثال يمكن تفسير المسميات الرمزية الموجودة فى خلايا الجدول الأربع والعشرين .

ولكن هناك خلية واحدة تستلزم توضيحا خاصا وهى الخلية المحصورة بين العمود رقم (٢) والصف رقم (٥) حيث يوجد الرمز I فى هذه الخلية .

ويوضح جيلفورد ذلك بأن جميع الخلايا التى فيها رموز واضحة ومفهومة قد استخلصت العوامل العقلية المناظرة لها إلا تلك الخلية فإن العامل المناظر لها ما زال تحت الدراسة والبحث .

وإذا أخذنا أيضا عملية أخرى من العمليات الخمسة السابقة غير العملية المعرفية وذلك مثل عملية التقييم أو عملية الإنتاج المتنوع فإننا سوف نجد عدداً لا بأس به من الخلايا ما زال بلا عوامل عقلية محددة مما يغرى الباحث فى ميدان القدرات أن يقوم بكثير من الدراسة المثمرة المنتجة مع ملاحظة أن جيلفورد ومعاونوه ظلوا يعملون زهاء عشرين عاما من أجل الوصول إلى هذه المجموعة من الجداول .

ولكن على الرغم مما يبدو لأول وهلة فى هذا التصور من عمق وعلمية وموضوعية — رغم بعض المآخذ البسيطة من الناحية الشكلية — إلا أن فرنون سنة ١٩٦٤ يقول إن معظم العوامل التى يتكلم عنها جيلفورد هى عوامل نوعية جداً ولا يمكن التعرف عليها لذاتها — كما سبق أن أشرنا — وإنما عن طريق المحتوى التى تمارس فيه .

ولهذا فإنه لابد من أن ننظر دائما إلى محتوى الدراسة ومقوماتها قبل أن نحكم عليها بمجرد الشكل والانطباع .

تصور كاتل لبناء القدرة الإنسانية:

كاتل هو أحد الدارسين الأمريكيين الذين أسهموا فى السنوات الأخيرة فى القفزات الأصيلة التى قفزها علم النفس بمعظم فروعه . وكاتل تلميذ سابق تعلم فى مدرسة سبيرمان ولذلك فإن تصور كاتل القدرة الإنسانية نتاج ومحصلة لتفاعل المدرستين الانجليزية والأمريكية معاً .

لذلك نجد أن كاتل يؤمن بوجود العامل العام الذى أشار إليه سبيرمان (ولكن كعامل من الدرجة *الثانية*) وفى نفس الوقت يعتقد أنه يمكن الوصول إلى مكونات القدرة عن طريق التنظيم الذى اقترحه ثرستون فى شأن القدرات الأولية . وذلك باستخدام الطريقة البسيطة التى ابتدعها ثرستون فى التحليل العاملى .

ونجد كاتل أيضا يتكلم عن نوعين مختلفين من الذكاء العام هما :

(ا) الذكاء المتبلور أو القدرة العامة المتبلورة : وهى دالة الأداء المعرفى الذى تكون فيه المهارات السلوكية قد سبق وتحددت عن طريق عوامل ثابتة . وذلك مثل العوامل العددية واللفظية .

(ب) الذكاء السائل أو القدرة العامة السائلة : وهى دالة الأداء الذى تكون فيه المهارات السلوكية على درجة من المرونة والتكيف للمواقف الجديدة على الفرد .

وكاتل فى هذا يتعاطف مع هب (١٩٦٦) عندما يقسم الذكاء إلى ذكاء (ا) وذكاء (ب) . وكذلك نيولاند (١٩٦٢) الذى يميز فى القدرة الفطرية العامة بين العملية والنتيجة .

قد نكون على حق ونحن فى نهاية هذه الفقرات من هذا الجزء الخاص ببناء القدرات الانسانية عندما نتصور القارىء يسأل الآن ما هو كنه الخلاف بين المدرسة الأمريكية والمدرسة الانجليزية ؟ وأيهما أفضل فى تفسير بناء

القدرات ؟ وعلى ذلك فإننا سوف نتولى الإجابة على هذين السؤالين وغيرهما فى الفقرات التالية مستعينين فى ذلك بأهم العلامات المميزة فى الجانبين وكذلك الدراسات الأصيلة والمبتكرة التى ظهرت فى بريطانيا وفى الولايات المتحدة الأمريكية .

— ليس هناك من شك فى أن الخلاف الأصلى بين المدرستين يعود إلى مفهوم كل منهما عن العامل العام . إذ أنه ليس هناك مشكلة من الناحية الرياضية البحتة سواء كانت طريقة العوامل الطائفية أو طريقة العوامل المتعددة فكلاهما صحيح من الناحية الحسابية . والأهم من ذلك أن مصفوفة معاملات الارتباطات واحدة فى الحالتين .

ولكن نجد فى حالة المدرسة الانجليزية اعترافا واضحاً بالعامل العام مع إعطائه الأهمية الأولى فى بناء القدرة حيث يتبعه العوامل الأخرى الطائفية أو الخاصة ثم العوامل النوعية .

وأما فى حالة المدرسة الأمريكية فنجد أن هناك احتمالين : أما أن يعتبر هذا العامل العام عامل من الدرجة الثانية — أى ليس قدرة أولية — أو إذا كان الأمر ملحاً ولا يمكن تجاهله فإنه يوضع عاملا من الدرجة الأولى ولكن مع إعطائه أقل أهمية ممكنة .

وواضح من هذا أن الخلاف كما سبق أن قلنا ليس فى وظيفة العامل العام بقدر ما هو فى وضعه وكيانه وأهميته .

— وامتدادا لهذا الحوار الخاص بأهمية العامل العام وحجمه بطبيعة الحال أو كمية تشبع المقاييس المستخدمة بهذا العامل ، فإننا نقول أن حجم هذا العامل العام الذى يعتبر مظهرا أساسيا من مظاهر الخلاف بين الانجليز والأمريكان إنما يعتمد على طريقة اختيار العينة .

ففى العينات المنتقاة (ويقصد بذلك العينات المتجانسة المتشابهة من ناحية خلفية الخبرة والتدريب والمران) نجد أن حجم العامل العام قليل وذلك

كما سبق أن أوضحنا وقلنا أن العوامل الخاصة تكتسب أهمية أكثر بناء على تعضيد عناصر الخبرة والمران وبذلك تقل أهمية العامل العام .

فى حين أن العكس يمكن أن نتوقع حدوثه عندما تكون العينة غير منتقاة حيث يزداد حجم العامل العام والتالى تزداد أهميته .

(سبق أن أعطينا المثال الخاص بمقارنة طلبة كلية الهندسة وكلية الآداب) .

وبذلك لو نظرنا إلى معظم الدراسات الأمريكية نجد أن العينة فى كل منها منتقاة أى من النوع الأول حيث يقل حجم العامل العام وبالتالى تقل أهميته فأهم الدراسات فى هذا الميدان دراسات جيلفورد وهذه أجريت على مجموعات من الطيارين أو على مجموعات من طلبة الجامعة (حيث يكون الانتقاء كأعلى ما يكون) .

ولكن معظم الدراسات البريطانية باستثناء دراسة فرنون فى الجيش البريطانى — ولو أنها أبدت نفس الاتجاه — كانت تجرى بين أطفال المدرسة الابتدائية حيث لا يكون هناك انتقاء أو تجانس يعود إلى خبرة أو مران أو تدريب مشترك بين هؤلاء الأطفال .

ولذلك فإن هذا يعطى تفسيراً مبدئيا للخلاف بين المدرستين حول حجم وأهمية العامل العام .

— إكمالا لهذه الصورة لابد وأن يكون هناك فرق بين العامل الطائفى أو الخاص الذى تضعه المدرسة الانجليزية فى المرتبة الثانية بالنسبة للعامل العام وبين أحد العوامل المتعددة التى تحدث عنها ثرستون والتى وضعها جميعاً فى نفس الدرجة من الأهمية تقريباً .

إن الفرق بينهما يعتمد على أن كلا المدرستين يؤمنان بوظيفة العامل العام ولذلك فإن العامل الخاص أو الطائفى من وجهة نظر المدرسة الانجليزية هو عامل له كيانه الخاص وفى أحسن حالاته يكون بعيداً عن كل من العامل العام والعامل النوعى غير مختلط بأى منهما .

وأما العامل المتعدد (أحد العوامل المتعددة) من وجهة النظر الأمريكية عامل أيضاً مستقل وله كيانه ولكنه فى أحسن حالاته يكون مختلطا بالعامل العام بعيداً عن العامل النوعى وهذا ما سبق الإشارة إليه من حيث أن عدم ظهور العامل العام فى بعض هذه الدراسات ليس معناه عدم وجوده ولكن هناك احتمال أن يتوزع هذا العامل على بقية العوامل الأخرى (فرنون عام ١٩٥٠) .

— ونقطة أخرى يزعمها بيرت وبعض معاونيه عندما يقولون إن العوامل الطائفية أكثر ثباتاً واستقراراً من العوامل المتعددة . حيث أن هذه الأخيرة أى العوامل المتعددة أكثر عرضة للتأثر باختلاف العينة من حيث الحجم أو التركيب أو باختلاف الاختبارات والمقاييس المستخدمة . والحقيقة أن هذا زعم يصعب إثباته والتأكد من صحته ولذلك فإننا نجد أن عدداً من الباحثين الأمريكيين يردون بصورة عملية على هذا الزعم فيضمنون حوالى مائة من العوامل المتعددة المستخلصة بطريقة ثرستون باستخدام مجموعات مختلفة من الاختبارات وعينات متباينة كذلك .

— وهذه نقطة أخرى سبق الإشارة إليها فى إيجاز وهى أنه ليس هناك اختبار واحد يقيس عاملا واحداً فقط . فمهما بلغت دقة الإخصائى ومهارته فى بناء الاختبار فإنه ليس من الممكن — حتى الآن على الأقل — بناء اختبار يقيس عاملا واحداً فقط .

وبمعنى آخر فإن الزعم الأمريكى عن العوامل المتعددة بأنها عوامل أولية أو عناصر عقلية بحتة — كما يقول ثرستون — هو أمر غير صحيح فإنها ولا شك قابلة للانقسام إلى عناصر أكثر نوعية وهذا ما قام به فعلا بعض الباحثين الأمريكيين أنفسهم مثل جيلفورد فى تحليله للقدرة على القصور البصرى المكانى ودافيز ولانجسام فى تحليلهما للقدرة على القراءة .

وهكذا نستطيع أن نقول أننا فى إيجاز حاولنا إظهار بعض نقاط الخلاف

بين المدرسة البريطانية والمدرسة الأمريكية حتى تتضح الصورة للقارىء ويصبح أكثر ألفة بالنسبة لزوايا موضوع التحليل العاملي .

وأما عن السؤال الثاني أي : أي هاتين المدرستين أفضل ؟ فني الواقع ليست هناك إجابة مباشرة على مثل هذا السؤال . ولكن مما لا شك فيه أن الإسهامات التي قدمها الانجليز والأمريكان كانت ولا تزال الطاقة والإمكانية التي تتقدم بها نظريه بناء القدرات سواء في هذه البلاد أو تلك .

وهذا في الواقع عرض مبسط لنظرية بناء القدرات من شتى نواحيها وزواياها إلا أن هناك بعض التطبيقات الخاصة بالقدرات المختلفة مثل وصف بناء القدرة اللغوية والقدرة النفسحركية والقدرات البدنية والمهنية وقدرات التصور والإدراك وغير ذلك .

وهذه التطبيقات الوصفية يمكن الرجوع إليها بالتفصيل في مصادر أخرى .

ثالثاً ـ قياس القدرات الإنسانية :

يعتبر موضوع قياس القدرة الإنسانية ذا أهمية خاصة في ميدان علم النفس عموما وفي ميدان القياس النفسي على وجه الخصوص وذلك لسببين :

أولهما : أن قياس القدرة سوف يؤدي إلى معرفة عناصرها ومحدداتها بصورة أكثر دقة وموضوعية وذلك إذا كانت أداة القياس دقيقة ومحكمة . ولذلك فإن عملية قياس القدرة كثيراً ما تؤدي إلى توضيح بنائها وتركيبها وكذلك علاقتها بالقدرات الأخرى من الناحية الكمية والكيفية .

وثانيهما : أن قياس القدرة الإنسانية سوف يساعد الإخصائيين في ميدان التوجيه التربوي والتوجيه المهني والوظيفي وكذلك في ميدان علم النفس الإكلينيكي . وهذه الميادين لها أهمية حيوية سواء في الناحية الأكاديمية البحتة أو الناحية التطبيقية العملية .

لذلك فإن معالجتنا لموضوع قياس القدرة الإنسانية سوف تكون معالجة

نظرية تطبيقية : نظرية حيث تستعرض أهم المشاكل وتناقشها من زوايا مختلفة متعددة ، وتطبيقية فتصف الطرق والوسائل الممكنة لقياس القدرة .

فإنه مما لا شك فيه أن المشاكل التى تكتنف موضوع قياس القدرة هى إما مشاكل عامة تتصل بمنهجية القياس ومحتواه كمذهب مستقل من مذاهب علم النفس أو مشاكل نوعية تتصل بعنصر القدرة ومكوناتها .

والمشاكل العامة التى يجب أن تطرح على البساط البحث فى هذا المجال لابد وأن نتوقع أنها تتصل بالسؤال الأساسى ماذا نقيس ؟ وما هى تلك القدرة أو السمة التى نستخدم من أجل تقديرها أداة معينة نسميها الاختبار ؟ وهل هذه الأداة التى نستخدمها تقيس فقط — فرضا — تلك القدرة أو السمة؟ أم أنها تقيس أيضاً مع هذه القدرة بعض الشوائب والمخالطات الأخرى ؟

هذه الأسئلة وغيرها تنطبق على كل موضوع مستقل فى القياس . فهى تنطبق على قياس الذكاء والقدرات وقياس الشخصية وقياس الاتجاهات وكل عملية قياس يمكن أن تجرى من أجل تقدير ظاهرة نفسية معينة .

ونعود فنقول أن مثل هذه الأسئلة يمكن أن نحولها إلى أسئلة فنية أى باستخدام مصطلحات القياس فى علم النفس . وبذلك تصبح مشكلة القياس فى القدرات هى مشكلة القياس فى كل ميدان آخر وعلى سبيل التحديد تصبح هناك مشكلة الصدق أو الصحة وكذلك مشكلة الثبات . وقد سبق أن تعرضنا لهذين المفهومين من وجهة نظر مقاييس الشخصية والآن نتعرض لهما من وجهة نظر مقاييس القدرات .

قلنا إن صدق الاختبار أو صحته يعنى ثلاثة مفاهيم أساسية :

(ا) أن يقيس الاختبار ما هو مفروض أن يقيسه . أى أن يكون مقياس القدرة اللغوية على سبيل المثال قادراً على قياس المهارات اللغوية واللفظية التى تمثل عناصر القدرة اللغوية . وهنا تبرز المشكلة الأساسية التى

تواجه كل إخصائى عندما يحاول قياس قدرة ما وهى كيفية تحديد هـــذه المهارات والعناصر .

قد يتبادر إلى الذهن أن هذا أمر ليس صعباً تحقيقه إذ أنه من الممكن أن يكون الفاحص متخصصاً فى اللغة مثلا فيقوم نتيجة خبرته بإعداد قائمة بالعناصر والمهارات التى تمثل عناصر هذه اللغة ويقوم بنـاء على ذلك باقتراح بنود الاختبار الذى يفترض هو أن يقيس اللغة .

ولكن ماذا يكون الوضع عندما يتم تطبيق هذا الاختبار على مجموعة من الأفراد من غير الذين اعتادهم ذلك الأخصائى ثم ماذا سيكون عليه انطباع أخصائى آخر فى اللغة . إذ أنه ليس من غير المتوقع أن يختلف كلا الأخصائيين بالنسبة لأهمية المهارات والعناصر التى يفترضها أحدهما . ثم أنه من المتوقع أيضاً أن يختلف معهما أخصائى ثالث وهكذا .

ولذلك فإنه من الأهمية بمكان كبير أن ينجح الأخصائى فى تحديد عناصر ومهارات القدرة التى يريد أن يقيسها .

وهناك طريقة يقترحها المؤلف سبق له استخدامها فى بناء بعض الاختبارات النوعية . وتتلخص هذه الطريقة فى أن يقوم الفاحص بإعداد أكبر عدد ممكن جمعه من العناصر والمهارات التى يعتقد أنها تنتمى إلى قدرة معينة ثم يقوم بطرح هذه العناصر على مجموعة من الأخصائيين ويطلب منهم إضافة أو حذف ما يرونه من عناصر . كما يطلب منهم أيضاً ترتيب هذه العناصر حسب أهميتها بالنسبة لهذه القدرة — وذلك من وجهة نظرهم كأخصائيين . بذلك يكون قد أمكن للأخصائى أن يحصل على قائمة شبه مقننة تحوى المهارات والعناصر التى تشير إلى هذه القدرة أو تلك .

وبناء على هذه القائمة يقوم الأخصائى باقتراح البنود التى تقيس العناصر والمهارات السابقة آخذاً فى اعتباره الأهمية النسبية لكل عنصر من العناصر حسب وزنه وترتيبه .

(ب) أن يكون الاختبار قادراً على أن يميز بين القدرة التى يقيسها وبين القدرات الأخرى . بمعنى أن يكون اختبار الذكاء العام مثلا قادراً على أن يميز بين هذه القدرة وبين القدرة اللغوية أو القدرة الرياضية أو القدرة على التصور البصرى المكانى . والحقيقة أن هذه الخاصية تمثل مشكلة يتحتم علينا أيضاً للوهلة الأولى أن نعطيها وزنها وأهميتها .

فقد وضح من مناقشة بناء القدرات فى الجزء السابق من هذا الفصل مقدار تداخل العوامل مع بعضها البعض إلى الدرجة التى يصعب معها كما يقول فرنون وغيره من رواد القياس أن نتصور أن هناك اختبارا واحدا يقيس قدرة واحدة أو عاملا واحدا فقط .

فنى اختبار للذكاء العام لابد وأن يكون الوسط الذى ينتقل فيه محتوى البند هو اللفظ أو الشكل وبمعنى آخر سوف تكون وسيلة الاتصال بين الاختبار والمفحوص هى اللغة والرموز .

ولا يمكن لنا أن ننسى أهمية ذلك الوسط أو تلك الوسيلة فهى مما لاشك سوف تؤثر بالضرورة على كيفية إدراك المفحوص لمحتوى هذا السؤال أو ذلك ، الأمر الذى يجعلنا نأخذ فى حسابنا دائما أن مثل هذا الاختبار قد يقيس أكثر من قدرة واحدة فى وقت واحد .

وقد يظن القارىء استنتاجا أن مثل هذه الصعوبة تتمركز فعلا فى اختبارات الذكاء حيث أنه قدرة فطرية عامة أو عامل له علاقة موجبة ببقية العوامل العقلية الأخرى .

ولكن هذا غير صحيح . فإن هذه المشكلة أو هذه الصعوبة تبدو واضحة أيضا فى الاختبارات التى نظن أنها تقيس عوامل مستقلة عن بعضها البعض . فعلى سبيل المثال عند تقدير أو قياس القدرة الرياضية لا يكون الرقم فقط هو الوسيلة التى يتخاطب بها الاختبار مع المفحوص . ولكن لابد من

استخدام اللغة أيضا وكذلك الحال بالنسبة لاختبار يقيس اللغة فإن الاستنتاج أو الإستنباط — وهو أحد عناصر القدرة الرياضية — لابد وأن يتدخل فى اختبار اللغة .

وعليه يجب أن نقول أن الأخصائى لابد وأن يأخذ فى اعتباره تداخل العوامل مع بعضها البعض . ونحن لا نستطيع أن نزعم أنه حتى الآن يمكن أن تكون هناك طريقة لتنقية اختبار ما حتى يصبح مقياساً أصيلا لقدرة واحدة فقط . ولكن ما يمكن لنا أن نقترحه هو أن نستخدم منطق الإزالة عن طريق تقليل الأثر أو بمعنى آخر فى اختبار لقياس القدرة الرياضية مثلا يقوم الأخصائى بتثبيت جميع العوامل الأخرى إلا عامل القدرة الرياضية بعناصره ومهاراته.فإذا كان من المتوقع أن يتداخل عامل اللغة مثلا فيكون على الأخصائى أن يجعل لغة الاختبار فى متناول كل فرد سوف يقوم بقياس قدرته الرياضية فيكون التباين فى هذه الحالة يعود إلى اختلاف الأفراد فى القدرة الرياضية فقط حيث أنه ليس هناك اختلاف بينهم فيما يخص القدرة اللغوية أو عامل اللغة .

وهناك طريقة أخرى يمكن للأخصائى بها أن يبحث فى وحدة الاختبار أو قدرته على أن يميز بين ما يقيسه من قدرة وبين أى قدرة أخرى . وهذه هى طريقة التحليل العاملى حيث يعتبر الاخصائى بنود الاختبار المختلفة كما لو كانت اختبارات مستقلة بذاتها ويبحث من خلال عملية التحليل هذه عن العوامل التى تربط هذه البنود بعضها البعض .

(ج) أن يكون الاختبار قادراً على أن يميز بين طرفى القدرة التى يقيسها بمعنى أن يكون المقياس مميزاً بين هؤلاء الذين يتقنون هذه القدرة وهؤلاء الذين لا يجيدونها فيكون حساساً عند الطرفين. فلو كان هذا المقياس اختبارا فى القدرة الرياضية فلابد أن يكون دقيقا فى التمييز بين ذوى القدرة العالية وذوى القدرة الضعيفة .

هذا كحد أدنى لصدق المقياس أو صحته . وبالتالى كلما توفرت هذه الدقة فى التمييز بين ذوى القدرة المتوسطة أى ما بين الطرفين كان المقياس أكثر صحة وصدقا .

والحقيقة أن اختبارات أو مقاييس القدرات لابد وأن تتوفر فيها مثل هذه الدقة وذلك عن طريق تأكيد دقة البنود وقدرتها على التمييز من حيث السهولة أو الصعوبة .

هذه النقاط الثلاثة (ا ، ب ، ج) تمثل التصور الذى نعتقده أو نأخذ به بالنسبة إلى صحة أو صدق الاختبار . ولكن قد يكون هناك مدخل آخر .

يتمثل هذا المدخل أصلا وأساسا فى الربط بين الاختبار وبين الأهداف التى يتحتم عليه أن يحققها ، وهذا المدخل استرشد به كل من فرنش وميخائيل فى حوارهما حول أهم مشاكل الصدق والصحة فى اختبارات القدرات (١٩٦٨) .

يقول الباحثان أن هناك أهدافاً عديدة ومتنوعة يمكن تحقيقها عن طريق اختبار أو مقياس القدرة . ولكنه دائما نجد أن هذه الأهداف غالبا ماتنتمى إلى بعض أو كل الثلاث نقاط التالية :

(ا) أن يكون هدف المقياس هو تقدير الوضع الحالى للفرد بالنسبة لقدرته الخاصة . أو بمعنى آخر قياس قدرة الفرد فى موقف واحد أو عدة مواقف ومقارنته بغيره من الأفراد .

(ب) أن يكون هدف المقياس هو التنبؤ بوضع الفرد مستقبلا بناء على على ما يعطيه حاليا من درجات أو ملاحظات .

(ج) أن يكون هدف المقياس هو معرفة (كمية القدرة) التى لدى الفرد وذلك من الناحية الفرضية البحتة .

وبناء على ذلك فقد أشار — الباحثان إلى ثلاثة معاملات للصدق هى

معامل صدق المحتوى ومعامل صدق المحك ومعامل صدق البناء . والواقع المجال لا يتسع هنا لمناقشة هذه المعاملات مناقشة نقدية دقيقة . وكذلك فإن هذا المدخل بالنسبة لدراسة مشاكل الصدق عن طريق ربط الاختبار بأهدافه وأغراضه مدخل لا نحبذه كثيراً ولا نميل إليه لأن الاختبار قد تتعدد أهدافه والأمر متروك للباحث فقط أن يحدد الغرض الذى يرمى إليه من استخدام اختبار له بناء معين وتركيب خاص .

والمشكلة الثانية التى تستحق المناقشة والاستعراض بل تطرح نفسها لذلك تلقائيا هى مشكلة ثبات الاختبار أو خلو نتائجه من أخطاء الصدفة أو أى شوائب أخرى .

وهذه المشكلة فى بناء القدرات لابد وأن ينظر إليها نظرة خاصة تختلف عن نظرتنا إليها فى ميدان الاتجاهات أو خصائص الشخصية ، وذلك لاننا قد نتوقع أن يحدث شىء من التغيير فى الطريقة التى يعبر بها الفرد عن اتجاهاته أو خصائص شخصيته . وكثير من الباحثين يعتبرون تعبير الفرد عن خصائص شخصيته هو فى الواقع تعبير عن اتجاهه نحو هذه الخصائص — ولكن نحن لا نتوقع أن يحدث شىء من التغيير فى طريقة أداء الفرد بناء على قدرة عقلية معينة — على الأقل بنفس المدى أو الدرجة .

وطالما أن ثبات درجات القياس يتعلق إلى حد كبير بثبات الطريقة التى يعبر بها الفرد عن قدرته أو اتجاهه فإننا لا بد وأن نتوقع أن تكون اختبارات القدرات أكثر ثباتا واتساقا من أى مقاييس أخرى .

وهنا تصبح المسألة الاساسية أمام مقاييس القدرات هى التعرف على مصادر أخطاء الصدفة من أجل التغلب عليها ومعالجتها للوصول بنتائج القياس إلى أعلى درجة ممكنة من الثبات ويمكن أن نشير هنا إلى بعض المصادر التى تعتبر ذات أهمية خاصة فى إنتاج أخطاء الصدفة :

(ا) تباين استجابات المفحوصين بنـــاء على أى تغيير فسيولوجى أو سيكلوجى قد يعود إلى تغير فى مستوى الجهد أو الدافعية أو الاستعداد.

والحقيقة أن مثل هذا المصدر يمثل تأثيراً كبيراً على نتائج الاختبار وخاصة بين الأطفال والمراهقين الذين يحكم أداءهم كثير من العوامل الفسيولوجية والعوامل النفسية بدرجة أكبر من الأفراد البالغين.

(ب) التباين الذى يعود إلى اختلاف محتوى الاختبار أو الظروف التى تحيط بموقف الاختبار فى حدذاته ومن ذلك التفاعل بين الفاحص والمفحوص وهذا العامل له وزنه الواضح فى اختبارات الأداء الفردية أى تلك التى يتم إجراؤها فى مقابلة شخصية يحكم ظروفها الانطباع الذى يتركه الفاحص فى نفس المفحوص وكذلك اثر مادة ومحتوى الاختبار على المفحوص ونوعية استجابته لهذا المحتوى . فقد لوحظ فى بعض التجارب أن طريقة أداء الأفراد واستجاباتهم بالنسبة لاختبارات القدرة تختلف باختلاف محتوى هذا الاختبار أو ذاك . وكذلك طريقة عرض هذا المحتوى .

(حـ) التباين الذى يعود إلى الاختلاف فى طريقة الإجراء والتطبيق . وهذا نوع من مصادر أخطاء الصدفة التى تقود إلى مصادر أخرى . فقد تكون الطريقة التى تم بها إجراء الاختبار فى المرة الأولى تختلف عن الطريقة التى يجرى بها فى المرة الثانية . ومجرد هذا الاختلاف يؤدى إلى إحداث تباين خطأ له قيمته ووزنه .

(د) التباين الذى يعود إلى أخطاء الملاحظة أو أخطاء التصحيح (أى إعطاء الدرجات للمفحوصين) أو أخطاء قراءة أو معالجة هذه الدرجات .

ولذلك يجب أن نضع أمام الباحث حقيقة جوهرية وهى أن « تعيين

معامل ثبات اختبار القدرة إنما يعتمد بالدرجة الأولى على تعيين وتحديد مصادر أخطاء الصدفة والفصل بينها ، كما أنه أيضاً يجب أن نضع أمام الباحث حقيقة أخرى ذات أهمية ملموسة وهى « أنه ليس هناك معامل ثبات خاص بالاختبار كما هى الحال بالنسبة لمعامل الصدق أو الصحة ولكن ما نسميه معامل ثبات الاختبار إنما هو فى الواقع معامل ثبات درجات مجموعة من الأفراد على هذا الاختبار وبالتالى فإن معامل الثبات إنما يتعلق بالمجموعة التى تجرى عليها الدراسة أكثر من تعلقه بالاختبار فى حد ذاته .

وهناك حقيقة ثالثة يجب أيضا أن توضع أمام الفاحص وهى أن درجة ثبات الدرجات تعتمد على مدى توزيع هذه الدرجات . فكلما كان هذا التوزيع واسعا كلما ارتفع معامل الثبات . والعكس صحيح .

وأخيراً فإن موضوع ثبات درجات اختبار القدرة من المواضيع الأساسية الحيوية التى يجب أن تنال اهتمام الفاحص عند محاولته قياس قدرة من القدرات . إذ أن ثبات الاختبار وكذلك صدقه وصحته من أهم ملامحه الرئيسية .

والمشكلة الثالثة غير الصدق والثبات والتى يجب أن تنال منا قسطا من المناقشة والتوضيح هى مشكلة آثار العوامل الحضارية والثقافية فى اختبارات القدرات . وهذا الموضوع ربما يثير انتباه القارىء أنه برز فى ميدان قياس القدرات فقط .

والحقيقة أن حركة قياس الذكاء مثلا أو بعض القدرات الخاصة قد اتخذت شكلا مقارنا أوسع بكثير من أى حركة قياس أخرى . فقد نشرت عدة دراسات ذات أهمية وأصالة واضحة تقارن بين ذكاء المجتمعات المختلفة . وكان معظم هذه الدراسات للرد على سؤال معلن أو غير معلن وهو السؤال الخاص بعظمة وعلوية بعض الشعوب ودونية بعض الشعوب الأخرى .

وبناء على مثل هذه الدراسات وغيرها أنشئت عدة اختبارات تسمى

« الاختبارات الخالية من العوامل الحضارية » والمقصود بمثل هذه الاختبارات أن تكون خالية من أثر اللغة وكذلك آثار المقومات الحضارية والثقافية الأخرى .

وهناك توضيح لا يجب إغفاله وهو أنه طالما أن اختبار القدرة يقيس مهارة معينة ، وطالما أن هذه المهارة — وبالذات من الناحية السلوكية — سوف تحدد وضع الفرد بالنسبة لهذه القدرة ، وطالما أن هذه المهارة قد نمت وتطورت وتبلورت من خلال عملية التعلم التى تتم فى إطار حضارة معينة وثقافة محددة . وعليه فإن إطار الحضارة الذى يحدد طقوس عملية التعلم سوف يحدد خصائص مهارة الفرد ومن ثم يحدد أداءه ووضعه بالنسبة لقدرة معينة . ولهذا يصبح موضوع الاختبارات الخالية من العوامل الحضارية Culture-free tests أقرب إلى الوهم والخيال منه إلى الحقيقة والواقع لأنه ليس من المعقول أن أجرد مهارة الفرد وقدرته من الخصائص الثقافية والحضارية لها . تلك الخصائص التى تمثل النسيج الأساسى لهذه القدرة والمهارة .

ففى دراسة مبدئية ميدانية قام بها مصطفى فهمى وآخرون ١٩٥٤ لدراسة مستوى النمو العقلى بين قبائل الشيلوك فى جنوب مصر وجد أن الدرجة المتوسطة بين أطفال هذه القبائل فى أحد اختبارات الأداء أقل من الدرجة المتوسطة بين الأطفال الأوروبيين من نفس العمر الزمنى . كما وجد أيضا أنه فى اختبار آخر يشبه اختبار بناء المكعبات ولكن الألوان الزاهية المتنوعة تغلب على وحداته — وجد أن هؤلاء الأطفال لهم درجة متوسطة أعلى من نظيرتها بين الأطفال الأوروبيين (مستخدمين فى ذلك المعايير الأوروبية السابق الحصول عليها) .

يفسر الباحثون ذلك — ويؤيدهم فى ذلك كرونباخ ١٩٦٠ — بأن اللون وخاصة الألوان الزاهية تلعب دوراً هاما فى حياتهم الثقافية والحضارية الأمر الذى يساعد هؤلاء الأطفال على تناول وحدات مثل هذا الاختبار فى شيء

من الألفة قد يسهم فى رفع الدرجة المتوسطة بينهم . هذا وقد سبق الباحثين إلى مثل هذا الاستنتاج هافيج هرست ١٩٤٦ .

وهناك دراسات أخرى كانت تهدف إلى مقارنة ذكاء الشعوب والمجتمعات عن طريق استخدام أدوات فى القياس منها ما هو لفظى — عن طريق الترجمة — ومنها ما هو أدائى ولكن الفروق التى وجدت بين بعض المجتمعات والمجتمعات الأخرى كانت فروقا ضئيلة جداً ولا تختلف كثيراً عن الفروق التى يمكن أن توجد بين بعض جماعات المجتمع الواحد .

نعود ونقول ونتفق فى ذلك مع رأى آنا أنستازى فى أن تلك الاختبارات الخالية من العوامل الحضارية قد فشلت لأنها فى الأصل قامت على مفهوم خاطىء للقدرات حيث أرادت أن تعزلها عن الإطار الحضارى والثقافى الذى يحدد نمط عملية التعلم وهى تلك العملية المسئولة عن تنمية القدرة وتدريبها .

ولهذا فإنه هناك نوع آخر من الاختيارات يتفادى مثل هذه الأخطاء وهذا النوع هو الاختبارات المتوازنة حضارياً Culture-fair tests وينشأ مفهوم القياس فى مثل هذه الاختبارات على أساس الاستفادة من الخبرات الحضارية والثقافية المشتركة بين المجتمعات المختلفة . فليس هناك شك فى أن هناك عوامل عامة تربط حضارة الانسان فى كل مكان على سطح هذه الأرض ويمكن الاعتماد عليها فى بناء اختبارات تقيس على الأقل القدرة الفطرية العامة فى صورة مقارنة .

ومثل هذه الاختبارات تحتوى على متنوعات عديدة متوازنة بحيث نضمن أولا تقليل أثر اللغة والقراءة وسرعة الأداء وما إلى ذلك كما أنها تشمل كما قلنا سابقاً عدداً من المتغيرات المشتقة من تلك العوامل العامة والمشتركة بين الحضارات والثقافات المختلفة .

وهناك عدة أسئلة يجب علينا أن نطرحها أمام الباحث لأن يفكر فيها جيداً قبل أن يقدم على استخدام أداة من هذه الأدوات فى دراسة مقارنة للقدرات وهى .

(أ) هل تتساوى وتتشابه عمليـــة تتابع النمو العقلى فى الحضارات والثقافات المختلفة ؟

(ب) هل يمكن لنا أن نزعم أن بناء القدرة — اعتماداً على منهج التحليل العاملى — ثابت فى جميع الحضارات والمجتمعات ؟

(ج) هل هناك علاقة بين الدافعية وبين نمو القدرات ؟ وإذا كانت هناك علاقة من أى نوع ، فما هى العلاقة بين العوامل الحضارية والثقافية وبين الدافعية ؟

(د) ما هو الدور الذى تقوم به مقومات الحضارة المختلفة مثل اللغة فى تكوين المدركات والمفاهيم التى تعتبر ولا شك وسطا تنشط فيه القدرة والمهارة ؟ .

وبذلك نكون قد استعرضنا ثلاث مشاكل نظرية رئيسية يجب أن يهتم بها كل باحث يهدف إلى قياس القدرة الإنسانية . والواقع أن كل اختبار لقياس القدرة لا بد وأن يمر بعـــدة خطوات بنائية قد يكون وصفها ومناقشتها خارج نطاق هذا الكتاب . ولكن سوف نشير إليها فى شىء من عدم التفصيل .

• تكون الخطوة الأولى هى تحديد القدرة المطلوب قياسها ولتكن على سبيل المثال القدرة الرياضية .

• بعد ذلك تحلل هذه القدرة تحليلا إجهادياً ينتهى بنا إلى أدق عناصر هذه القدرة ومكوناتها . ثم تعرض هذه العناصر على مجموعة من الخبراء أو الحكام من أجل ترتيب هذه العناصر . والإضافة إليها أو الحذف

منها . بحيث يحصل الباحث على شبه تقنين لعناصر هذه القدرة المطلوب قياسها .

• يقوم الباحث بعد ذلك باقتراح البنود التى تقيس هذه العناصر آخذاً فى اعتباره أهمية كل عنصر كما هى ممثلة فى ترتيب الخبراء أو الحكام الذى حصل عليه فى الخطوة السابقة .

• يعرض الباحث بعد ذلك هذه البنود مجتمعة على مجموعة من الخبراء بهدف تحديد مدى العلاقة بين كل بند من هذه البنود والقدرة المراد قياسها ويمكن اعتبار هذه الخطوة مؤشراً يستفاد منه فى الحكم على صحة العبارات حيث يمكن حساب درجة معيارية لكل عبارة من هذه العبارات أو البنود واستخدام البنود التى يتفق على صحتها أكبر عدد من الخبراء أو الحكام .

• يقوم الباحث بإجراء تمهيدى لقياس مدى صعوبة أو سهولة العبارات وذلك آخذاً فى اعتباره النسبة المئوية التى تجيب على البند إجابة صحيحة أو إجابة خاطئة . وهنا غالباً ما يفترض الباحث التوزيع الاعتدالى للقدرة وعليه يمكنه تحديد درجة صعوبة العبارة .

يقوم الباحث بعد ذلك بحساب معامل التناسق الداخلى للاختبار للبحث فى ترابط وحداته وبنوده وصلاحيته فى أن يكون وحدة واحدة صالحة للقياس .

• وأخيراً يقوم الباحث بتقنين أداة القياس عن طريق حساب الثبات والصدق .

وسوف نعطى فى الفقرات التالية عدة أمثلة مختلفة لمقاييس القدرات لعل القارىء يجد فيها بعض الفائدة وخاصة عند تفكيره فى بناء بعض المقاييس أو الاختبارات .

أولاً ـ القدرة الفطرية العامة ـ أو الذكاء العام:

فيما يلى بعض الأمثلة جمعت من مصادر مختلفة منها ما هو عربى ومنها ما هو غربى وقد روعى فى عرضها التنوع من حيث المادة :

(ا) الأسئلة أو البنود التى تعتمد على اللفظ :

١ — ضع خطاً تحت الكلمة التى تختلف عن بقية الكلمات فى نفس السطر :

أنف	عين	أصبع	حاجب
أب	عم	خال	أم
بغداد	القاهرة	الخرطوم	بيروت
لبنان	لندن	ليبيا	فرنسا

٢ — أكتب عكس الكلمات التالية :

أبيض	ناعم
قنوع	غضب
صلب	عدالة
جزيرة	إرشاد
أبكم	ناصع
جبل	مالح
خوف	فضيلة

٣ — ضع الكلمة المناسبة فى المكان الخالى فيما يأتى :

١ — الدخان إلى النار مثل السحاب إلى . . . .

٢ — . . . . . إلى سنتيمتر مثل وزن إلى كيلوجرام

٣ — المكعب إلى المربع مثل . . . . إلى المثلث

٤ — الطعام إلى الفم مثل الهواء إلى . . . .

٥ — الورق إلى الكتاب مثل . . . . الملابس

٤ — إليك فيما يلي بعض الأسئلة تحتاج إجابتها إلى استنتاج واحد صحيح: أكتب هذه الإجابة :

— خالد عمره ٧ سنوات وبعد ٣ سنوات يصبح عمره ضعف عمر أحمد فكم يبلغ عمر أحمد الآن ؟ . . . .

— يوسف يجلس على يسار على وخالد يجلس على يسار يوسف وفيصل يجلس على يمين على وسالم يجلس بين يوسف وعلى . فأين موقع سالم من المجموعة ؟ . . . .

— كل الهنود رحلوا مع العرب وبعض العرب رحلوا مع الألمان وكل الألمان رحلوا مع الروس .

فماذا عن رحيل الهنود مع الروس ؟ . . . .

٥ — ضع علامة √ أمام ما هو معقول من هذه العبارات :

— قام على بزيارة معظم مدن أوروبا وكانت أحب المدن إليه هى مانيلا .

— تشتهر إيطاليا بمزارع المكرونة .

— أحمد هو الأكبر لأن عمره يزيد عن عمر شقيقه محمد بثلاثة شهور .

(ب) الأسئله أو البنود التى تعتمد على الرقم :

١ — اكتب الأرقام الناقصة فيما يلى :

٣ ٧ ١٣ ٢١ ....

٥ ٢٠ ٥١ ١٠٤ ....

٢ — ١٧ ١٠ ٩ ١٢ ١١ ...

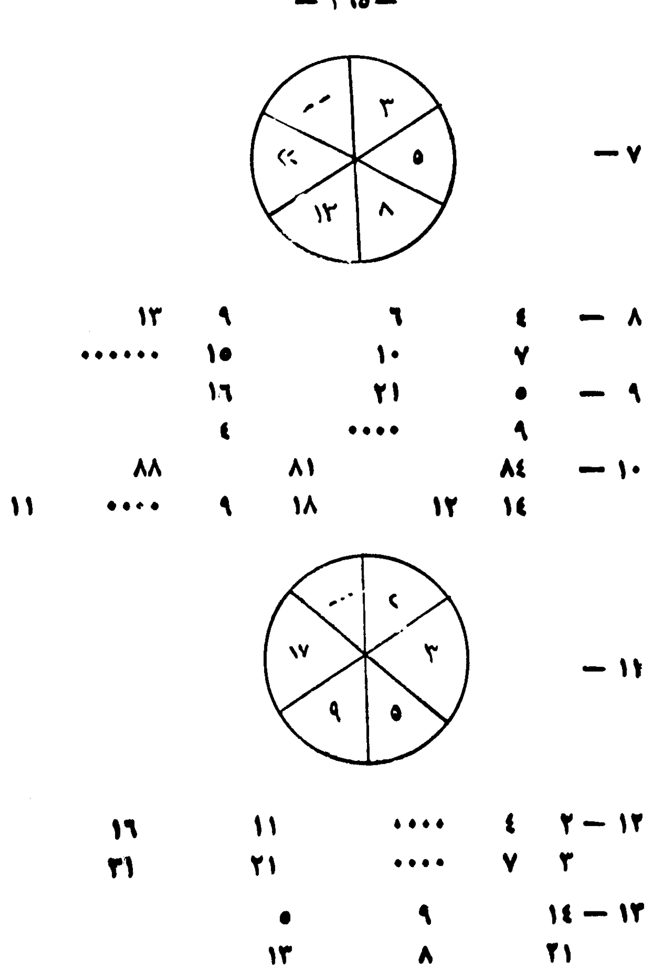
٣ — ٣٦ ١٥ ١٧ ١٤ ....

٢ ٣٣ ٣١ ٣٤ ....

٤ — ٨ ١٠ ١٤ ١٨ ...... ٢٤ ٩٠ ٦٦

٥ — ٢ ٧ ٢٤ ٧٧ ......

٦ — ٦ ٩ ١٨ ٢١ ٤٢ ٤٥ ....



٨ — ٤ ٦ ٩ ١٣

٧ ١٠ ١٥ ......

٩ — ٥ ٢١ ١٦

٩ .... ٤

١٠ — ٨٤ ٨١ ٨٨

١٤ ١٢ ١٨ ٩ .... ١١

١٢ — ٢ ٤ .... ١١ ١٦

٣ ٧ .... ٢١ ٣١

١٣ — ١٤ ٩ ٥

٢١ ٨ ١٣

٢٨ ٩ .....

١٤ —

١٢ ٤٩ ٢٥ ٤ ٧

١٥ — ١ ٣ ٧ ١٣ ......

٢ ٣ ٦ ١١ ......

١٦ — ٤ ٩ ١٧ ٣٥ ... ١٣٩

١٧ — ١٦ ٢٨ ٤١ ٥٨

٣٧ ٤٩ ٦٢ ......

١٨ — ١٤ ١٠ ١٢ ١٦

٨٤ ٤٠ ٦٠ .....

٤٨ ٥٦

١٩ — ٧٢ (٧٣) ٢٦ ٨٤ ( ) ٣٨

٢٠ — ٧ ١٠ ١٥ ٢٢ .....

(ج) الأسئلة أو البنود التي تعتمد على الأشكال :

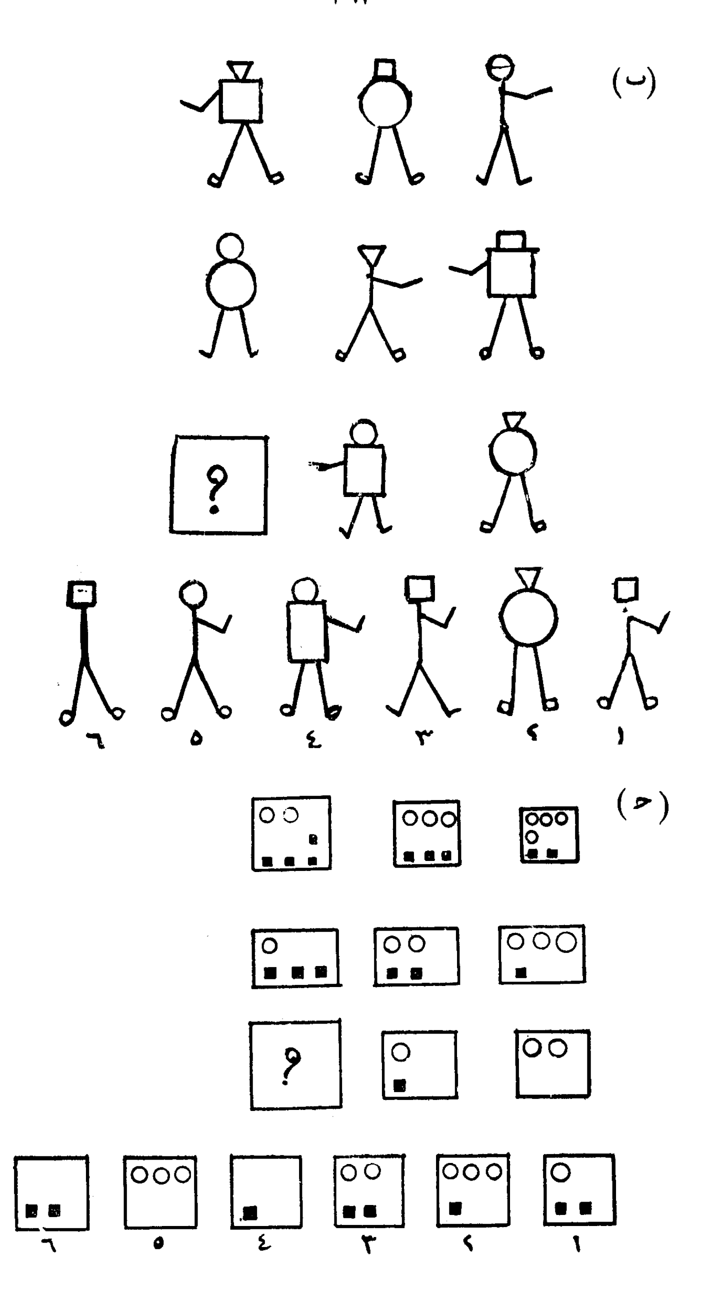
١ ـ أى الأشكال التالية والمرقمة من ١ — ٦ يمكن أن تملأ المربع الخالى :

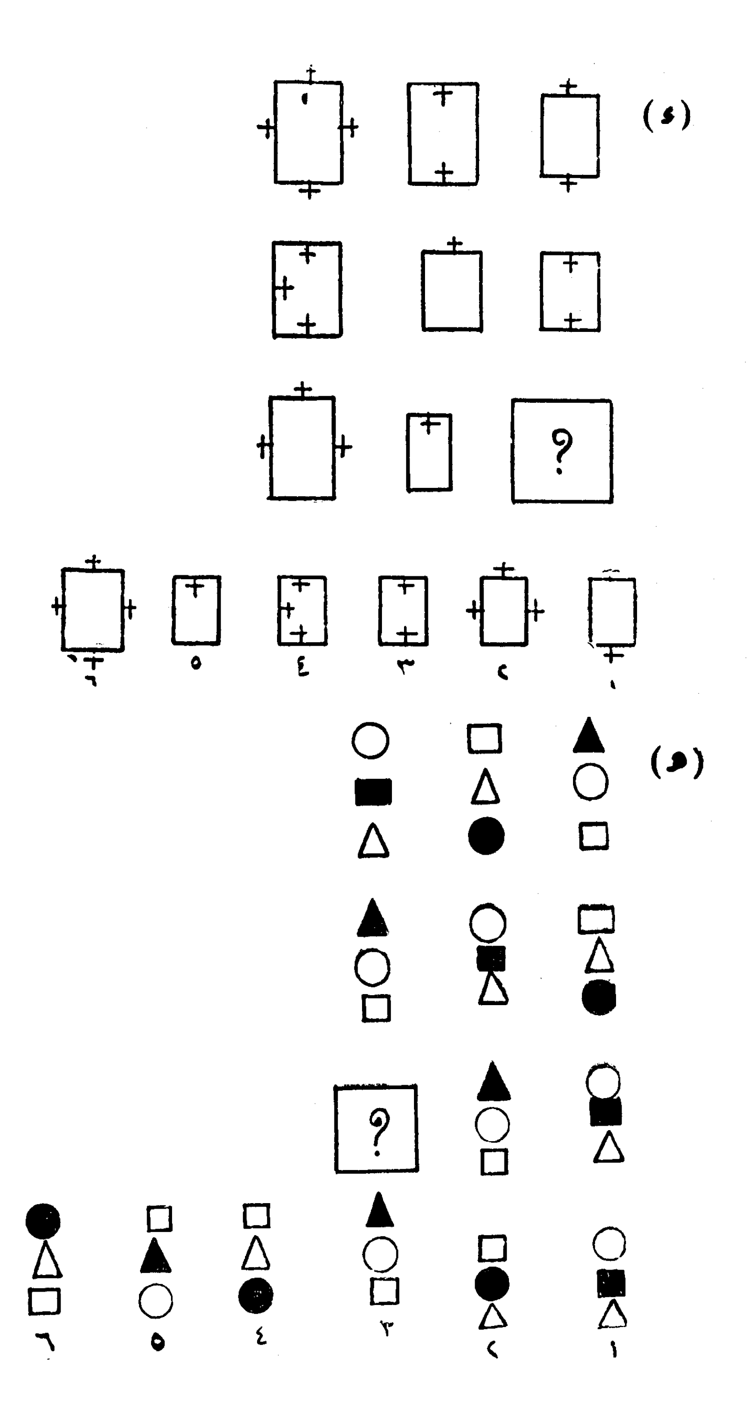
(١)

؟

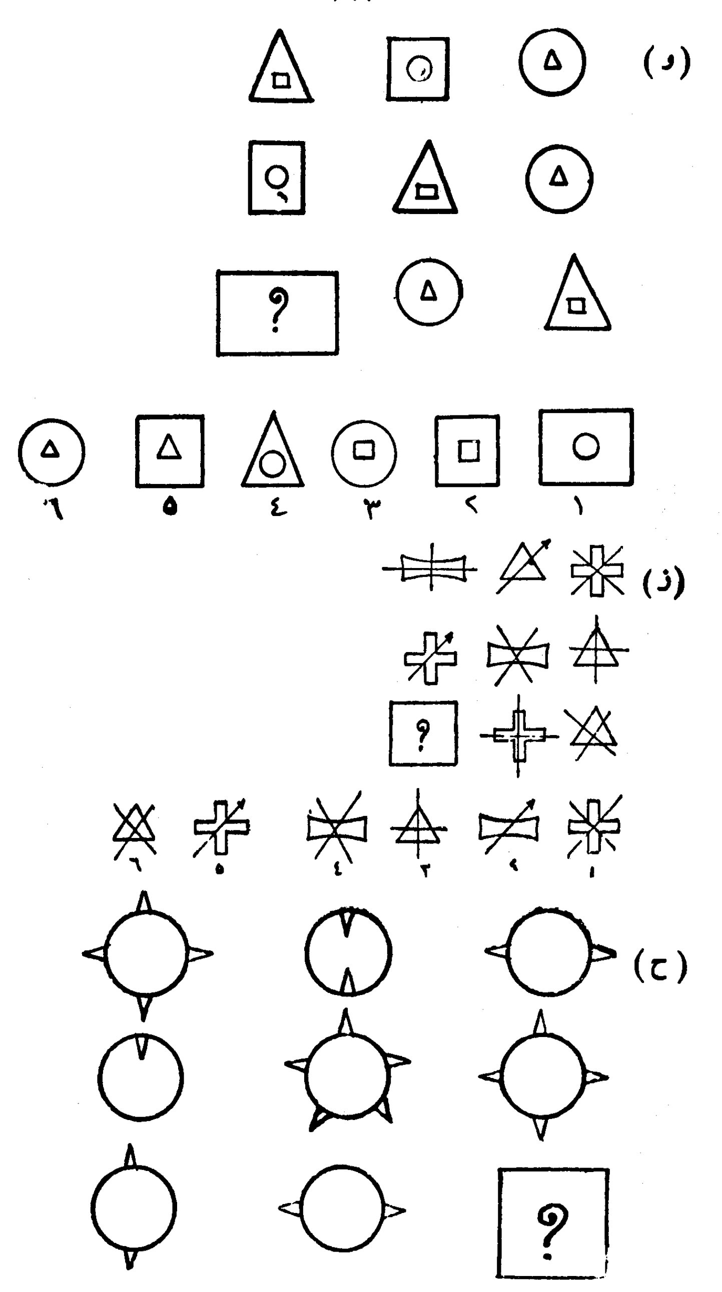
١ ٢ ٣

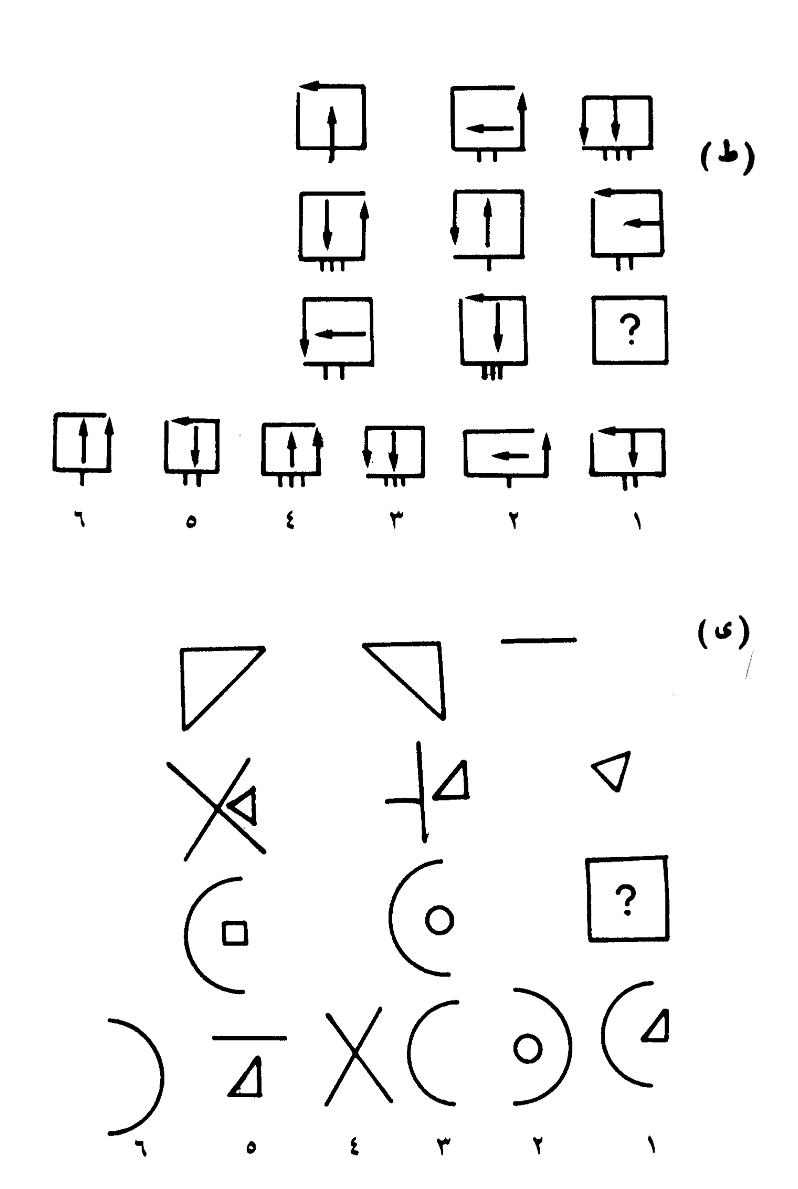
٤ ٥ ٦


(ب)
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦
(ﺣ)
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦



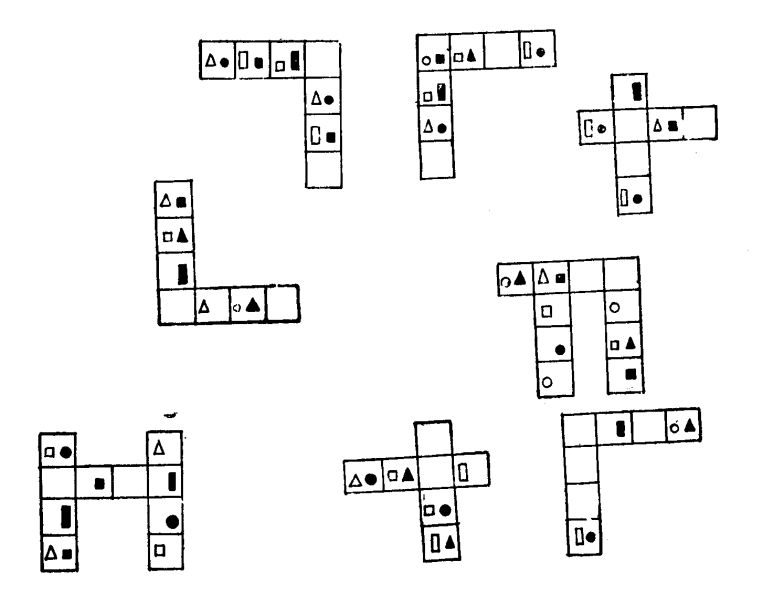
(د)
؟
١
٢
٣
٤
٥
٦
(هـ)
؟
١
٢
٣
٤
٥
٦


(د)
؟
١
٢
٣
٤
٥
٦
(ز)
؟
١
٢
٣
٤
٥
٦
(ح)
؟


(ط)
?
١
٢
٣
٤
٥
٦
(ى)
?
١
٢
٣
٤
٥
٦

وهناك نوع آخر من هذه البنود التى تعتمد على الأشكال الهندسية نورد بعضها على سبيل المثال فيما يلى :

٢ — أكمل المربع الخالى فى المسلسلات الهندسية التالية :



(مع ملاحظة أن السلسلة تعتبر كاملة إذا تواجد فيها الأشكال الأربعة : المثلث ، الدائرة والمستطيل والمربع بيضاء وسوداء .

وأنه لا يمكن أن يوجد شكلان متماثلان معا فى مربع واحد أى لا يمكن أن يوجد △ △ فى مربع واحد أو شكلان متماثلان فى اللون أيضاً أى ● ▲) .

٣ — أكمل سلسلة الأشكال الآتية بشكل مناسب :



(لاحظ أن معظم البنود التي تشمل الأشكال الهندسية تتصل بصورة أو بأخرى بعامل التصور البصري — ك — القومي).

ثانياً ـ القدرة الرياضية :

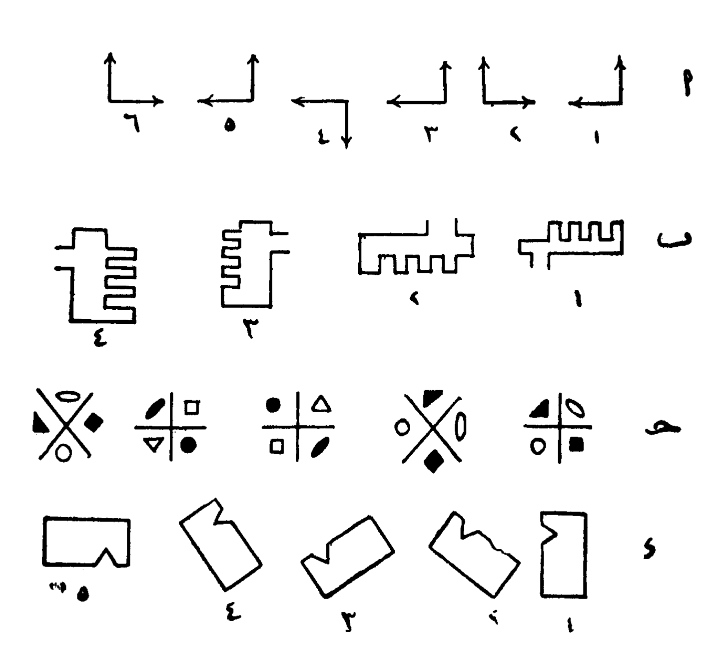
ومعظم الأمثلة التى تندرج تحت اختبارات هذه القدرة تشبه إلى حد كبير تلك الأمثلة الرقمية التى وردت تحت اختبارات القدرة الفطرية العامة .

إلا أن هناك بعض العمليات الرياضية المتخصصة التى تزاد على مثل هذه البنود السابقة .

ثالثاً ـ القدرة على التصور البصري المكاني :

وهذه البنود تشبه إلى حد كبير تلك الأمثلة التى تعتمد على الأشكال الهندسية والتى وردت تحت اختبارات القدرة الفطرية العامة . ولكن يزاد عليها ناحية أخرى تلاحظها فى الأمثلة التالية :

١ ــ ضع خطا تحت الشكل الذى يختلف عن بقية الأشكال :



حيث يلاحظ فى هذه الأمثلة وغيرها أن العلاقة بين الأشكال ليست علاقة ثابتة ولكنها علاقة حركة هندسية . ففى المثال رقم (د) نجد أن الشكل المختلف هو الشكل رقم (١) لأنه لا يمكن تحريكه أو إدارته فيعطى أياً من الأشكال الأخرى بينما نجد أن الاشكال الأربعة الأخرى يمكن أن يؤدى كل منهما للآخر عند تحريكه أو إدارته .

المراجع

1 — Anastasi, A, Psychological tesiing, 1968.

2 — Butcher, C., Human Inteiligence, 1968.

3 — Cronbach, L, Essentials of Psy.cholozical testing, 1960

4 — Fox, C, Educational Psychology 1950.

5 — Gronlund, N. E, Readings in measurement and evaluation, 1968.

6 — Tyler, L. E, Tests and measurements, 1963.

7 — Vernon, P.E., the Structure of human abilities, 1965

8 — Wiseman, S. Intelligence and ability, 1971.

الفصل الخامس

• الادراك الاجتماعي وسلوك الإنسان

إن وجود نظرية تفسر عملية الإدراك الاجتماعى وتحدد قوانينها عمل يتطلب الكثير من البحث والجهد ذلك لأن مثل هـذا الميدان ما زال رواده قليلين . والمحاولة التى سوف نبذلها فى هذا الفصل لا تخرج عن كونها إسهاما بسيطا قد يساعد فى وضع مكونات وعناصر مثل هـــذه النظرية التى نعتقد بلا أدنى تردد أن العلوم السلوكية فى أمس الحاجة إليها .

يبدأ كانتريل فى ١٩٤٨ فيناقش معنى الإدراك الاجتماعى ويحاول أن يفرق بين إدراك إجتماعى وإدراك غير إجتماعى. فيقول إن إدراك القلم الرصاص هى عملية إدراك غير اجتماعى ذلك لأننا نستطيع أن نفعل شيئا بهذا القلم بينما القلم لا يستطيع أن يفعل بنا شيئاً ما. وعلى ذلك فإن عملية الإدراك الاجتماعى تدخل فيها عوامل جديدة تختلف عن تلك العوامل التى تضبط عملية الإدراك الحسى أو البصرى . ثم يعود مرة أخرى ويقول إن بعض الأشياء التى هى من طبقة القلم الرصاص يمكن أن يدركها الإنسان اجتماعيا عندما يعطيها هذا الإنسان صفة الحياة والحركة ويتخيل أنه يمكن أن يكون هناك تفاعل بين هذه الأشياء وبينه .

وبمعنى آخر فإنه يمكن أن نشير إلى آراء كانتريل على أنها آراء تعتمد على معنى الفعالية الوظيفية (النشاط الوظيفى) للأشياء المدركة بغض النظر عن الطبيعة البنائية لهذه الأشياء . فعملية الإدراك الحسى للألوان مثلا تعتمد على طبيعة بناء أو تركيب أى لون من الألوان المدركة وكذلك إدراك الروائح وغير ذلك . أما إدراك « الأشياء » إدراكا إجتماعيا فإنه لا يعتمد على طبيعتها وجوهرها بقدر ما يعتمد على موقف الإنسان الذى يقوم بعملية الإدراك من هذه الأشياء .

والحقيقة أن هناك كثيرين من علماء علم النفس الاجتماعى فى ذلك الوقت آمنوا بفكرة كانتريل بسهولة ودون نقد أو تدقيق ولكن كان هناك الكثير من التجريب والبحث حول العملية نفسها دون التدقيق فى معناها ومفهومها .

وما يمكن أن نقوله هنا أن هناك عدة حقائق تؤدى بنا إلى فهم عملية الإدراك عموما وعملية الإدراك الاجتماعى على وجه الخصوص . هذه الحقائق يمكن أن نناقشها كما يلى :

ـ عملية الادراك تساعد على تكامل الخبرة عند الفرد :

فما هو معروف أن عملية الإدراك تتكون من مرحلتين مترابطتين متتاليتين هما الإحساس ثم التفسير . وبذلك نجد أن مرحلة الإحساس أو عملية الإحساس تبدأ بما يكون فى البيئة المحيطة بالفرد من مثيرات ومواقف حيث يؤثر هذا المثير على عضو الإحساس المناسب مثل الأذن فى حالة مثير الصوت أو العين فى حالة مثير الضوء . وعليه ينتقل الإحساس إلى المنطقة المناظرة فى المخ حيث تبدأ المرحلة الثانية أو العملية الثانية وهى عملية التفسير أو التعرف على طبيعة المثير وتسميته وبذلك تتم عملية الإدراك عند حدوث المرحلتين تباعا . وهذه العملية كما وضح تعتمد على الخبرة السابقة للفرد فالإنسان يمكنه فقط أن (يدرك) المثيرات التى سبق له أن تعرف عليها أو على ما يشابهها — وهذا ما سوف نشير إليه فيما بعد — وعلى ذلك فإن الخبرة عند الفرد تنمو وتتكامل نتيجة إدراكه لمثيرات وعناصر جديدة .

ـ عملية الادراك تحتاج إلى وجود الاطار المرجعي :

من الفقرة السابقة يتضح لنا أن الإنسان يدرك ما تعرف إليه مثيرات لأنه سبق أن تعرف عليها واعتادها وألفها فالفرد يدرك أن هذا طائر لأنه سبق أن رأى هذا الطائر أو ما يشبهه وعليه فإن هناك عملية مقارنة ضمنية بين ما يراه أو يحس به الإنسان الآن وبين ذلك المدرك (الطائر) الذى سبق له أن كونه فيما مضى من خبرة .

وكذلك فإن (إدراك) الفرد لمثير جديد عليه فإنه سوف يعتمد على عملية المقارنة هذه بين ما يراه أو ما يحس به الآن وبين أقرب المدركات شبها بذلك المثير مستخدما إياه كإطار مرجعى Frame of reference . وهنا تكون عملية المقارنة صريحة وليست ضمنية .

ونضرب مثالا لذلك : فعند سماع الفرد لصوت صفارة الإنذار — وذلك للمرة الأولى — أى لم يسبق له أن سمعها من قبل — فإن إدراكه لهذا الصوت لايتم إلا بعد المقارنة والموازنة مع الأصوات الأخرى ومنها مثلا بوق السيارة الذى قد يمثل خبرة سابقة فى حياة الفرد . ولكن لا تتم هذه المقارنة مثلا بين صوت صفارة الإنذار وبين نقيق الضفدع أو صهيل الفرس على الرغم من أن هذين الأخيرين يمثلان أيضا خبرة سابقة فى حياة الفرد . ولكن فى واقع الأمر يختار الفرد إطاره المرجعى الذى سوف يقارن المدرك الجديد ويوازنه به .

ومثال آخر حتى تكتمل الصورة ونصل إلى ما نرمى إليه : وهو هل سألنا أنفسنا فى يوم ما كيف ندرك الرقم (٧) أى كيف نحس به ونعطيه التفسير المناسب ؟ أو بمعنى آخر كيف يتسنى لنا أن نسمى هذا الرقم تلك التسمية بالذات ؟

إن ذلك يتم عندما نقارن الرقم (٧) بالرقم الذى قبله وهو (٦) والرقم الذى بعده وهو (٨) . أى أنه لابد من أن يتوفر فى عملية المقارنة التى يقوم عليها الإدراك الاجتماعى ما يلى :

(ا) تشابه الطبيعة : أى أن الفرد سوف ينتقى الإطار المرجعى الذى يقارن على أساسه المدركات الجديدة من طبيعة مشابهة لطبيعة تلك المدركات فطبيعة صوت صفارة الإنذار تقترب كثيراً من طبيعة صوت بوق السيارة ولكنها لا تقترب أبدا من طبيعة صوت الرعد أو أزيز الطائرة رغم تقارب شدة كل منها .

(ب) تقارب الشدة : وهذه نقطة مكملة للنقطة السابقة حيث قام الفرد بمقارنة صوت صفارة الإنذار ببوق السيارة ولم يقارنه بنقيق الضفادع ذلك لأن الشدة فى كل من الحالتين مختلفة .

(ح) حصر الشدة : والمقصود بحصر الشدة هنا هو تحديد كم المثير الجديد أو المدرك الجديد تحديدا يقوم على ما قبله وما بعده كما هى الحال فى إدراك الرقم (٧) . أو فى الحالات الأخرى حيث تتوقف عملية الإدراك على تحديد شدة المثير وقوته بناء على مقارنته بما هو أضعف منه وما هو أقوى منه .

ـ عملية الادراك الاجتماعي تحتاج إلى إطار مرجعي من نوع خاص:

سوف تكون المناقشة فى هذه النقطة بناء على ما سبقها من نقاط إذ أن عملية الإدراك الاجتماعى هى عملية إدراك قبل كل شىء أى قبل أن تحددها العوامل الاجتماعية فنجد أن هايز يقول إن « عملية الإدراك الاجتماعى هى عملية الإدراك التى تحدث تحت ظروف ومتغيرات اجتماعيـــة تؤثر فيها » (هايز ١٩٥٨) .

وربما كان مثل هـذا التعريف توضيحا لغويا أكثر منه أى شىء آخر وذلك رغم حداثة هذا التعريف نسبيا . فقد سبق هايز دراسات — ولو أنها قليلة نحيلة — إلا أنه كان يمكنه الاستفادة منها تماما فى تحديد معنى ومفهوم عملية الإدراك الاجتماعى . وهناك أيضاً كثير من التعريفات التى كان لها طابع العمومية أكثر من التخصيص .

ونريد أن نقترح هنا تعريفا لهذه العملية لا يخرج بها إلى العمومية الواسعة ولا يزج بها فى أفق ضيق . ويعتمد هذا التعريف على ما سبق أن أشرنا إليه من نقاط سابقة وعليه فإن « عملية الإدراك الاجتماعى هى عملية الإدراك التى يتخذ الفرد فيها من نفسه وذاته — أو من ذات أخرى مماثلة — إطارا مرجعيا يقارن به تلك المدركات أو المثيرات الاجتماعية الأخرى » .

وهنا لا نستطيع أن ننكر أنه من المفهوم ضمنا ومن ثنايا هذا التعريف أن عملية الإدراك الاجتماعى هى عملية إدراك الفرد لفرد آخر إدراكا إجتماعيا أو بمعنى أوسع هى عملية إدراك الانسان لأخيه الانسان ، أما إدراك القلم الرصاص أو الكتاب إدراكا إجتماعيا فإن هذا منطق ليس من السهل الدفاع عن صحته وصدقه .

ولذلك قلنا أن عملية الادراك الاجتماعى تحتاج إلى إطار مرجعى من نوع خاص .

- عملية الادراك الاجتماعي تحكم سلوك الإنسان :

وهذا استنتاج طبيعى آخر إذ أن الانسان لا يقدم على اتخاذ قرار ما فى موقف معين مهما كانت المتغيرات التى يحتويها هذا الموقف إلا بعد أن يتم إدراكه لهذا الموقف أو المثير سواء كان ماديا أو اجتماعيا .

إذ أنه عندما يلتقى طفل بطفل آخر للمرة الأولى — وكثيرا ما نلاحظ ذلك فى حياتنا اليومية . نجد أن كلا من الطفلين يطيل النظر إلى الآخر حيث أنه أحس به ككائن اجتماعى ثم تبدأ بعد ذلك عملية المقارنة بهدف إعطاء التفسير أو تحديد مفهوم كل طفل عن الطفل الآخر . وبمعنى آخر فإن الطفل الأول مثلا يقارن حجم الطفل الثانى من ناحية أبعاد جسمه من طول أو قصر أو غير ذلك مثل قوة العضلات أو لون الشعر والعينين بل لون الملابس التى يرتديها وهو فى ذلك يتخذ من صورة ذاته أو من صورة ذات أخرى (ذات أخيه الأصغر أو الأكبر مثلا) إطارا مرجعيا لتتم على أساسه هذه المقارنة .

بعد ذلك — أى بعد تتم هذه المقارنة — يعطى التفسير اللازم من ناحية أحد الطفلين إلى الطفل الآخر وهو تفسير اجتماعى سلوكى ومن ثم يصبح هذا التفسير أساسا لسلوك الطفل الأول نحو الطفل الثانى وكذلك سلوك الطفل الثانى نحو الطفل الأول .

هذا المثال رغم بساطته إلا أنه يمثل خلفية السلوك اليومى للفرد مهما تعددت المواقف وتنوعت . فلو لم يكن الأمر محصوراً بين طفلين صغيرين وأصبح بدلهما رجلين فى موقف نقاش أو حوار لبدأ الأمر كما بدأ : الفرد الأول يحاول أن يدرك الفرد الثانى إدراكا اجتماعياً صحيحاً : فهذا الثانى كائن اجتماعى وهذا إحساس به . ثم تبدأ عملية المقارنة ولا تكون عناصر الإطار المرجعى هنا عناصر الحجم والوزن وقوة العضلات ولكنها تكون عناصر أخرى تتناسب مع الموقف ومع خبرة كل من الرجلين .

مفهوم عملية الادراك الاجتماعي :

من وجهة نظر الكاتب أنه لايمكن الوصول إلى مفهوم العمليات السلوكية إلا بعد دراسة واستعراض الآراء والمفاهيم التى يمكن أن تقربنا إلى تحديد مفهوم صحيح لهذه العملية أو تلك ، وعملية الادراك الاجتماعى عملية سلوكية .

ومن الضرورى أن نقول أن الآراء والدراسات التى أجريت بهدف استكشاف طبيعة عملية الادراك الاجتماعى بدأت فى وقت متأخر جداً بالنسبة لدراسات علم النفس الأخرى فهى وإن كانت قد بدأت فى حوالى ١٩٥٠ إلا أنها كانت مجموعة من دراسات متناثرة هنا وهناك . ولم تتخذ أيضاً صفة الكثرة والغزارة والتنسيق إلا فى الخمسينات المتأخرة حيث كان المفهوم قد تبلور نتيجة عدة دراسات رائدة وأصيلة ظهرت فى هذا الميدان .

وقد مهد دايموند ١٩٤٨ — ١٩٤٩ بدراستين متتاليتين ناقش فيهما العلاقة بين البصيرة وبين قدرة الفرد على أن يشعر بإحساسات الآخرين فى المواقف الاجتماعية empathic ability . ولقد كان المنهج الذى استخدمه دايموند علمياً لا بأس به — إذا أخذنا فى اعتبارنا الحقائق التى كانت أمامه فى ذلك الوقت — ولكن أدواته كانت بسيطة لا ترتفع إلى مستوى هذه المشكلة .

ورغم ذلك فقد توصل دايموند إلى عدة استنتاجات أنارت السبيل أمام الدارسين الذين أتوا من بعده . وأهم هذه الاستنتاجات هى :

١ — يتكون مفهوم العلاقة بين الفرد والآخرين بناء على قدرته على الإحساس بشعور هؤلاء الآخرين فى المواقف الاجتماعية .

٢ — تعتمد بصيرة الفرد فى علاقتـــه بالآخرين على مدى قدرته على الإحساس بشعورهم .

٣ — القدرة على الإحساس بشعور الآخرين تنمو وتتطور من خلال العلاقات الاجتماعية التى يتعرض لها الطفل فى السنوات الأولى من حياته .

والحقيقة أن مثل هذه الاستنتاجات وغيرها قد أدخلت عاملا جديدا فى عملية الإدراك الاجتماعى وهو عامل « القدرة على الاحساس بشعور الآخرين » empathic ولكن وإن كان هذا العامل مختلف من ناحية التسمية فقط إلا أنه يؤكد ذاتية الإطار المرجعى فى عمليـة الإدراك الاجتماعى ، فالإحساس بشعور الآخرين يقتضى أن يضع الفرد نفسه أو ذاته مكان الآخرين وهذا دليل واضح على أن الفرد سوف يجعل من ذاته إطارا مرجعيا فى هذه العملية .

وفى دراسة أخرى أولية قام بها كيلى ١٩٤٩ — ١٩٥٠ أراد الباحث أن يدرس أثر عامل (حرارة أو برودة الاستقبال) فى أحداث الانطباع الأول بين الأفراد .

وقد أجريت هذه الدراسة على مجموعات ثلاثة مختلفة من طلبة الجامعة . ولخص الباحث نتائجه فى أن طريقة المعاملة بين الطرفين من الوهلة الأولى تؤثر فى انطباع كل طرف عن الطرف الآخر وبالتالى فى مدرك كل فرد عن شخصية الفرد الآخر وهذا ما يحكم سلوك كلا الطرفين . وقد استخدم كيلى مجموعة من الصفات والخصائص النفسية والسلوكية كدليل يسترشد به الفرد عند الحكم على الفرد الآخر من الوهلة الأولى ومن هذه الخصائص : يعلم قدر نفسه ، يحترم الآخرين ، متواضع ، اجتماعى ، متأكد من نفسه ، ذكى ،

ذو طبيعة طيبة ، كريم ، يميل إلى الفكاهة ، إنسانى فى سلوكه . كما استخدم عكس هذه الخصائص أيضا .

وواضح أن هذه أول دراسة تحليلية تأخذ فى حسابها عناصر ومقومات السلوك الإنسانى ولو أن ذلك كان بطريقة وصفية علما بأن ما سبقها من دراسات كان ينظر إلى عملية الإدراك الاجتماعى نظرة عامة غير تحليلية ولا تفصيلية .

وهناك دراسة ثالثة قام بها بيبيتون فى نفس السنة ٤٩/٥٠ حيث ناقش فى دراسته هذه العوامل التى تؤدى إلى عدم سواء عملية الإدراك الاجتماعى . وأجرى تجربته على عدد من طلبة الجامعة حيث تعرضوا لهذه المواقف :

(ا) موقف الصداقة — العداوة . Friendly — Hostile stn.

(ب) موقف الصداقة — الحياد . Friendly — neutral stn.

(حـ) موقف الصداقة — التسلط . Friendly — authority stn.

وسميت هذه المواقف بمواقف الإثارة ، وقام الباحث بتحليل سلوك الأفراد فى كل موقف من هذه المواقف التجريبية معتمدا فى تحليله على مفهوم علاقة الادراك الاجتماعى كعملية متعقلة بسلوك الانسان . وقد انتهى الباحث من تجربته مؤكدا علاقة الموقف المثير بكمية عدم السواء التى تصيب عملية الإدراك الاجتماعى .

ونجد كذلك فى ١٩٥٠ عندما نستعرض دراسة تومسون ونيشيمورا عن محددات الاختيار الاجتماعى أن أهم ما خلص إليه الباحثان أن هذا الاختيار إنما يعتمد على فكرة الفرد عن شخصية وسلوك الفرد الآخر أكثر مما يعتمد على حقيقة شخصية وسلوك أى منهما .

وفى سنة ١٩٥٢ كانت بداية الدراسات الرائدة والأصيلة حيث أجرى **فيدلر** ومعاونوه دراسته المعروفة عن أثر الاتجاهات اللاشعورية **على**

الاختيارات الاجتماعية . وقام بدراسته هذه على مجموعة من الذكور البالغين فطلب من كل منهم أن يعين أحب الأفراد إلى نفسه وذلك من بين أعضاء المجموعة التى ينتمى إليها كما طلب منه أيضا أن يعين أبغض الأفراد إليه .

بعد ذلك طلب الباحث من كل عضو من أعضاء المجموعة أن يصف صورة الذات المثلى التى يحب أن يكون إياها . كما طلب منه أيضا أن يتنبأ بوصف الفردين الآخرين (أحب وأبغض الأفراد إليه) لهذه الذات المثلى .

بهذه الصورة أمكن فيدلر أن يحصل على بيانات عديدة ومتنوعة عن عملية الادراك الاجتماعى كما فهمها هو نفسه حيث يقول أن هذه العملية هى ناتج فهم الناس لذواتهم وفهمهم لذوات الآخرين . وبعد مناقشة النتائج مناقشة جيدة معقولة أوضحت أهمية عملية المقارنة — على أنها فهم للتشابه والاختلاف بين المثير الاجتماعى وبين الاطار المرجعى — توصل فيدلر ومعاونوه إلى عدة إستنتاجات أهمها :

١ — إن الفرد يدرك الآخرين ممن يحبهم ويفضلهم كما لو كانوا أكثر شبهاً به وبصورة ذاته والعكس صحيح بالنسبة لمن لا يفضلهم أى أن الفرد يدرك هؤلاء كما لو كانوا أبعد شبها عن شخصه وصورة ذاته .

والتعليق هنا أن الفرد يميل دائما — وهذا ليس من غير المتوقع — أن يعطى صورة ذاته أبعاداً مشتقة من الذات المثلى التى يحبها ويعجب بها وكذلك فإنه يعطى نفس الأبعاد تقريبا للمدرك الذى يحبه ويفضله .

٢ — أن الفرد يدرك الآخرين ممن يحبهم ويفضلهم كما لو كانوا أكثر شبها بذاته المثالية أو كما يحب هو أن يكون والعكس صحيح بالنسبة لمن لا يفضلهم . وربما كان هذا الاستنتاج تأكيداً لتعليقنا على النقطة الأولى التى أوردها فيدلر .

٣ — أنه ليس هناك دليل على أن الخصائص الشخصية للأفراد تتشابه

مع الخصائص الشخصية لمن يختارونهم ويفضلونهم ولا تتشابه مع الخصائص الشخصية للذين لا يفضلونهم .

والتعليق هنا أنه يمكننا بالتالى أن نقول أن هناك فرقا — من وجهة نظر فيدلر — بين التشابه الحقيقى بين الخصائص الشخصية للأفراد من ناحية وبين التشابه غير الحقيقى — وقد سماه فيدلر التشابه المفترض — بين الخصائص الشخصية للأفراد فى ناحية أخرى .

والحقيقة أن هذه النقطة كانت المنطلق الأول والأساسى لدراسات عميقة وأصيلة فى ميدان الإدراك الاجتماعى .

٤ — أنه ليس هناك دليل على أن الأشخاص المفضلين يدركون الآخرين بطريقة تختلف عن إدراك الأشخاص الذين يرفضهم الآخرون .

وهذه النقطة أيضا كانت مثار جدل ونقاش فهل الأشخاص المفضلين هم الذين يدركون الآخرين بطريقة تختلف عن الطريقة التى يدرك بها الأشخاص (المرفوضون) هؤلاء الآخرين . أم أن المدخل لهذه النقطة مدخل آخر حيث أنه من المتوقع أن نجد فرقا بين إدراك الآخرين للأشخاص المفضلين وبين إدراك هؤلاء الآخرين للأشخاص المرفوضين (راسل الكاتب فيدلر بخصوص هذه النقطة فيما بين ١٩٦٢ — ١٩٦٣ وقد تعرض الكاتب لهذه النقطة فى تجربة أجراها فى ذلك الوقت) .

وفى سنة ١٩٥٤ عاود فيدلر دراساته وكانت الركيزة هذه المرة ما خرج به من دراسته السابقة بخصوص التشابه بين خصائص شخصيات الأفراد حقيقة وافتراضا .

وهنا نجد فيدلر أنه فعلا أول من سمى هذا النوع من التشابه باسم التشابه المفترض assumed similarity .

وكانت دراسته هذه تبحث فى علاقة هذا التشابه المفترض بإنتاجية

الجماعات . فاقترح أن إنتاجية الجماعة group productivity هى دالة عملية الإدراك الاجتماعى وهذا معقول إلى حد كبير حيث كما سبق أن أشرنا أن هناك علاقة بين الإدراك الاجتماعى والسلوك الإنسانى وواضح أن الإنتاجية هى دالة سلوك الأفراد فى الجماعة . ومعنى ذلك أن هناك دالة وسيطة هى السلوك الانسانى .

وقد بحث فيدلر موضوعه هذا بأن قام بحساب معاملات الارتباطات بين نتائج عدة مقاييس صممت من أجل تقدير المتغيرات التالية :

١ — وصف الفرد لذاته .

٢ — تنبؤ الفرد بوصف أفضل معاونيه لذاته (أى لذات أفضل المعاونين) .

٣ — تنبؤ الفرد بوصف أبعد معاونيه لذاته (أى لذات أبعد المعاونين) .

وبعد مناقشة جيدة شاملة أثبت فيدلر صحة ما ذهب إليه من علاقة التشابه المفترض كمتعلق من متعلقات الإدراك الاجتماعى بإنتاجية جماعات رياضية — هى فرق كرة السلة فى مدينة إلينوى الأمريكية .

وهذه كانت بحق الدراسة الجدية الشاملة التى أسهمت فى توضيح مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى .

نجد بعد ذلك دافيتز فى ١٩٥٥ يدرس العلاقة بين الإدراك الاجتماعى عند الأطفال وبين اختياراتهم السوسيومترية . وكانت هذه الدراسة تمثل اتجاهاً آخر فى دراسة العلاقة بين عملية الإدراك الاجتماعى وبين السلوك الانسانى غير الاتجاه الذى بدأ به فيدلر وأجاد فيه .

ونجد دافيتز كذلك يصل إلى عدة استنتاجات أهمها :

١ — أن الطفل يميل إلى أن يدرك من يفضلهم سوسيومتريا كما لو كانوا أكثر شبهاً بذاته . والعكس صحيح بالنسبة لمن لايختارهم .

٢ — أن الطفل يميل إلى أن يدرك من يفضلهم سوسيومتريا أكثر شبهاً بصورة ذاته مما هم فى الحقيقة فعلا .

وهاتان النقطتان سبق إليهما فيدلر ولا شك فى دراسته الأولى بل أن علاج فيدلر لهما كان علاجا يختلف من حيث النوعية عن ذلك الذى نهجه دافيتز . والإضافة الوحيدة التى أوردها دافيتز هى مقارنته بين تشابه الطفل المفضل مع صورة ذات الطفل الذى قام بالاختيار وبين حقيقة الطفل المفضل وصورة ذات الطفل الذى قام بعملية الاختيار . كذلك هناك عمومية ذكرها دافيتز — وإن لم يكن فى بقية دراسته ما يؤكد أنه قصد إليها — وهى نهاية النقطة الأولى حيث يقول (أن العكس صحيح بالنسبة لمن لا يختارهم) بينما يقول فيدلر فى هذه النقطة (والعكس صحيح بالنسبة لمن يرفضهم) والحقيقة أن الفرق بين واضح بين هذين الاتجاهين فملاحظة دافيتز تعمم المقارنة بين الشخص المفضل والشخص الذى لم يتم اختياره ، فى حين أن ملاحظة فيدلر تحصر المقارنة بين الشخص المفضل والشخص المرفوض اجتماعياً .

والحقيقة أن ملاحظة فيدلر أكثر دقة وموضوعية من ملاحظة دافيتز .

وفى سنة ١٩٥٥ أيضاً قام لاندى بدراسة مشابهة من حيث الهدف والطريقة ووصل إلى عدة استنتاجات أهمها ما يلى :

١ — أن الفرد يميل إلى أن يدرك أصدقاءه أكثر شبهاً بالصورة المثلى لذاته وأقل شبهاً بصفات الذات غير المرغوبة .

٢ — أن الفرد يميل إلى أن يدرك من يرفضهم سوسيومتريا (غير الأصدقاء) أكثر شبها بصفات الذات غير المرغوبة وأقل شبها بصفات الذات المثلى .

وهكذا فإننا نجد أن هذه الدراسة تكاد تكون تأكيداً لما سبق أن توصل إليه فيدلر فى دراستيه السابقتين .

وفى سنة ١٩٥٦ وصف نيوكمب تجربة أجراها بين سبعة عشر طالبا من طلبة الجامعة ووصل فى نهايتها إلى استنتاج خاص — يميز دراسته هذه عن الدراسات السابقة بل إنه يجعلها فى خط آخر غير الخط الذى ابتدعه فيدلر . يقول نيوكمب أن إدراك التشابه والاختلاف بين الفرد والآخر هو أساس عملية الإدراك الاجتماعى . كما يرفض نيوكمب اسم التشابه المفترض ويسمى هذا التشابه بالتشابه المدرك Percieved Similarity .

ولكن كانت مدرسة فيدلر فى وضع قوى لا يسمح لملاحظة نيوكمب بأن تنال منها إلا أن استنتاج نيوكمب هذا شجع على ظهور آراء مختلفة متباينة .

ففى سنة ١٩٥٩ حاول رودجرز اكتشاف العلاقة بين التشابه الحقيقى أى حقيقة التشابه أو الاختلاف بين شخصية فرد وشخصية فرد آخر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بين التشابه المفترض أى ذلك التشابه الذى يفترضه أحد الأفراد بينه وبين فرد آخر يدركه .

ولخص الباحث هذه العلاقة فى أن الأفراد الذين لهم خصائص شخصية مشتركة مع فرد آخر يحتل مكانة واضحة فى التنظيم السوسيومترى للجماعة يميلون إلى افتراض الشبه بينهم وبينه . فى حين أن الأفراد الذين ليس لهم هذه الخصائص المشتركة — رغم إعجابهم بهذا الفرد — لا يميلون إلى افتراض مثل هذا التشابه . أى أن العامل الأساسى فى تحديد عملية افتراض الشبه هو وجود العوامل المشتركة بين شخصيات الأفراد فى مجال الإدراك الاجتماعى .

وهذا بمثابة فرض أراد رودجرز أن يثبته أو ينفيه ولكنه عجز عن ذلك .

وحاول روزيل محاولة مشابهة حيث أراد أن يختبر أثر اللون أو العنصر كعوامل مشتركة — على التشابه المفترض بين مجموعات من البيض والزنوج ولكنه وصل إلى ما وصل إليه رودجرز .

لنا هنا تعليق نعتقد أنه جوهرى وأساسى وهو مشتق من نتائج هاتين الدراستين لرودجرز وروزيل وهو «أنه طالما لم يمكن الكشف عن علاقة من نوع ما بين العوامل المشتركة (وهى فى الواقع التشابه الحقيقى) وبين التشابه المفترض فإن هذا يدل :

(ا) على أن هناك خطأ بصورة ما فى تصميم هذه التجارب ولو أمكن تفاديه لأمكن الحصول على نمط العلاقة القائم بين هذين المتغيرين .

(ب) على أن هذين المتغيرين مستقلان تماماً عن بعضهما البعض وأنه من المحتمل وجود متغير ثالث يربط بينهما بصورة ما .

كما نشأ أيضاً اتجاه آخر لدراسة عملية الإدراك الاجتماعى من وجهة نظر الضغوط الاجتماعية . فيقول كاتز فى سنة ١٩٥٩ أن إدراك الفرد للآخرين ككائنات اجتماعية إنما يعتمد على اتجاهات ومعايير الفرد ذاته . فقد وجد بالتجربة أن الأفراد ذوى الميول التسلطية واتجاهات التزعم والسيطرة يدركون الآخرين — وخاصة الأفراد ذوى المكانة السوسيومترية الواضحة على أنهم أكثر ميلا للتسلط والسيطرة والحساسية الاجتماعية مما هم على حقيقتهم فعلا .

والعكس صحيح فى حالة هؤلاء الذين ليست لهم ميول تسلطية واتجاهات للتزعم والسيطرة .

ولو أن دراسة كاتز لم تكن واضحة لنا تماما إلا أنه يمكن القول أن القصد من هذه الدراسة هو وضع عملية الإدراك الاجتماعى موضعا وسطا بين صورة الذات التى أشرنا إلى أهميتها سابقا كإطار مرجعى يستخدم فى عملية المقارنة عند إدراك المثيرات الاجتماعية الجديدة وبين عمليات الجماعة من اتجاهات ومعايير . ولكن حتى بهذه الصورة لا تكون هذه الدراسة موفقة فى وضع عملية الإدراك الاجتماعى مثل هذا الموضع . وهناك احتمال آخر ربما هدفت

إليه دراسة كاتز وهو أنه ربما كان فى تصور الباحث أن صورة الذات عند الفرد تتأثر بصورة واضحة بالاتجاهات والمعايير .

وعلى أى حال فقد قام دافيتز فى نفس السنة بتجربة مشابهة تماماً لتجربة كاتز من حيث الهدف ولكنه أثبت عكس ما وصل إليه كاتز . فيقول دافيتز أنه وجد أن الأفراد الذين يشعرون بالخوف والقلق والخضوع فى المواقف الاجتماعية هم الذين يدركون الآخرين على أنهم أكثر ميلا إلى التهديد وإنزال العقاب والتسلط مما هم على حقيقتهم فعلا .

وبهذا فإننا نعتقد أن مثل هذه النقطة تستحق الدراسة فعلا .

وعاد فيدلر مرة أخرى ١٩٦١ ليدرس أثر العمر الزمنى والفروق الجنسية على إدراك الأفراد ككائنات اجتماعية ووجد ما يلى :

١ — تتأثر عملية الإدراك الاجتماعى بالاختلافات الجنسية . فى حين أن العمر الزمنى يؤثر فقط على إدراك صورة الذات .

٢ — تزيد دقة الإدراك الاجتماعى بزيادة العمر الزمنى — وهنا لم يذكر فيدلر فى الحقيقة ما يعنيه بدقة الإدراك الاجتماعى . هل هذه الدقة دالة المسافة بين التشابه الحقيقى والتشابه المفترض أم ماذا .

٣ — يميل الاناث إلى إدراك الآخرين بصورة أفضل مما هم عليه فعلا بينما يميل الذكور إلى عكس ذلك

وهكذا نرى أن دراسات فيدلر تثير دائما كثيراً من الأسئلة تعطى نوعا من الغنى لما يتلوها من دراسات وبحوث .

فقد وجدنا فيما سبق وبما لا يدع مجالا للشك أن تحديد مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى إنما يتطلب بالضرورة دراسة التشابه والاختلاف بين الأفراد سواء كان هذا التشابه حقيقياً أو مفترضا أو مدركا وذلك لأن هذا التشابه والاختلاف هو أساس عملية المقارنة التى تتم على أسسها عملية الإدراك الإجتماعى .

ولهذا فسوف نبدأ من البداية ونناقش معنى التشابه وما تواتر فيه من آراء لأن ذلك سوف يقودنا بسهولة إلى تحديد مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى .

التشابه الحقيقى بين فردين actual simelarity هو الفرق بين صورة الذات عند كل من الفردين فى موقف ما . وللدقة فإننا نعرف التشابه الحقيقى على أنه دالة المسافة بين وصف الفرد (ا) لنفسه وبين وصف الفرد (ب) لنفسه .

وبمعنى آخر إذا كان هناك مقياس ما لتقدير صورة الذات أو بعض سمات وخصائص الشخصية وأجرى هذا الاختبار على مجموعة من الأفراد حيث قام كل فرد بوصف ذاته وشخصيته فإن الفرق بين أى درجتين من درجات هذا المقياس تدل على التشابه الحقيقى بين هذين الفردين .

وواضح أنه كلما زادت هذه المسافة أو الفرق كلما قل التشابه الحقيقى بين الفردين .

والتشابه الحقيقى كمفهوم له أثره الواضح فى عملية الإدراك الاجتماعى فصوره الذات عند الفرد — كما اتضح من بعض الدراسات السابقة والتى استعرضناها — تؤثر على تكوين مفهومه عن ذات الفرد الآخر بصورة أو بأخرى وذلك كما ظهر ضمنياً فى دراسات كاتز ودافيز التى أشرنا إليهما أخيراً .

وصورة الذات عند الفرد كذلك تكمن دائماً وراء سلوكه ، إذ أنه كما هومعروف معظم سلوك الانسان وقراراته ذاتية فى غالب الأحيان أى متأثرة بصورة ذاته وخصائص شخصيته ومعاييره وكماهومتوقع دائما أن الانطباع الذى يكونه أحد الأفراد عن فرد آخر إنما هو قرار أو حكم سوف يتأثر بطبيعة الحال بصورة ذات الفرد .

والحقيقة إنه لم يكن هناك جدل حول تسمية هذا النوع من التشابه باسم التشابه الحقيق .

أما بالنسبة للتشابه المفترض أو التشابه المدرك أو التشابه الوصفى فإنها جميعا مسميات لشىء واحد تقريبا هو دالة المسافة بين صورة الذات عند الفرد وبين مفهومه عند ذات فرد آخر .

فقد كان فيدلر أول من استخدم لفظ التشابه المفترض وذلك فى دراسة أجراها فى إحدى المستشفيات العلاجية لبحث نوع وطبيعة الاتجاهات النفسية بين المعالج والمريض .

فقد طلب فيدلر من المعالجين أن يقوموا بإجراء اختبار للشخصية على أنفسهم أى أن يقوم كل معالج بوصف ذاته وشخصيته على هذا الاختبار ثم طلب منه ثانيا أن يقوم بالتنبؤ بكيفية وصف المريض لنفسه على نفس الاختبار .

وبذلك فقد أصبح التشابه المفترض من وجهة نظر فيدلر «هو ذلك التشابه الذى يفترضه المعالج بين صورة ذاته وبين صورة ذات المريض — كما تنبأ بها المعالج — الذى يقوم على علاجه» .

أما نيوكمب فقد كان أول من استخدم لفظ «التشابه المدرك» فى دراسته التى أجراها على بعض طلبة الجامعة سنة ١٩٥٦ ليقيس مدى إمكانية التنبؤ بالجاذبية الاجتماعية أو التأثير الاجتماعى للأفراد . وقام نيوكمب بتطبيق اختبار للشخصية على أعضاء العينة ليصف كل منهم نفسه وشخصيته مستعيناً فى ذلك ببنود الاختبار ثم ليتنبأ كل منهم بوصف الفرد الآخر (الذى يدركه كصديق) لذاته على نفس الاختبار .

وبذلك يعرف نيوكمب «التشابه المدرك» على أنه التشابه الذى يدركه الفرد بين صورة ذاته وبين مفهومه عن ذات الآخرين .

واضح من ذلك أن التسمية التى ابتدعها نيوكمب وهى « التشابه المدرك» وأن التسمية التى ابتدعها فيدلر قبله وهى « التشابه المفترض » لابد وأن تدلا على نفس الشيء وهو الفرق بين صورة الذات عند الفرد وبين مفهومه عن ذات الفرد الآخر .

وبناء على ذلك فقد قام كل من الباحثين على حدة باستخدام اللفظ الذى نحته فى عدد كبير من الدراسات المتتالية .

فنجد أن فيدلر يستخدم كلمة التشابه المفترض وذلك فى عدد من الدراسات الشاملة فيما بين ١٩٥٢ — ١٩٥٨ — ولم يفت فيدلر بطبيعة الحال استخدام الطرق الاحصائية المناسبة لحساب درجات التشابه المفترض كما سنشير إلى ذلك فيما بعد كما أنه فسر درجة التشابه المفترض على أنها وحدة على بعد نفسى يبدأ بالرفض الاجتماعى (عندما تتسع المسافة) وينتهى بالقبول العاطفى (عندما تضيق المسافة) .

أما نيوكمب وفروم وجيلبرت فى ١٩٦٠ فقد قاموا بدراسات عديدة متفرقة لاستكشاف العلاقة بين التشابه المدرك كمتغير اجتماعى وبين عملية التفاعل الناجح بين الأفراد . أو فى حالة أخرى استكشاف مدى أثر العوامل الاجتماعية والسلوكية على عملية إدراك هذا التشابه والاختلاف .

وفى جميع الحالات فإن لنا بعض الملاحظات التى قد تؤدى إلى أحقية استخدام مصطلح التشابه الوصفى كما اقترحه المؤلف فى دراسات سابقة واستخدمه فيما بين ١٩٦٣ — ١٩٧٠ — ويمكن تلخيص هذه الملاحظات كما يلى :

١ — حاولت هذه الدراسات فيما حاولت اكتشاف العلاقة بين التشابه المفترض أو التشابه المدرك وبين بعض المتغيرات الاجتماعية أو السوسيومترية الأخرى دون أن تعطى الأهمية الكافية لتفسير معنى ومفهوم هذا التشابه

اللهم إلا تلك الملاحظة الهامشية التى فسر بها فيدلر درجة التشابه المفترض كما سبق وأشرنا إليها .

والسؤال هنا هل هناك دليل فعلى على أن هذا التشابه مدرك ؟ أى هل يمكن لنا أن نقول أن هذا التشابه تمثل فى عملية عصبية وعقلية مناظرة أم ماذا ؟ .

كما أن هناك نقطة أخرى تدل على مدى اختلاف وتباين مفهوم التشابه المدرك عند بعض من استخدم هذه التسمية . فنجد نيوكمب فى سنة ١٩٥٨ يقول « إن التفاعل بين فرد وآخر إنما يعتمد تماماً على مدى إدراك الفرد لمدى التشابه أو الاختلاف بينه وبين الفرد الآخر » .

ثم نجد أن كرتش وكرتشفيلد يتعرضان لنفس القضية كما يلى « أن الأشخاص أى الأفراد من بنى الإنسان يختلفون عن الأشياء والجمادات. إذ أن لهم من الخصائص الحركية والمميزات الحيوية ما يجعلهم بؤرة إدراك الآخرين علماً بأن أى من هذه الخصائص الحركية والحيوية لا علاقة لها بإدراك التشابه بين الأفراد » .

وللتفسير فإن الخصائص الحركية والحيوية التى عناها كرتش وكرتشفيلد هى التفاعل الاجتماعى الذى قصد إليه نيوكمب فى ملاحظته .

ولنا تعليق هنا :

(ا) هناك اتفاق بين المذهبين على أن التشابه بين الفردين « مدرك » وهذا ليس حقيقة علمية ولكنه افتراض محتمل ينقصه الدليل والتحقيق .

(ب) هناك عدم اتفاق بين المذهبين بالنسبة إلى علاقة عملية إدراك التشابه بين الأفراد بعملية التفاعل الإجتماعى والسلوكى . فبينما يؤكد نيوكمب هذه العلاقة نجد أن كرتش وكرتشفيلد ينفيان وجودها .

(حـ) يرى نيوكمب نفسه سنة ١٩٥٨ أن عملية إدراك الأصوات

والمرئيات وتفسير ذلك عن طريق نظارى إنما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بخصائص الصوت والضوء كمثيرات تأتى من البيئة الخارجية ويقول (إن عملية الإدراك البصرى أو السمعى إنما تأتى نتيجة تفاعل بين خواص الرائى أو السامع وبين خواص الشيء المرئى أو الصوت المسموع وأن ذلك هو مايحدث تماماً عند تفاعل شخص مع شخص آخر فى موقف اجتماعى) .

ونحن نعارض هذا : لأن افتراض نيوكمب يتعارض بل يتناقض مع ما بنى عليه جميع دراساته السابقة . إذ أنه ليس هناك تشابه بين الفرد الرائى وبين الشيء المرئى أو بين الفرد السامع وبين الصوت المسموع ، ولكن نيوكمب نفسه قد سبق وافترض أنه فى حالة إدراك الأشخاص يكون هناك ما سماه بالتشابه المدرك .

ومن هذا قد يتضح تعارض افتراضات نيوكمب وتفسيراته .

٢ — كان عماد هذه الدراسات السابقة ومثلها هو وصف الفرد لنفسه ثم وصفه لغيره ومن الفرق بينهما يمكن الحصول بطريقة أو بأخرى على درجة تدل على التشابه أو الفرق بينهما .

ووصف الفرد لنفسه كما هو معروف ومتوقع إنما يعتمد على مفهومه عن ذاته ومفهومه عن غيره . ومثل هذا المفهوم قد يكون له علاقة بالحقيقة والواقع ولكنه من المسلم به أنه لا يطابق الحقيقة والواقع تماماً .

وهذا يؤكد ذاتية الفرد عند بنائه لصورة ذاته أو تكوينه لمدرك أو مفهوم عن ذات غيره . وبذلك تصبح موضوعية الدرجة المشتقة لتدل على الفرق أو التشابه موضع شك واحتمالات متباينة .

٣ — قال جيلبرت ١٩٦٠ أنه عندما يلتقى فرد ما بفرد آخر فى موقف معين فإنه يدركه ككائن اجتماعى عن طريق مقارنته بنفسه مستخدماً صورة ذاته كإطار مرجعى . ونحن نتفق معه فى ذلك بصورة جزئية . إلا أن هايز يرى غير ذلك فيقول إنه عندما يلتقى فرد ما بفرد آخر فى موقف معين فإنه

يدركه ككائن اجتماعى عن طريق مقارنته بذات فرد ثالث لا وجود له فى نفس الموقف . ونحن أيضا نتفق مع هايز بصورة جزئية .

إذن لو سلمنا جدلا بصحة الافتراضين والتفسيرين لأصبح الأمر أكثر تعقيداً وصعوبة لأنه لايصبح فى الإمكان تحديد مصدر التشابه أو الاختلاف، فهل هو ناتج عن مقارنة الفرد لنفسه بفرد آخر أم عن مقارنة الفرد لفردين آخرين كل منهما بالآخر .

٤ — وإكمالا لذلك الشك الذى نشأ نتيجة هذين التفسيرين فإن هناك مصدراً آخر للتعقيد : فنحن نعلم كما سبق أن قدمنا أن استخلاص أو حساب درجة التشابه المدرك أو المفترض يعتمد على أن يقوم الفرد بوصف نفسه ثم التنبؤ بوصف الغير لنفسه . وهنا يمكن أن يكون هناك تشابه أو اختلاف هذا التشابه أو الاختلاف يمكن أن يكون ناتجا من إحدى العمليات التالية :

(ا) عملية التقمص أو التوحد indenlitication حيث يقوم الفرد بوصف نفسه ونوع سلوكه وشخصيته بناء على مفهومه لصورة ذات فرد يحبه ويعجب به .

(ب) عملية الإسقاط Projection أى أن يقوم الفرد بوصف غيره مستخدماً فى ذلك صورة ذاته ومفهومه عن نوع شخصيته وسلوكه . أو بمعنى آخر يسقط الفرد صفاته وأنماط سلوكه (الطيبة) على فرد آخر يحبه ويعجب به أو أن يسقط الفرد صفاته وأنماط سلوكه (غير الطيبة) على فرد آخر لايحبه ولا يعجب به .

(ح) عملية الميل نحو المعايير الاجتماعية Social desirability وهذه تبدو عندما يقوم الفرد بوصف صورة ذاته التى كونها عند تفاعله مع المجتمع بقيمه ومعاييره وضغوطه فهو إذ يصف صورة ذاته هذه فإنما يميل إلى أن يرضى ما هو قائم من معايير وقيم وبذلك نجد أن صورة ذات الفرد كما يصفها هو تقترب كثيرا من هذه القيم والمعايير .

وعندما يقوم الفرد بوصف صورة ذات فرد آخر يحبه ويعجب به

فإنه يصف صورة الذات هذه كأقرب ما تكون إلى تلك القيم والمعايير أيضاً ومن هنا يلاحظ التشابه بين صورة ذات الفرد وصورة ذات فرد آخر .

وبناء على عكس ما سبق يلاحظ عدم التشابه بين صورة ذات الفرد وصورة ذات فرد آخر .

وعلى ذلك فإن التشابه بين فردين أو الإختلاف بينهما ليس معروف المصدر فهناك عدة احتمالات :

(ا) أن يكون هذا التشابه ناتجاً عن مقارنة بين ذات الفرد والذات الأخرى
(ب) « « « « عن مقارنة بين ذات فردين آخرين غير الفرد الأول
(ح) « « « « عن عملية التقمص
(د) « « « « عن عملية الإسقاط
(ه) « « « « عن عملية الميل نحو المعايير والضغوط الاجتماعية .

وهذه الاحتمالات الخمسة متساوية إذ ليس هناك ما يرجح أحدها على البقية الباقية .

٥ — وهذه نقطة أخيرة نختتم بها هذا الحوار وأردنا لها أن تكون الأخيرة لأن لها أهمية خاصة فى تحديد مفهومنا عن عملية الإدراك الاجتماعى.

ففى كثير من البحوث والدراسات التى تناولت قياس الإدراك الاجتماعى أو دراسة واستكشاف العلاقة بين هذه العملية وبين بعض المتغيرات الاجتماعية والنفسية الأخرى وخاصة بحوث فيدلر وكروتياج وسوساى وغيرهم ممن قادوا هذه الحركة العلمية من بداية ١٩٥٠ حتى الآن ، فى هذه البحوث كانت طريقة استخلاص درجة الإدراك الاجتماعى تتلخص فى استنتاج الفرق بين وصف الفرد لنفسه وبين تنبؤه بوصف الفرد الآخر لنفسه .

وهنا لنا بعض التعليق إذ أنه إذا افترضنا أن فى الموقف الاجتماعى فردين هما ا ، ب .

— الفرد (ا) يعتقد أن الفرد (ب) شخصية غير مسئولة أى أن قدرة (ب) على تحمل المسئولية قليلة .

— والفرد (ا) يعلم فى نفس الوقت أن الفرد (ب) يعتقد فى نفسه أنه على قدر عال من تحمل المسئولية .

لذلك فإذا قام الفرد (ا) بوصف الفرد (ب) من وجهة نظره هو أى من وجهة نظر (ا) فإن النتيجة سوف تختلف تماماً عما إذا قام الفرد (ا) بالتنبؤ بوصف (ب) لنفسه .

وهنا تصبح درجة التشابه المفترض أو المدرك متوقفة من ناحية صحتها على التعليمات التى تعطى للمفحوص . هل سيصف فرداً آخر أم أنه سوف يتنبأ بوصف هذا الفرد الآخر لنفسه ؟

لذلك وبناء على جميع الاعتبارات السابقة يقترح المؤلف — كما ورد فى مجموعة من دراساته السابقة ١٩٦٣ — ١٩٧٠ — تحديد مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى على النحو التالى :

(ا) أن يتألف الموقف الذى تتم فيه عملية الادراك الاجتماعى من ثلاثة أفراد على الأقل (ا ، ب ، حـ) حتى نضمن توفر كلا الاحتمالين : استخدام الفرد صورة ذاته أو مفهومة عن ذات غيره كإطار مرجعى . وبذلك نتأكد من أن الإطار المرجعى عضو فى هذا الموقف . وليس بالضرورة أن يتواجد الثلاثة بصورة عضوية ولكن قد يكون أحدهم شخصاً افتراضياً .

(ب) أن يقوم الفرد بوصف الفرد الآخر من وجهة نظره هو لا أن يتنبأ بوصف الفرد الآخر لنفسه وبذلك نتأكد من نقطة البداية فى عملية الإدراك الاجتماعى .

وعلى ذلك تصبح محددات أو أبعاد هذه العملية كما يلي :

١ — البعد الحقيقي ا / ب : وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (ا) لنفسه وبين وصف الفرد (ب) لنفسه أيضاً .

٢ — البعد الحقيقي ا/حـ : وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (ا) لنفسه وبين وصف الفرد (حـ) لنفسه أيضاً .

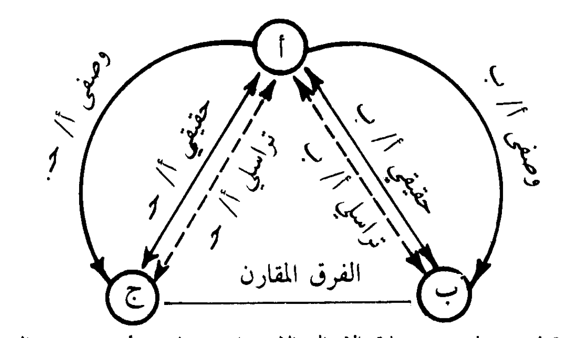
٣ — البعد الوصفي ا / ب : وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (ا) لنفسه وبين وصف الفرد (ا) للفرد (ب) .

٤ — البعد الوصفي ا/حـ : وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (ا) لنفسه وبين وصف الفرد (ا) للفرد (حـ) .

٥ — البعد التراسلي ا / ب : وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (ا) للفرد (ب) وبين وصف الفرد (ب) لنفسه هو .

٦ — البعد التراسلي ا / حـ : وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (ا) للفرد (حـ) وبين وصف الفرد (حـ) لنفسه هو .

٧ — البعد المقارن : وهو دالة المسافة بين وصف الفرد (ا) للفرد (ب) ووصف الفرد (ا) للفرد (حـ) .



(رسم توضيحي لوحدة عملية الإدراك الاجتماعي. الفرد (أ) هو نقطة البداية)

وعلى ذلك فإن عملية الإدراك الاجتماعى ليست عملية بسيطة الأبعاد ولكنها مركبة وأبسط تصور لها هو ذلك الموقف الذى يتألف من ثلاثة ا ، ب ، حـ وتكون نقطة البداية هى الفرد ا .

وواضح من ذلك أيضاً أنه سوف تكون هناك سبعة درجات للإدراك الإجتماعى وليست درجة واحدة فقط كما زعمت معظم الدراسات والبحوث السابقة .

هذه الدرجات السبع هى :

درجة التشابه الحقيقى ا / ب

درجة التشابه الحقيقى ا / حـ

درجة التشابه الوصفى ا / ب

درجة التشابه الوصفى ا / حـ

درجة التراسل ا / ب

درجة التراسل ا / حـ

الدرجة المقارنة (الفرق المقارن)

بذلك نكون قد حددنا مفهومنا العـــام لعملية الإدراك الاجتماعى ولاستكمال الصورة سوف نعرض نوعية العلاقة بين هذه العملية وبين بعض المتغيرات الأخرى .

- عملية الادراك الاجتماعي وانتاجية الجماعة :

إنتاجية الجماعة group productivity هى قدرة هذه الجماعة أو تلك على تحقيق الهدف من قيامها وتكوينها سواء كانت هذه الأهداف مادية أو اجتماعية .

وإنتاجية الجماعة من الناحية المادية أمر يسهل تقديره وقياسه كما يسهل أيضاً تحديد عناصر وعوامل ووحدات هذا النوع من الإنتاجية . وعليه

فإنه يمكن لنا أن نقول إن الإنتاجية المادية للجماعة (ا) تفوق نظيرتها فى الجماعة (ب) إذا كان عدد وحدات هذه الانتاجية تزيد فى هذه عن تلك.

ولكن كيف يمكن لنا أن ننقل هذا القياس وهذه المقارنة إلى الإنتاجية الاجتماعية ؟.

والإجابة على مثل هذا السؤال تحتاج إلى تحفظ كبير فإنه ليس من السهل علينا أن نقيم الأسس الموضوعية التى نقارن عليها بناء مجموعات اجتماعية مثل ما هو الحال بالنسبة للانتاجية المادية . فعلى سبيل المثال نجد أن وحدات الانتاجية المادية لا تعتمد على حجم المجموعة الانتاجية أوطبيعة تكوينها بينما العكس صحيح فى حالة الانتاجية الاجتماعية حيث يتدخل حجم المجموعة وطبيعة تكوينها كمتغيرين أساسيين فى عملية الانتاجية . وحجم الجماعة وطبيعة تكوينها يحدد أيضاً شبكة العلاقات الاجتماعية بما فيها من قيم ومعايير ونظم وتكامل .

لذلك سوف نختصر الطريق ونعرف القدرة الانتاجية للجماعة كتنظيم اجتماعى على أنها درجة التغير فى القيم الناتجة عن أداء وتوقعات أعضاء الجماعة أو درجة التغير فى هذا الأداء والتوقع .

فعلى سبيل المثال نجد أنه فى أى جماعة من الجماعات الإنتاجية كما هى الحال فى وحدة صناعية مثلا نجد أن أداء الأفراد يمهد دائماً للتوقع ويرتبط به فكلما تغير نمط الأداء وتغير مدرك ومفهوم الفرد عن أدائه ووظيفته تغير التوقع بالتبعية ولهذا فإننا نقيس إنتاجية الجماعة بمدى التغير فى توقعات أعضاء الجماعة وفى القيم الناتجة بناء على ذلك .

وبهذا يتضح أن أى تغير فى عملية إدراك الفرد للآخرين إدراكا اجتماعياً (إدراك للدور وللوظيفة) يحدث تغيراً فيما يتوقعه هذا الفرد من الآخرين وبالتالى يحدث تغيرا فى القيم القائمة على هذا التوقع .

وهناك أيضاً عامل آخر يتصل بإنتاجية الجماعة — غير عامل مدى التغير فى توقعات الأفراد — وهو تكامل الجماعة Group Integration وأيضاً نختصر الحوار ونعرف تكامل الجماعة على أنه مدى مقاومة بناء الجماعة وتنظيمها للضغوط الخارجية التى تهدف إلى تحطيم هذا البناء وهذا التنظيم .

وهناك أيضاً عامل ثالث هو عامل الروح المعنوية له صلة مماثلة بإنتاجية الجماعة ويمكن تعريف الروح المعنوية على أنها درجة الطلاقة أو الحرية التى تتحرك بها الجماعة نحو أهدافها فى وجود العوائق والعوامل المعطلة لحركتها .

وكما هو واضح فان هذه العوامل الثلاثة بالإضافة إلى المتغير الأصلى ألا وهو إنتاجية الجماعة إنما تعتمد أصولها على عملية تكوين الفرد لمدرك ذاته ولمدركاته عن ذوات الآخرين ومن ثم أصبحت عملية الإدراك الاجتماعى هى المتغير المستقل فى هذه السلسلة كلها .

لذلك نشطت البحوث والدراسات فى هذا الموضوع سواء كان ذلك بهدف إرضاء الفضول العلمى للباحثين والعلماء أو من أجل الدراسة التطبيقية فى مجال العمل المهنى والصناعة .

ففى سنة ١٩٥١ أجرى دارلى ومارتن دراسة للتمييز بين إنتاجية الجماعة ونشاط الجماعة Group activity حيث وجد الباحثان أن معامل الارتباط بين معدل نشاط بعض الجماعات وبين إنتاجية هذه الجماعات لا يزيد عن ٠٫٢ . وكانت وحدات نشاط الجماعة هى وحدات التفاعل العام خارج المواقف الإنتاجية وذلك مثل الأنشطة الاجتماعية والترويحية المختلفة . فى حين أن وحدات إنتاجية الجماعة كانت هى وحدات إنتاج الجماعات فى المعامل العلمية مثل معامل الكيمياء التطبيقية والحيوية والورش الهندسية والتى يحتاج العمل فيها إلى جماعات صغيرة . وأما الوحدات العامة لإنتاجية الجماعة فكانت

هى وحدات الإنتاج المادى بالإضافة إلى وحدات التكامل الاجتماعى الملاحظ فى تفاعل الجماعة أثناء الموقف الإنتاجى .

من هذه الدراسة نستطيع أن نستنج أن النشاط غير الإنتاجية أو بمعنى آخر ليس كل نشاط يؤدى إلى إنتاج وإن كان كل إنتاج يحتاج إلى نوع خاص من النشاط .

ودراسة أخرى أجراها هورسفول وأرنزبرج سنة ١٩٤٩ لإيجاد العلاقة بين التفاعل الاجتماعى داخل الجماعة وبين طاقتها الإنتاجية . وقد أجريت هذه الدراسة على عمال أحد مصانع الأحذية حيث كانت وحدات الإنتاج هى عدد أزواج الأحذية التى تجهزها المجموعة فى فترة معينة . أما وحدات التفاعل الاجتماعى فكانت هى أنواع العلاقات الاجتماعية بين الأفراد

وخرج الباحثان من هذه الدراسة أنه لا توجد علاقة بين كمية ومعدل التفاعل الاجتماعى بين أعضاء الجماعات وبين الطاقة الإنتاجية لهذه الجماعات .

أو بمعنى آخر ليس هناك علاقة بين التفاعل الاجتماعى وبين الإنتاج المادى الأمر الذى لا يمكن الموافقة عليه بسهولة !!!

وفى سنة ١٩٥٦ قام هيمفيل بدراسة مماثلة حيث أثبت أن نشاط الجماعات وتفاعل أعضائها مع بعضهم البعض ممثلا فى اشتراكهم فى حل بعض المشاكل له علاقة موجبة بإنتاجيتها !!

وهناك اتجاه آخر فى هذه الدراسات يهدف إلى اختبار العلاقة بين حجم المجموعة وقدرتها على الإنتاج .

فيقرر لودج وبيرنر فى سنة ١٩٥٧ أن الطاقة الإنتاجية للمجموعات الكبيرة تفوق نظريتها فى المجموعات الصغيرة وذلك فى معالجة المشاكل التجريدية فى حين أن إنتاجية الجماعات الصغيرة تفوق إنتاجية الجماعات الكبيرة عند معالجة المشكلات الأدائية أو العملية .

وفى سنة ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ اتفق بلوم وروزبارا وآخرون على أن الجماعات الصغيرة أكثر إنتاجية من الجماعات الكبيرة بوجه عام وأنه عندما يتغير حجم المجموعة بالزيادة أو النقص فان المتغيرات ذات العلاقة بإنتاجية الجماعة لا تصبح ثابتة بشكل منتظم .

ويؤكد ماريوت جزءاً من هذه النتيجة حيث يقرر أن إنتاجية بعض الجماعات الصناعية تقل كلما زاد عدد العمال . كما أن كفاءة الجماعة وإنتاجيتها لا تعتمد فقط على حجمها ولكنها تعتمد كذلك على نوع وطبيعة المشكلة محل البحث سواء كانت من النوع التجريدى الذى يحتاج إلى معالجة ذهنية من نوع خاص أو من النوع العملى الذى يصطبغ بضرورة العمل والأداء .

وهناك اتجاه ثالث فى هذه الدراسات والبحوث أجرى بهدف تقييم العلاقة بين تنظيم الجماعة وبين طاقتها الإنتاجية .

فنجد أن فرنش يقرر فى بعض دراساته أن هناك تناسب طردى موجب بين تنظيم الجماعات وطاقتها الإنتاجية سواء من الناحية المادية أو من الناحية الاجتماعية . وذلك بغض النظر عن حجم الجماعة ومعدل النشاط فيها .

أما هينكى وآخرون فى سنة ١٩٥٣ فإنهم يوضحون أن أول ما يمكن تسجيله من نشاط جماعة حديثة التكوين هو إيجاد تنظيم داخلى لها وإحداث التمايز المطلوب فى تركيبها وبنائها الداخلى قبل أن تبدأ هذه الجماعة فى مزاولة أى عملية من عمليات الإنتاج .

ويقول سميث وهول بناء على التجارب التى قاما بها بالاشتراك مع آخرين فى سنة ١٩٥٧ أن إنتاجية الجماعة تزيد كلما اتضح دور كل فرد فيها نتيجة لتمايز الأوضاع النسبية بين الأفراد وتقل كلما كان تركيب الجماعة بسيطا أى لا يوجد تمايز بين أوضاع الأفراد فيها .

وهذا الاستنتاج يتضمن فى ثناياه أن إنتاجية الجماعة دالة مباشرة لعملية

الإدراك الاجتماعى حيث أن هذه الأخيرة تحتوى ضمناً على « وضوح دور كل فرد فى الجماعة » سواء كان ذلك الوضوح يتصل به أو يتصل بغيره .

وكذلك فقد وجدشو وكريستى أن إنتاجية الجماعة تكون فى أعلى حالاتها عندما يسمح تركيب الجماعة باتصال الأفراد بعضهم ببعض عن طريق فرد يتوسط هذا التركيب من الناحية السوسيومترية وتكون الانتاجية فى أقل حالاتها إذا كان هذا الاتصال يتم فى خطوط متوازية ، أو بمعنى آخر : أن التركيب المتمايز الذى يمهد لتعاون تنظيمى أكثر فعالية من التركيب المتماثل أو غير المتمايز .

وهناك اتجاه رابع من هـذه الدراسات يهدف إلى دراسة الدوافع والعمليات النفسية الفردية المتعلقة بإنتاجية الجماعة وعملية الإدراك الاجتماعى . فقد وجد مورفى و نيوكمب أن دافع المنافسة يرفع مستوى الأداء وبالتالى يرفع معدل الإنتاجية .

ويقترح بيينسكى وبافليك نظرية لتفسير دوافع الإنتاج فى الجماعة على أساس أن كل أداء له بعدان رئيسيان :

(ا) بعد يعتمد على القيمة النظرية التى يهدف الأداء إلى تحقيقها .

(ب) بعد يعتمد على عملية الأداء من ناحية المهارة والتطبيق .

ونجد هير يشرح ويوضح الإنتاجيـة والدوافع المسببة لها على أساس قانون الأثر لثورندايك حيث يقول أن معـدل الأداء يزداد إذا تلقى الفرد أى نوع من أنواع المكافأة أو التقدير كما أن هذا المعدل ينخفض إذا لم يتلق الفرد التقدير المتوقع أو تأخر هذا التقدير .

وأما الاتجاه الخامس فى هذه الدراسات فهو ذلك الاتجاه الذى استهدف دراسة العلاقة المباشرة بين عملية الإدراك الاجتماعى كمتغير مستقـل وبين إنتاجية الجماعة كمتغير تابع .

وقد تزعم هذا الاتجاه بلا منازع فيدلر وكرونباخ عندما بدأت دراستهما

على بعض الفرق فى البحرية الأمريكية وكذلك بعض النوادى الرياضية وخاصة نوادى كرة السلة . وكانت هذه الدراسة مشروع كبير بدأ فى ١٩٥١ وانتهى فى ١٩٥٨ .

وكان هناك سؤالان أساسيان فى هذه الدراسة :

أولها : إلى أى مدى تختلف الجماعات المنتجة وغير المنتجة من حيث كونهما جماعات نفسية ؟

وثانيهما : أى الخصائص الزعامية والموقفية تساعد الجماعة على أن تكون جماعة منتجة ؟

ويعتقد فيدلر وكرونباخ أن إنتاجية الجماعة هى المحك الذى يمكن على أساسه قياس قدرة القائد أو الزعيم على توجيه أعضاء المجموعة . أو بمعنى آخر لا يعتبر القائد ناجحاً إذا عجزت جماعته عن تحقيق الهدف من قيامها وتكوينها .

وعلى الرغم من ذلك فقد لاحظ الباحثان أن هناك جماعات نشطة فعالة يقودها زعماء غير أكفاء . وبذلك كان من المتوقع أن يعدل الباحثان اعتقادهما هذا ولكنهما أصرا عليه فى سلسلة الدراسات التى أجرياها .

وكانت أبرز الدراسات تلك التى أجراها الباحثان على عدد كبير من فرق كرة السلة فى مدينة إلينوى الأمريكية حيث وجدا أن قادة الفرق المنتجة يجب أن يتميزوا بخاصتين سلوكيتين هما :

(ا) المكانة السوسيومترية العالية التى تجعل القائد دائماً فى بؤرة اختيارات واهتمام الجماعة وهدفا شعوريا لهم أثناء تفاعلهم مع بعضهم البعض .

(ب) القدرة على الاحتفاظ ببعد نفسى اجتماعى مناسب بين الذات وبين المعاونين حتى يضمن القائد استمرار انتقال التعليمات وحتى يمكنه أن يتخلى عن أحدهم أو يغير فى أوضاعهم النسبية كلما دعت ظروف التفاعل الاجتماعى داخل الجماعة .

ووجد الباحثان أيضا أن قادة الفرق المنتجة يتميزون عن قادة الفرق غير المنتجة بقدرة كبيرة على تقدير الفرق بين سمات شخصية أحب المعاونين إليهم والسمات الشخصية لأبعد المعاونين عنهم .

كما وجد الباحثان كذلك أن الإدراك الاجتماعى فى الجماعات المنتجة يختلف عن نظـــيره فى الجماعات قليلة الإنتاج حيث افترضا أنه يمكن قياس عملية الإدراك الاجتماعى عن طريقتين :

١ — درجات المكانة السوسيومترية .

٢ — درجات التشابه المفترض بين الأفراد .

ولنا هنا تعليق أو بمعنى أصح نقد يمكن أن يوجه إلى هـذه الدراسات الرائدة التى فتحت الطريق أمام الكثير من الدراسات الأخرى . ونقدنا يتعلق بنقص عدد أبعاد عملية الإدراك الاجتماعى التى اشتقت على أساسها الدرجات التى تقارن بين مجموعة وأخرى فقد أخذ الباحثان فى اعتبارهما فقط الفرق بين صورة الذات أو وصف الذات عند القائد وبين فكرة القائد عن معاونيه . ثم قدرة القائد على التمييز بين السمات الشخصية لأقرب المعاونين إليه وأبعدهم عنه .

والحقيقة أن هذين البعـدين لا يمثلان كل عملية الإدراك الاجتماعى . إذ أين الأبعاد التى تدل على رد فعل إدراك القائد لمعاونيـه ؟ ونقصد بذلك أبعاد التراسل بين الأفراد بعضهم وبعض كما ورد فى تلخيصنا لوجهة نظرنا الخاصة بمفهوم عملية الإدراك الاجتماعى .

وهناك نقد آخر لا يصح إغفاله أو التغاضى عنه وهو خاص بالمقاييس التى استخدمها الباحثان للحصول على وصف صورة الذات عند القائد فقد كانت بنود هذه المقاييس تدعو المفحوص بصورة واضحة إلى التأثر الزائد بعامل الميل إلى المعايير الاجتماعية . وهذا أكبر خطر يهدد صحة ودقة مثل

هذه المقاييس بالذات إذ أن حساسية مقاييس صورة الذات لهذا العامل زائدة وشديدة .

وهناك نقد ثالث خاص بمنهجية الدراسية حيث اعتبر الباحثان عدد المباريات الرياضية التى فاز فيها كل فريق بمثابة دليل إنتاجية هذا الفريق بغض النظر عن الجو الاجتماعى الذى يسود الجماعة أو على الأقل تكاملها كفريق .

وواضح أن رياضة كرة السلة كأى رياضة أخرى يعتمد التفوق فيها على القدرة الفنية والمهارة الفردية لكل عضو من أعضاء الجماعة .

وقد قام المؤلف سنة ١٩٦٤ بدراسة العلاقة بين أبعاد عملية الادراك الاجتماعى وبين إنتاجية الجماعات الصغيرة . وقد أجرى هذه الدراسة فى إحدى معسكرات العمل حيث أتيحت الفرصة للباحث أن يقيم إقامة دائمة مع المتطوعين فى هذا المعسكر .

وكانت الأعمال الرئيسية التى يقوم بها المتطوعون هى أعمال الرى والزراعة (غرس الأشجار) ورصف وتعبيد الطرق وغير ذلك من الأعمال المماثلة .

وكما هو واضح من وصف هذه الأعمال فإنها جميعاً تحتاج إلى روح الفريق وإلى مجهود التعاون بين أعضاء جماعات صغيرة نسبيا أى لا يزيد حجمها عن سبعة أفراد .

وقد قام الباحث بدراسة ثلاثة وثلاثين مجموعة يتألف كل منها من سبعة أعضاء فى المتوسط بالاضافة إلى رائد لهذه المجموعة سبق تدريبه على كثير من النواحى الاجتماعية .

وكان جميع أفراد الجماعة بالاضافة إلى الرائد يقضون كل الوقت متلازمين سواء فى العمل اليومى أو فى النوم فى خيام المعسكر .

وبذلك نستطيع أن نقول أن عملية التفاعل الاجتماعى المباشر بين أعضاء هذه الجماعات كانت تتم وتستمر بصورة كافية تسمح بقياسها وتقديرها من الناحية السوسيومترية .

وكان البرنامج اليومى للجماعات يبدأ بمغادرة المعسكر إلى حقول العمل فى الصباح الباكر حيث يستمر العمل حتى الظهيرة . ثم تبدأ فترة النشاط الرياضى من الخامسة حتى السادسة والنصف . ومن السابعة حتى التاسعة تعقد حلقات للدراسات القومية والاجتماعية لكل مجموعة على حدة مع رائدها .

وللتلخيص فإن النشاط اليومى لكل جماعة من هذه الجماعات الثلاثة والثلاثين يتألف من ثلاثة أنواع من المواقف يمكن على أساسها تقدير إنتاجية كل جماعة . وهذه الأنواع الثلاثة هى :

١ — مواقف العمل والأداء وتشمل مواقف النشاط الفعلى فى ميادين العمل مثل غرس الأشجار والرى وتعبيد الطرق . وفى هذا النوع من المواقف يمكن استخدام عدد الوحدات العملية (عدد الأشجار وعدد وحدات التعبيد) كدليل للانتاجية المادية للجماعة .

٢ — مواقف التفاعل الحر التى تشمل تفاعل الأفراد أثناء فترات الرياضة أو الراحة أو السمر أو ما يشابه ذلك من أنواع التفاعل الحر .

وهذا النوع من المواقف يعتبر أساساً لتكوين «الصورة السوسيومترية» لتفاعل المجموعة .

٣ — مواقف الحوار والمناقشة وهذه تتمثل فى الحلقات الدراسية التى تعقدها كل جماعة على حدة وهذه يمكن أن تكون أساسا لحساب إنتاجية الجماعة من الناحية الاجتماعية إذا أحسن استخدامها ودراستها .

هذا وقد افترض الباحث عدة فروض لتكون هيكلا لهذه الدراسة . وهذه الفروض هى :

١ — التنظيم السوسيومترى الأمثل يميز الجماعات ذات الإنتاج العالى :

ذلك بمعنى أن كثرة الروابط المزدوجة بين أعضاء الجماعة وكثرة الجماعات المغلقة يؤثر على الإنتاج تأثيراً عكسياً .

٢ — المركزية فى التنظيم السوسيومترى تساعد على رفع إنتاجية الجماعة :

بمعنى أن وجود فرد يتفق بقية الأعضاء على قبوله أو رفضه سوسيومتريا يؤثر طرديا على معدل الإنتاجية .

٣ — كثافة الاشتراك السوسيومترى تساعد على رفع إنتاجية الجماعة :

بمعنى أن كثرة المنعزلين وغير المهتمين من الأفراد يقلل معدل الانتاجية.

٤ — الفرق بين صورة الذات عند الفرد وبين فكرة الآخرين عن هذا الفرد له علاقة موجبة بإنتاجية الجماعة : بمعنى أن هناك علاقة موجبة بين درجة التراسل وبين الإنتاجية .

٥ — قدرة الفرد على التمييز بين سمات أقرب المعاونين إليه وأبعدهم عنه تتناسب مع إنتاجية الجماعة التى ينتمى إليها : أو بمعنى آخر هناك تناسب بين درجات الفرق المقارن Discriptive diff. Scores وبين إنتاجية الجماعة.

٦ — هناك حالة مثلى optimum case لدرجات الإدراك الاجتماعى تبلغ إنتاجية الجماعة عندها أقصى حالاتها .

ومن هذه الفروض يتضح أن هدف هذه الدراسة هو استكشاف العلاقة بين إنتاجية الجماعة وبين تنظيمها وبنائها الداخلى ونمط عملية الادراك الاجتماعى فيها . وذلك مع تثبيت حجم المجموعة .

وقد بدأت خطوات هذه الدراسة بأن قام كل رائد من رواد الجماعات الثلاثة والثلاثين بتسجيل كامل للنشاط اليومى للمجموعة فى حقول العمل وأثناء النشاط الحر وفى الحلقات الدراسية .

ثم قام الباحث بتحليل هذه التسجيلات بناء على الدلائل الآتية :

أولا — فى المواقف العملية كانت وحدات التحليل كما يلى :

١ — أداء ابتكارى	original perfor mance
٢ — « فعال	Magor «
٣ — « معاون	Subsidary «
٤ — محاولة مخططة	Calculated attempt
٥ — « ناجحة	Successful «
٦ — « معادة	Repeated «
٧ — توضيح تعليمى	teaching explanation
٨ — « تنظيمى	organizational «

ثانيا — فى المواقف الحرة كانت وحدات التحليل كما يلى :

١ — تكوين الشلل (الجماعات)	Gang formation
٢ — الاشتراك الاجتماعى	Social participation
٣ — سرعة الحركة والانتقال	energetic dynamism
٤ — الاستقطاب الاجتماعى	Social Polarisation
٥ — الانطواء	introversion
٦ — الممانعة الاجتماعية	Social resistance
٧ — المبادأة	initiative
٨ — الحساسية الاجتماعية	Social Sensitivity

ثالثا — فى مواقف الحوار والمناقشة كانت وحدات التحليل كما يلى :

١ — فتح باب المناقشة	inducing discussin
٢ — اقتراح ابتكارى	Orignal Suggestion
٣ — « فعال	major «

٤ — اقتراح معاون Subsidary Suggestion
٥ — قرار فى صورة اقتراح decissive Proposal
٦ — التأثير على قرار المجموعة influencing final decesion
٧ — تغيير مجرى المناقشة Ra-directing discussion
٨ — إعطاء المعلومات information

هذا وقد اعتبر الإنتاج فى كل جماعة مكونا من نوعين هما :

(ا) الانتاج المادى : وهو الذى يمكن تقديره بعدد الوحدات المادية التى قامت بها المجموعة مثل عدد الأشجار التى غرسها الأعضاء أو عدد الأمتار المربعة من الطريق التى قامت بتمهيدها .

(ب) الانتاج الاجتماعى : وهو حصيلة التفوق فى التحليل اليومى لمحتوى تفاعل المجموعة أو بمعنى آخر مقدار التغير اليومى فى قيم التفاعل .

وبناء على ذلك تم تقسيم المجموعات كلها إلى ثلاثة أنواع :

(ا) مجموعات فائقة الإنتاج .

(ب) « متوسطة الإنتاج .

(حـ) « دون المتوسط فى الإنتاج .

وبعد حساب درجات الإدراك الاجتماعى على أساس بعض أبعاد الشخصية التى تم قياسها سبقا وحساب دليل الادراك الاجتماعى لكل مجموعة — كما سيأتى ذلك فيما بعد وبعد تطبيق الاختبار السوسيومترى المناسب . أمكن للباحث أن يصل إلى النتائج الآتية :

١ — عند مقارنة الجماعات فائقة الانتاج بالجماعات دون المتوسط إنتاجيا يمكن أن نؤكد أن عدد الروابط المزدوجة والأفراد الذين لم يوجه إليهم أى اختبار والأفراد المنعزلين يرتبط بقلة الانتاج . فى حين أن العلاقات

المتسلسلة والمركزية وكثافة الاختيار السوسيومترى ترتبط بالمعدل الأعلى للإنتاج .

٢ — فى حالة الجماعات فائقة الإنتاج نجد أن عدد مراكز الاختيار الاجتماعى (الزعامات والقيادات السوسيومترية) وكذلك مراكز الرفض السوسيومترى أقل بصورة واضحة عن نظيرتها فى الجماعات قليلة الانتاج .

ويمكن تعليل ذلك بأنه نتيجة للتفاعل الصحيح الناجح تظهر زعامة ما يتفق عليها بقية أعضاء الجماعة ويحدث العكس فى حالة التفاعل الفاشل حيث تظهر زعامات كثيرة متنازعة أو زعامات ضعيفة متناثرة . ولهذا فإننا نعتقد أن التفاعل الناجح يرتبط دائماً بالانتاج الأعلى .

٣ — فى الجماعات فائقة الإنتاج تقل المسافة بين صورة الذات عند الفرد وبين فكرته عن أقرب معاونيه عن مثيلتها فى الجماعات قليلة الإنتاج . والعكس صحيح بالنسبة للفرد الذى لا يفضل التعاون معه .

وبمعنى آخر يكون متوسط درجات التشابه الوصفى الأول (بين الفرد وبين أفضل معاونيه) فى حالة الجماعات فائقة الإنتاج أقل بصورة إحصائية واضحة عن المتوسط المناظر فى حالة الجماعات قليلة الإنتاج .

وكذلك يكون متوسط درجات التشابه الوصفى الثانى (بين الفرد وبين أبغض معاونيه إلى نفسه) فى حالة الجماعات فائقة الانتاج أعلى بصورة إحصائية واضحة عن المتوسط المناظر فى حالة الجماعات قليلة الانتاج .

٤ — فى حالة الجماعات فائقة الانتاج تزيد المسافة بين السمات الشخصية للفرد المفضل وبين السمات الشخصية للفرد غير المفضل كما يراها الفرد الذى يعطى الاختيار والرفض وذلك عن مثيلتها فى الجماعات قليلة الانتاج . وبمعنى آخر يكون متوسط درجات الفرق المقارن فى حالة الجماعات فائقة الإنتاج

أعلى بصورة إحصائية واضحة عن المتوسط المناظر فى حالة الجماعات قليلة الانتاج .

٥ — فى الجماعات فائقة الانتاج تكون هناك فرصة أكبر لتطابق وصف المعاون المفضل لنفسه وبين وصف الآخرين له عن نظيرتها فى الجماعات قليلة الإنتاج . أو بمعنى آخر يكون متوسط درجة التراسل فى الحالة الأولى أقل من المتوسط المناظر فى الحالة الثانية أو حالة الجماعات قليلة الانتاج .

٦ — الحالة المثلى للادراك الاجتماعى التى ترتبط بأعلى درجات الانتاجية الاجتماعية على وجه الخصوص . يمكن وصفها كما يلى :

بافتراض أن الفرد (ا) يفضل الفرد (ب) كمعاون له

ويرفض الفرد (حـ) كمعاون له

فإن :

١ — الفرق بين حقيقة شخصية (ا) وحقيقة شخصية (ب) ≃ (تساوى تقريبا) الفرق بين تقدير (ا) لنفسه وتقدير (ا) لشخصية (ب) ≃ (تساوى تقريبا) الفرق بين تقدير (ا) لنفسه وتقدير (ب) لشخصية (ا)

أى أن درجة التشابه الحقيقى ا/ب ≃ درجة التشابه الوصفى ا/ب ≃ درجة التراسل من ب / ا

٢ — يكون الفرق بين تقدير (ا) للفرد (ب) وبين تقدير (ا) للفرد (حـ) أعلى ما يكون .

أى تصل درجة الفرق المقارن إلى نهايتها تقريبا .

وفى دراسة لاحقة لنفس الباحث (١٩٦٩) أعاد بعض هذه الدراسة على مجموعات أخرى حيث أكد هذه النتائج وأضاف إليها وخاصة فى الاستنتاج الأخير ما يلى :

٣ — الفرق بين تقدير (ا) للفرد (ب) وبين تقدير (ب) لنفسه يكون قليلا بصورة واضحة فى حالة الجماعات فائقة الانتاج عن نظيره فى حالة الجماعات قليلة الانتاج .

ـ عملية الادراك الاجتماعي ووصف الذات:

ليس هناك شك الآن فى أننا نعنى بعملية الادراك الاجتماعى تلك العملية المتكاملة التى تتألف من سبعة أبعاد والتى تحدث فى موقف يتألف من ثلاثة على الأقل قد يكون أحدهم افتراضياً لا وجود له فى نفس الموقف ولكنه يدخل بصورة أو بأخرى فى تكوين الإطار المرجعى الذى تتم على أساسه عملية الادراك الاجتماعى وتكتمل .

وأما ما نقصده بوصف الذات هنا فإنه وصف الفرد لنفسه وصفاً موضوعياً ما أمكن يساعد الباحث على إجراء المقارنات اللازمة وغالباً مايتم الحصول على وصف الذات باستخدام اختبارات الشخصية المتنوعة .

وهنا سوف نناقش العلاقة بين وصف الذات كما تعطيه اختبارات الشخصية وبين درجات الادراك الاجتماعى المشتقة بالصورة التى سبق وصفها .

وباستعراض البحوث والدراسات التى أجريت فى هذه النقطة بالذات نجد أنها قليلة ومتناثرة هنا وهناك ولا تخرج عن الإشارات التى أعطاها فيدلر وكرونباخ فى الدراسات العديدة التى قاما بها .

وقد حاول المؤلف أن يستكمل دراسة هذه العلاقة فى دراستين متتاليتين إحداهما كانت فى أواخر ١٩٦٣ والأخرى فى أوائل ١٩٦٧ وقد أجريت كل منهما على بيئة تختلف عن الأخرى .

وسوف نصف منهج ونتائج هاتين الدراستين فى شىء من الإيجاز غير المقل بحيث نعطى للدارسين فكرة واضحة عن كنه وطبيعة هذه العلاقة .

فمن ناحية منهج أى من هاتين الدراستين فإنه يتلخص فى إجراء اختبار سوسيومترى على المجموعات المطلوب دراستها حيث يطلب من المفحوص أن يعين أفضل من يحب أن يتعاون معه فى عمل ما كما يطلب منه أيضاً أن يعين الشخص الذى لا يحب أن يتعاون معه فى نفس العمل .

وبذلك فإننا سوف نعتبر أن الاختيار الأول هو أفضل المعاونين أى الفرد (ب) كما أن الرفض هو أبعد المعاونين أى الفرد (حـ) . حيث الفرد (ا) هو الذى يقوم بعملية الاختيار السوسيومترى .

بعد ذلك طبق اختبار فى الشخصية يقيس أربعة أبعاد رئيسية هى : الميل إلى التسلط والسيطرة ، الثبات الانفعالى ، القدرة على تحمل المسئولية ، القدرة الاجتماعية . وذلك على نفس المجموعات التى أجرى عليها الاختبار السوسيومترى .

تلى ذلك حساب الدرجة الحقيقية لكل فرد على اختبار الشخصية فى كل بعد من هذه الأبعاد . وهذه الدرجة هى عبارة عن الدرجة التى يعطيها الاختبار مباشرة .

ثم كانت الخطوة التالية هى حساب درجات الادراك الاجتماعى الخمسة بالنسبة لكل بعد من هذه الأبعاد الشخصية الأربعة آخذين فى اعتبارنا نتيجة الاختبار السوسيومترى .

وبذلك يصبح عندنا الدرجات التى تقيس كلا المتغيرين : درجات صورة الذات وهى الدرجات التى يعطيها الاختبار مباشرة ودرجات الإدراك الاجتماعى كما تم اشتقاقها وحسابها — (سوف نشير إلى الطريقة بالتفصيل عند مناقشة قياس الادراك الاجتماعى) .

وكانت الخطوة الأخيرة بعد ذلك هى حساب معاملات الارتباطات بين هذين المتغيرين وتفسير النتائج .

وسوف نعرض فيما يلى هذه النتائج ونناقشها :

١ — درجات التشابه الوصفى ا / ب :

وهذه هى الدرجات المشتقة من الفرق بين صورة ذات الفرد (ا) الذى يعطى الاختيار وبين وصف (ا) للفرد (ب) حيث أن الفرد (ب) هو أقرب المعاونين إليه . وقد حسبت معاملات الارتباطات فكانت كما يلى :

درجات التشابه الوصفى ا / ب

درجات صورة الذات	السيطرة	المسئولية	الانفعالية	الاجتماعية
السيطرة	-٠,٣٦ xx	-٠,٠١	-,٠٤	-,٢٤ xx
المسئولية	,٠٤	-٠,٤٣ xx	-٠,٢٦ xx	-,٠٩
الانفعالية	-,٠٨	-٠,٣٦ xx	-٠,٢٧ xx	-٠,٢٥ xx
الاجتماعية	-٠,٤٣ xx	-,٠٤	,٠٤	-٠,٤٢ xx

ملحوظة : × × تدل على أن معامل الارتباط واضح إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) .

نرى فى هذا الجدول أن كل معاملات الارتباط الواضحة إحصائياً هى معاملات سالبة . ولتفسير ذلك يجب أن نأخذ فى اعتبارنا طبيعة درجات هذين المتغيرين .

من الواضح أن طبيعة درجات صورة الذات مفهومة إذ أنه كلما زادت هذه الدرجات كلما دل ذلك على فهم أعلى وتقدير أرفع للذات وذلك مع اتجاه السمة الشخصية التى يقيسها الاختبار .

أما فى حالة درجات التشابه الوصفى فإنه كلما زادت هذه الدرجة كلما زادت المسافة بين وصف (ا) لنفسه ووصف (ا) للفرد (ب) أو بمعنى آخر

يقل التشابه بين الوصفين . أى أنه كلما زادت درجات التشابه الوصفى كلما قل التشابه الوصفى — كصفة ومفهوم .

ولهذا فإن معامل الارتباط السالب هذا الذى حصلنا عليه فى الجدول السابق إنما يدل فى الحقيقة على ارتباط موجب بين هذين المتغيرين .

وبمعنى آخر فإنه كلما زاد أو ارتفع مفهوم الذات عند الفرد كلما زاد التشابه الوصفى بينه وبين وصفه لذات أقرب المعاونين إليه .

ولو أن هذا الاستنتاج — بناء على المعالجة السابقة — يمكن أن يكون له دلالة كافية إلا أن الباحث أراد أن يستقصى اتجاه الارتباط بين هذين المتغيرين وذلك بمقارنة الأفراد الحاصلين على درجات أعلى من المتوسط بالنسبة لصورة الذات بالأفراد الحاصلين على درجات أقل من المتوسط على نفس المتغير : وتمت هذه المقارنة فى درجات التشابه الوصفى . وعليها حسب معامل الترافق المشتق من كا٢ . وكانت النتائج كما يلى :

درجات التشابه الوصفى ا/ب

درجات صورة الذات	س (سيطرة)	م (مسئولية)	ع (انفعالية)	ج (الاجتماعية)
س	٠,٠١ —٠,٤٣	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٠١ —٠,٢٥
م	—٠,٠١	٠,٠٥ —٠,٢١	٠,٠٥ —٠,٢٤	٠,١٤
ع	—٠,١٤	٠,٠٥ —٠,١٩	٠,٠٥ —٠,٢٤	٠,٠١ —٠,٢٥
ج	٠,٠١ —٠,٢٦	٠,٠٠	—٠,١٣	٠,٠١ —٠,٤١

(تدل هذه الأرقام على قيمة معامل الترافق ومستوى الوضوح الإحصائى ٠,٠١ أو ٠,٠٥) .

وبذلك يتضح من هذه المقارنة أن الأفراد فوق المتوسط فى درجات

صورة الذات يميلون إلى وصف أقرب المعاونين إليهم أكثر شبها بصورة ذواتهم مما يفعل الأفراد من تحت المتوسط فى درجات صورة الذات .

وهذا يؤكد استنتاجنا السابق بخصوص الارتباط الموجب بين درجات صورة الذات ودرجات التشابه الوصفى ا / ب .

ولكن لابد من تعليل ومناقشة هذه العلاقة الموجبة بين هذين المتغيرين . فقد سبق لنا فى مكان ما من هذا الفصل أن قلنا أن التشابه الوصفى هذا يمكن أن يأتى عن طريق عمليتين سيكلوجيتين إحداهما التقمص والأخرى الإسقاط .

وفى حالتنا هذه نستطيع أن نقول أن الاحتمال قائم بالنسبة لعملية الإسقاط أكثر منه بالنسبة لعملية التقمص . وخاصة إذا عرفنا أن الأفراد فوق المتوسط فى درجات صورة الذات يمثلون الاتجاه الأعلى قبولا من الناحية الاجتماعية وبذلك يصبح احتمال أن يتقمص أحدهم شخصية أحب المعاونين إليه أقل كثيراً من الاحتمال الآخر وهو أن يسقط أحدهم خصائصه وصفاته على أحب المعاونين إليه .

ويجب هنا أن نشير إلى معنى الإسقاط الذى نقصد إليـه فهو ليس ذلك الإسقاط الذى قصد إليه فرويد ومدرسة التحليل النفسى من أنه عملية هروب الذات من صفاتها الشاذة ورغباتها المكبوتة عن طريق إسقاط هذه الصفات والرغبات على الآخرين . ولكن ما نقصد اليه هو ما قصد إليه فروم من قبل وكذلك من طوروا مفهوم الإسقاط فأصبح عملية إعطاء الآخرين صفات الذات بما فيها من شاذ أو عادى أو غير ذلك .

وهنا يصبح إستنتاجنا معقولا فالفرد المتسلط أو القادر على تحمل المسئولية أو الثابت إنفعالياً أو الناجح إجتماعيا فإنه يحاول دائماً أن يرى صورة ذاته وصفاته هذه فى أحب المعاونين له .

٣ — درجات التشابه الوصفى ا / ح

هذه الدرجات هى دالة المسافة بين وصف (ا) لنفسه وبين وصف

(ا) للفرد (حـ) حيث (حـ) هو أبعد المعاونين عن الفرد (ا) ، والفرد (ا) هو الذى يقوم بعملية الاختيار سوسيومتريا .

وهنا أيضا عولجت العلاقة بين درجات وصف الذات عند الفرد ودرجات التشابه الوصفى ا / حـ بنفس الطريقة التى استخدمت فى الفقرة السابقة . فقد حسب معامل الارتباط بين هذين المتغيرين ثم حسب أيضا مقدار العلاقة بين الأفراد من فوق المتوسط ومن تحت المتوسط (فى درجات صورة الذات) بالنسبة لدرجات التشابه الوصفى ا / حـ . وكانت النتائج كما يلى :

درجات التشابه الوصفى ا / حـ

		س	م	ع	ج
درجات صورة الذات	س	•• ٠,٤٦	• ٠,٣٢	٠, ١	•• ٠,٤٥
	م	•• ٠,٤٤	•• ,٦٩	•• ٠,٣٨	—١ و
	ع	•• ٠,٣٧	•• ٠,٤٩	•• ٠,٦٧	—٦٠ و
	ج	•• ٠,٤٢	٠, ٢—	• ٠,٢٧	•• ,٥٤

(هذه الأرقام تمثل معاملات الارتباطات، ومستويات وضوحها الإحصائى (٠١ = •• ، ٠٥, = •)

س = السيطرة والتسلط .

م = المسئولية .

ع = الانفعالية أو الثبات الانفعالى .

ج = القدرة الاجتماعية .

واضح من هذا الجدول أن معاملات الارتباطات الواضحة إحصائياً هى معاملات موجبة ومعنى ذلك — إذا أخذنا فى اعتبارنا طبيعة كل من هذين المتغيرين كما سبق أن أوضحنا ذلك — أنه هناك ارتباط سالب بين هذه

الدرجات فكلما زادت درجات صورة الذات كلما قل التشابه الوصفى بين الفرد (ا) وبين الفرد (ح) حيث (ح) هو أقل المعاونين تفضيلا عند (ا).

واستكمالا لهذه الصورة فقد حسب معامل الترافق contingency Coff. بين من هم فوق المتوسط ومن هم تحت المتوسط فى درجات صورة الذات من ناحية وبين متغير التشابه الوصفى ا / ح من ناحية أخرى.

ويمكن ملاحظة النتائج فى الجدول التالى :

درجات التشابه الوصفى ا / ح

درجات صورة الذات	س	م	ع	ج
س	,٠١ ,٢٣	,٠٥ ٠,٢٣	 ٠,١٤—	,٠١ ٠,٢٣
م	و٠١ ٠,٣٧	٠١ ٠,٥٤	,٠١ ٠,٢٤	 ٠, ١—
ع	,٠٥ ٠,٢٨	,٠١ ٠,٤١	,٠١ ٠,٥٤	 ٠,١٧—
ج	,٠١ ٠,٣٧	 ٠,١٤ —	,٠١ ٠,٢٧	,٠١ ٠,٤٥

(تمثل هذه الأرقام معاملات الترافق ومستويات وضوحها الإحصائى إما ١٠, أو ٠٥,).

وهنا نؤكد النتائج التى وردت فى الجدول الأول ونزيد على ذلك بأن هؤلاء الأفراد من فوق المتوسط فى صورة الذات أى هؤلاء الذين لديهم فكرة عالية أو رفيعة عن صور ذواتهم فإنهم يصفون أبعد المعاونين عنهم أقل شبهاً بهم مما يفعل الأفراد من تحت المتوسط أو الذين ليست لديهم مثل هذه الفكرة العالية عن ذواتهم بالنسبة لأبعد المعاونين عنهم.

وهذه النتيجة أو الملاحظة إذا أضيفت إلى النتيجة التى سبق الحصول عليها بالنسبة لدرجات التشابه الوصفى ا / ب لأمكن تفسيرها تفسيراً جيداً فبينما نجد ذوى صورة الذات العالية — كما يقررون هم — يحبون أن يروا خصائصهم وصفاتهم فى أحب المعاونين إليهم فإنهم ينكرون مثل هذه

الخصائص أو الصفات على أبعد المعاونين عنهم . وهذا أمر ليس غير متوقع إذ أن الفرد الذي يصف ذاته وصفاً عالياً فإنه بالتبعية سوى ينظر إلى خصائص شخصته على أنها عوامل رئيسية تؤدى إلى المكانة الاجتماعية العالية وهو الأمر الذى يحبه ويرضاه لأقرب معاونيه وأحبهم إليه وينكره على أبعد معاونيه وأقلهم تفضيلا بالنسبة إليه .

ومن هنا لوحظ الارتباط (الموجب) فى الحالة الأولى والارتباط السالب فى الحالة الثانية .

٣ — درجات التراسل ا / ب

درجات التراسل ا / ب هى دالة الفرق بين وصف (ب) لنفسه وبين وصف (ا) للفرد . (ب) حيث (ا) هو الفرد الذى يقوم بعملية الاختيار، (ب) هو أفضل المعاونين بالنسبة للفرد (ا) .

وقد درست العلاقة بين درجات صورة الذات وبين هذه الدرجات (درجات التراسل) بنفس الطريقة الإحصائية التى سبق استخدامها فى الحالتين السابقتين وكانت النتائج كما يلى :

درسات التراسل ا / ب

درجات صورة الذات	س	م	ع	ج
س	٠٨و	,١٣	•• ٠,٢٤	• ٠,٢٠
م	—٠,٠٥	—٠٤,	—٠٧,	—٠٣,
ع	٠و١١	٠,١١	٠,١٠	٠و١٠
ج	•• ٠,٢٩	• ٠,٢١	•• ٠,٣٠	• ١٥و

(هذه الأرقام تمثل معاملات الارتباط ومستوى وضوحها الاحصائى ،
و•• = ٠,٠١ ، • = ٠,٠٥)

وأما معاملات الترافق فكانت كما يلى :

درجات التراسل ا / ب

درجات صورة الذات	س	م	ع	ج
س	٠,١٥	,٠٥ ٠,٢١	٠١و ٠,٢٦	,٠١ ٠,٣١
م	—٠,١١	—٠,٠٦	٠,١٢	٠,٠٧
ع	٠,١٦	,٠١ ٠,٢٤	٠,١٢	٠,١٤
ج	,٠١ ٠,٢٣	,٠١ ٠,٢٦	,٠١ ٠,٢٨	,٠٥ ٠,٢١

(هذه الأرقام تمثل معاملات الترافق ومستوى وضوحها الاحصائى) .

يتضح من الجدولين السابقين أن بينهما اتفاق على ما يلى :

(ا) أن الترابط بين درجات صورة الذات ودرجات التراسل ا / ب ترابط سلبى . أى أنه كلما زادت درجات صورة الذات كلما قل التراسل بين الفرد (ا) والفرد (ب) . وذلك واضح من معاملات الارتباطات الموجبة والواضحة إحصائيا آخذين فى الاعتبار طبيعة درجات التراسل .

(ب) أن الدليل على ما سبق ضعيف نسبياً لأن المعامل الواضح إحصائياً لم يظهر إلا فى حالتين فقط هما حالة درجات السيطرة ودرجات القدرة الاجتماعية . وعلى هذا الأساس سوف تتم المناقشة .

فنحن إذا أخذنا فى اعتبارنا طبيعة درجات التراسل من أنه كلما زادت هذه الدرجة كلما قل التراسل كمعنى ومفهوم أمكن لنا أن نفسر النتائج السابقة على أن الفرد الذى يحمل صورة عالية لذاته — وخاصة بالنسبة لخاصتى التسلط والقدرة الاجتماعية — أقل قدرة فى وصف أقرب معاونيه إليه — كما يصف هذا المعاون نفسه — من الفرد الذى لا يحمل مثل هذه الصورة العالية لذاته .

وتفسير ذلك يحتاج إلى مهارة من نوع خاص فى تناول هذه النقطة فهناك افتراض أن الأفراد من تحت المتوسط بالنسبة لدرجات صورة الذات فى التسلط والقدرة الاجتماعية لابد وأنهم يشعرون بخصائصهم هذه على الأقل لأنهم هم الذين أعطوا لأنفسهم هذه الصفات على اختبار الشخصية .

فالفرد الخضوع Submissive والفرد غير القادر اجتماعياً لابد وأن يكونا فى حالة من عدم الأمن الاجتماعى على عكس الفرد المسيطر والقادر اجتماعياً حيث يشعر بالأمن الاجتماعى أثناء تفاعله مع أعضاء الجماعة .

وبما أن الفرد الخضوع غير آمن إجتماعياً — شأنه فى ذلك شأن الفرد غير القادر من الناحية الاجتماعية — فإنه يحاول أن يضمن إستمرار الرابطة السوسيومترية بينه وبين أحب المعاونين له وبذلك يحرص كل الحرص على أن يعطيه من الصفات والخصائص ماهو أقرب ما يكون إلى الصفات والخصائص التى يصف بها أحب المعاونين هذا ذاته وشخصيته . بينما نجد أن الفرد الآمن اجتماعياً لا يكون حريصاً على ذلك بقدر حرصه على أن يخلع صفاته وخصائصه هو نفسه على أحب المعاونين إليه .

ومن هنا كانت النتائج التى حصلنا عليها فى هذه الفقرة والتى حصلنا عليها فى الفقرتين السابقتين .

وعلى ذلك يصبح الأمر فى الحقيقة متوقف على وجهة نظر الفرد (١) الذى يعطى الاختيار وعلى مفهومه عن صورة ذاته وإحساسه بنوع الروابط والعلاقات بينه وبين الآخرين من أعضاء المجموعة .

٤ — درجات التراسل ا / حـ

لم تختلف الصورة فى هذه الحالة عن سابقتها رغم أن القارىء يتوقع هذا الاختلاف . ولذلك فنحن نعتقد أن درجات التراسل هذه ليست درجات بسيطة مثل درجات التشابه الوصفى ولكنها درجات مركبة من أكثر من درجة واحدة . ولذلك فإن محاولة تحليلها قد أرجأت إلى بحث قادم .

عند حساب العلاقة بين درجات صورة الذات وبين درجات التراسل ا/ح حصلنا على النتائج التالية :

درجات التراسل ا/ح

درجات صورة الذات	س	م	ع	ج
س	٠٠ ٢٦و	٠و١١	٠٠ ٣٦,	٠٠ ٢٤,
م	٠,١٢—	٠,١١	٠ ٠,١٧	صفر
ع	٠,٠٦	٠,٠٩	٠٠ ٠,٣٥	٠,٠٨
ج	٠٠ ٠,٤٧	٠,١٤	٠٠ ٤١,	٠٠ ٠,٥٦

(هذه الأرقام تمثل معاملات الارتباطات ومستوى وضوحها الاحصائى ٠١و = ٠٠ 6 ٠٥, = ٠)

وعند حساب معاملات الترافق كانت كما يلى :

درجات التراسل ا/ح

درجات صورة الذات	س	م	ع	ج
س	٠١, ٠,٢٩	٠و١٧	٠١, ٠,٤١	٠١, ٠,٣٦
م	٠,٠٥	٠٥, ٠,٢١	٠٥, ٠,٢١	٠,١١
ع	٠,١٤	٠و١٢	٠١, ٠,٤٤	٠,١٣
ج	٠١, ٠,٣٣	٠٥و ٠,٢٢	٠١, ٠,٣٢	٠١و ٠,٥١

(هذه الأرقام تمثل معاملات الترافق ومستويات الوضوح الاحصائى إما ٠١, أو ٠٥,)

وبهذا نجد أيضاً أن الترابط فى هذه الحالة سالب أيضاً بين درجات صورة الذات وبين درجات التراسل ا/حـ . أى أن الأفراد من تحت المتوسط بالنسبة لدرجات صورة الذات (فى حالتى السيطرة والقدرة الاجتماعية أيضا) يصفون معاونيهم الذين لا يفضلونهم وصفاً يقترب من صورة ذوات هؤلاء المعاونين وذلك أكثر مما يفعل الأفراد من فوق المتوسط فى درجات صورة الذات بالنسبة لمعاونيهم الذين لا يفضلونهم .

وهذه النتيجة حصلنا عليها فى المرة السابقة وهنا قلنا أنه ولابد أن تكون درجة التراسل هذه مركبة وتحتاج إلى معالجة وتحليل حتى يمكن الحصول على فرق بين كلتا الحالتين .

ولكن هناك تفسيراً مؤقتاً يمكن أن يكون معقولا إلى درجة ما . وهو أنه طالما سلمنا أن الفرد الخضوع والفرد العاجز اجتماعيا يشعر كل منهما بعدم الأمن والطمأنينة الاجتماعية فإنه سوف يحاول أن يرضى كل من يتعاون معه بصورة أو بأخرى حتى يضمن استمرار الرابطة السوسيومترية بينه وبين الآخرين ولذلك فإنه يلجأ إلى وصف هؤلاء الآخرين — ومنهم من يحب أو لا يحب أن يتعاون معه — كما يحبون هم أيضاً أن يصفوا أنفسهم .

وأما بالنسبة للشق الثانى وهم الأفراد من فوق المتوسط فإن التفسير الذى أعطيناه فى الحالة السابقة (درجات التراسل ا / ب) يكاد ينطبق أيضاً فى هذه الحالة . حيث أن الفرد من فوق المتوسط فى درجات صورة الذات لن يحرص على إرضاء الآخرين بقدر حرصه على خلع صفاته على أحب معاونيه وإنكار هذه الصفات على أقل معاونيه تفضيلا .

وأخيراً لابد أن نشير دائماً إلى أن هذه الدرجات — درجات التراسل — درجات مركبة وتحتاج إلى دراسة تحليلية من نوع خاص .

٥ — درجات الفرق المقارن :

هذه الدرجات تعبر عن قدرة الفرد على التمييز بين الصفات الشخصية والخصائص السلوكية لأحب معاونيه ولأبعدهم عنه .

وبناء على ذلك فإن طبيعة هذه الدرجات عادية أى كلما زادت الدرجة كلما زاد مفهوم الفرق المقارن كلما زادت قدرة الفرد على التمييز بين خصائص وسلوك هذين الفردين .

أى أنه : درجات الفرق المقارن هى دالة المسافة بين الوصف الذى يعطيه الفرد (ا) للفرد (ب) وبين الوصف الذى يعطيه للفرد (حـ) .

وعند حساب العلاقة بين درجات صورة الذات وبين درجات الفرق المقارن كانت النتائج كما يلى :

درجات الفرق المقارن

درجات صورة الذات	س	م	ع	ج
س	• ٠,٢٢	صفر	٠,٠٧	•• ٠,٣٢
م	—٠,٠٧	•• ٠,٢٦	•• ٠,٢٦	•• ٠,٢٩
ع	• ٠,١٩	—٠,٠٤	•• ٠,٢٧	—٠,٠٩
ج	•• ٠,٢٤	• ٠,١٥	٠,٠٤	•• ٠,٤٠

(تمثل هذه الأرقام معاملات الارتباط ومستوى وضوحها الاحصائى •• = ٠,٠١ ، • = ٠,٠٥) .

وكذلك عند حساب معاملات الترافق كانت كما يلى :

درجات الفرق المقارن

درجات صورة الذات	س	م	ع	ج
	,٠١		,٠١	,٠١
س	٠,٣٦	٠,١٤	٠,٢٥	٠,٣٧
		٠١و		,٠٥
م	— ٠,١٠	٠,٢٥	٠,١١	٠,٢٠
	,٠٥		,٠١	
ع	٠,٢٢	٠,٠١	٠و٢٤	٠,١٣
	,٠١	,٠٥		١٠و
ج	٠,٢٥	٠,٢١	٠,١٠	٠,٣٥

(تمثل هذه الأرقام معاملات الترافق ومستويات وضوحها الإحصائى إما ٠١, أو ٠٥و٠) .

ويتضح بين هذه النتائج أن هناك ارتباط إيجابى بين صورة الذات وبين القــدرة على التفرقة بين خصائص وسمات أقرب المعاونين إلى الفرد وأبعدهم عنه .

وتفسير هـذا الارتباط الموجب يعتمد على معنى الخصائص الشخصية المكونةلصورة الذات فقدكانتالتسلط والسيطرة والقدرة علىتحملالمسئولية والقدرة الاجتماعية والثبات الانفعالى . وواضح من ذلك أن صورة الذات لابد وأن تكون دالة بهذه الخصائص الأربعة معاً . إذ كلما زادت درجات السيطرة ودرجات المسئولية ودرجات القــدرة الاجتماعية ودرجات الثبات الانفعالى كان ذلك يمثل قمة المقياس الذىيقيس صورة الذات والعكس صحيح .

وأما بالنسبة لدرجة الفرق المقارن هى لابد وأن تفسر على أنها بعدنفس اجتماعى — كما قال فيدلر — تبدأ فى أدنى مستوياتها (بالتورط) الانفعالى وتنتهى فى قمتها بالا كتفاء بالذات أو القناعة النفسية .

وهنا يمكن الربط والتفسير فإن هؤلاء ذوى درجات صورة الذات العالية فإنهم هم أنفسهم يتميزون بالاكتفاء بالذات والقناعة النفسية أى أنهم يمثلون قمة المقياسين معاً .

وكذلك فإن ذوى الدرجات من تحت المتوسط فى صورة الذات أى هؤلاء الذين لا يحملون لذواتهم صورة عالية أو رفيعة فإنهم عرضة للتورط الانفعالى أو الارتباط العاطفى السريع أكثر من غيرهم .

ومن هنا تلاحظ العلاقة الموجبة بين كلا المتغيرين .

- عملية الادراك الاجتماعي والتشابه الحقيقي :

التشابه الحقيق كما سبق أن أشرنا إليه هو ذلك التشابه الذى نلاحظه نحن عند مقارنة أى وصفين من وصف الذات لفردين مختلفين .

وبذلك تصبح درجات التشابه الحقيق هى عبارة عن دالة الفرق بين وصف الفرد (ا) لنفسه ووصف الفرد (ب) لنفسه . وكلما زادت هذه الدرجة كلما قل التشابه بين هذين الفردين .

وفى الفقرات التالية سوف نحاول استكشاف العلاقة بين درجات التشابه الحقيق كمتغير مستقل وبين درجات الإدراك الاجتماعى كمتغير تابع . ومعالجتنا لهذا الموضوع تعتمد على بحث سابق للمؤلف حيث أخذنا فى الاعتبار درجتين فقط من درجات الإدراك الاجتماعى هما درجات التشابه الوصفى ودرجات التراسل .

وكان الهدف من هذه المعالجة هو توضيح أثر التشابه الحقيق على التشابه الوصفى . أو بمعنى آخر هل إذا كان هناك تشابه حقيق بين الفرد (ا) والفرد (ب) فهل ينعكس هذا على الفرق بين وصف الفرد (ا) لنفسه ووصف الفرد (ا) للفرد (ب) ؟ حيث الفرد (ا) هو الفرد الذى يختار والفرد (ب) هو أقرب المعاونين إلى الفرد (ا) .

والسؤال الثانى الذى يريد إجابة : هل إذا كان هناك تشابه حقيق بين

الفرد (ا) والفرد (ب) فهل ينعكس هذا على الفرق بين وصف الفرد (ب) لنفسه وبين وصف الفرد (ا) للفرد (ب) ؟ حيث (ا) هو الذى يختار ،(ب) هو أقرب المعاونين إلى الفرد (ا) .

وللإجابة على هذين السؤالين كان يتحتم علينا أن نحسب العلاقة بين درجات التشابه الحقيقى ا / ب وبين درجات التشابه الوصفى ا / ب. هذا أولا. ثم نحسب ثانياً : العلاقة بين درجات التشابه الحقيقى ا / ب وبين درجات التراسل ا / ب .

ولحساب مثل هذه العلاقة استخدمنا وسيلة أخرى غير وسيلة معامل الارتباط أو معامل الترافق وكانت تلك هى حساب قيمة (ت) للكشف عن الوضوح الاحصائى للفرق بين المتوسطات .

١ — درجات التشابه الوصفى ا / ب :

فى هذه الحالة قورن أعلى ٢٠ ٪ من درجات التشابه الحقيقى ا / ب مع أقل ٢٠ ٪ من نفس الدرجات حيث اعتبرت كلا منهما جماعة مستقلة بذاتها وتمت هذه المقارنة بالنسبة إلى درجات التشابه الوصفى ا / ب .

أو بمعنى آخر أخذنا أعلى ٢٠ ٪ من درجات التشابه الحقيقى ا / ب ورصدنا درجات التشابه الوصفى ا / ب المناظرة لها . ثم حسبنا المتوسط والانحراف المعيارى لدرجات التشابه الوصفى هذه .

ثم عدنا مرة أخرى وأخذنا أقل ٢٠ ٪ من درجات التشابه الحقيقى ا / ب ورصدنا درجات التشابه الوصفى ا / ب المناظرة لها . ثم حسبنا المتوسط والانحراف المعيارى لدرجات التشابه الوصفى هذه .

ثم بعد ذلك قارنا هذين المتوسطين مستخدمين فى ذلك الاحصاء (ت) وكان الفرض الصفرى هو أنه لاعلاقة بين درجات التشابه الحقيقى ودرجات التشابه الوصفى أو أن هؤلاء الذين يتشابهون حقيقة مع أقرب المعاونين إليهم

(أقل ٢٠ ٪) . لايختلفون عن الذين لايتشابهون حقيقة مع أقرب المعاونين إليهم (أعلى ٢٠ ٪) من حيث الفرق بين وصفهم لصور ذواتهم و بين وصفهم لذوات أقرب معاونيهم إليهم .

ويجب أن نلاحظ هنا أن درجات التشابه الحقيقى لها نفس الطبيعة مثل درجات التشابه الوصفى من حيث أنه كلما زادت الدرجة كلما قل التشابه فى الحالتين .

ويجب أن نلاحظ أيضاً أن أعلى ٢٠ ٪ من درجات التشابه الحقيقى تمثل عدم التشابه بينما أقل ٢٠ ٪ من نفس الدرجات تمثل التشابه .

وعند إتمام المقارنة كما سبق أن وصفنا كانت النتائج كما يلى :

درجات التشابه الوصفى ا / ب

درجات التشابه الحقيقى ا / ب

	س	م	ع	ج
س	١,٧٥	١,١٦	٠,٩٦	١,١١
م	,٣٤	١,٨٣	,٣٦	١,٢٣
ع	(٠٥,) ٢,١٣	١,٩١	(٠١,) ٢,٧١	(٠٥,) ٢,٢٨
ج	١,٧٣	(٠٥,) ٢,١١	(٠٥,) ٢,٣٤	(٠١,) ٢,٦٦

(تمثل هذه الأرقام قيمة (ت) ومستوى وضوحها الاحصائى إما ٠١, أو ٠٥,) .

ويتضح من هذا الجدول أنه يمكن لنا رفض الفرض الصفرى فى الحالتين الأخيرتين وهى درجات القدرة الاجتماعية والثبات الانفعالى . ويمكن أيضاً أن نقول أن هذه هى الصورة عموماً بالنسبة لدرجات التشابه الحقيقى ودرجات التشابه الوصفى .

وعليه فإنه يمكن لنا أن نقول أن هناك أثراً للتشابه الحقيقى على التشابه الوصفى الذى هو أحد أبعاد عملية الإدراك الاجتماعى .

ويمكن أن نقول أيضاً أن هؤلاء الذين يتشابهون تقريبا مع أقرب المعاونين إليهم — كما يستدل على ذلك من درجات التشابه الحقيقى — وهؤلاء هم أصحاب أقل ٢٠٪ من هذه الدرجات — يميلون إلى وصف أقرب معاونيهم كما لو كانوا أكثر شبها بهم وذلك عند مقارنتهم بهؤلاء الذين لا يتشابهون حقيقة مع أقرب معاونيهم — كما يستدل على ذلك أيضا من درجات التشابه الحقيقى — وهؤلاء هم أصحاب أعلى ٢٠٪ من هذه الدرجات .

ورغم أن هذا الاستنتاج يبدو معقولا كما أنه يتفق مع استنتاجات سابقة من دراسات فيدلر وكرونباخ وسوساى وغيرهم . إلا أن موضوعية البحث وأمانة النقد تقتضى أن نعرض لهذين الاحتمالين :

(ا) الاحتمال الأول أن يكون هذا الاستنتاج له خلفية سيكلوجية حيث يكون الفرد (ا) واعيا للتشابه القائم بينه وبين الفرد (ب) أى مدركا لهذا التشابه ومن ثم يتأثر الفرد (ا) بهذا الادراك عند وصفه للفرد (ب) .

ولكن هذا الاحتمال لا يمكن لنا أن ندافع عنه لأنه من الناحية النظرية البحتة لا يمكن لنا أن نقبل الزعم القائل أن التشابه يمكن أن يدرك كما هو فى الحقيقة أو على الأقل كما يراه شخص ثالث هو الفاحص مثلا الذى يقارن بين الوصفين .

وزيادة على ذلك فإن الدليل الاحصائى الذى ظهر لدينا فى الجدول السابق لم يكن قويا بالدرجة التى تجعلنا نعيد النظر فيما نعتقده من الناحية النظرية البحتة .

(ب) الاحتمال الثانى ألا يكون لهذا الاستنتاج أى خلفية سيكلوجية وأن العلاقة بين المتغيرين الأساسيين (درجات التشابه الحقيقى ودرجات التشابه الوصفى) هى علاقة إحصائية بحتة ناتجة عن عوامل متداخلة .

ولتوضيح هذا الاحتمال فقد سبق أن عالجنا العـــلاقة بين وصف الذات وبين درجة التشابه الوصفى ا / ب حيث وجدنا أن الحاصلين على درجات فوق المتوسط يميلون إلى وصف أحب معاونيهم كما لو كانوا أكثر شبها بهم .

كما أنه فى جزء آخر من هذه الدراسات ومن دراسات أخرى للمؤلف خاصة بالمصفوفات السوسيومترية لوحظ أن الأفراد ذوى الدرجات فوق المتوسط وخاصة فى الثبات الانفعالى والقدرة الاجتماعية هم دائماً بؤرة الاختيار السوسيومترى .

ولذلك سوف تكون المسافة بين وصف مثل هذا الفرد (ا) — بؤرة الاختيار — لنفسه وبين وصف الفرد (ب) لنفسه وكلاهما من طبقة فوق المتوسط — سوف تكون أقل من المسافة بين وصف الفرد (ا) لنفسه وبين وصف الفرد (ب) لنفسه حيث أن أحدهما سوف يكون من طبقة أقل من المتوسط وهو الفرد الذى يعطى الاختيار والثانى من طبقة فوق المتوسط وهو الفرد الذى يتلقى الاختيار .

وبمعنى آخر لابد لنا أن نتوقع أن يكون معظم أقل ٢٠٪ من درجات التشابه الحقيقى هى درجات أفراد ما فوق المتوسط فى صورة الذات وخاصة فى حالتى الثبات الانفعالى والقدرة الاجتماعية .

ولهذا فإننا سوف نجد مثل هذه العلاقة الإحصائية بين درجات التشابه الحقيقى ودرجات التشابه الوصفى. وعليه سوف نظل على موقفنا من معارضة آراء فيدلر وكرونباخ وسوساى وكيلى وذلك إلى أن نتمكن من استحداث طريقة توضح الأمر أكثر من ذلك .

وأخيراً فإننا نميل إلى اعتبار هذه العلاقة إحصائية وليست لها خلفية سيكلوجية من نوع ما .

٢ — درجات التراسل ا / ب :

وهنا أيضا حاولنا أن ندرس العلاقة بين درجات التشابه الحقيقى ودرجات التراسل مستخدمين نفس الوسيلة الاحصائية . ونلخص هذه النتائج كما يلى :

درجات التراسل ا / ب

درجات التشابه الحقيقى	س	م	ع	ج
س	١,١٧	٢,١٨ [,٠٥]	٢,١٠ [,٠٥]	٢,٠٠ [,٠٥]
م	٢,٣٣ [,٠٥]	١,١٩	,٨٩	١,٢١
ع	٠,٣٢	١,٢٦	١,٣٣	٠,٨٧
ج	١,٢٩	١,١١	٠,٩٢	٢,٠٦ [,٠٥]

(تمثل هذه الأرقام قيمة الاحصاء (ت) ومستوى وضوحه الاحصائى ٠,٠٥).

وهنا أيضاً يمكن لنا أن نرفض الفرض الصفرى وخاصة فى حالة درجات التسلط والسيطرة (س) .

ولو أردنا أن نقبل ذلك لوصلنا إلى استنتاج يقول إن هؤلاء الذين يتشابهون تقريباً مع أقرب المعاونين إليهم — كما يستدل على ذلك من درجات التشابه الحقيقى — وهؤلاء هم أصحاب أقل ٢٠٪ من هذه الدرجات يميلون إلى وصف معاونيهم بطريقة أقرب إلى وصف هؤلاء المعاونين لأنفسهم وذلك إذا قورنوا بهؤلاء الذين لا يتشابهون مع أقرب المعاونين إليهم كما يستدل على ذلك من درجات التشابه الحقيقى .

أى أنه هناك ارتباط موجب بين درجات التشابه الحقيقى ودرجات التراسل . وهنا أيضاً يمكن لنا أن نعرض هذين الاحتمالين بنفس الاتجاه الذى سبق أن أوضحناه فى معالجتنا السابقة .

الاحتمال الأول : أن تكون هناك خلفية سيكلوجية لهذا الاستنتاج

وهو ما ترفضه النظرية التى نناقش على أساسها عملية الإدراك الاجتماعى منذ البداية وهى أن الأبعاد المختلفة لعملية الإدراك هى أبعاد تكوينية ولكن لا يدركها الفرد ويعيها بمعنى أن تكون لها عملية عصبية مناظرة .

والاحتمال الثانى : أن تكون العلاقة بين هذين المتغيرين علاقة إحصائية بحتة — وهذا ما نميل إليه فى الواقع حيث أنه على نفس الأسس السابقة والتى أوردناها فى احتمالنا الثانى عند مناقشة العلاقة بين درجات التشابه الحقيقى ودرجات التشابه الوصفى نجد فى حالة السيطرة والتسلط (س) بالذات أن الأفراد الذين هم فى بؤرة الاختبار دائماً هم من الحاصلين على درجات تحت المتوسط فى هذه الخاصة الشخصية .

وعليه فإنه من المتوقع أن يكون معظم أقل ٢٠ ٪ من درجات التشابه الحقيقى هى درجات أفراد ما تحت المتوسط فى صورة الذات وخاصة بالنسبة للتسلط والسيطرة . وبذلك نلاحظ مثل هذه العلاقة الاحصائية .

ـ عملية الادراك الاجتماعي وبعض المتغيرات السوسيومترية :

وهذه نقطة أخرى على درجة كبيرة من الأهمية بحيث لابد وأن تستلفت نظر الباحثين والدراسين . فى هذه الفقرات سوف نناقش علاقة درجات الإدراك الاجتماعى بالأشكال السوسيومترية مثل بؤرة الاختيار السوسيومترى أو الزعامات السوسيومترية وبؤرة الرفض السوسيومترى وكذلك غير المشتركين فى التنظيم السوسيومترى العام من أعضاء الجماعة . ثم نناقش أيضا علاقة درجات الإدراك الاجتماعى بنوعين من أنواع الروابط السوسيومترية الهامة الأولى هى الرابطة المزدوجة بين اختيارين متبادلين خ ⇄ خ والثانية هى (الرابطة) المزدوجة بين رفضين متبادلين ر ⇄ ر .

وقد أجرى الباحث تجربتين متتاليتين لدراسة هذه العلاقة إحداها فى

أوائل ١٩٦٧ بين مجموعة طلبة كلية المعلمين بالقاهرة والأخرى فى ١٩٧١ على مجموعة من الطلبة والطالبات بكلية الآداب والتربية بجامعة الكويت .

ولم يكن الفرق كبيرا بين نتائج هاتين التجربتين بحيث أمكن اعتبارهما تأكيدا لما سبق أن أجراه الباحث أثناء دراسته الأكاديمية على مجموعة كبيرة من طلبة كلية المعلمين فى لفبرة فى انجلترا .

ويمكن أن نعرض النتائج ونناقشها فيما يلى :

١ — درجات التشابه الوصفى ا / ب والمكانة السوسيومترية :

تمت المقارنة فى هذه الفقرة بين ثلاث مكانات أو أشكال سوسيومترية مختلفة وذلك من حيث درجات التشابه الوصفى ا / ب . وهذه الأشكال السوسيومترية الثلاثة هى :

(ا) بؤرة الاختيار أو الزعامة السوسيومترية over chosen .

(ب) اللامشتركون فى التنظيم السوسيومترى (لم يوجه إليهم اختيار) . Unchosen

(ج) المرفوضون أو بؤرة الرفض السوسيومترى Rejects .

واستخدم فى هذه المقارنة الاحصاء (ت) للمجموعة الصغيرة . ويمكن تلخيص النتائج كما يلى :

	بؤرة الاختيار	عدم الاشتراك	بؤرة الرفض
بؤرة الاختيار		—	٠١,
عدم الاشتراك	—		٠٥,
بؤرة الرفض	٠١,	٠٥,	

(هذه الأرقام تشير إلى مستوى الوضوح الاحصائى لقيمة ت إما ٠١, أو ٠٥, أو لا وضوح) .

ولشرح ذلك الجدول فإننا نقول إنه عندما قورن متوسط درجات

التشابه الوصفى ا / ب للأشخاص الذين يمثلون الزعامات السوسيومترية أو بؤرة الاختيار بمتوسط درجات التشابه الوصفى ا / ب للأفراد الذين يمثلون عدم الاشتراك فى التنظيم السوسيومترى للجماعة فإن الإحصاء (ت) لم يكن واضحاً أو ذا دلالة وعليه لا يمكن لنا أن نرفض الفرض الصفرى بل نقبله .

ولكن عند مقارنة متوسط درجات الأفراد الذين يمثلون الزعامات السوسيومترية بمتوسط الذين يمثلون بؤرة الرفض نجد أن مستوى الوضوح الإحصائى لقيمة (ت) هو ٠١, أى أن هناك فرق ذو دلالة بين هذين المتوسطين . وهكذا يمكن شرح بقية الجدول .

ولكن يأتى دور تفسير هذه الأرقام فقد لاحظنا أن الفرق غير ذى دلالة فى حالة مقارنة الزعامات السوسيومترية بغير المشتركين فى تنظيم الجماعة أو هؤلاء الذين لم يوجه إليهم أى اختيار ومعنى ذلك أنه ليس هناك فرق واضح بين الطريقة التى يصف بها هؤلاء أقرب المعاونين إليهم والطريقة التى يصف بها أولئك أقرب المعاونين إليهم .

وقد يبدو ذلك معقولا إذ أن المكانة السوسيومترية لا تتحدد غالباً بكيفية وصف الفرد للآخرين بل بكيفية وصف الآخرين للفرد .

وهنا نحتاج إلى مدخل آخر لتفسير الوضوح الإحصائى لقيمة (ت) عند مقارنة بؤرة الاختيار مع بؤرة الرفض. فقد لوحظ أن متوسط درجات الأفراد الذين يمثلون بورة الرفض أقل بوضوح من متوسط درجات الأفراد الذين يمثلون بؤرة الاختيار .وهذا معناه أن الشخص المرفوض سوسيومترياً يميل إلى وصف معاونه كأقرب ما يكون شبها بذاته وذلك أكثر مما يميل الفرد الذى يمثل بؤرة زعامة سوسيومترية .

وهذا يعود بنا إلى المناقشة الأولى لدرجات التشابه الوصفى حيث قلنا إنه إما أن يكون مصدر هذا التشابه عملية الإسقاط أو عملية التقمص .

وفى حالتنا هذه لا نستبعد أبداً أن يكون الفرد المرفوض سوسيومتريا شاعراً بمثل هذا العجز الاجتماعى الأمر الذى يسبب له عدم الأمن والطمأنينة وعليه فإنه قد يتقمص شخصية رفيقة أو أن يسقط ما فى خصائصه على ذات هذا الرفيق . وعليه يبدو التشابه أو يظهر أكثر مما هو متوقع حدوثه فى حالة الفرد الناجح اجتماعياً الذى يشعر بالأمن الاجتماعى .

٢ — درجات التشابه الوصفى ١/ ج والمكانة السوسيومترية :

فى هذه الحالة وبنفس الخطوات السابقة فى المقارنة كانت النتائج كما يلى:

	بؤرة الاختيار	عدم الاشتراك	بؤرة الرفض
بؤرة الاختيار		٠١,	٠١,
عدم الاشتراك	٠١,		—
بؤرة الرفض	٠١,	—	

(تمثل هذه الأرقام مستوى الوضوح الإحصائى لقيمة ت)

ويمكن فهم هذا الجدول كما سبق أن أوضحنا فى الجدول السابق . ولكن لابد من تقديم التفسير اللازم لهذه الأرقام .

فعند مقارنة متوسط درجات الأفراد الذين يمثلون بورة الاختيار بمتوسط الأفراد الذين يمثلون عدم الاشتراك السوسيومترى أو بؤرة الرفض نجد دائماً أن متوسط درجات أفراد بؤرة الاختيار أعلى بصورة إحصائيةذات دلالة من متوسط النوعين الآخرين .

ومعنى هذا أن الفرد الذى يمثل بؤرة الاختيار لا يميل إلى وصف أبعد معاونيه عنه بسمات أو صفات تقترب من صورةذاتههو بينما العكس قد يكون صحيحاً فى الحالتين الأخيرتين .

هذا يبدو معقولا أيضاً إذ أن الفرد الناجح سوسيومترياً لابد وأنه يشعر بالخصائص والسمات التى تقوده إلى هذا النجاح الاجتماعى وعليه فإنه سوف ينكر مثل هذه الخصائص على أبعد المعاونين عنه .

بينما يمكن أن نأتى من الزاوية الأخرى عند مناقشة الشق الثانى من الأمر فنقول أن الفرد المرفوض سوسيومترياً والفرد الذى لا يتلقى أى اختيار قد يكون فى وضع يجعله شاعراً بمثل الموقف بما فيه من عدم أمن اجتماعى فيميل إلى أن يسقط على الآخرين أو يتقمص خصائصهم دون تمييز بين أقرب المعاونين إليه وأبعدهم عنه .

٣ — درجة التراسل ا / ب والمكانة السوسيومترية :

وفى هذه الحالة أيضا كانت النتائج تشير إلى أن الأفراد الذين يمثلون بؤرة الاختيار السوسيومترى يصفون أقرب معاونيهم بطريقة تقترب من تلك التى يحب هؤلاء المعاونون وصف أنفسهم بها . وذلك عند مقارنتهم بالأفراد الذين يمثلون عدم الاشتراك السوسيومترى أو هؤلاء الذين يمثلون بؤرة الرفض السوسيومترى .

ويمكن تلخيص النتائج كما يلى :

	بؤرة الاختيار	عدم الاشراك	بؤرة الرفض
بؤرة الاختيار		٠١,	٠١,
عدم الاشراك	٠١,		٠٥,
بؤرة الرفض	٠١,	٠٥,	

(تمثل هذه الأرقام مستويات الوضوح الاحصائى لقيمة (ت) سواء ٠١, أو ٠٥,) .

ويمكن أن نستطرد أيضا بناء على هذا الجدول فنقول أن نفس الاتجاه السابق الإشارة إليه يتكرر عندما نقارن الأشخاص الذين يمثلون عدم الاشتراك السوسيومترى أو الذين لم يتلقوا أى اختيار بالأشخاص الذين يمثلون بؤرة الرفض . ومن هذا نقول أن بؤرة الرفض هى أكثر الأشكال السوسيومترية بعدا عن وصف الآخرين كما يحبون أن يصفوا أنفسهم .

بل ربما كانت هذه الخاصة هى سبب وجود هؤلاء الأشخاص فى بؤرة الرفض السوسيومترى .

٤ — درجة التراسل ا|حـ والمكانة السوسيومترية :

وأما فى هذه الفقرة فلم نحصل على أى فرض واضح من الناحية الإحصائية فى المقارنات التى عقدناها بين هذه الأشكال السوسيومترية الثلاثة .

وربما كان ذلك أيضا فى حاجة إلى تفسير . بل إن هناك تفسير فعلا لهذه النتيجة وهو أن المعاون غير المرغوب فيه هو كذلك بالنسبة لجميع هذه الأشكال السوسيومترية بل ربما تساوت الفروق بين وصف أى من هذه الأشكال لذات هذا المعاون وبين وصف هـذا المعاون أو الرفيق لنفسه . ومن هنا لم نحصل على أى وضوح إحصائى بين الفروق .

٥ — درجة الفرق المقارن والمكانة السوسيومترية :

درجة الفرق المقارن تدل على قدرة الفرد (ا) على التمييز بين الخصائص الشخصية للفرد (ب) والفرد (حـ) . وهنا سوف نقـــارن بين الأشكال السوسيومترية الثلاثة التى أشرنا إليها فيما سبق من حيث هذه القدرة أو هذه الدرجات . وتمت المقارنة باستخـدام نفس الاحصاء (ت) وكانت النتائج كما يلى :

	بؤرة اختيار	عدم إشتراك	بؤرة رفض
بؤرة اختيار		٠١	,٠١
عدم إشتراك	٠,٠١		—
بؤرة رفض	,٠١		

(تدل الأرقام على مستوى الوضوح الإحصائى لقيمة (ت)) .

ومن هذا الجدول ومن اتجاه المتوسطات يمكن أن نقول أن الأفراد الذين يمثلون بؤرة الرفض وكذلك الذين لم يوجه إليهم أى اختيار هم أقـدر

على التمييز بين صفات وخصائص أقرب المعاونين وأبعد المعاونين وهنا لابد من تفسير لذلك فإنه من المحتمل أن يكون الفرد المرفوض وكذلك الفرد الذى لم يتلق أى اختيار دائماً على الهامش السوسيومترى للجماعة فتكون لديه الفرصة أسنح للمراقبة والملاحظة والمقارنة فى حين أن الفرد الذى يمثل زعامة سوسيومترية يكون دائماً فى وسط الجماعة مشتركا فى معظم أنشطتها الأمر الذى لا يعطيه الفرصة لذلك .

وهناك تبرير آخر لهذا التفسير وهو أن مثل هذه المراقبة والمقارنة التى يبديها كل من المرفوض سوسيومتريا والذى لم يتلق أى اختيار قد تكون سببا فى مكانته السوسيومترية هذه .

٦ — درجات التشابه الوصفى والروابط السوسيومترية :

المقارنة هنا — كما يجب أن يكون واضحاً من أول الأمر — سوف تعقد بين (كم) الرابطة وليس (نوع) هذه الرابطة . ولذلك فسوف نقارن بين الرابطة المزدوجة التى تدل على الاختيار المتبادل خ ⇄ خ وبين الرابطة المزدوجة التى تدل على الرفض المتبادل ر ⇄ ر . وذلك من ناحية (كم) درجات التشابه الوصفى كبعد من أبعاد الادراك الاجتماعى .

وبمعنى آخر فإن درجات التشابه الوصفى ا/ب سوف تقارن بدرجات التشابه الوصفى ا / حـ وذلك من أجل الإجابة على هذا السؤال : أيهما أقوى رابطة الاختيار أم رابطة الرفض ؟

وعند مقارنة المتوسطات باستخدام الإحصاء (ت) كانت النتائج كما يلى :

الدرجة	متوسط الفرق
درجة التشابه الوصفى ا / ب (خ ⇄ خ)	٣,٤
درجة التشابه الوصفى ا / حـ (ر ⇄ ر)	٢,١

ت = ٢,٢١ واضحة عند مستوى ٠,٠٥ .

ومن هذا نرى أن متوسط الفرق فى رابطة الاختيار أكبر بصورة واضحة إحصائيا من متوسط الفرق فى رابطة الرفض . وبمعنى آخر يمكن أن نقول أن رابطة الرفض أقوى (من الناحية الكمية) من رابطة الاختيار . وذلك إن أخذنا فى حسابنا طبيعة درجات التشابه الوصفى .

ولهذا فإننا نلاحظ أن رابطة الاختيار قابلة للتغيير أو الإبدال أسرع من رابطة الرفض .

٧ — درجات التراسل والرابطة السوسيومترية :

وهنا أيضا تمت المقارنة بين درجات التراسل ا/ب فى حالة رابطة الاختيار مع درجات التراسل ا/حـ فى حالة رابطة الرفض . وكانت النتائج كما يلى :

الدرجة	متوسط الفرق
التراسل ا/ب (خ ⇆ خ)	١,٩
التراسل ا/حـ (ر ⇄ ر)	٣,٥

ت = ٢,١٧ واضحة عند مستوى ٠,٠٥ .

ومن هذا الجدول يتضح أن فى رابطة الاختيار المتبادل يكون التراسل بين الرفيقين كبيرا (لاحظ طبيعة الدرجات) بصورة أوضح إحصائيا من التراسل الموجود بين الشريكين فى رابطة الرفض . وهذا أمر ليس بغير المتوقع فإن التراسل بالمعنى الذى سبق أن فسرناه به يدل على مدى الانسجام الاجتماعى بين الأفراد .

٨ — درجات الفرق المقارن والرابطة السوسيومترية :

فى هذه الفقرة تمت المقارنة بين متوسط الفروق فى كل من الرابطتين السابقتين وكانت كما يلى :

الدرجة	متوسط الفرق
الفرق المقارن (خ ⇆ خ)	١,٣
الفرق المقارن (ر ⇆ ر)	٣,٢

ت = ٢,٨٤ واضحة إحصائيا عند مستوى ٠١,

ومن هذا نستدل على أن الاتفاق بين الرفيقين فى رابطة الاختيار على التمييز بين خصائص وسمات أحب وأبعد المعاونين أكثر من الاتفاق بين الشريكين فى رابطة الرفض .

وأخيراً لابد لنا أن نقول إن مفهوم عملية الإدراك الاجتماعى لابد وأن يكون الآن قد تحدد فى ذهن الدارس حيث أننا قد استعرضنا فى غير إيجاز علاقة هذه العملية بأبعادها المختلفة والتى اقترحها المؤلف فى دراسات سابقة بعدد من العمليات والخصائص التى تساعد على تحديد مثل هذا المفهوم .

قياس الإدراك الاجتماعي

إن قياس عملية الإدراك الاجتماعى يعتمد على أساسين هما :

(أولا) حساب درجات الإدراك الاجتماعى .

(ثانيا) تفسير هذه الدرجات .

ذلك لأن عملية الإدراك الاجتماعى فريدة فى نوعها من حيث التكوين فنحن كما لاحظنا أن الدرجة أو الرقم لا معنى له فى هذه الحالة إلا أعطى تفسيراً خاصاً يخضع لطبيعة العملية وظروفها . ولنبدأ الآن :

(أولا) حساب درجات الإدراك الاجتماعى :

تعتمد فكرة حساب درجات الإدراك الاجتماعى على أساس المقارنة واستخدام الفروق . فقد سبق لنا أن أشرنا إلى سبعة أبعاد مختلفة منها خمسة هى أبعاد تتصل بعملية الإدراك مباشرة فى حين أن الإثنين الآخرين ليستا سوى مجرد بعدين حقيقين لتقدير صورة الذات .

وعلى العموم فإن هناك أكثر من طريقة لحساب هذه الدرجات . ولكن الشكل العام يتلخص فى :

١ — يتم تصميم مقياس أو اختبار للشخصية يهدف إلى تقدير صورة أو وصف الذات عند المفحوص . ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار ضرورة إمكانية حساب علاقة إحصائية بين وحدات هذا الاختبار وبين نفسها عند إجرائه أكثر من مرة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك .

ويمكن أن نعطى مثالا لتوضيح هذه الفكرة :

— ضع علامة × أمام الرقم الذى يناسب مدى موافقتك على كل من العبارات التالية . مع ملاحظة أن الرقم (٤) يمثل الموافقة التامة على محتوى العبارة بينما يدل (صفر) على الرفض التام لمحتوى العبارة :

١ — أحب أن أكمل عملى إلى النهاية	صفر	١	٢	٣	٤
٢ — أميل إلى أن أحمل كل المسئولية دون معونة	«	١	٢	٣	٤
٣ — لا أحب التعاون مع الآخرين	«	١	٢	٣	٤
٤ — أشعر بالضيق إذا جلست مدة بمفردى	«	١	٢	٣	٤
٥ — أميل دائما إلى احترام القانون	«	١	٢	٣	٤
٦ — أشعر برغبة دائمة فى العزلة	«	١	٢	٣	٤
٧ — يمكننى أن أكتسب ثقة الناس بسهولة	«	١	٢	٣	٤
٨ — لا بد من وجود حدود لحرية الفرد	«	١	٢	٣	٤
٩ — أفضل العمل السهل دائما	«	١	٢	٣	٤
١٠ — العمل الجماعى أكثر إنتاجا من العمل الفردى (دائما)	«	١	٢	٣	٤

وهنا يطلب من الفرد أن يصف نفسه على هذا المقياس (مثلا) ثم يطلب منه من نفس الفرد أن يصف الفرد الآخر (سواء كان ب أو حـ) ولنفرض أن النتيجة كانت كما يلى :

	وصف الفرد لنفسه	وصف الفرد لفرد آخر
تقدير العبارة الأولى	٤	٢
« « الثانية	٣	١
« « الثالثة	١	٣
« « الرابعة	٤	٣
« « الخامسة	٣	صفر
« « السادسة	٢	٢
« « السابعة	١	٤
« « الثامنة	٣	٢
« « التاسعة	٣	٣
« « العاشرة	٤	١

ولتوضيح ذلك فإن الفرد وافق تماماً على محتوى العبارة الأولى (يحب أن يكمل عمله إلى النهاية) ولذلك وضع دائرة حول الرقم (٤) الذى يدل على ذلك بينما نجد أن نفس الفرد عندما أراد أن يصف رفيقه بهذه العبارة لم يعطه الدرجة الكاملة بل اكتفى من وجهة نظره هو بأن يضع دائرة حول الرقم (٢) الذى يدل على الاستجابة المتوسطة .

٢ — بعد إكمال مثل هذا المقياس والحصول على النتائج التى أوردنا مثالا لها فيما سبق يكون أمامنا إحدى ثلاث طرق لحساب درجات الادراك الاجتماعى وفى مثالنا هذا تكون درجة التشابه الوصفى ا/ب أو ا/حـ حسب وضع الفرد الثانى . وهذه الطرق الثلاثة هى :

(ا) <u>طريقة الفرق البسيط :</u> Simple diff. method

وهذه الطريقة تتلخص فى حساب الفرق بين الدرجة المعطاة للعبارة عند وصف الفرد لذاته والدرجة المعطاة لنفس العبارة عند وصف الفرد

للفرد الآخر . وذلك مع إهمال الإشارة الجبرية (+ أو —) عند إيجاد هذا الفرق . وإذا عدنا إلى مثالنا السابق ذى العبارات العشرة وافترضنا أن هذه العبارات تقيس بعدا واحدا من أبعاد الشخصية الانسانية فإن مجموع هذه الفروق يمثل درجة التشابه بين الفرد (ا) والفرد (ب) أو (حـ) على هذا البعد . وبذلك تكون درجة التشابه فى مثالنا هذا هى (١٧) وهى مجموع الفروق البسيطة بين وضع العبارات فى كلتا الحالتين بغض النظر عن اتجاه هذا الفرق .

وكلما كانت هذه الدرجة صغيرة أى تقترب من الصفر كلما كان التشابه كبيراً بين هذين الفردين .

ورغم سهولة وبساطة هذه الطريقة إلا أن لها عيوباً كثيرة أهمها أنها لا تأخذ فى حسابها الأوضاع النسبية لمعنى ومضمون العبارات فقد تكون هناك درجات متساوية لأكثر من فرد ولكنها تختلف تماماً عن بعضها البعض من حيث الأصل والمصدر .

(ب) طريقة معامل الارتباط : Correlation method

وهذه الطريقة تعنى إيجاد نوع من مقاييس الارتباط بين استجابات الفرد عندما يصف نفسه واستجاباته عندما يصف غيره .

وأمامنا فى هذه الحالة أكثر من طريقة لحساب معامل الارتباط أهمها حساب معامل الترافق Contingency الذى يمكن أن يشتق بسهولة من كا٢.

ولنأخذ مثالنا السابق لتحقيق ذلك . فسوف نحسب متوسط درجات العبارات العشرة فى الحالة الأولى وكذلك فى الحالة الثانية وعليه تصبح العبارات فى كلتا الحالتين إما فوق المتوسط أو تحت المتوسط . ونحسب لها كا٢ ثم نشتق منها معامل الترافق كما يلى :

نجد أن المتوسط فى الحالة الأولى ٢,٨

نجد أن المتوسط فى الحالة الثانية ٢,١

وعليه نرسم الجدول التالى :

وصف الفرد لنفسه (مَ) \ وصف الفــــرد لغيره (م)	أقل	أعلى
أقل	ا (١)	ب (٢)
أعلى	حـ (٥)	ء (٢)

فيكون فى المساحة ا العبارات التى هى أقل من المتوسط فى الحالتين وعددها (١).

وفى المساحة ب العبارات التى هى أقل من المتوسط فى الحالة الأولى وفوق المتوسط فى الثانية وعددها (٢).

وفى المساحة حـ العبارات التى هى فوق المتوسط فى الحالة الأولى وتحت المتوسط فى الثانية وعددها (٥).

وفى المساحة ء التى هى فوق المتوسط فى كلتا الحالتين وعددها (٢)

وسنمضى فى مقالنا هذا للتوضيح رغم قلة الأعداد فى المساحات الأربعة .

نحسب كا² من القانون التالى :

$$\text{كا}^2 = \frac{\text{ن}\left(\text{ا ء} - \text{ب حـ} - \frac{\text{ن}}{2}\right)^2}{(\text{ا}+\text{ب})(\text{حـ}+\text{ء})(\text{ا}+\text{حـ})(\text{ب}+\text{ء})}$$

حيث ﻫ عدد العبارات

$$\frac{١٠(٢ - ١٠ - ٣/٢١٠)^{٢}}{٣ \times ٧ \times ٦ \times ٤} = \frac{١٦٩٠}{٣ \times ٧ \times ٦ \times ٤} = ٣,٤ \text{ تقريبا}$$

ثم نحسب معامل الترافق من المعادلة التالية :

$$\text{معامل الترافق} = \sqrt{\frac{كا^{٢}}{كا^{٢} + ﻫ}} = \sqrt{\frac{٣,٤}{٣,٤ + ١٠}} = ٠,٥$$

ومعنى ذلك أن درجة التشابه بين الفرد الأول والفرد الثانى = ٠,٥ .

وطبيعة هذه الدرجة — حيث أنها معامل ارتباط — تختلف عن طبيعة الدرجة المحسوبة بطريقة الفرق البسيط إذ أن الدرجة المشتقة عن طريق معامل الارتباط كلما زادت كلما زاد التشابه كمعنى ومفهوم فى حين أن الدرجة السابقة (١٧) كلما زادت كلما قل التشابه كمعنى ومفهوم .

ويمكن أيضاً فى مثالنا هذا أن تستخدم معامل ارتباط الرتب (سبيرمان) لحساب درجة التشابه الوصفى أو أى درجة أخرى من درجات الإدراك الاجتماعى . ويتم ذلك عن طريق ترتيب تقدير العبارات فى الحالتين :

حالة وصف الفرد لنفسه ثم وصفه لغيره وذلك كما يلى :

العبارة (الرتب)	وصف النفس	وصف الفرد لغيره	الفرق	مربع الفرق
١	٢,٥	٦	٣,٥	١٢,٢٥
٢	٦	٨,٥	٢,٥	٦,٢٥
٣	٩,٥	٣	٦,٥	٤٢,٢٥
٤	٢,٥	٣	,٥	,٢٥
٥	٦	١٠	٤	١٦,—
٦	٨	٦	٢	٤,—
٧	٩,٥	١	٨,٥	٧٢,٢٥
٨	٢,٥	٦	٣,٥	١٢,٢٥
٩	٦	٣	٣	٩,—
١٠	٢,٥	٨,٥	٦	٣٦,—
			المجموع	٢١٠,٥٠

$$\therefore \text{معامل الرتب} = 1 - \frac{٦ \times ٢١٠,٥}{١٠ \times ٩٩} = -٠,٢٥$$

وأيضاً هذا المعامل كدرجة من درجات التشابه الوصفى له نفس الطبيعة السابقة إذ كلما يزيد زاد هذا التشابه من ناحية المعنى والمفهوم والعكس صحيح .

ج ـ طريقة الجذر التربيعي لمجموع مربعات الفروق: $\sqrt{\Sigma D^2}$

وهذه تعتبر أفضل الطرق وأسلها من الناحية الإحصائية لحساب درجات الإدراك الإجتماعى . ونحن نميل إلى استخدامها دائما حيث أنه سبق أن استخدمها فيدلر وكرونباخ بعد مناقشة رياضية وإحصائية شاملة توضح العيوب التى يمكن أن توجد فى الوسيلتين السابقتين والخصائص الإحصائية لهذه الطريقة .

وتتلخص هذه الطريقة فى إيجاد الفرق بين درجات العبارات فى الحالتين : أى فى حالة وصف الفرد لنفسه ووصف الفرد لغيره ثم تربيع كل فرق ثم إيجاد الجذر التربيعى لمجموع هذه المربعات وذلك كما يلى :

العبارة	وصف الفرد لنفسه	وصف الفرد لغيره	الفرق	تربيع الفرق
١	٤	٢	٢	٤
٢	٣	١	٢	٤
٣	١	٣	٢	٤
٤	٤	٣	١	١
٥	٣	صفر	٣	٩
٦	٢	٢	صفر	صفر
٧	١	٤	٣	٩
٨	٣	٢	١	١
٩	٣	٣	صفر	صفر
١٠	٤	١	٣	٩
			المجموع	٤١

$\sqrt{٤١} = ٦,٤$

∴ درجة التشابه الوصفى بهذه الطريقة = ٦,٤

ويجب أن نلاحظ أنه كلما زادت هذه الدرجة كلما قل التشابه من حيث المعنى .

تفسير درجات الادراك الاجتماعي :

من سياق المناقشة فى هذا الفصل منذ بدايته حتى الآن أمكن لنا أن نتصور أن هناك عدة عوامل تؤثر فى تكوين مفهوم خاص لعملية الإدراك الاجتماعى . وهناك أيضاً وجهات نظر متعددة أجمع البعض منها على التشابه المفترض أو المدرك كمكون أساسى لهذه العملية ثم أشار البعض الآخر إلى القدرة على الإحساس بشعور الآخرين كمكون أساسى لها . ولكن وجهة نظر الباحث كما وردت فى المناقشة السالفة الذكر ترى أن عملية الإدراك الإجتماعى عملية غير بسيطة ولكنها مركبة من سبعة أبعاد هى : بعدان حقيقيان ا / ب ، ا / حـ ، وبعدان وصفيان أيضا ا / ب ، ا / حـ ، وبعدان تراسليان ا / ب ، ا / حـ ثم بعدمقارن واحد تدل عليه درجة الفرق المقارن .

والحقيقة أن تفسير هذه الأبعاد يتم عن طريق تفسير الدرجات التى تدل عليها فتفسير البعد الوصفى على سبيل المثال لابد وأن يتم من خلال تفسير درجة التشابه الوصفى ا / ب ، ا / حـ وهكذا .

وكما يمكن للقارىء أن يستنتج فإن تفسير الدرجة يعتمد على الطريقة التى اشتقت بها فإذا كانت الدرجة مشتقة عن طريق الفرق البسيط أو الجذر التربيعى لمجموع مربعات الفروق فإنه كلما زادت هذه الدرجة كلما قل مضمونها أو مفهومها فى حالة درجات التشابه والتراسل وكلما قلت زاد التشابه أو التراسل كمفهوم ومضمون .

ويكون أيضاً الوضع مختلفاً فى حالة درجة الفرق المقارن إذ كلما زدات هذه الدرجة المشتقة بتلك الطريقة كلما زادت قدرة الفرد على التمييز بين فردين آخرين والعكس صحيح .

وأما إذا كانت الدرجة مشتقة بطريقة معامل الارتباط أياً كان أصبح التفسير مختلفاً فكلما زادت هذه الدرجة كلما زاد التشابه أو التراسل بين الفردين والعكس صحيح .

ويصبح أيضاً الوضع مختلفاً فى حالة درجة الفرق المقارن حيث إذا زادت هذه الدرجة أى زاد معامل الارتباط بين الوصفين الذى يعطيهما الفرد الواحد لفردين مختلفين كلما دل ذلك على ضعف قدرته على التمييز بينهما والعكس صحيح طبعاً .

ولذلك فإنه يحسن بنا أن نلتزم بطريقة واحدة تتفق مع الاتجاه العام للبحوث التى أجريت وما زالت تجرى فى هذا الميدان . والطريقة المتبعة هى طريقة الجذر التربيعى لمجموع مربعات الفروق .

تفسير درجات التشابه الحقيقى :

نحن دائماً نفترض وجود ثلاثة أفراد فى موقف الإدراك الاجتماعى أحدهما وهو الفرد (ا) هو الذى يختار ، بينما الفرد (ب) هو أقرب المعاونين أو أفضل المعاونين بالنسبة للفرد (ا) وأما الفرد (ج) فهو أبعد المعاونين عن الفرد (ا) أو أقلهم تفضيلا بالنسبة إليه .

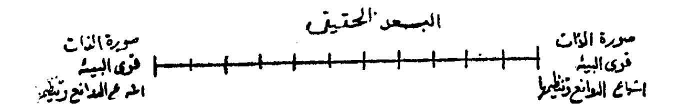
وعلى ذلك فإن البعد الحقيقى ا/ب هو دالة المسافة بين صورة الذات عند الفرد (ا) كما يصفها هو نفسه وبين صورة الذات عند الفرد (ب) كما يصفها هو نفسه .

ولذلك فإن درجة البعد الحقيقى — وهى الفرق بين الصورتين — إنما تدل على مدى التشابه الحقيقى بين تلك الصورة التى يدركها (ا) عن نفسه . وتلك الصورة التى يدركها (ب) عن نفسه . وكذلك بالنسبة للبعد الحقيقى ا/ج أو أى بعد حقيقى آخر . ولهذا فإنه كلما زادت هذه المسافة كلما زادت الدرجة كلما كان الخلاف كبيرا بين كلا المدركين . ويمكن أن نستطرد ونقول أن مدى

تأثر الفرد (ا) بقوى البيئة الاجتماعية والمادية والطبيعية وغير ذلك، وكذلك أنواع الاستجابات التي يقدمها لمثيرات هذه البيئة بأنواعها المختلفة، ثم طريقة إشباع دوافعه وتنظيمها وأنماط سلوكه المتعلقة بهذا الإشباع والتنظيم، كل هذا يختلف عن نظيره عند الفرد (ب) أو الفرد (ج).

وهكذا فإنه يمكن لنا أن نقول بلا تردد أن درجات التشابه الحقيقي إنما تمثل بعـــدا نفسيا اجتماعيا Psychosocial distance يحكمه عند كلا طرفيه صورة الذات بما فيها من خصائص وسمات وقوى البيئة وتنظيم الدوافع وطريقة إشباعها.

أي أن:



تفسير درجات التشابه الوصفي:

البعد الوصفي الأول ا/ب أو البعد الوصفي الثاني ا/ج يدل على المسافة بين صورة الذات عند الفرد (ا) وبين وصف الفرد (ا) للفرد (ب) أو (ج) على التوالي.

ودرجة التشابه الوصفي إنما تدل على مدى تطابق فكرة الفرد عن نفسه وصورة ذاته مع فكرته عن أحب المعاونين إليه (ب) أو أقلهم تفضيلا عنده (ج).

وبذلك يمكن أن نقرر درجة التشابه ومداه حيث كلما قلت القيمة العددية لهذه الدرجة كلما زاد التطابق بين الفكرتين: فكرة (ا) عن نفسه وفكرة (ا) عن (ب) وزاد بذلك التشابه الوصفي بين الفردين والعكس صحيح بطبيعة الحال.

ولو عدنا إلى ما سبق أن ناقشناه سابقاً عن تأصيل معنى التشابه الوصفى حيث تعرضنا للتقمص والإسقاط والميل إلى المعايير الاجتماعية كأسباب محتملة لإنتاج هذا التشابه وكذلك لعملية الإنكار كسبب محتمل لعدم التشابه .

لو عدنا إلى ذلك لأمكن لنا أن نقول أن درجة التشابه الوصفى ا / ب أو ا / ج إنما تدل على بعد نفسى اجتماعى من نوع خاص يحكم إحدى نهايته العمليات المحتملة التى تؤدى إلى ظهور التشابه الوصفى هذا بينما تحكم النهاية الأخرى العمليات المحتملة التى تؤدى إلى عدم التشابه .

وعلى ذلك يكون البعد الوصفى كما يلى :

تشابه كبير
التقمص
امتصاص الخصائص
الإسقاط
الميل إلى المعايير الاجتماعية

البعد الوصفى
(درجة التشابه الوصفى ا/ب أو ا/ج)

تشابه قليل
الإنكار
إبعاد الذات عاطفياً

تفسير درجات التراسل :

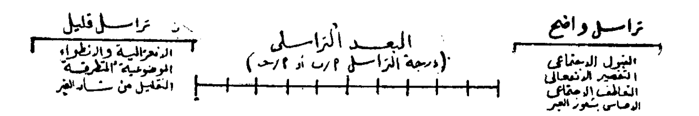
التراسل correpondence هو مدى تطابق وصف الفرد (ا) للفرد (ب) ووصف الفرد (ب) لنفسه . وبمعنى آخر فإنه كلما قلت درجة التراسل هذه كلما زاد التطابق بين هاتين الفكرتين .

وقد سبق لنا أن ناقشنا أثر هذا التطابق فى النجاح الاجتماعى للفرد ممثلا فى المكانة السوسيومترية التى يحرزها أثناء تفاعله مع الجماعة . والحقيقة أن هذه المناقشة هى مفتاح تفسير درجة التراسل هذه . فنحن نزعم أن درجة التراسل هذه تمثل نقطة على مقياس نفس اجتماعى أو بمعنى أكثر وضوحاً يصبح البعد التراسلى دالا على بعد نفسى اجتماعى يحكم إحدى نهايتيه القبول الاجتماعى Social acceptance والقدرة على التعبير العاطفى الموجب بينما تحكم النهاية الأخرى الانعزالية والانطواء وعدم الأمن أو الطمأنينة الاجتماعية .

أو بصورة أخرى تكون النهاية الأولى للمقياس هى التعاطف الاجتماعى

والإحساس بشعور الآخرين بينما تكون النهاية الثانية هى التسلط أو السيطرة الاجتماعية أو الموضوعية المتطرفة .

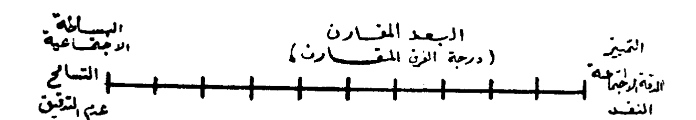
وبذلك يكون البعد التراسلى كما يلى :



تفسير درجات الفرق المقارن :

تدل هذه الدرجات كما سبق أن أوضحنا على قدرة الفرد فى التميز بين خصائص فردين مختلفين . وعليه فإن هذا البعد يمثل مسافة نفسية اجتماعية تبدأ من التميز والدقة الاجتماعية والنقد وتنتهى بالبساطة الاجتماعية والتسامح وعدم التدقيق فى عملية الاختيار السوسيومترى .

وبذلك يكون هذا البعد كما يلى :



حساب دليل الإدراك الاجتماعى I.S.P

Index of Social Perception

يقترح المؤلف دليلا للإدراك الاجتماعى يمكن على أساسه مقارنة الجماعات المختلفة وخاصة إذا أدخل الإدراك الاجتماعى كمتغير خاص مع متغيرات أخرى لقياس بعض ديناميات الجماعة مثل إنتاجية الجماعة أو تلك الديناميات التى تقتضى مقارنة جماعة بجماعة أخرى أو أكثر ويكون الإدراك الاجتماعى إحدى هذه المتغيرات التى سوف تدخل فى المقارنة .

وتعتمد فكرة هذا الدليل أو المعامل على حساب درجات الإدراك الاجتماعى ثم إيجاد العلاقة بين متوسط هذه الدرجات وبين عدد أفراد الجماعة وذلك كما يتضح فى المثال التالى :

لنفرض أن إحدى الجماعات المطلوب دراستها مكونة من عشرة أفراد.

— قمنا بحساب الدرجات السبعة للإدراك الاجتماعى وكانت كما هى فى الجدول (ص ٤٥٥) .

ومن هذا الجدول يمكن حساب معامل أو دليل الإدراك الاجتماعى كما يلى:

١ — الخطوة الأولى نجمع الأعمدة رأسياً للحصول على مجموع درجات كل فرد ثم نحسب جمع المجاميع بإضافة النواتج بعضها إلى بعض .

٢ — نحسب المتوسط بقسمة جمع المجاميع ÷ عدد أفراد الجماعة ه وفى هذه الحالة ه = ١٠ .

٣ — نحسب الفرق بين كل مجموع من مجموعات الأعمدة وبين المتوسط العام (١٨,٥) ثم نربع الفرق الناتج .

٤ — نحسب المعامل من القانون التالى :

$$\text{دليل الإدراك الاجتماعى} = \frac{\text{مج}(\text{س} - \text{م})^2}{٧(\text{ه} - ١)}$$

حيث س هى مجموع العمود الرأسى (أى ٢٧، ١٨، ١٤، ١٤، ١٥ .... ، ٢١)

م هى المتوسط العام وهى ١٨,٥

ه عدد أعضاء الجماعة = وهى ١٠ فى هذا المثال .

وبذلك يحسب معامل الإدراك الاجتماعى كما يلى :

$$\frac{(٢٧ - ١٨,٥)^2 + (١٨ - ١٨,٥)^2 + (١٤ - ١٨,٥)^2 + (١٥ - ١٨,٥)^2}{٧ \times ٩}$$

$$+ \cdots\cdots (٢١ - ١٨,٥)^2$$

درجات الادراك الاجتماعي	الأفراد									
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
درجة التشابه الحقيقي ا/ب	٠	٠	١	٠	١	٤	١	١	٢	٣
« « « ا/ح	٧	٤	٤	٥	٤	٢	٢	٦	٢	٣
« الوصفي ا/ب	٧	٤	٣	٣	٤	٢	١	٦	٢	٤
« « « ا/ح	٤	٣	٢	٢	٢	١	١	٥	٤	٢
« التراسل ا/ب	٢	١	١	٣	٣	٣	٢	٣	٣	٢
« « ا/ح	٣	٤	١	١	٢	٣	٤	٢	١	٢
« الفرق المقارن	٤	٢	٢	١	٥	٢	١	١	٢	٥
	٢٧	١٨	١٤	١٥	٢١	١٧	١٢	٢٤	١٦	٢١

المراجع

1 — Abdel Rahman, S, Personality traits and soriometric choices 1963, London, uni.

2 — Abdel Rahman, S, Group Sociometric Strucctture . . . . . , J. of moden Educ· 1970.

3 — Abdel Rahman, S, the Sociometric Courelates of Social perception scores, 1971 J. of Hum. Stuidies.

4 — Toch, H and Smith, H. Social Perception, 1968, Van Nostrand.

٥ — سعد عبد الرحمن — أسس القياس النفسى الاجتماعى — القاهرة الحديثة ١٩٦٧ .

٦ — سعد عبد الرحمن — خصائص الشخصية وأبعاد الإدراك الاجتماعى — التربية الحديثة ١٩٦٦ .

٧ — سعد عبد الرحمن — الإدراك الاجتماعى وإنتاجية الجماعات الصغيرة — صحيفة التربية ١٩٦٦ .

الفصل السادس

• الضغوط الاجتماعية وسلوك الإنسان

لا نريد أن نقف طويلا أمام ذلك الزعم الذى يقول « إن الإنسان ككل متكامل هو حصيلة ما يتعرض له من ضغوط ومؤثرات إجتماعية ». والسبب فى ذلك أننا نعتقد أن هذا الزعم صحيح ولا يحتاج إلى حوار وجدل بقدر ما يحتاج إلى تعضيد ومساندة. فالفرد حصيلة عمليات الجماعة وديناميانها وهو أيضاً نتاج تفاعل دائم مستمر فى المجتمع الذى ينشأ فيه ويتشرب خصائصه وتقاليده وعاداته.

ولكن قبل أن نخطو بعيدا فى هذا الفصل علينا أن نجيب على سؤال سوف يقفز بالضرورة إلى ذهن القارىء. وهو « طالما أن الفرد حصيلة هذه الضغوط الاجتماعية وطالما أن هذه الضغوط الاجتماعية واحدة فى مجتمع ما فلابد إذن أن تكون حصيلة هذه الضغوط الاجتماعية متشابهة متماثلة ».

والإجابة على هـــذا التساؤل تعتمد على أن هذه الضغوط الاجتماعية لا تنشط ولا تؤثر على أفراد متماثلين متشابهين ولكنهم يختلفون عن بعضهم البعض وبذلك يصبح الفرد فى الحقيقة هو حصيلة تفاعل هذه الضغوط الاجتماعية مع بعضها البعض من ناحية ومع الخصائص الموجودة لدى الفرد — والتى لا يكون مصدرها الضغوط الاجتماعية — من ناحية أخرى.

ولمناقشة الضغوط الاجتماعية لا يمكن لنا أن نأخذها ككل ولو أنها هى كذلك فعلا حيث أن لها دينامية واحدة مشتركة بينها جميعاً. فالعادات والتقاليد قوة اجتماعية هائلة تسبب ضغطاً عالى الجهد على أفراد المجتمع

حيث يشعر الجميع أنهم تحت ضغط من نوع خاص لا يمكن تجاهله أو تفاديه بسهولة .

والقيم والمعايير تمثل أيضاً ضغطاً اجتماعياً قوى التأثير يتحكم فى سلوك الأفراد سواء فى دور توجيه هذا السلوك أو الحكم على تحصيل هذا السلوك .

والرأى العام ضغط اجتماعى من نوع آخر يشعر به الفرد ويحسب حسابه أثناء تصرفه وسلوكه وكذلك الدعاية والإعلام ضغط آخر كبير يوجه التفاعل اليومى للفرد مع عناصر بيئته وأخيراً تأتى الإشاعة كصورة من هذه الضغوط الاجتماعية .

وعلى الرغم من تباين واختلاف هذه القوى والضغوط من الناحية المظهرية إلا أن جذورها تنبع من أصل واحد هو دينامية المجتمع التى تعتمد فى أصلها على تفاعل أفراد المجتمع تفاعلا حياً دائماً .

نعود الآن إلى تقسيم مناقشتنا فى هذا الفصل إلى شقين كبيرين :

أولها : هذه الضغوط جميعا التى سبق أن عددناها .

وثانيهما : الوسط الذى تنتقل فيه هذه الضغوط إلى الفرد الإنسان .

والحقيقة أننا سوف نبدأ بمناقشة النقطة الثانية قبل النقطة الأولى وذلك لأن الوسط الذى تنتقل فيه هذه الضغوط — من وجهة نظر المعالجة فى هذا الفصل — أهم من هذه الضغوط نفسها حيث أن هناك تفاعل عضوى بين هذا الوسط وتلك الضغوط إلى الحد الذى نعتقد معه أن هذا الوسط يؤثر فى هذه الضغوط وربما يقوم على إعادة تشكيلها ويؤثر فيها فى كثير من الأحيان .

الوسط الذى تنتقل خلاله هذه القوى والضغوط والمثيرات والمؤثرات الاجتماعية هو أهم عملية تهتم بها الدراسات النفسية الاجتماعية . وهو أيضا تلك العملية التى تنقل الفرد من حالة أو مرحلة اللا إحساس الاجتماعى إلى مرحلة الوعى الكامل بهذه القوى الاجتماعية والضغوط .

— تلك هى عملية التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية :

وهذه العملية كما يعرفها البعض هى عملية تحويل الطفل الذى يولد ككائن بيولوجى مفلسا حضاريا وثقافيا إذ أنه لا يمتلك حتى اللغة التى عن طريقها يستطيع أن يتواصل مع غيره كما أنه لا يمتلك المعنويات والخلقيات التى تسمح له بالتفاعل تفاعلا ناجحاً مع الآخرين .. هى عملية تحويل ذلك الكائن البيولوجى إلى كائن اجتماعى له من المناشط ما يدل على ذاته ووجوده .

وهناك رأى آخر يرى عملية التطبيع الاجتماعى هى ليست عملية مقصورة على الطفل فقط بل يمكن أن تمتد إلى البالغين أيضا حيث تكون هى العمليه التى عن طريقها يتمكن الفرد من تعديل سلوكه من أجل إحداث التوافق المنشود بين ما يقدمه من أنماط سلوكية وبين ما يتوقعه منه أعضاء الجماعة .

وبمعنى آخر تصبح عملية التطبيع الاجتماعى إنما هى عملية تكوين عادة وغرس مهارة وتعديل سلوك وذلك من أجل الحفاظ على نظم وتقاليد ومهارات وخصائص الجماعة .

ونحن أميل إلى هذا التلخيص لأن ذلك يوضح وجهة نظرنا فى العلاقة بين عملية التطبيع الاجتماعى كوسط ووسيلة وبين القوى والضغوط كمثيرات اجتماعية.

ونحن نجد كذلك أن هناك عددا من الحقائق تعضد هذه العلاقة ويساندها، منها : أن هذه العملية تبدأ حين يطلق الطفل صيحته الأولى مستقبلا تلك الحياة الجديدة حافلة بمن فيها وما فيها وتستمر هذه العملية معه أثناء نموه وتطوره واكتسابه المهارة والقدرة حتى يصل إلى مرحلة من النضج والاكتمال تساعده على أن يفكر ويحس ويصدر أحكامه وقراراته على نفس النمط الذى ينهجه أعضاء الجماعة التى ينتمى إليها . وهذه الحقيقة تشير إلى مدى تأثر الفرد أثناء نموه وتطوره بهذه الضغوط من خلال تلك العملية .

ومنها أيضا : أن معدل السرعة التى تتم بها هذه العملية غير ثابت ويتغير بتغير فترات حياة الفرد والمواقف التى تمر به فى كل فترة من هذه الفترات

فنجد أن المعدل يزداد فى المراحل الأولى من حياة الطفل حيث يكون نهماً لامتصاص وتمثيل الخبرة والمعرفة ، وحيث يكون — وهذا هو الأهم — فى طور اختلافه إلى المدرسة أو أى مؤسسة تربوية أخرى متعرضا للقوى والضغوط التى تبذلها هــذه المؤسسة أو تلك حيث يتم تدريبه على الخبرات والمهارات الأساسية التى تتطلبها حياة الجماعة .

ثم يقل معدل سرعة عملية التطبيع الاجتماعى عندما ينمو الطفل وينضج ويتكون لديه رصيد كاف مع الخبرة والمهارة يؤهله لأن يكون ذا نشاط فعال ومؤثر فى شبكة العلاقات الاجتماعية .

ثم يزداد هذا المعدل مرة أخرى عندما يترك الفرد جماعته الأصلية وينضم إلى جماعة أخرى جديدة عليه من حيث أنواع المهارات الاجتماعية والخبرات المطلوبة . فيصبح لزاماً عليه أن يتدرب على كل ما هو جديد وبذلك يزداد المعدل بناء على نشاط تلك الضغوط الجديدة التى يتعرض لها الفرد فى تلك الجماعة التى انضم إليها .

ومنها كذلك : أن شخصية الفرد وخصائصه ومقوماته تنمو وتتشكل من خلال عملية احتكاكه وتعامله وتفاعله مع عناصر بيئته الخارجية بما فيها من مثيرات مادية طبيعية غير بشرية ومثيرات اجتماعية معنوية ومثيرات بشرية متماثلة وغير متماثلة وهو — أى هذا الفرد — من خــلال عملية الاحتكاك والتفاعل هذه معرض لتلك القوى والضغوط والتأثيرات التى تحدثها هذه العناصر والمثيرات باختلاف أنواعها .

وخروجا من هذه الحقائق الثلاثة التى تؤكد دور الضغوط الاجتماعية فى تطبيع الفرد وتنشئته وعودة إلى حوارنا الأول من أن هذه الضغوط لا تتفاعل مع أفراد جميعهم متشابه ولكنهم مختلفون عن بعضهم البعض ، بناء على ذلك نستطيع أن نصنف المتغيرات التى تحكم هذه العلاقة إلى صنفين أساسيين هما : متغيرات الفرد كإنسان له خصائصه وصفاته التى تحدد كيانه

والتى تميزه عن غيره من الأفراد . والصنف الثانى هو متغيرات البيئة الخارجية بما فيها من عناصر ساكنة ومتحركة بشرية وغير بشرية وغير ذلك أيضا .

ومعنى ذلك أنه إذا كانت عملية التطبيع الاجتماعى فى علاقتها بالضغوط والقوى الاجتماعية تعتمد على هذين الصنفين من المتغيرات ، وأن هذه المتغيرات وخاصة ما يتعلق منها بالفرد الإنسان ذات طبيعة تختلف من فرد إلى آخر فإنه يصبح من الضرورى أن نؤكد التحفظ السابق عندما يصف البعض عملية التطبيع الاجتماعى على أنها عملية إعداد أفراد يشتركون جميعاً فيما بينهم فى كل أو معظم الصفات والخصائص .

وسوف نعتمد على تحفظنا هذا — الذى يبدو وكأنه التحفظ الذى يؤكد القاعدة الأساسية — ونستطرد ونقول إن عملية التطبيع الاجتماعى فى أى جماعة من الجماعات ورغم ما تمهد له من ضغوط وقوى اجتماعية يجب أن تعترف بأولئك الذين يخرجون عن سمت الجماعة ونواميسها ويبتدعون من الفكر والسلوك ما يغير حياة الجماعة ويعيد تشكيل خصائصها ومقوماتها بل وعمومياتها أيضا .

وربما كان أبدع مثال نشير إليه فى هذا المجال إشارة التقدير والإكبار هو مثال محمد بن عبد الله الذى نشأ فى جاهلية الجزيرة العربية حيث ألحت عليه حضارة ذلك العصر بكل ما فيها من ضغوط وقوى من خلال عملية التطبيع والتنشئة ولكنه أفلح ونجح — وما أبعد المدى فى ذلك — فى أن يحدث التغيير وإعادة البناء فى تكوين ذلك المجتمع بحضارته وثقافته .

ولنستكمل هذا المثال فنقول إن طبيعة عملية التنشئة الاجتماعية فى جزيرة العرب آنذاك لم تكن لتعترف بمثل هذا التغيير الجذرى ولم تأخذه فى حسابها ثورة عارمة عميقة ومن أجل ذلك كان الصراع عنيفاً دامياً بين ضغوط حضارة جديدة غازية تهدف إلى التهام ما سبقها وبين ضغوط حضارة قائمة تهدف إلى الدفاع عن كيانها وتكوينها .

ولذلك فإننا نقول إن عملية التطبيع الاجتماعى فى أى مجتمع أو جماعة وفى أى عصر من العصور وتحت أى ظروف مهما كانت لابد وأن تأخذ فى حسابها واعتبارها ما يمكن أن يحدث فيها من تعديل أو تغيير وذلك من أجل تنظيم علاقتها كعملية ووسط بالضغوط والقوى الاجتماعية وإلا عرضتها إلى الإزالة والتدمير بدلا من التطوير والتحسين . فالقيم قوى اجتماعية لو لم تحافظ عليها عملية التطبيع عن طريق توقع التغيير والإبدال لعرضتها للإزالة والتدمير عن طريق ضغوط أخرى لا تأخذها هذه العملية فى حسابها . والتقاليد والعادات هى صورة أخرى من صور القوى والضغوط الاجتماعية التى يمكن تطويرها وتعديلها إذا توقعت عملية التطبيع الاجتماعى ما قد يحدث من تغيير ويمكن أيضاً إزالتها وبترها إذا أصرت عملية التطبيع على عدم قبول أى جديد أو أى تجديد .

نعود من جديد إلى العنصرين الأساسيين اللذين تقوم عليهما عملية التطبيع والتنشئة ألا وهما الفرد الإنسان ثم مقومات البيئة الخارجية .

الفرد الإنسان هو العنصر النشط الفعال الذى يحمل مقومات حضارة الجماعة بصورة أو بأخرى — من جيل إلى جيل ولولاه لما انتقلت تقاليد أو عادات أو قيم ولولاه أيضاً لما تكون رأى عام ولا أحدثت دعاية أو انطلقت إشاعة .

فكأن الفرد الإنسان وهو العنصر الأول من عناصر عملية التطبيع هو الذى يحدث الضغوط الاجتماعية وهو الذى يعود ويتأثر بها وربما صار عبداً لها فى حقبة من حقب نموه وتطوره .

وهذا الفرد له من الخصائص الجسمية والنفسية والعقلية ما يمكنه ويعطيه الفرصة — إلى درجة معينة — للقيام بهذا الدور الأساسى فى عملية استمرار حضارة مجتمعه وثقافته .

وهذه الخصـــائص الجسمية والنفسية والعقلية تمر بمراحل مختلفة من النضوج والنمو فهى تحت الظروف العادية — أى فى حالة عدم وجود أى عوائق أو موانع خارجة عن نطاق قدرة الفرد — تنمو وتتطور إلى أن تصل إلى درجة من التكامل النسبي أو المرحلى ، بحيث يصبح الفرد قادراً على أن يتفاعل مع مقومات وعناصر البيئة الخارجية .

والفرد فى هذا التفاعل يستعين بخصائصه هذه كلها أو بعضها حيث يقيم أو يقيس نتيجة هذا التفاعل بمدى إحساسه بالرضا والاكتفاء النفسى المترتب على إشباع حاجاته ومتطلباته من عناصر البيئة الخارجية ، وهو فى هذه المرحلة من المراحل الكيفية لتفاعله مع البيئة إنما يخضع كل شىء لمبدأ الإشباع وعدمه.

ويجب أن نقول أن تطور ونمو هذه الخصائص المختلفة إنما يتم عن طريق احتكاك الفرد وتفاعله مع المواقف الأصيلة المتجددة فى حياته اليومية، وذلك حتى تصل هذه الخصائص إلى درجة أعلى من التكامل النسبي والمرحلى فيصبح الفرد أكثر قدرة على تفهم عناصر البيئة ومقومات المواقف وأبعادها وحركيتها فيستطيع فى هذه الحالة أن يحدد طبيعة وحجم كل مثير أو منبه من المثيرات والمنبهات الاجتماعية المختلفة . كما يستطيع أيضاً أن ينتقى ويختار النوع المحدد من الاستجابة التى تناسب هذا المثير أو ذاك .

وبهذا نقول إن تفاعل الفرد مع عناصر بيئته فى هذه المرحلة أصبح أعقد من أن يهدف إلى مستوى إشباع الحاجة والمطلب فقط بل تعداه إلى مستوى إحداث نوع من التوازن والتوافق بين الفرد الإنسان وعناصر هذه البيئة . وذلك عن طريق فهم وتحديد طبيعة وحجم المثير ومن ثم انتقاء الاستجابة المناسبة لكل مثير أو منبه .

وهنا نحن لسنا فى حاجة إلى كثير من الاستنتاج والاستنباط عندما

نقول أن توازن وتوافق الفرد مع بيئته إنما يعتمد على مدى قدرته فى فهم طبيعة الضغوط والمثيرات الاجتماعية التى تكون نسيجها الأساسى .

وكلما ازداد الاحتكاك والتفاعل بين خصائص الفرد من ناحية وبين هذه المواقف والمثيرات والضغوط كلما تطورت هذه الخصائص ونمت وبلغت درجة أرقى من النضوج النسبى والتكامل المرحلى ، وبالتالى فإن تعامل الفرد مع عناصر ومقومات هذه البيئة أصبح لا يهدف فقط إلى إشباع الحاجة والمطلب ، ولا إلى إحداث التوافق والتوازن بين ذاته وبين ضغوط ومثيرات هذه البيئة بل تعدى هذا المستوى وذلك إلى مستوى ثالث هو مستوى القدرة على التحكم فى هـــذه العناصر وتلك المقومات حيث أصبح للفرد قدر من البصيرة يسمح له بجانب هذه القدرة على التحكم بأن يتنبأ فى كثير من الأحيان بما يمكن أن يحدث لهذه العناصر والمقومات .

ثم تأتى بعد ذلك مرحلة رابعة وأخيرة تكون فيها خصائص الفرد قد نمت ونضجت وأصبحت على درجة عالية من التكامل والتناسق بحيث يتمكن من فلسفة عناصر البيئة فيبحث فى أصولها ويربط بين منشئها وأهدافها ، وفى أثناء ذلك يقوم الفرد على تحويل هذه العناصر والمقومات من واقع ملموس محسوس إلى مدرك مجرد ورمز محدد يمكن نقله وتناقله فى سهولة ويسر . ولا يقف الفرد عند هذه المرحلة من تجريد وترميز عناصر البيئة بل يتعدى ذلك مستخدماً خصائصه الناضجة المتكاملة إلى تنظيم هذه المدركات والرموز موضحاً ما بينها من علاقات وروابط وتشابه أو تناقض مضمناً هذا التنظيم التعليل والسببية وبذلك يتكون قدر من الخبرة والمعرفة يكون هو الوحدة الحضارية والثقافية لهذه الجماعة .

هذا هو دور الفرد الإنسان فى عملية التطبيع الاجتماعى أو فى ذلك الوسط الذى تنتقل من خلاله إلى هذا الفرد الإنسان القوى والضغوط والمؤثرات الاجتماعية .

ويبقى الآن أن نناقش الشق الثانى فى هذه العملية وهو عناصر ومقومات البيئة الخارجية . فإن هذه العناصر والمقومات كما سبق أن قلنا هى العوامل التى تساعد على تكوين الخبرة والمعرفة وهى — أى هذه العناصر — ليست استاتية جامدة ولكنها ذات طبيعة حركية متغيرة متجددة إذ أنها تتعدل من حين إلى آخر وتختلف تبعاً للظروف التى تؤثر عليها .

وهذه العناصر تمثل كل ما يحيط بالفرد الإنسان من مواقف سواء كانت هذه المواقف مادية أو كانت بشرية أو كانت معنوية .

وحقيقة الأمر أننا لا نستطيع أن نضع حدوداً فاصلة بين كل نوع من أنواع العناصر هذه من حيث الأثر والوظيفة ذلك لأن جميعها تتفاعل مع بعضها البعض .

ويمكن لنا أن نلخص دور عناصر البيئة الخارجية وأثرها فى عملية التطبيع الاجتماعى فى ناحيتين اثنتين هما :

(ا) دور عناصر البيئة فى التأثير على الفرد الإنسان وذلك من نواحى النمو والنضوج وتعديل السلوك .

(ب) دور عناصر البيئة فى التأثير على الخبرة والمعرفة وخاصة من ناحية التكوين والتعديل والنقل .

• البيئة والفرد الإنسان :

أبسط مبادىء التفاعل بين عناصر البيئة والفرد الإنسان يمكن أن يلاحظ فى مراحل نموه العضلى من حيث تعرضه للتدريب المقصود وغير المقصود أثناء تفاعله مع هذه العناصر وكذلك فى نواحى النمو العاطفى والنفسى للفرد حيث يمكن ملاحظة ذلك عند اتصال الطفل بجماعات جديدة وانفصاله عن جماعات أخرى قديمة مثل انفصاله — جزئياً — عن جماعة الأسرة وانضمامه إلى جماعة المدرسة وهو بين ذلك ينمو عاطفياً ونفسياً فيكون الكثير من

الخصائص الجديدة ويتخلص من بعض الخصائص الأخرى القديمة سواء كان ذلك من خلال النقل والتقليد أو عن طريق الإثابة أو العقاب .

ويتأثر كذلك مستوى نضج الفرد أثناء احتكاكه وتفاعله مع هذه العناصر البيئية . ومستوى نضج الفرد عبارة عن مدى مناسبة إمكانيات الفرد العضلية والنفسية والعقلية لمستوى الموقف أو المثير ، وأما ما يحدد هذا المدى ويحكم له أو عليه فهو معايير الجماعة وقيمها .

ولذلك فإن عناصر هذه البيئة أو تلك لابد وأن تسهم فى أن يصل الفرد إلى مستوى النضج المناسب وذلك عن طريق تقديمها للفرد أنماطا ونماذج عديدة ومختلفة من المواقف والمثيرات منـــذ بداية تعارف الاثنين معاً — الإنسان والبيئة — إلى أن يفترقا — ولو ظاهرياً — وهو فى أثناء ذلك يتدرب دائماً على اختيار الاستجابة المناسبة للمثير المناسب .

ومن أجل إتمام هذا التدريب لابد وأن يكون ذلك من خلال عمليات فرعية أو مصاحبة هى :

(ا) عملية الممارسة : وهى عملية تكوين الخبرة واستخدامها فى المواقف المتشابهة شكلا وموضوعاً ومنها يكون الفرد التعميمات والمفاهيم حيث تبدأ بالمحسوس الملموس وتنتهى بالمدرك المجرد .

(ب) عملية التقييم : وهى عملية مقارنة يقوم بها الفرد تلقائياً عقب كل تفاعل حيث يعقد هذه المقارنة بين ما أداه فعلا من سلوك وبين ما كان يتوقع أن يؤديه ويحقق به هدفا ونتيجة .

(حـ) عملية إصدار القرار : وهى العملية المصاحبة الأخيرة وهى تعتمد على سابقتيها إذ أنه بعد أن يتم الإنسان تفاعله مع المثير وتقييمه لنتيجة هذا التفاعل يصدر حكمه وقراره بالنسبة لهذا المثير فيحدد موقفه واتجاهه منه .

هذا من ناحية تأثير البيئة على الفرد الإنسان فى نواحى النمو والنضوج .

وأما من ناحية تعديل السلوك فإن المقصود بهذا التعديل ليس هو مجرد التكيف السلوكى البسيط ولكننا نقصد ذلك المستوى من السلوك الملزم العميق الذى تقره معايير الجماعة وقيمها بصورة جذرية كما هى الحال بالنسبة للدين والعقيدة واللغة وغير ذلك من عموميات تكون الاطار العام الذى يناسب أهداف الجماعة وطبيعة تركيبها وبنائها وأصول الحياة فيها .

وعلى كل فرد أن يلتزم بهذا الإطار حتى لا يتعرض لما تبذله الجماعة — كشخصية معنوية — من ضغوط وجهود لتحافظ على هذه الأطر والعموميات .

وما أقسى وأشد تلك الضغوط التى تبذلها الجماعة لتمنع أياً من أفرادها ولتقمعه إذا حاول الخروج عن سمتها وقيمها . وهى فى ذلك تبذل أقصى الضغوط وأعلاها جهدا لتؤكد حياتها واستمرارها . ومن هنا يمكن لنا أن نقول أن من عوامل اندثار بعض الجماعات واندحار ثقافتها وحضارتها عدم فعالية هذه الضغوط وضعفها .

وهذه الضغوط قد تكون عقابية مثل ذلك النوع من العقوبات والجزاءات الاجتماعية التى تفرضها الجماعة على بعض أعضائها ، وقد تكون هذه الضغوط تشجيعية مثل المكافآت والإثابة التى تمنحها الجماعة للبعض الآخر .

وفى كل بيئة من البيئات توضع معايير محددة واضحة تكاد ترتفع إلى درجة التقديس وذلك من أجل التفرقة بين السلوك السوى والسلوك الشاذ ، فكل ما كان متفقاً مع هذه المعايير اعتبرته الجماعة سلوكا سويا مقبولا ومن ثم تسمح بنقله واستمراره . وكل ما كان غير ذلك حاربته الجماعة لتمنعه وتقمعه وتوقف نموه واستمراره .

ووسيلة الجماعة فى هذه الحالة أو تلك هى الضغوط الاجتماعية العالية التى تبذلها من أجل أن تسوس أعضاءها وفى أثناء مزاولة هذه الضغوط يكون

الفرد بمجموعة من التقاليد والقيم والمعايير والاتجاهات والمعتقدات تكون هى الأساس فى تكوين ضميره الاجتماعى وسوف نناقش هذا بالتفصيل فيما بعد .

• البيئة والتأثير على الخبرة :

تقوم عناصر البيئة فى أى مجتمع من المجتمعات على تكوين الخبرة وتعديلها وتهذيبها ثم تجريدها وترميزها من أجل سهولة نقلها وتناقلها .وهذه الخطوة الأخيرة — أى خطوة نقل الخبرة — فإنها تتم فى حلقات ذات علاقة منطقية ببعضها البعض .وأولى هذه الحلقات أن تسمح البيئة بنقل بعض أنماط ونماذج هذه الخبرة البشرية من مكان إلى آخر . إذ أن هذه البيئة بكل عناصرها ومقوماتها . تأخذ دائماً موقف الحيطة والحذر والنقد تجاه الخبرات البشرية الجديدة . وبذلك فإنه لن ينقل من هذه الخبرة إلا كل ما هو أصيل قادر على مصارعة نقد البيئة والتغلب عليه .

وثانية هذه الحلقات هى حلقة الترميز والتجريد والعمومية حيث تقوم البيئة بعناصرها ومؤسساتها بإعطاء هذه الخبرة أو تلك نوعاً من الرموز والمفاهيم يختلف عما سبق أن أعطاه إياها الفرد . وبمعنى آخر يتحول الرمز الخاص بالفرد إلى رمز عام يمكن تصديره من بيئة إلى أخرى ومن جيل إلى جيل .

وعندما يتجمع لدى البيئة رصيد كاف من هذه الخبرات والمعارف المجردة والرموز والعموميات يصبح من واجبها إنشاء المؤسسات المتخصصة فى تلقين الأجيال التالية مثل هذه المعارف والخبرات : مثل المدارس ودور العلم والتدريب والعبادة .

ولكن ما يهمنا نحن هنا نوعين كبيرين من هذه المؤسسات أو التنظيمات الاجتماعية وهما الأسرة كجماعة أولية أو تنظيم اجتماعى له أثره الواضح على الفرد ثم المجتمع المحلى الذى ينشأ فيه الفرد ويمتص منه التقليد والعادة والقيمة .

• الأسرة والفرد :

قد يكون مناقشة مثل هذا العنوان نوعاً من البحث فى البديهيات والمسلمات لأنه مما هو معروف أن الطفل فى بداية حياته لا يكون أمامه مصدراً من مصادر الخبرة والمعرفة سوى أعضاء الأسرة التى نشأ فيها ودرج بين أفرادها.

ولكن فى حقيقة ما قصدنا إليه فى هذه المناقشة ليس هل يتأثر الطفل بأسرته أم لا ؟ وليس مدى هذا التأثر ونوعيته وكمه ؟ ولكن ما قصدنا إليه هو تحليل العوامل التى تدخل فى عملية احتكاك الطفل بالأسرة وأعضائها .

وتلخص مناقشاتنا وحوارنا دراسة قامت بها مجموعة من الباحثين من جامعات أمريكية مختلفة . وقد تركزت هذه الدراسة حول معرفة نوعية الضغوط التى تبذلها كل أسرة من أجل تنشئة أطفالها وتطبيعهم اجتماعياً .

وكان ميدان هذه الدراسة ستة مجتمعات محلية مختلفة فى شمال الهند وأوكيناوا والمكسيك وأفريقيا والفلبين وشمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية .وكان منهج الباحثين هو إجراء المقابلة الشخصية مع مجموعات كبيرة من الأمهات والأطفال فى كل بيئة من هذه البيئات المحلية . وكان هدف هذه المقابلات الشخصية هو اكتشاف وسائل التلقين والتدريب الذى تمارسه كل أسرة فى تطبيع أطفالها وكذلك الضغوط التى تبذلها من أجل ذلك سواء كان مصدر هذه الضغوط الأم نفسها أو أى عضو آخر من أعضاء الأسرة .

وكانت النتائج التى توصل إليها هؤلاء الباحثون تؤكد أن الأسر تختلف عن بعضها البعض فى عديد من النواحى ذات الأثر الواضح فى عملية التطبيع الاجتماعى .

ويمكن تلخيص هذه النواحى فيما يلى :

١ — متطلبات المسئولية الشخصية والاجتماعية التى تفرضها الأسرة على أبنائها وبناتها وما تتوقعه منهم استجابة لهذه المسئوليات .

٢ — الجو العاطفى والانفعالى الذى يحيط بالطفل مثل حنان الأم ورعاية الأب.والتشجيع بالإثابة أو الكبت والكف والإحباط والعقوبات وخاصة البدنى منها .

٣ — درجة ضبط وتهذيب عدوانية الطفل تجاه أقرانه وأترابه سواء داخل الأسرة كالإخوة والأقارب أو خارج الأسرة كأطفال الجوار والمجتمع المحلى .

٤ — درجة ضبط وتهذيب عدوانية الطفل تجاه الأبوين أو عصيانه لأوامرهما وخروجه عن قواعد الأسرة وتقاليدها .

٥ — درجة العناية والرعاية التى تبذلها الأم فى تربية أطفالها الرضع . وهذه تختلف من أسرة إلىأخرى ومن مجتمع إلى آخر متأثرة فى ذلك بما هو سائد فى هذا المجتمع أو ذاك من تقاليد وعادات وطقوس وخاصة إذا ارتبطت هذه الرعاية بكون الرضيع ذكرا أم أنثى .

٦ — درجة العناية والرعاية التى تبذلها الأم فى تربية الأطفال الكبار وهذه أيضاً تختلف من أسرة إلى أسرة حيث يكون من المحتمل أن ترتبط هذه الرعاية بترتيب الطفل بين أخوته وكذلك ترتبط بنوعه ذكراً كان أم أنثى .

٧ — درجة الثبات الانفعالى والاتزان العاطفى للأم . وهذه خاصة ربما تختلف من أم إلى أخرى كصور من صور الفروق الفردية إلا أن هذه الخاصة تتأثر بجو الأسرة عموماً وتوثر فيه .

ومن نتائج هذه الدراسة أيضاً أن هذه العوامل السبعة السابق الإشارة إليها تتعلق بالاختلاف بين الأسر والأمهات أكثر من تعلقها بالاختلاف بيئة وبيئة أخرى .

• المجتمع المحلى والفرد :

وهذه بديهية أخرى مثل السابقة إذ أنه لابد أن يتأثر الفرد بما فى مجتمعه المحلى من خصائص ومميزات ففيه يخطو الفرد أولى خطوات حياته بعيداً عن أمه وأسرته فيلتقى بأقرانه وأترابه من بنى جيرته فيتعلم منهم أسماء الأشياء والأحداث وخواصها ومزاياها ويتعلم أيضاً الدور الاجتماعى والوظيفة الاجتماعية التى تخص كل فرد من أفراد مجتمعه الصغير .

ولهذا فإن المجتمع المحلى هو الذى يقدم للفرد من المواقف والمثيرات ما يعطيه الفرصة للتدرت على تقديم الاستجابات المناسبة لكل موقف ومثير. وربما ما يوضح دور المجتمع المحلى فى التأثير على الفرد تلك الدراسة التى قام بها باركر وآخرون فى ١٩٥٤ .

وهذه الدراسة هدفت إلى تصنيف المواقف والمثيرات التى تقدمها البيئة المحلية للأفراد وكذلك تعديد هذه المثيرات ومقارنة المجتمعات المحلية تبعاً لذلك .

ففى هذه الدراسة قارن الباحثون « بلدة أمريكية » بأخرى « انجليزية » حيث كان عدد الأفراد فى البلدة الأمريكية ٧١٥ فرداً وعدد أنواع المثيرات والمواقف التى يقدمها المجتمع المحلى فى هذه البلدة هو ٥٧٩ نوعاً . وأما عدد الأفراد فى البلدة الانجليزية ١٣٠٠ فرد وعدد أنواع المواقف والمثيرات هو ٤٩٤ نوعاً .

وعليه فإن نسبة تعرض الفرد الواحد فى البلدة الأمريكية لأنواع مختلفة من المثيرات هى ١,١٨ بينما تكون هذه النسبة فى حالة البلدة الانجليزية ٠,٥٥ .

ويقول الباحثون إن اختلاف هذه النسبة ربما يعطى بعض التفسير لاختلاف طريقة الفرد الأمريكى فى حياته عن طريقة الفرد الانجليزى . ففى البلدة الأمريكية نجد أن الطفل يواجه فى المتوسط ٨,٤ من مواقف المسئولية الاجتماعية فى مجتمه المحلى بينما نجد الطفل الانجليزى يواجه فى المتوسط ٢,٧ من هذه المواقف .

ونجد كذلك أن المراهق الأمريكى فى نفس البلدة يتعرض إلى ١٦,٦ من هذه المواقف (المسئولية الاجتماعية) بينما يتعرض المراهق الانجليزى إلى ٤,٧ فقط من هذه المواقف .

وقد استمر هذا التباين والاختلاف — كما يقول الباحثون — بين أفراد البلدة الأمريكية وأفراد البلدة الانجليزية حتى مراحل الرجولة المبكرة وربما إلى ما بعدها .

ويمكن لنا أن نتبنى تفسير الباحثين لهذه النتائج فى اتجاهين :

(ا) أن هناك فى الحياة الأمريكية من المواقف والمثيرات المتنوعة ماهو أكثر من نظيرتها فى الحياة الانجليزية وأن لهذا الفرق تأثيراً واضحاً على عملية التفاعل بين الفرد وبين مجتمعه المحلى .

(ب) أن الطفل الأمريكى يجد الكثير من تشجيع الوالدين وتدريبهم إياه بصورة أوضح مما يلاقيه الطفل الانجليزى من أبويه . وبذلك نجد أن الطفل الأمريكى يقدم على معالجة المواقف والدخول فيها والتعامل معها بينما لا يجد الطفل الانجليزى مثل هذه الفرصة .

ففى البلدة الأمريكية يجد الطفل ٥٢ ٪ من مواقف مجتمعه المحلى مفتوحة أمامه أى يسمح له بالدخول إليها والتفاعل مع عناصرها بينما لا يجد الطفل فى البلدة الانجليزية سوى ٢٣ ٪ من هذه المواقف .

ولنا هنا سؤال لابد أن يترتب على نتائج هذه الدراسة وهو ، هل أطفال البلدة الأمريكية أكثر قدرة على المشاركة فى أنماط الحياة الاجتماعية المختلفة ومواقفها اشتراكا ناضجاً وفعالا ؟

أو بمعنى آخر هل هو موضوع الكم أو الكيف الذى أخذته فى اعتبارها دراسة باركر ؟

فى الحقيقة أن هذه الدراسة لم تجب على هذا السؤال .

ما سبق كان مناقشة توضيحية للوسط الذى تعمل من خلاله الضغوط

والقوى الاجتماعية . وما يلى الآن هو مناقشة هذه الضغوط وعلاقتها بسلوك الإنسان إذ أن هذا هو بيت القصيد فى هذا الفصل .

ونحن لا نستطيع أن تناقش هذه الضغوط ككل متكامل وإن كانت هى فى الحقيقة كذلك فعلا حيث أن الرأى العام والقيم والتقاليد والإعلام والإشاعة وغير ذلك من الضغوط جميعها تتفاعل دائماً مع بعضها البعض بصورة تجعل الأمر صعباً عندما نحاول دراسة هذه الضغوط والقوى . إذ أنه من الضرورى أن نفصلها عن بعضها البعض بهدف الدراسة والمناقشة فقط .

ومثال ذلك دراسة الأجهزة الحيوية فى جسم الإنسان حيث يدرس الجهاز الدورى على حدة والجهاز العصبى على حدة وغير ذلك إلا أنه فى الواقع والطبيعة جميع هذه الأجهزة متصلة بصورة عضوية كلية شاملة .

وسوف نختط لنفسنا هذا المنهج الفصلى عند دراسة هذه القوى والضغوط الاجتماعية محاولين ما أمكن أن نوضح علاقة كل منها بسلوك الفرد ثم علاقتها جميعاً بهذا السلوك .

أولاً: الرأي العام كضغط اجتماعي :

لا يمكن لنا أو لأى كاتب آخر أن ينكر أهمية الرأى العام كضغط اجتماعى يوجه سلوك الأفراد بل ويؤثر فى معايير الجماعة وقيمها . فإن هذا حقيقة ملموسة . . . ولكن أين نجد (الرأى العام) هذا ومن أين يأتى ؟ يقال أن الأفراد هم الذين يصنعون الرأى العام . إذن لماذا يخشونه بعد ذلك ويحسبون له ألف حساب قبل أن يقدم أحدهم على عمل ما طالما هم الذين أبدعوه وصنعوه ؟

هل يعنى ذلك أن هناك شيئاً اسمه الرأى العام أى أن هناك مدركا مستقلا بذاته ووظيفته له هذه التسمية ونحن لم نجده بعد ولم نتعرف على كنهه وطبيعته ؟

إذن ماذا يكون الأمر ؟ نعتقد فى بداية هذه المناقشة أن الرأى العام عملية تتصف بالحركية ذات عناصر ومقومات خاصة تعطيها صفـــة الكيان والاستقلالية مثل عملية السلوك الذكى الذى اتفق على أن يسمى الذكاء أو عملية النشاط الاجتماعى الناجح الذى اتفق على أن يسمى القدرة الاجتماعية .

وهكذا بحيث يصبح من الضرورى أن نحدد معنى الرأى العــام قبل أن نخطو بعيدا فى مناقشته كضغط من الضغوط الاجتماعية ذات الأهمية الواضحة فى حياة الجماعة .

معنى الرأى العام :

حاول الكثيرون كتابة تعريف واضح محدد للرأى العام ولكن لا ندرى لماذا كانت معظم هذه التعريفات وصفية فقط فهى ليست إجرائية بمعنى أنها تعرف الرأى العام من خلال أثره ووظيفته كضغط اجتماعى ولا هى بنائية بمعنى أنها تعرف الرأى العام من خلال تركيبه ومكوناته .

فنجد على سبيل المثال « ويلبى » يتحدث عن طبيعة الدولة ويقول « إن الرأى العام يعنى سيادة قوة المجتمع التى بدونها لا يمكن أن يكتب قانون أو تقوم حكومة » .

ويقول برايس إن الرأى العام هو ما يدل على تجمع آراء الناس حول ما يهم المجتمع ككل ولذلك فهو — أى الرأى العــام — يتغير من يوم إلى آخر .

ويقول هيوم إن الرأى العام هو القوة التى يجب أن يعتمد عليها الزعيم السياسى أو الاجتماعى فى قيادته للمجتمع الذى يتزعمه إذ أنه بدون هذه القوة لا يمكنه أن يؤثر على تابعيه تأثيراً له قيمته وأهميته .

أما ديسى فإنه يرى أن الرأى العام هو عبارة عن الاعتقاد أو الاقتناع السائد فى جماعة ما ويكون من القوة بحيث يوجه سلوك أفرادها . وذلك لأن

هذا الرأى العام هو الإقتناع بما فيه من أحاسيس ومشاعر ومبادىء تؤثر فى حياة أفراد هذا المجتمع أو ذاك .

ويقول دووب إن الرأى العام هو « اتجاه جماعة من الناس نحو مشكلة معينة أو حدث معين » .

وهكذا نجد أن هناك العديد من التعريفات وجميعها كما سبق أن وصفناها إلا التعريف الأخير الذى يقدمه دووب فربما كان هو التعريف الوحيد الذى يلفت النظر ويستوقفنا من أجل مناقشته .

يتضح من تعريف دووب هذا أنه استخدم ثلاثة مصطلحات هى :

الإتجاه — والجماعة — والمشكلة . ونحن نتفق مع دووب من ناحية المظهر العام للتعريف ولكن ينقصه الكثير من التحديد لأنه يمكن أن نقول بكل ثقة أن أى جماعة لا تستطيع أن تكون رأياً عاما وليست أى مشكلة يمكن أن يتكون حولها رأى عام وليست أى درجة من درجات قوة الاتجاه النفسى تستطيع أن تحدث رأيا عاما .

وبناء على ذلك يقترح المؤلف التعريف التالى للرأى العام :

الرأى العام كضغط اجتماعى هو المحصلة العامة للاتجاهات النفسية الاجتماعية ذات الدرجة العالية سالبة كانت أم موجبة لأفراد جماعة منظمة متمايزة التركيب تجاه مشكلة محددة تمثل نوعاً من التوتر وعدم الاتزان فى المجال النفسى الاجتماعى للجماعة .

ومن هذا التعريف يمكن لنا أن نستنتج مايلى :

١ — أن الفرصة تزداد من أجل تكوين الرأى العام كلما كان تنظيم الجماعة عالياً وكلما كان تمايز الأوضاع الاجتماعية فيها واضحاً . إذ أن التمايز الواضح يمثل القوة الدافعة للاتجاهات والآراء المتباينة التى ينتج عنها فروق الجهد المختلفة فى المجال النفسى الاجتماعى للجماعة .

ومعنى هذا التمايز هو وجود أكثر من وظيفة اجتماعية ودور اجتماعى واحد داخل الجماعة الأمر الذى سوف يؤدى بطبيعة الحال إلى سلسلة التفاعلات الاجتماعية فيها وإلى إيجاد فروق الجهد التى تحدثنا عنها .

وأما المقصود بمعنى « تنظيم » الجماعة ليس هو التنظيم الشكلى كما هو الحال فى الجماعات العسكرية مثلا ولكن يقصد به التنظيم الاجتماعى الناشىء عن تعضى الحياة داخل الجماعة بمؤسساتها الاجتماعية المختلفة . وهذا التنظيم يقوم مقام الممرات الممهدة من أجل تلاقى الاتجاهات والآراء المختلفة لإنتاج هذه المحصلة .

٢ — تزداد الفرصة لتكوين الرأى العام كلما كان الاتجاه عالى الدرجة بغض النظر عن سلبيته وإيجابيته .

فالاتجاه القوى وحده هو الذى يساعد على تكوين الرأى العام سواء كان هذا الاتجاه مع أو ضد المشكلة التى تمثل توتراً فى المجال النفسى الاجتماعى للجماعة . فليس كل اتجاه قادر على أن يتحول إلى رأى عام لأنه لو كان الأمر كذلك لما تكون رأى عام على الإطلاق . لأنه كما هو معروف أن الاتجاهات النفسية للأفراد مختلفة ومتباينة ولذلك لو كان كل اتجاه قادر على أن يتحول إلى رأى عام لأصبح هناك رأى عام خاص بكل فرد . الأمر الذى يفقده صفة العمومية التى هى فى صلب تكوينه .

٣ — كلما قلت المسافة بين مركز التفاعل فى الجماعة وبين موقع المشكلة القائمة وكلما كان التوتر الذى تحدثه هذه المشكلة كبيراً كلما كانت الفرصة أكبر لتكوين الرأى العام .

وهذا أمر واضح فإن الفرصة تزيد لتكوين رأى عام حول مشكلة قريبة من مركز التفاعل فى الجماعة — ولكنها لا تكون كذلك إذا كانت المشكلة بعيدة .

فرغم أن التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا أو فى الولايات المتحدة الأمريكية من المشاكل التى يهتم بها العرب فى بعض بلادهم اهتماما خاصا إلا أن الفرصة لتكوين رأى عام حول هذه المشكلة رغم أهميتها لا تكون سانحة بقدر ما تقوم مشكلة من نوع مماثل فى مجتمع من هذه المجتمعات بحيث تكون قريبة من مركز التفاعل .

ونود هنا أن نوضع شيئاً لن يغيب طبعاً عن ملاحظة القارىء وهو أنه أننا لانقصد بالمسافة تلك المسافة المكانية ولكن مسافة المكان ومسافة الزمن ومسافة المعنى والإحساس .

من هذه الاستنباطات الثلاثة نستطيع أن نقول أنه أمكن لنا أن نعضد التعريف الذى افترضناه من أجل تحديد معنى الرأى العام .

ولكن هذا لا يعفينا من عرض بعض النقاط التى نرى أنها أساسية لتوضيح معنى الرأى العام وتحديده .

١ — الشخصية المعنوية للرأى العام :

يميل الكثير إلى إعطاء « الرأى العام » صفة الشخصية المستقلة ذات الكيان المعنوى المحدد وهذا يتضح من حديث الناس حول « صوت الرأى العام » وكلمة « الرأى العام » « الرأى العام العالمى » وهكذا بمعنى أنه أصبح فى تصور الكثيرين أن الرأى العام هذا شخصية معنوية مسيطرة على الجماعة بتنظيمها وكيانها وهى دائمة الاستمرار فى السيطرة والتوجيه . ولنأخذ مثالا على ذلك حيث يقول الكثيرون أن الرأى العام العالمى فى بداية هذا القرن كان يسمح للدول أن تحتل الأرض بقوة السلاح بينما الرأى العام العالمى حالياً لا يسمح بذلك .

ويتكلمون ويقولون أن الرأى العام قد تغير من هذه الحقبة إلى تلك كما لو كان ذلك الرأى العام كياناً تغير وتبدل . والحقيقة هى أن المجتمع الذى كان

يعيش ظروف بداية القرن العشرين يختلف بطبيعة الحال حتى من الناحية العضوية عن المجتمع الذى يعيش ظروف نهاية هذا القرن .

ويمكن أيضاً أن نقول أن الرأى العام فى جماعة ما كان يؤيد زعيما معيناً ولكن بعد مدة وجيزة تغير هذا الرأى العام فأصبح لا يؤيد هذا الزعيم وهنا لا نقول أن الجماعة قد تغيرت ولكن تغيرت ظروف العلاقة بين هذا الزعيم وهذه الجماعة وبالتالى تغير اتجاه الرأى العام .

٢ — ظهور الرأى العام من أنشطة الجماعة :

يمكن أن نعتبر الرأى العام كنشاط أو ضغط اجتماعى خاص ناتج من حوار متكامل بين أعضاء الجماعة قائم على التفكير المتنوع المتعدد الاتجاهات لأفراد هذه الجماعة . ويخرج هذا النشاط أو يظهر ظهوراً جديداً مختلفاً عن رأى كل فرد على حدة بل يختلف أيضاً عن الرأى المتوسط من الأفراد .

وعليه فإن هناك اعتقاد بأن الرأى العام جديد فى كل صفاته وخصائصه عن رأى الأفراد كل على حدة أو فى متوسطها العام .

ويبدو من ذلك أن افتراضنا السابق بأن الرأى العام هو « محصلة » يعطى لهذا الكلام بعداً جديداً هو البعد الخاص بتحديد القوة والاتجاه لهذا الناتج الجديد . فمما لا شك فيه أن المحصلة تختلف عن كل من مركباتها من حيث القوة والاتجاه .

٣ — رتبة الرأى العام من أنشطة الجماعة :

هذه نقطة من الضرورى أن نبرزها من أجل التوضيح والتحديد فهناك كثير من الآراء ترى أن الرأى العام هو أهم نشاط فى الجماعة بل يذهبون أبعد من هذا ويقصرون إحداث الرأى العام وتكوينه على أولى الفكر والرأى فى الجماعة وليس كل فرد فيها يستطيع أن يسهم فى تكون الرأى العام ولمناقشة هذا الزعم يجب أن نقول أن هذا التفكير تكمن وراءه قيمة سيطرة

القادة على التابعين وأن الرأى العام ما هو إلا وسيلة قوة يعتمد عليها القائد فى سياسته تجاه الجماعة .

وأما مفهومنا نحن فهو مختلف تماماً عن هذا المفهوم حيث نرى أن الرأى العام هو نتاج نشاط الجماعة وتفاعلها ككل وليس نشاط طبقة دون طبقة أخرى . ولكن قد يكون هناك رأى عام بين كل طبقة على حدة حيث تعتبر أياً من هذه الطبقات جماعة فى حد ذاتها .

وليس بالضرورة أن يأتى الرأى العام دائماً فى مقدمة نشاط الجماعة لأنه قد يكون هناك من الأنشطة أو الطقوس الاجتماعية الأخرى ما يفوقه ويتقدم عليه .

٤ — الرأى العام وعمومية الرأى :

يجب أن يكون الفرق بين هذين الاصطلاحين واضح بين إذ أن الرأى العام كما هو معروف وكما عرفناه نحن سابقاً هو محصلة أو نتاج تفاعل الجماعة باتجاهات أفرادها مع المشاكل والمعوقات التى تسبب التوتر فى مجالها النفسى الاجتماعى . ولذلك فإن الرأى العام هو نشاط جماعة . وتحرص الجماعة ككل على إظهاره وبيانه .

وأما عمومية الرأى فهى تعنى ما يكتب فى صحيفة أو ما يذاع فى الراديو أو التلفزيون حيث ما يقدم فى هذه الوسائل الإعلامية ليس بالضرورة أن يكون أو سيصبح رأيا عاما إذ أنه رأى فرد أو كلمة فرد تكتب فى وسيلة إعلامية حيث يكون لهذا الرأى الفردى أو الكلمة الفردية عمومية ولكنها لا تكون رأيا عاما على الإطلاق .

٥ — بعض الخصائص المتصلة بالرأى العام :

يمكن أن نقول أن هناك عددا من الخصائص تتعلق بالرأى العام كما سبق لنا أن عرفناه وهذه الخصائص رغم أنها متناثرة متباعدة إلا أنها تساعد على

تحديد أكثر لمفهوم الرأى العام وهذا ما نقصد إليه . هذه الخصائص هى :

(ا) أن سلوك أفراد الجماعة هو الذى يؤدى إلى تكوين الرأى العام . حيث هذا السلوك هو التفاعل الحركى واللفظى بين هؤلاء الأفراد .

(ب) أن هذا النمط من السلوك يشترك فى أدائه حركة ولفظا عدد كبير من أعضاء المجموعة .

(ح) أن هذه الأنماط السلوكية تنشط وتتجه نحو هدف أو غرض معروف لأعضاء الجماعة — وهذا ما نشير إليه بمركز التوتر الذى تحدثه المشكلة .

(د) أن يكون هذا الهدف على قدر من الأهمية بالنسبة لعدد كبير من أعضاء الجماعة .

(ه) أن تكون أنماط السلوك هذه فكرية أو لفظية أو حركية على استعداد وتأهب للعمل الإجرائى مع أو ضد الهدف الذى تنشط ناحيته هذه الأنماط .

(و) أن تكون أنماط السلوك هذه على قدر من القوة والفعالية بحيث تعطى الاحتمال بتكوين رأى عام حول المشكلة أو الغرض .

هذه هى بعض الإضافات التى رأيت أن أضيفها من أجل توضيح التعريف المقترح والذى نعتقد أنه كاف ومقنع لتحديد معنى الرأى العام .

العوامل التى تساعد على قيام الرأى العام :

بالإضافة إلى العوامل الثلاثة التى تعرضنا لها فى تعريف الرأى العام وهى شدة الاتجاه وموقع المشكلة وتنظيم الجماعة هناك عدة عوامل اجتماعية تساعد على قيام الرأى العام نشير إليها فيما يلى :

١ — درجة تماسك الجماعة group cohessivness أى وجود اهتمام واضح بين أفراد الجماعة بعلاقاتهم الاجتماعية وميلهم الواضح إلى التمسك بإطار عام من المثل والقيم والأخلاقيات .

فإنه كلما زاد تماسك الجماعة أى اهتمام الأفراد بهذه الجماعة كلما كانت الفرصة مواتية دائماً لتكوين رأى عام حول أى مشكلة تسبب توتر اللجماعة.

٢ — درجة إهتمام وإحساس أفراد الجماعة بالمشكلة التى تسبب التوتر وعدم الاتزان فقد تكون المشكلة قائمة فعلا حيث يراها البعض كذلك ولكن البعض الآخر لا يهتم بها الاهتمام الكافى ومن ثم نجد أنه فى هذه الحالة تكون الفرصة ضعيفة لتكوين الرأى العام . ولكنها تقوى إذا ارتفعت درجة اهتمام أفراد الجماعة ككل بهذه المشكلة ، وكذلك درجة إحساسهم لهذه المشكلة .

٣ — درجة المعرفة والمعلومات المتاحة لأفراد الجماعة : حول هذه المشكلة . إذ أنه كلما كانت المشكلة موضع الاهتمام واضحة من الناحية المعرفية بحيث تتضح أبعادها أمام أفراد الجماعة كلما كانت الفرصة سانحة لتكوين رأى عام قوى . ذلك لأن الرأى العام لا يتكون إطلاقا فى حالة تعذر الرؤية الفكرية والموضوعية بالنسبة للهدف أو الفرض أو المشكلة .

٤ — كفاءة وسائل التواصل والإعلام داخل الجماعة . إذ بغير هذه الوسائل والطرق لايمكن انتقال الفكرة من فرد إلى آخر وسواء كانت وسائل الإعلام هذه بسيطة أو معقدة فإنها تؤدى دوراً كبيراً فى تكوين الرأى العام وتحديد اتجاهه .

ولابد أن يقابل هذا أيضاً سهولة التواصل بين أعضاء الجماعة بمعنى أن تكون عملية التفاعل الاجتماعى بين الأفراد حرة بلا قيود أو موانع وذلك لأن وسائل الإعلام وحدها لاتكفى بل لابد من وجود ذلك القرب الطبيعى بين الأفراد حتى يتم تبادل الحديث ووجهات النظر والآراء من أجل تكوين المحصلة النهائية وهى الرأى العام .

٥ — عدم وجود مشكلة أخرى تسبب توترا أكبر من التوتر الذى تسببه المشكلة الأولى فإن وجود مثل هذا التوتر سوف يستلفت انتباه

أعضاء الجماعة ويصرفهم عن المشكلة التى يراد أن يتكون حولها الرأى العام .

وعلى سبيل المثال عندما تبرز فى المجال النفسى الاجتماعى للجماعة مشكلة مثل ارتفاع الأسعار أو أزمة الإسكان فإنه من المتوقع تحت الظروف السابق الإشارة إليها أن يتكون رأى عام حول هذه المشكلة .

ولكن إذا حدث وتعرضت البلاد لغزو عسكرى تحول اهتمام الناس فى هذه الحالة الأخيرة عن المشكلة الأصلية وهى غلاء الأسعار أو أزمة الإسكان .

أنواع الرأى العام :

إذا أردنا أن نستعرض أنواع الرأى العام التى أشار إليها الكثير من الكتاب والدارسون فسوف يكون ذلك حملا ثقيلا على القارىء لأنه لم يكتب فى ميدان الرأى العام المتخصصون فقط بل كتب فيه غير المتخصصين أيضا . وحتى هؤلاء المتخصصون هم من ميادين شتى فنجد أصحاب السياسة والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس والإدارة والقانون وغير ذلك مما يمت بصلة قريبة أو بعيدة بموضوع الرأى العام . وعلى ذلك سوف ننتقى ثلاثة أسس رئيسية تتفق عليها مع غيرنا فى تصنيف الرأى العام يمكن أن نوردها فيما يلى :

(ا) الرأى العام من ناحية الصفة :

١ — رأى عام ظاهر : وهو ذلك الرأى العام المعبر عنه فعلا أو الذى يأخذ الصورة الإيجابية فى التعبير عن محصلة اتجاهات أفراد الجماعة . ويمكن ملاحظة هذا النوع من الرأى العام فى المجتمعات التى تتطور مفاهيمها بصورة جماعية سليمة حيث يتوفر عنصر الثقة والأمن والطمأنينة لأفرادها .

٢ — رأى عام داخلى : وهو الرأى العام غير الظاهر ، غير المعبر عنه أو الذى لا يجيد وسيلة الانتشار والذيوع وغالبا ما يتكون هذا الرأى العام فى الجماعات التى يحكمها الطابع الأوتوقراطى .

(ب) الرأى العام من ناحية الطبيعة :

١ — رأى عام حقيقى : أى موجود فعلا وهو ذلك الرأى العام الناتج عن ظهور المشكلة التى تسبب التوتر إلى حيز الوجود الملموس فينزع الأفراد إلى التعبير عن رأيهم واتجاهاتهم بوسائل النشر والتعبير المختلفة .

ويجب ملاحظة الفرق بين هذا النوع بين النوع الظاهر الذى أشرنا إليه سابقاً فقد يكون الرأى العام حقيقى وموجود ولكنه غير ظاهر حيث أن هناك ما يمنع ظهوره وشرعيته كالنظام الأوتوقراطى أوالديكتاتورى الذى يسيطر على الجماعة .

٢ — رأى عام كامن : وهو ذلك الرأى العام الموجود فعلا ولكنه فى حيز الكمون النفسى للجماعة ولكن يحتمل ظهوره فى أية لحظة يحدث فيها توتر اجتماعى من نوع خاص .

وهذا يتمثل فى الجمهرة فى بداية تكوينها فى مكان ما وتحت ظروف خاصة حيث يكون الرأى العام فيها كامناً ثم ينطلق فجأة ويتخذ طريقه إلى الظهور عندما تتعرض هذه الجمهرة إلى توتر من نوع خاص .

(مثال ذلك جمهرة الطلبة فى مظاهرة ما حيث يكون الرأى العام فيها كامناً ولكنه يتخذ سبيله إلى الظهور بمجرد رؤيتهم لرجال الشرطة مثلا) .

(حـ) الرأى العام من ناحية المدى والأثر :

١ — رأى عام دائم : وهو ذلك النوع من الرأى العام الذى يقوم على اتجاهات نفسية حادة تكونت عبر الحقب الحضارية والثقافية مثل الرأى العام الذى يحيط بمشكلة التمييز العنصرى فى الولايات المتحدة الأمريكية . والرأى العام الذى يسود جمهرة يهود العالم نحو الشعوب الأخرى .

ويتميز هذا النوع من الرأى العام باستمراره فترة زمنية أطول وبقدرته على مقاومة التغير بصورة أقوى وأشد .

٢ — رأى عام مؤقت : وهو ذلك النوع من الرأى العام الذى يتكون نتيجة اتجاهات لحظية طارئة نحو مشكلة من المشاكل التى تسبب التوتر فى حياة الجماعة . ولا يستمر مثل هذا الرأى العام طويلا إذ أنه يزول باختفاء المشكلة أو باضمحلال حدة الاتجاه النفسى .

وظيفة الرأى العام :

ليس هناك شك فى أن الرأى العام له وظيفة حضارية وثقافية أكثر بكثير مما نتصور للوهلة الأولى .

وللرأى العام أثر كبير على حياة الجماعة كجماعة وعلى الأفراد كأفراد وكأعضاء فى هذه الجماعة .

فنجد على سبيل المثال أن الرأى العام يؤثر على الجماعة كتنظيم اجتماعى وكشخصية معنوية قائمة بذاتها فى عدة نواحى أهمها :

١ — فى حالة تكوين دساتير وقوانين الجماعة وتعديلها أو تعطيلها أو إلغائها إذ يعتبر الرأى العام مصدراً من المصادر الرئيسية لسن قوانين الجماعات . وهذه وظيفة اجتماعية ذات وزن هام فى حياة الجماعات وخاصة فى مراحل تكوينها أو تطورها .

٢ — فى حالة رعاية المثل الانسانية والمبادىء الخلقية والقيم الاجتماعية والمعايير وتأكيدها فى النسيج الحضارى للجماعة وكذلك فى حالة تكوين هذه التغيرات أو نقدها وتطويرها .

فالرأى العام قد يكون له من القوة فى جماعة ما ما يفوق قوة القانون الوضعى فى حماية المثل الانسانية والدفاع عنها فليس هناك نص فى أى قانون

وضعى يشير إلى وجوب التراحم والتعاطف بين بنى الانسان ولكن نجد أن الناس تتراحم وتتعاطف ومما يدفعهم إلى ذلك هو الرأى العام التى تعبر عنه ضرورة وجود هذه المثل الانسانية . وكذلك الحال بالنسبة للمبادىء الخلقية والقيم الاجتماعية .

ولا يمكن أن ننسى أيضاً وظيفة الرأى العام فى تكوين القيم الاجتماعية هذه إذ أن الضغط الذى يسببه الرأى العـــام فى مجتمع ما يؤدى إلى إيجاد مواقف المفاضلة والاختيار وهى المواقف التى تتكون فيها القيم كما سنرى ذلك فيما بعد .

وكذلك للرأى العام وظيفة فى تكوين المعيار الذى عن طريقه تحكم الجماعة على سلوك أفرادها وأى نمط منه صحيح وأى نمط منه خاطىء . إذ أنه مما هو معروف ومفهوم أن الضغوط الاجتماعية يصاحبها دائماً بجانب مواقف أخرى للتقييم والنقد تتمثل فى تشجيع نمط ما من السلوك وكف نمط آخر وعلى ذلك ينشأ المعيار ممثلا لمقاييس الجماعة فى الخطأ والصواب والجيد والردىء .

٣ — فى حالة تسهيل مهمة المؤسسات الاجتماعية والثقافية والحضارية فى المجتمع فى تأدية رسالتها من أجل حفظ التراث الحضارى للجماعة . فإن لم يساند المدرسة رأى عام تعليمى لفشلت فى نقل تراث الثقافة والمعرفة من جيل إلى جيل وكذلك مؤسسات الصحافة والإعلام والرعاية الاجتماعية والصحية جميعها فى حاجة إلى وظيفة الرأى العام من أجل رفع استجابة الأفراد لمتطلبات هذه المؤسسات الحضارية فى الجماعة .

هذا من ناحية تأثير الرأى العام على الجماعة كجماعة وأما عن تأثير الرأى العام على الفرد كفرد فى الجماعة فإننا نقول إن وظيفة الرأى العام هى أن تعود الفرد أولا على الطاعة الاجتماعية وثانياً تهذيب عدوانيته وضبطها .

(١) الرأى العام والطاعة الاجتماعية:

الطاعة الاجتماعية هى ظاهرة انصياع الفرد لما هو سائد فى المجتمع من قيم ومعايير وقوانين اجتماعية أو بمعنى آخر هى استجابة الفرد لمثيرات البيئة على نمط لا يختلف عما يقدمه الآخرون أعضاء نفس الجماعة من استجابات لهذه المثيرات.

وهناك كثير من الدراسات تهتم كثيراً بالظروف التى تجعل الطفل طيعاً مستجيباً لما حوله من العناصر المعنوية فى بيئته الخارجية. ونقصد هنا بالعناصر المعنوية القيم والمعايير والعادات والتقاليد. ولم تختلف هذه الدراسات كثيراً فى أن هذه الظروف توجد فى بيئات ثلاث هى:

١ — الأسرة.
٢ — المجتمع المحلى.
٣ — المجتمع الكبير.

فأما عن مناقشة دور الأسرة أو المجتمع المحلى فهذا أمر قد سبق لنا مناقشته وسبقنا إلى ذلك الكثيرون. وأما عن مناقشة دور المجتمع الكبير فقد يكون فى هذا المجال بعض الشىء الذى يمكن أن يقال.

المجتمع كما نعلم ليس هو مجموعة من الأفراد فقط بل هو مجموعة هذه الأفراد مضافة إلى القوى والضغوط والديناميات التى تربط هؤلاء الأفراد دائماً بعضهم البعض. فالأسرة مثلا ليست رجلا وامرأة ومجموعة من الأطفال ولكنها أكثر من ذلك ولهذا نحن نقول دائماً أن الجماعة أكبر من مجموع أفرادها لأن الجماعة لها صفة الكلية والكل دائماً أكبر من مجموع أجزائه.

وبهذا نجد أن المجتمع فيه من الضغوط ماهو قوى فعال ومن هذه الضغوط الاجتماعية الرأى العام الذى يستطيع أن يلزم الفرد بنوع خاص من السلوك

يرضى عنه المجتمع ويباركه وإلا فسوف يتعرض مثل هذا الفرد لعمليات الردع والقمع الاجتماعية التى تتم دون تدخل قانون أو مؤسسة رسمية .

ومن الدراسات التى تؤكد دور الرأى العام فى تعويد الفرد الطاعة الاجتماعية أو الإذعان لمعايير المجتمع تلك الدراسات التى قام بها معهد (فلز) بولاية أوهايو فى أمريكا .

ومن بعض هذه الدراسات أن الأطفال الذين يجيدون التكيف للمعايير السائدة فى الأسرة أو المجتمع المحلى يكونون أكثر الأفراد حساسية لضغوط الرأى العام فى المجتمع الكبير وبذلك يكونون أكثر التزاما بقوانين المجتمع وقيمه ومعاييره ونظمه .

(ب) الرأى العام وتهذيب العدوانية :

العدوانية هى كل تمرد على ما هو قائم فى النسيج الحضارى العام للجماعة سواء كان هدف عملية العدوان هذه بشراً أو قيمة أو معياراً أو تقليداً .

والعدوانية بهذه المعنى تقل كلما زادت الطاعة الاجتماعية عند الفرد بحيث أنه يمكننا أن نقول بأن هناك علاقة شبه قانونية بين هذين المتغيرين . وبالتالى فإنه قد يكون فى الإمكان ضبط عدوانية الفرد عن طريق تنظيم طاعته الاجتماعية وما يتعلق بها من أنماط سلوكية .

وقد يكون من البديهى — للوهلة الأولى — أن نقول أنه إذا أمكن ضبط الطاعة الاجتماعية عن طريق ضغوط الرأى العام — وهذا أحد الطرق — وأن العدوانية تتناسب عكسياً مع الطاعة الاجتماعية فإنه إذن لا داعى لمناقشة خاصة لتوضيح علاقة الرأى العام بتهذيب العدوانية .

هناك أمران : أولهما أن العلاقة بين الطاعة الاجتماعية والعدوانية ليست علاقة قانونية كاملة ولكنها شبه قانونية فقد يكون هناك بعض الأفراد ممن

يتصفون بالطاعة الاجتماعية فى بعض المواقف وبالعدوانية فى بعض المواقف الأخرى .

وثانيهما : أن تطور خاصة العدوانية ونموها أكثر تعقيداً من ناحية الشكل والموضوع من تطور خاصة الطاعة الاجتماعية . فالديناميات التى تؤدى إلى العدوانية ثم تسيطر عليها أكثر وأدق من نظيرتها فى حالة الطاعة الاجتماعية .

فنجد أن كل سلوك عدوانى لابد أن يسبقه نوع من الإحباط والإحساس بالفشل وعدم التوفيق — ولكن هذا لا يقودنا إلى أن نقول أن كل إحباط وفشل لابد وأن يتبعه سلوك عدوانى — وبذلك يمكن لنا أن نتوقع فى شىء من الدقة أى المواقف التى يحتمل أن يكون فيها الفرد عدوانياً على نظم المجتمع ومعاييره وقيمه . وهنا نجد أن الرأى العام كضغط اجتماعى ينشط من أجل تهذيب عدوانية الفرد ويتخذ هذا الضغط إحدى صورتين :

١ — أن يهتم الرأى العام بنواحى الكف والعقاب أو العلاج فيساعد المؤسسات العقابية أو العلاجية على إتمام رسالتها فى تهذيب عدوانية من تحدثه نفسه بأن يخرج عن سمت الجماعة ونواميسها .

٢ — أن يهتم الرأى العام بعملية امتصاص عدوانية أفراد الجماعة عن طريق تشجيع المؤسسات التى تخدم هذا الغرض مثل تلك التى تتبنى الرياضات البدنية التى تساعد امتصاص العدوانية وتخطيها . أو قد يتم امتصاص العدوانية عن طريق حيل أخرى مثل إنشاء الرموز والدلالات مثل رموز الشر والرذيلة والأرواح الشريرة والخطيئة وغير ذلك .

وهنا نجد أن الأمر لا يرتبط فقط بضبط الطاعة الاجتماعية من أجل تهذيب العدوانية بل أن هناك روابط أخرى يهتم بها الرأى العام كضغط اجتماعى أثناء تهذيبه لعدوانية أفراد الجماعة .

— قياس الرأى العام :

تعتبر عملية قياس الرأى العام من العمليات التى تنطوى على جهد كبير ثم يخرج منها الباحث فى النهاية بمؤشر أو دلالة بسيطة تشير إلى اتجاه الجمهرة إلى حدث خاص . وقد يكون هذا الحدث موقتاً يزول بعد فترة قليلة لا تتناسب مع الجهد والوقت الذى يبذله الباحث فى عملية القياس .

ولكن على جميع الحالات فإن لنا عدة ملاحظات على عملية قياس الرأى العام نوردها فيما يلى :

١ — فيما يخص العينة :

(ا) أن تكون ممثلة لجميع خصائص الجماعة من ناحية الجنس والسن والمستوى الإقتصادى وتوزيع المهن ومناطق السكن .

(ب) أن تكون ذات حجم مناسب بحيث تعطى الفرصة للحصول على أقرب النتائج إلى الصحة ولتدل على اتجاه الرأى العام فى الجماعة .

٢ — فيما يختص بالمشكلة التى يدور حولها البحث :

(ا) أن تكون واضحة محددة فى ذهن الباحث .

(ب) أن يقوم الباحث بتحليلها إلى عناصرها .

(ج) أن يقوم الباحث كذلك بإعطاء الوزن المناسب لكل عنصر من هذه العناصر .

٣ — فيما يخص استمارة القياس :

(ا) أن يقوم الباحث بإعداد بنود استمارة القياس بناء على العناصر التى سبق له أن حصل عليها من تحليل المشكلة موضع البحث مع ملاحظة توزيع هذه البنود حسب أوزان العناصر بحيث تغطى الاستمارة جميع أبعاد المشكلة بصورة متوازنة معقولة .

(ب) يجب أن تكون البنود صحيحة وصادقة وهذا هو الشرط الأول

فى تكوين استمارة قياس الرأى العام . وربما كان من المفيد أن يكون لدى الباحث ما يسمى بالهيئة الدائمة constant pannel وهى عبارة عن مجموعة من المتخصصين فى العلوم السلوكية ومن المشتغلين بالأمور الاجتماعية وتكون وظيفة هذه الهيئة الحكم على صحة وصدق كل عبارة حيث يستخدم الباحث فى ذلك طريقة ثرستون وشيف التى سبق وصفها من أجل تعيين درجة صدق كل عبارة أو بند من بنود الاستفتاء حيث يستخدم فى ذلك القانون .

$$\text{ق} = \text{ح} + \frac{\text{٥,} - \text{مجـ ه}}{\text{ه}} \times \text{ى}$$

(حـ) على الباحث أن يلاحظ الشروط الأساسية لعبارات الاستفتاء من حيث السهولة والبساطة والدقة والمباشرة والقصر وكذلك تجنب الأسئلة أو العبارات المزدوجة التى تعبر عن موقفين فى وقت واحد .

(د) يجب أن تكون إجابات العبارات أو البنود سهلة وبسيطة وتتم فى أقل وقت ممكن حيث يستحسن أن تكون إجابات الأسئلة نعم أو لا وإذا كان ولابد من التدريج فيكتفى بثلاث علامات فقط . مثل أوافق — غير متأكد — لا أوافق أو أن تكون هناك درجات من ١ إلى ٥ أمام كل عبارة ويترك للفاحص التأشير أمام الدرجة التى يراها تتناسب مع شدة استجابة المفحوص .

(هـ) على الباحث أن يأخذ فى حسابه أثناء تصميم الاستمارة أن تغطى النواحى النظرية التالية : (أى لا تكون مجرد سؤال وإجابة فقط) .

١ — إعطاء فكرة عن الدوافع التى تكمن وراء اختيار استجابة دون أخرى حتى يمكن للباحث أن يسترشد بها فى تحليله للبيانات والمعلومات التى يجمعها الفاحصون

٢ — إعطاء فكرة عن مدى تمسك الفرد بالاختيار الذى يفضله دون

غيره بمعنى شدة جمود الاختيار rigidity of pref. التى يبديها الفرد . وهذه نقطة سوف تساعد الباحث فى الاستدلال على عمق الرأى العام ومدى ثبوته وقوته .

٣ — إعطاء فكرة عن الاختبارات الكامنة أى تلك التى قد يفضلها المفحوص لو لم تكن أمامه الفرصة مهيأة لتعيين اختياره الأول. وهذه أيضاً تساعد الباحث على معرفة أولويات الاختيار ومن ثم إمكانية التنبؤ بما ستكون عليه اختيارات الأفراد أو الرأى العام فى حالة تغير الظروف .

٤ — فيما يخص إجراءات البحث أو تقدير الرأى العام :

(ا) يمكن تطبيق استمارة البحث إما بتوزيعها على الأفراد فى مؤسساتهم التى يعملون بها أو إرسالها إليهم بالبريد إلى منازلهم أو مقار أعمالهم وفى هذه الحالة يجب على الباحث أن يأخذ فى حسابه نسبة الفقد أى تلك الاستمارات التى لن تعود إليه لأكثر من سبب .

(ب) يمكن تطبيق الاستمارة عن طريق المقابلة الشخصية التى يمكن أن تتم أيضاً فى مقر العمل أو فى المنازل .

أو أن يقوم الفاحصون بجمع البيانات عن طريق مقابلة أفراد العينة فى الطريق العام بشرط اختيار الموقف المناسب لتوجيه الأسئلة .

(حـ) فى هذه الحالة (ب) يجب التدقيق من جانب الباحث فى اختيار الفاحصين الذين سوف يقومون بجمع البيانات ومقابلة أفراد العينة حيث أن أكثر من ٥٠ ٪ من احتمالات نجاح أو فشل عملية القياس تتوقف على اختيار الفاحص المدرب المحترف .

(د) بعد جمع البيانات يتم تحليل البيانات فى ضوء خصائص وصفات العينة التى يتم اختيارها فى مثل هذه البحوث .

* * *

ثانياً: الدعاية كضغط اجتماعي:

الدعاية هي عملية تعديل الرأى العام وتغيير اتجاهه والتأثير عليه تأثيراً قد يكون دائماً أو مؤقتاً.

وربما كانت الدعاية بهذا المعنى هى أقدم (الفنون) النفسية التى عرفها الإنسان مع معرفته للغة ومع معرفته بغيره من بنى جنسه. فلابد أن إنسان ما قبل التاريخ حاول أيضاً أن يغير رأى غيره وأن يقنعه بفكرة ما فى ذهنه.

ولهذا فإن الدعاية انتقلت مع الإنسان من بداية معرفته وخبرته حتى عصر الفضاء حيث لم يتغير هدف الدعاية بقدر ما تغير أسلوبها ووسائلها. ووسائل الدعاية لتعديل الرأى العام كثيرة منها:

١ — الكلمة المكتوبة والمقروءة أيضاً وهذه تتمثل فى وسائل الإعلام الخطية مثل الصحافة والكتب والكتيبات والمنشورات المطبوعة وكل ما يكتب من أجل أن يقرأه الآخرون مثل إعلانات الحائط والملصقات وغير ذلك.

٢ — الكلمة المسموعة وهى ما ينقل إلى سمع الآخرين سواء عن طريق الآلة (المذياع: الراديو أو آلات التسجيل وغير ذلك) أو عن طريق الإنسان الآخر مثل الخطابة فى الندوات والمحاضرات والتجمعات المختلفة فى أى مكان من أمكنة العلم أو العبادة أو غير ذلك.

٣ — الصورة المرئية: وهى وسيلة ليست بالمستحدثة — وإن كان يتبادر إلى الذهن فوراً التليفزيون كوسيلة إعلام فإنه أحد هذه الوسائل الخاصة بالصورة المرئية. فهناك السينما والمسرح والرسوم المتحركة والرسوم الساكنة مثل كاريكاتير الصحف والمجلات.

وبهذا نجد أن هناك أكثر من طريقة للتأثير على الفرد فى الجماعة لتغير رأيه واتجاهه ومن ثم يتغير الرأى العام داخل هذه الجماعة. ولكن هناك عدة قوانين خاصة بالدعاية لابد أن نشير إليها:

(ا) « ينتقى الفرد عضو الجماعة من بين المؤثرات الموجهة إليه ذلك المؤثر الذى تحدث استجابته درجة عالية من الإشباع النفسى للفرد » .

ومعنى هذا القانون أن رجل الدعاية عليه بادىء ذى بدء أن يدرس الحاجات النفسية لأفراد هذه الجماعة ويتعرف عليها وعلى وسائل إشباعها فنى هذه الحالة لا تصبح أهمية المثير فى المثير ذاته من ناحية القيمة أو الوظيفة ولكن ترتبط قيمته بدرجـــة الإشباع النفسى الذى تسببه الاستجابة بالنسبة للفرد .

ولتوضيح ذلك بمثال لنفرض أن هناك عدة إعلانات عن أقمشة الملابس فهنا لا يهتم الفرد بقيمة المثير (القماش) بقدر اهتمامه بمدى الإشباع النفسى الذى يصاحب الاستجابة له وهو الإشباع الذى ينتج عن المظهر الأنيق الذى يبدو به .

(ب) « يتأثر الفرد عضو الجماعة بالمثير إذا توفر لهذا المثير صفات تشابه الوحدة والتكرار والانتظام » .

ومعنى هذا القانون أن الفرد يتأثر بالفكرة المتناسقة المنسجمة من حيث انتظام وحداتها وترابطها ثم التكرار الذى يعزز ارتباط الفكرة أو المثير باستجابة الفرد .

فنحن نلاحظ أن كثيرا من الصحف تخصص ركنا معينا أو زاوية معينة فى مكان خاص من أجل رسم الكاريكاتير الأمر الذى يستلفت نظر الكثيرين من قراء هذه الصحيفة وذلك من أجل تكرار وانتظام الفكرة .

(حـ) يتأثر عضو الجماعة بالمثير كلما اقترب هذا المثير من قيم الجماعة ومعاييرها » .

ولذلك فإن دراسة قيم الجماعة ومعاييرها قبل الشروع فى عملية الإعلام والإعلان فيها أمر على جانب كبير من الأهمية .

فليس من الحكمة على الإطلاق الدعاية والإعلان عن الخمر مثلا فى مجتمع إسلامى ذلك لأن قيم هذا المجتمع ترفض المثير أصلا ولا تقبله فى المجال النفسى الاجتماعى للجماعة .

(د) « يتأثر الفرد عضو الجماعة بالمثير المحدد من ناحية الكم والاتجاه » ومعنى هذا القانون هو إعطاء الفرد عضو الجماعة فكرة واضحة مفصلة عن المثير من جميع النواحى حتى لا يتردد الفرد طويلا فى الاستجابة للمثير إذ أنه من المعروف أن الفرد غالباً ما يتخذ جانب الحيطة والحذر والشك بالنسبة لمثيرات الدعاية المختلفة .

(ه) « يصبح المؤثر أو المثير على درجة عالية من الكفاءة إذا تشابه مع مثيرات سابقة نجحت فى دخول المتسع النفسى للفرد عن طريق إشباع حاجاته » وذلك القانون يعنى أن الإنسان بدافع الألفة والمعرفة والخبرة السابقة يستجيب لهذا المثير ويرفض الآخر .

ولذلك فإنه من الأهمية بمكان أن يأخذ رجل الدعاية فى حسابه فترة الجدة التى يجب أن يمر بها كل مثير جديد قبل أن يستجيب له أفراد الجماعة . وهذا ربما يفسر أن عملية « التقليد » فى ميدان التجارة أو الصناعة غير مشروعة لأن المثير الجديد الذى يشبه المثير القديم سوف يتفادى فترة الجدة هذه معتمدا على ما حققه المثير السابق من ثبات واستقرار .

(و) « يعتبر المثير فعالا كلما قل الزمن بين توجيه وبين استجابة الفرد ونزوعه » .

وهذا طبيعى لأن المثير الفعال هو الذى يجتذب انتباه الأفراد فى أقل وقت ممكن .

هذه القوانين تفسر الدعاية عموماً كعملية تعديل وتغيير فى الرأى العام . وهناك أيضا ما يخص الكلمة المسموعة بالذات سواء كانت الكلمة منقولة

عن طريق الإذاعة أو عن طريق المخاطبة المباشرة بين رجل الدعاية وبين الآخرين .

فنحن نشير هنا بأن نأخذ فى اعتبارنا طبيعة تكوين وبناء الجماعة فى كل حالة وتحت أى ظرف من الظروف .

والجماعات التى تستمع إلى شىء من هذا القبيل أى إلى مثير دعائى تمر فى ثلاث مراحل مختلفة قبل أن يستولى هذا المثير الدعائى على انتباه هذه الجماعات وهذه المراحل هى :

١ — مرحلة التمهيد لاستقطاب الانتباه .
٢ — مرحلة الاستقطاب الجزئى للانتباه .
٣ — مرحلة الاستقطاب الكلى للانتباه — أو مرحلة الانتباه الكامل.

هذا من الناحية العامة ولكن الجماعات تختلف فيما بينها من حيث التكوين والغرض أو الهدف ولذلك لابد أن يعرف رجل الدعاية مقدما نوعية الجماعة التى يتعامل معها . ونعرض فيما يلى بعض أنواع الجماعات التى يحتمل أن يلتقى بها رجل الدعاية . كما نعرض أيضا خطوات استقطاب الانتباه التى تمر بها كل جماعة حتى نصل إلى مرحلة الانتباه الكامل .

١ — جماعة المارة :

وهى جمهرة فى مكان ما : فى الطريق العام أو فى أى مكان تجمع آخر بغض النظر عن كونهم فى حالة حركة أو غير ذلك ولكنهم يسمون جماعة المارة لأنها جماعة غير ثابتة وقيامها رهن بالظروف اللحظية الطارئة . ويمكن الوصول بهذه الجماعة إلى مرحلة الانتباه الكامل عن طريق الخطوات التالية :

(أ) إثارة الانتباه : أى جذب انتباه أفراد الجماعة نحو المتحدث .
(ب) إثارة الاهتمام : أى إدخال المثير إلى حيز اهتمامهم .
(حـ) تكوين الانطباع : أى قبول الفكرة أو المثير من ناحية الشكل .

(د) الاقتناع : أى قبول الفكرة من حيث الموضوع .

(هـ) النزوع : أى يقوم الفرد بتنفيذ ما هو مقتنع به أى الاستجابة للمثير الدعائى المعروض .

٢ — جماعة المناقشة :

وهم الجماعة الذى يلتقى بهم رجل الدعاية فى مكان خاص مثل نادى من النوادى أو نقابة من النقابات أو فصل من الفصول الدراسية . وهذه الجماعة ليست فى حاجة إلى خطوة إثارة الانتباه حيث أن وجود رجل الدعاية فى حد ذاته ليس بالأمر المألوف المتوقع وعلى ذلك فإنه يمثل مثيرا لانتباه أفراد الجماعة . وبالتالى تصبح الخطوات كما يلى :

(ا) إثارة الاهتمام .

(ب) إحداث الانطباع .

(حـ) الاقتناع .

(د) النزوع .

٣ — جماعة متميزة :

وهى الجماعة التى يلتقى بها رجل الدعاية وهم يتوقعون حضوره ويعرفون شيئاً عن الموضوع أو المثير الدعائى الذى جاء من أجله . وعليه فإن الوصول بهذه الجماعة إلى مرحلة النزوع يمر بالخطوات التالية :

(ا) إحداث الانطباع .

(ب) الاقتناع .

(حـ) النزوع .

٤ — جماعة مدبرة :

وهى تلك المجموعة من الأفراد التى يلتقى بها رجل الدعاية بدعوة منهم سابقة حيث أنهم على درجة عالية من الاهتمام بالمثير الدعائى وهم يقبلونه

من ناحية الشكل . وبالتالى تصبح مهمة رجل الدعاية سهلة وتنحصر فى خطوتين فقط :

(ا) الاقتناع .

(ب) النزوع .

والحديث عن الدعاية أوالكتابة عنها لابد وأن يعيد إلى الأذهان الحرب العالمية الثانية كما يعيد إلى الأذهان أيضا (جوبلز) وزير الدعاية الهتلرى الذى قاد دعاية ألمانيا النازية طوال فترة الحرب ، والطريف فى ذلك أن (دووب) وهو أحد المهتمين بمواضيع الدعاية وتعديل الرأى العام يناقش مذكرات جوبلز التى وجدها الأمريكان فى برلين فى سنة ١٩٤٥ . وهذه المذكرات تضم وفرة علمية عن الطريقة التى كان يتخذها جوبلز فى دعايته المشهورة إبان الحرب .

وهذه المذكرات تغطى الفترة من يناير ١٩٤٢ حتى ديسمبر ١٩٤٣ وفيها يتعرض إلى نواحى كثيرة منها إبراز إخلاصه الشديد لهتلر وإيمانه العميق بمبادىء النازية ثم نقده لبعض الزعماء النازيين مثل جورنج وروزنبرج .

بجانب هذا هناك الكثير مما يهمنا عرضه فى موضوع الدعاية إذ قد يكون مفيدا جدا فى هذا المجال .

يرى جوبلز عدة نقاط أساسية فى مجال الدعاية يجب أن يأخذها فى حسابه كل مشتغل فى هذا الميدان لأنها حصيلة خبرة تطبيقية عميقة فى قيادة دعاية دولة خاضت غمار حرب عالمية فى قوة وعنف .

وتتلخص وجهة نظر جوبلز فيما يلى :

١ — على القائم بأمر الدعاية أو المشتغل بها أن يأخذ فى حسابه ذكاء ومعرفة الجمهور الذى يوجه إليه المثيرات الدعائية المختلفة .

ومعنى ذلك أنه يتحتم على الدعائى أن يختار المثيرات التى يمكن أن

تتحدى ذكاء الجمهور وتجعله يفكر فى محتواها وإمكانية تقبله لها .

ويتم ذلك من وجهة نظر جوبلز عن طريق حصول الدعائى على خريطة حديثة متجددة لتوزيع الرأى العام بين أعضاء الجماعة ومناطق قوته وضعفه.

٢ — يجب أن يقوم بتوجيه الدعاية والتخطيط لها هيئة واحدة فقط ذات سلطة كاملة فى إصدار جميع النشرات التوجيهية للجمهور وشرح دعائم السياسة الدعائية للمؤسسات أو الهيئات الأخرى التى يكون لها علاقة بموضوع الإعلام أو الدعاية .

٣ — يرى جوبلز كذلك أن كل عمل حربى أو سياسى يجب أن يصدر أولا وأخيراً من زاوية الدعاية وخاصة من الناحية النفسية . ومثال ذلك كما يقول هو أنه نصح هتلر أنه يخطط للهجوم الجوى على انجلترا من الناحية الدعائية النفسية أولا ثم من الناحية الحربية ثانياً كما نصحه أن تكون محاكم الحرب التى أقامها فى فرنسا داعية لهذا المبدأ أيضاً الدعاية أولا ثم العدل ثانياً.

٤ — يجب أن تكون المثيرات الدعائية التى يختارها وينتقيها الدعائى أقوى بكثير من تلك التى يختارها الخصم ويمكن الاستدلال على ذلك بما يلى :

(ا) سرعة تغير الرأى العام فى الجبهة الأخرى (بلبلة الأفكار) .

(ب) تأثر مثيرات الجبهة الأخرى بالمثيرات الدعائية المنتقاة (بمعنى أن السلطة الأخرى تصدق هذه المثيرات الدعائية) .

(ح) عندما يتضمن رد الجبهة الأخرى معلومات حيوية مفيدة لمقاومة هذه المثيرات الدعائية .

(د) عندما تصبح المثيرات المختارة هى المصدر الأساسى للمثيرات الدعائية فى الجبهة الأخرى .

٥ — يجب على الدعائى أن يختار الوسيلة الإعلامية المناسبة لنقل المثير الدعائى إلى الجماهير بحيث يكون هناك تناسب وانسجام بين قوة المثير وبين

طبيعة الوسط الإعلامى المستخدم . إذ أن هناك بعض المثيرات يحسن نقلها عن طريق الصحافة دون الإذاعة أو التلفزيون والعكس صحيح فى حالة بعض المثيرات الدعائية الأخرى .

٦ — يجب على الدعائى أن يختار المثير الذى يمكن تصديقه عن طريق الجماهير ويتم ذلك عن طريق إضافة بعض الحقيقة إلى هذه المثيرات بحيث تخفى ما هو غير حقيقى فيها .

٧ — يجب على الدعائى أن يدرس دعاية الجانب الآخر أو الجهة الأخرى من حيث الهدف والمحتوى والوسيلة والأثر قبل أن يقرر الرد على هذه الدعاية أو تجاهلها .

٨ — يجب على الهيئة الواحدة أو السلطة التى تشرف على توجيه سياسة الدعاية ألا تعطى المثيرات الدعائية الصفة الرسمية الحكومية دائماً بل يجب عليها أن تخرج بعض هذه المثيرات أحياناً كما لو كانت قد تسربت من الرقابة المفروضة على الإعلام حتى تعطى هذه المثيرات صفة التشويق والإثارة.

٩ — الدعائى الناجح هو الذى يستفيد من محتوى وهدف المثيرات الدعائية القادمة من الجبهة الأخرى فى إعداد مثيرات دعائية جديدة للرد على هذه المثيرات المعادية — وذلك فى حالة اتخاذ القرار بالرد على هذه المثيرات (رقم ٧) .

١٠ — يجب على الدعائى الناجح أن يختار الوقت الملائم تماماً من أجل توجيه المثيرات الدعائية المنتقاة . ومن أجل ذلك يتحتم عليه أن يكون لديه خريطة متجددة بترتيب الأحداث من الناحية الزمنية وعلاقتها بمواطن ضعف الرأى العام وقوته فى الجبهة الأخرى .

ويرى جوبلز فى هذا المجال أن من « يتكلم أولا يصدقه الآخرون » وأن « اللحظة الحاسمة فى توجيه الدعاية هى اللحظة المناسبة » وأن تكرار المثير يجب ألا يزيد عن الحد الذى يفقد معه فعاليته وأثره » .

١١ — يجب على الهيئة الواحدة أو السلطة التى تشرف على إعداد وتوجيه المثيرات الدعائية أن تعكف على دراسة الألفاظ والشعارات اللغوية وغير اللغوية من ناحية مناسبتها لتفكير ومدركات والتنظيم المعرفى للجماعة التى سوف توجه إليها هذه المثيرات . ويتم ذلك عن الطريق الآتى :

(ا) يجب أن تكون لهذه الشعارات القدرة على إثارة الجماهير وشحذ استجاباتهم الكامنة نحو موضوع المثير الدعائى .

(ب) يجب أن تكون هذه الشعارات سهلة الحفظ والاستعادة دون مجهود يذكر مثل الشعارات السجعية فى اللغة العربية أو العبارات القصيرة أو المنسجمة التكوين والبناء أو الأغنية القصيرة المحبوكة أو غير ذلك مما يسهل على الجماهير تذكر الشعار بسهولة .

(حـ) يجب أن تكون هذه الشعارات كثيرة الاستعمال والاستخدام فى مواقف كثيرة ومتعددة ولا تكون نوعية ضعيفة بحيث تصبح محصورة غير ذائعة فالشعارات التى يمكن أن تتكرر فى مواقف متنوعة يصبح بقاؤها واستمرارها أكثر احتمالا من الشعارات النوعية .

(د) يجب أن تكون هذه الشعارات صعبة الإئتلاف أو إعادة الصياغة بما يفيد السخرية منها مثلا أو إعطائها المعنى المضاد .

١٢ — يجب على الهيئة أو السلطة المشرفة على إعداد وتوجيه المثيرات الدعائية أن تأخذ فى حسابها الأحداث المستقبلة وانعكاساتها على المثيرات الدعائية التى تطلقها . إذ أنه من الضرورى جداً أخذ ذلك فى الاعتبار حتى لا تتعارض الأحداث المستقبلة مع المثيرات الدعائية الحالية فيفقد الجمهور الثقة فى هذه المثيرات وما قد يتبعها من مثيرات أخرى .

١٣ — يجب أن يتضمن المثير الدعائى كمية خاصة من الإثارة التى تسبب القلق وعدم الاستقرار إلى الدرجة المناسبة بحيث يسعى الفرد إلى طلب المزيد

من المعلومات وهنا تصبح الفرصة سانحة لإعطاء مثيرات دعائية من درجة جديدة أكثر شدة وفعالية .

١٤ — يجب أن تتضمن المثيرات الدعائية — الموجهة إلى الداخل — قدراً وافياً من التبريرات المقبولة للاحباطات المتوقعة ويتم ذلك عن طريق تقديم كافة التعليلات الضمنية غير الصريحة لتهيئة لا شعور الجمهور لعمليات التبرير المختلفة .

١٥ — يجب أن يأخذ الدعائى الناجح فى اعتباره أن هناك فرقا بين السلوك الملموس أو المنظور للجماهير وبين إحساساتهم الداخلية وشعورهم . وعلى الدعائى الناجح أن يستغل هذا الفرق إذا كان واضحاً فى إعداد المثير الدعائى أو محاولة تجسيم هذا الفرق وتجسيده من أجل تهيئة الجو لإعداد المثيرات الدعائية المناسبة .

هذه بعض النقاط الرئيسية التى أثارها جوبلز فى مذكراته والتى تناولها الكاتب الحالى بشيء من التعديل والتوضيح حتى أخذ الصفة العامة المناسبة .

* * *

ثالثاً: الاشاعة كضغط اجتماعي:

إن الإشاعة هى أخطر الضغوط الاجتماعية وأبعدها أثراً فى سلوك الإنسان ذلك لأنها دائماً مجهولة المصدر محاطة بالغموض مثيرة للاهتمام .

والإشاعة قديمة قدم البشرية ذاتها ونتوقع لها أن تظل فعالة كضغط اجتماعى ما دام هناك بشر يتفاعلون مع بعضهم البعض وما دام هناك غموض يحيط ببعض الظواهر التى يهتم بها البشر .

يقول ألبورت وبوستمان فى كتابهما عن سيكلوجية الإشاعة أن أباطرة الرومان كانوا يعانون من الإشاعات التى تنتشر بين شعوب المدن والقرى ولذلك قرر الكثير من هؤلاء الأباطرة استخدام مايسمى بحراس الإشاعات . ووظيفة حارس الإشاعة هذا هى أن يختلط بالناس ليستمع إلى ما يطلقونه

من إشاعات وأقاويل ومن ثم يقوم بإبلاغ الإمبراطور بما يسمعه أو أن يقوم هو من جانبه بإطلاق إشاعة مضادة .

وكذلك فإنه عبر التاريخ من بدايته أو من بداية معرفة الناس بالتاريخ لعبت الإشاعة دوراً هاماً فى حياة الانسان وسلوكه فالأساطير التى يحكيها وينقلها التاريخ ما هى إلا إشاعات ثابتة . مثل أساطير الكنوز والأعشاب التى تعيد الشباب وتطيل العمر وإكسير الحياة وغير ذلك . وبجانب هذا فإن التاريخ يحدثنا أيضاً عن محاولات بعض الناس للوصول إلى هذه الأساطير .

والإشاعة هى التى أدت بأبى الفلاسفة سقراط إلى أن يقف أمام المحكمة ويطلب منه القضاة أن يشرب السم لأنه أفسد شباب ذلك العصر وعلمهم الجدل وحرضهم على الثورة والتمرد . وما هذا الاتهام فى أصله إلا إشاعة .

ونحن لسنا فى حاجة إلى تعريف الإشاعة لأنه كما سبق أن أشرنا هى ضغط اجتماعى مجهول المصدر يحيطه الغموض ويثير الاهتمام . والإشاعة أيضاً كلمة منقولة يقوم بتداولها الناس — ولكن ليس بهدف الإعلام — بل بهدف آخر هو الإثارة والتحريض على القيام بعمل ما .

وفى جميع الحالات لابد أن يكون هناك عدة خصائص سيكلوجية لمن يبدأ الإشاعة أو يطلقها هذه الخصائص ليست نتيجة تجريب منهجى وإنما هى خلاصة معالجة ذهنية للموضوع من شتى نواحيه . وهذه الخصائص يمكن أن تكون :

١ — الإحساس الدائم باضطهاد وعدم تقبل الجماعة للفرد .

٢ — عدم ثقة الفرد فى قدرته وكفاءته وإحساسه بالنقص .

٣ — ضعف شعور الفرد بالانتماء إلى الجماعة الناتج عن تأثره بجماعة أخرى خارجية .

٤ — التكيف الخاطىء للموقف الذى يؤدى بالفرد إلى استخدام الحيل

الدفاعية النفسية ومنها التبرير والانفصام وكلاهما من خلفية إطلاق الإشاعة.

٥ — شدة الحساسية الانفعالية للفرد تؤدى به إلى استنتاجات غير حقيقية قد تكون أساساً لإطلاق الإشاعة.

٦ — عدم قدرة الفرد على التكيف مع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها ومن ثم يكون من المحتمل أن يعبر الفرد عن عدوانيته تجاه المجتمع بأن يطلق هذه الأكاذيب والإشاعات.

هذه الخصائص السيكلوجية كلها أو بعضها من المحتمل جداً أن تميز الشخص الذى يتولى إطلاق الإشاعة.

— قوانين الإشاعة:

الإشاعة كأى ضغط اجتماعى آخر ظاهرة تضبطها قواعد وقوانين خاصة مشتقة من طبيعة نشاطها وأثرها على سلوك الانسان. وقد كان أول من أشار إلى قانون من هذا النوع هو ألبورت عندما تكلم عن قانون الأهمية والغموض ولكننا سوف نضيف إلى هذا القانون بعض القواعد التى توضح كيفية انتقال الإشاعة من وسط إلى آخر ومن فرد إلى فرد داخل الوسط الواحد.

١ — قانون الأهمية والغموض:

هذا هو القانون الذى تكلم عنه ألبورت ويشرحه بقوله:

« إن الإشاعة تسرى إذا تميزت بأهمية الموضوع وغموضه »، ومعنى ذلك أنه لابد من توافر هذين الركنين وكانت العلاقة بينهما كما يلى:

س △ ا ص

حيث س هى قدرة الإشاعة على الانتقال

ا أهمية الخبر

ص درجة غموض الخبر

فلو كان الموضوع على قدر كبير من الأهمية ولكنه واضح غير غامض ولا مبهم فإن الفرصة لأن تتناوله الإشاعة تصبح ضعيفة وقليلة .

وإذا كان الموضوع غامضاً غير واضح ولكنه قليل الأهمية بالنسبة لأعضاء الجماعة فإننا نحصل على نفس النتيجة أى أن الفرصة لإطلاق الإشاعة حول مثل هذا الموضوع تكون قليلة أيضا .

وبمعنى آخر فإن : درجة انتشار الإشاعة = الأهمية × الغموض

٢ — قانون الشكل :

« تزداد الفرصة لانتشار الإشاعة وانتقالها كلما كانت من ناحية الشكل والصياغة على درجة واضحة من الانسجام والتناسق » .

ومعنى ذلك أنه حتى إذا كان الموضوع هاماً وغامضاً فلابد أن يتوفر للإشاعة التى تنطلق عنه أن تكون منسجمة متناسقة من ناحية الشكل والصياغة حتى تغرى الآخرين بنقلها وتناقلها .

٣ — قانون الوسط :

« تزداد سرعة انتقال الإشاعة كلما ازداد استعداد الوسط وقابليته لذلك »

ومعنى هذا أن الإشاعة أو الخبر الذى يتوفر له الأهمية والغموض وحسن الشكل والصياغة لا ينتقل بسهولة إلا إذا كان الوسط أى المجتمع على استعداد وقابلية لنقل الخبر من مكان إلى آخر بناء على خواصه البنائية من حيث نوع العلاقات السائدة فى هذه الجماعة . بحيث أن العلاقات الاجتماعية المتتابعة (نوع من العلاقات السوسيومترية) أكثر قابلية لنشر الإشاعة من العلاقات الاجتماعية الثنائية المتبادلة أو العلاقات المتمركزة .

٤ — قانون المحتوى البسيط :

« تنشر الإشاعة بسرعة كلما كان محتوى الخبر يتكون من أقل عدد ممكن من العناصر » .

ومعنى ذلك ان الإشاعة المركبة أقل انتشارا من الإشاعة البسيطة حيث أن الإشاعة التى تتكون من عناصر قليلة قابلة لأن يضاف إليها عناصر أخرى تكون سهلة الانتشار لأن الميل الطبيعى للأفراد هو إضافة بعض الجديد دائماً إلى كل خبر أو معلومات يستمعون إليها .

٥ — قانون التعبير :

« تزداد درجة انتشار الاشاعة التى تعبر عن رمز اجتماعى أو نفسى يرغبه أو يرهبه أعضاء الجماعة » .

ومعنى ذلك أن درجة انتشار الإشاعة تتناسب طرديا مع شدة العملية النفسية أو الاجتماعية التى تكمن خلفها . فنحن على سبيل المثال نجد أن هناك الكثير من الإشاعات عن « الترقية وزيادة المرتبات بين الموظفين » وهى إشاعة تعبر عن رمز مرغوب فيه وأيضاً الإشاعة التى تردد بين أفراد الأسرة عن « وفاة الجدة الغنية التى تمتلك ثروة طائلة » .

أو أن نجد الإشاعة التى تنطلق حول « اختفاء سلعة خاصة من الأسواق » فهذه تنشر بسرعة وسهولة لأنها تعبر عن رمز يخشاه الناس . أو الإشاعة التى تدور حول « انخفاض نسبة النجاح فى الامتحان النهائى » بين الطلبة .

هذه هى القوانين الأساسية لانتقال الإشاعة كما نتصورها من وجهة نظرنا فى هذه الفقرات . وواضح أنه عن طريق هذه القوانين الخمسة يمكن تفسير الكثير من دينامية الإشاعة .

— أنواع الإشاعات :

يمكن لنا أن نتعرف على ثلاثة أنواع من الإشاعات إذا حاولنا أن نصنفها على أساس محصلة الظروف والدينامات التى تحيط بها :

١ — إشاعات الإسقاط :

هذا النوع من الإشاعات يمثل تعبيرا عن الحيلة النفسية التى تسمى الاسقاط

والتى تعنى من وجهة نظر ما الحيلة الدفاعية التى تستطيع بها «الأنا» حماية نفسها عن طريق إسقاط رغباتها الشاذة أو المكبوتة على عناصر البيئة الخارجية . وربما يمكن أن نوضح هذا النوع من الإشاعة إذا استعرضنا الإشاعة التى أشار إليها كارل منتجر ١٩٣٠ والتى منها يتضح أن الرغبة المكبوتة لدى الفرد تدفعه دون أن يدرى إلى إطلاق الإشاعة التى تحقق له رغبته التى لا يستطيع تحقيقها فى الواقع والحقيقة أو أحلام يقظته التى تحل محل خصائص واقعة الملموس .

وهذا المثال يجرى كما يلى :

مسز آدمز تقول لمسز بك : أين مسز كنج اليوم ؟ هل هى مريضة ؟

مسز بك تقول لمسز كلارك : إن مسز آدمز كانت تسألنى عما إذا كانت مسز كنج مريضة .

مسز كلارك (تكره مسز كنج) تقول لمسز ديفيز : سمعت أن مسز كنج مريضة . أرجو ألا تكون حالتها خطيرة .

مسز ديفيز (تحب مسز كنج) تقول لمسز أليس : مسز كلاك قالت لى أن مسز كنج مريضة جدا وسوف أذهب لأزورها فورا .

مسز أليس تقول لمسز فرنش : أعتقد أن مسز كنج مريضة جدا فقد استدعيت مسز ديفيز إليها منذ لحظات .

مسز فرنش تقول لمسز جريج : سمعت أن مسز كنج لا يرجى أن تعيش فقد استدعى أقاربها ليكونوا إلى جوارها .

مسز جريج تقول لمسز هدسون : ما هى آخر أخبار مسز كنج ؟ هل توفيت ؟

مسز هدسون تسأل مسز انجهام : متى توفيت مسز كنج ؟

مسز انجهام تسأل مسز جونز : هل ستذهبين إلى مأتم مسز كنج ؟

وأخيراً تسرع مسز جونز لترى مسز كنج حية ترزق فتسألها : سمعت منذ لحظات أخبارا سيئة عن موتك فمن الذى أشاع ذلك ؟

وهكذا فإننا نجد فى هذا المثال ما تفسره القوانين السابقة التى أشرنا إليه فنيها الأهمية والغموض وفيها بساطة المحتوى الذى تحتمل الإضافة والمبالغة ويوضح هذا المثال أيضاً أهمية العلاقة المتتابعــة فى نقل الإشاعة . وأخيرا نوضح هذا المثال الرغبة المكبوتة التى أرادت أن تحققها مسز كلارك التى تكره مسز كنج دون أن تدرى .

٢ — إشاعات التبرير :

عملية التبرير حيلة نفسيــة أخرى وهى باختصار : الكذب فى مستوى اللاشعور . فالفرد الذى يفشل فى تحقيق هدف ما يلجأ دائماً دون أن يدرى إلى إعطاء الأسباب والتعليلات التى تبرر فشله وعجزه عن الوصول إلى الهدف .

وهذه الحيلة قد تكون سبباً كافياً لإطلاق الإشاعة والتقول غير الصحيح ومن إشاعات التبرير التى تتكرر كثيرا تلك الإشاعات التى يطلقهــا الأفراد — عن غير عمد — بعد فشلهم فى أداء امتحان ما خاص بوظيفـة أو ترقية حيث نلاحظ أن هؤلاء الفاشلين غالباً ما تنشط الاشاعات بينهم عن المعايير التى استخدمت فى تحـديد النجاح والرسوب مثل قرابة فرد من فرد ما أو غير ذلك .

ففى أغسطس ١٩٤٥ انتشرت فى الولايات المتحدة الأمريكية إشاعة مؤداها أن روسيا أعلنت الحرب على اليابان فى مقـابل حصولها على أسرار القنبلة الذرية . وكان مروجو هذه الإشاعة من أعداء الشيوعية ومن أعداء النظام الحاكم فى أمريكا فى ذلك الوقت .

ويفسر ألبورت ذلك بأن هذه الإشاعة تعبر عن عملية تبرير من نوع خاص وتمثل التوتر الانفعالى الحاد الذى يكمن عند هؤلاء وهؤلاء .

٣ — إشاعات التوقع :

ويبلغ هذا النوع من الإشاعات مداه عندما تكون أذهان الجماهير مهيئة لاستقبال حدث خاص مهدت له أحداث سابقة . ففى حالات الحرب مثلا تنتشر إشاعات النصر الحاسم أو الهدنة أو أسر عدد كبير من القوات المعادية .

وهذه الإشاعات وغيرها تعبر عن توقعات الجماهير واستقدامها لبعض ما ترغب إليه من أهداف أو ما تخشاه من إحباطات .

— تحليل الإشاعة :

من الأمور الهامة التى يجب أن يقوم بها المهتمون بدراسة الإشاعات فى مجتمع ما موضوع تحليل الإشاعة لأن مثل هذا الجهد سوف يؤدى إلى فهم القوى والديناميات التى تكمن وراء أى إشاعة من الاشاعات وربما ذلك ساعد أيضاً فى تحديد مصدر الإشاعة بصورة تقريبية .

وهناك عدة اعتبارات هامة فى عملية التحليل نسوقها فيما يلى :

١ — الدلائل السيكلوجية التى تكون خلفية ومحتوى هدف الإشاعة .

٢ — الضغوط الاجتماعية ذات الصلة بموضوع الإشاعة .

٣ — القوى الاقتصادية التى تدل عليها الإشاعة .

٤ — القيم التى تسعى الإشاعة إلى تأكيدها أو النيل منها .

٥ — اللغة والألفاظ والمصطلحات الخاصة المستخدمة فى صياغة الاشاعة

٦ — الموضوع الخاص أو العنصر الأساسى فى الاشاعة .

٧ — خصائص الوسط الذى تسرى فيه الاشاعة بسرعه وسهولة أكثر من غيره .

٨ — المدى الزمنى للاشاعة بمعنى طول مدة استمرارها وتناقلها .

٩ — مدى مقاومة الاشاعة لعوامل التعديل سواء بالاضافة أو الحذف .

١٠ — « نسبة التصديق » التى تتمتع بها الاشاعة : أى نسبة من يصدقونها من أفراد الجماعة وتأثرهم بها .

فنى كثير من المجتمعات وخاصة فى ظروف الأزمات تنشأ مكاتب أو عيادات خاصة لتحليل الاشاعات تحليلا يساعد على تحديد حجمها وأهميتها ومن ثم مقاومتها والتغلب عليها .

— مقاومة الاشاعة :

مما يجدر ذكره أن مقاومة الاشاعة فى أى مجتمع من المجتمعات لا يمكن أن تتم إلا باتباع الأسلوب العلمى الصحيح وإلا كان الجهد الذى يبذل فى مقاومة الاشاعة هو فى الحقيقة تقوية لها وتأكيدا لما ورد فيها من عناصر ومواضيع خاصة .

والأسلوب الذى يجب اتباعه فى مقاومة الاشاعة يعتمد على النقاط التالية وهى مشتقة من القوانين الأساسية السابق الاشارة إليها :

١ — العمل على إفقاد الاشاعة أحد عنصريها الأساسيين وهما الأهمية والغموض . بمعنى أنه إذا أطلقت إشاعة حول موضوع معين فإن توضيح هذا الموضوع توضيحاً كاملا يفقدها عنصر الغموض . أو إذا كانت هناك إشاعة حول موضوع خاص يتصف بالأهمية فإنه يمكن شحن الرأى العام بموضوع آخر أكثر أهمية وإيضاحا .

٢ — العمل على (تحصين) الوسط الناقل أو المجتمع ضد الاشاعات وذلك بتقليل العلاقات المتتابعة ما أمكن ذلك وهذا يتم عن طريق تقوية العلاقات المتمركزة : مثل وجود مراكز إعلامية وتوضيحية دائمة ذات علاقة قوية بالجماهير فلا يلجأ الفرد إلى الآخرين لاستطلاع الأنباء والأخبار بل تكون علاقته مباشرة بمثل هذا المركز الاعلامى .

٣ — ضرورة تهيئة الفرصة للجماهير للتعبير عن ديناميانهم السيكلوجية بصورة معلنة مشروعة تغنيهم عن الالتجاء إلى أسلوب الاشاعة فى التعبير عن هذه الديناميات .

٤ — تغذية الرأى العام فى المجتمع بجزء من الحقائق الاعلامية الصحيحة يكفى لإفقاد أى إشاعة قدرتها على احداث الانطباع عن طريق الشكل المتناسق أو المحتوى البسيط الذى يقبل الإضافة والمبالغة .

٥ — الاعتماد على تحليل الاشاعة السارية (عن طريق النقاط العشرة السابق الإشارة إليها) فى إعداد الإشاعات المضادة .

رابعاً: القيم والمعايير كضغط اجتماعي:

القيم هى مجموعة من الديناميات التى توجه سلوك الفرد فى حياته اليومية وهى تمثل الوحدات العيارية فى الضمير الاجتماعى للفرد الذى يستخدمه فى الحكم على الأحداث والأشياء مادية كانت أم معنوية .

وهى بهذا المعنى تكون تنظيما خاصا للخبرة الناتجة والمتكونة عند الفرد أثناء تفاعله مع عناصر بيئته فى مواقف الاختيار والمفاضلة .

وبذلك تكون القيمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسلوك الفرد فى كل مواقف حياته فهى تكمن خلف هذا السلوك وتوجهه لتعطيه المعنى والنوعية . وهنا يجب أن نقول أن مجموعة القيم السائدة فى جماعة من الجماعات تمثل دائماً نوعاً ثابتاً من الضغوط الاجتماعية التى تؤثر على سلوك الإنسان تأثيراً مباشراً . وتعليل ذلك أن معظم القيم فى جميع المجتمعات الإنسانية مشتقة من المواقف أو المصادر ذات القدسية الخاصة مثل الأديان والعقائد وتراث الآباء والأجداد . ولذلك نجد أن مثل هذه الضغوط الاجتماعية التى تمثلها القيم ذات عمق وأثر كبير فى حياة الأفراد .

كما يمكن أيضاً أن تشتق مثل هذه القيم من العلاقات الاجتماعية أو الاقتصادية أو المادية القائمة فى الجماعة مثل صلات القربى والنسب أو عوامل الرخاء أو الحرمان الاقتصادى فى الجماعات أو الانجازات العلمية المادية للجماعة .

وهكذا فإننا نجد أن القيم من الموضوعات التى يجب أن يؤخذ دائماً فى

الاعتبار عند دراسة وتفسير سلوك الإنسان . وهناك دراستان لهما قيمتهما العلمية فى هذا الميدان نشير إليهما باختصار :

١ — دراسة ألبورت وفرنون :

اعتمدت هذه الدراسة على ماقام به سبرانجر من دراسات حول أنماط البشر واهتماماتهم ونوعياتهم . وبذلك أمكن الباحثان أن يحددا القيم التى توجه سلوك الفرد فى سته أنواع هى :

(ا) القيمة النظرية أو العلمية .

(ب) القيمة الاقتصادية أو الاستغلالية .

(حـ) القيمة الفنية أو قيمة تذوق الجمال .

(د) القيمة الاجتماعية أو الانسانية

(هـ) القيمة اسيسية او قيمة حب التسلط والسيطرة .

(و) القيمة الدينية أو الروحية .

وبناء على هذا صمم الباحثان اختيارهما المشهور والذى ترجم إلى العربية مستخدمين فى ذلك أسلوب الاختيار القهرى فى القياس .

مثال ذلك :

إذا كنت تستطيع توجيه سياسة التعليم فى بلد ما فهل :

(ا) تشجع دراسة التمثيل والمسرح .

(ب) تساعد على تنمية روح التعاون والخدمة العامة .

(حـ) تعتمد ميزانية أكبر للأدوات العلمية والمعامل .

(د) تشجيع بنوك الادخار المدرسية من أجل التعليم فى حالة التقشف .

وعلى المفحوص أن يقوم بترتيب هذه العبارات حسب أهميتها من وجهه نظره هو .

٢ — دراسة القوص وآخرون :

قام القوص وآخرون سنة ١٩٦١ بدراسة القيم بين الشباب فى بيئات ريفية وحضرية حيث استخدم أسلوباً آخر فى استخراج القيم من المفحوصين وهو استطلاع رأيهم وتوقعاتهم بالنسبة للمثل العليا وللشخصية التى يعجبون بها ويتمنون أن يكونوا مثلها وأبطال التاريخ من وجهة نظرهم . وكان من نتيجة هذه الدراسة :

(ا) تأكيد أثر البيئة على القيم وأثر القيم على عناصر البيئة وسلوك الأفراد .

(ب) القيم المتعلقة بحياة الأسرة وقوتها وتماسكها أكثر عمقا بين المراهقين من الريف عنها بين المراهقين فى المدينة .

(حـ) القيم الخاصة باحترام كبر السن والقيم الدينية والروحية والإيمان بالقدر من القيم السائدة بين شباب الريف بصورة أكبر من شباب المدينة .

وأما المعايير فهى مصطلحات قياسية أو أبعاد ونماذج ثقافية وحضارية من أجل تقدير الخطأ والصواب فى سلوك الانسان . وبهذا المعنى يصبح المعيار إطار جماعى للحكم على سلوك الفرد حيث يكون قد اكتسب — أى هذا الاطار — صفة الثبات والاستقرار النسبى نتيجة إجماع الأفراد على صلاحية هذا الإطار للقياس .

وهنا يتضح الفرق بين القيمة والمعيار . وسوف نعود إلى استعراض هذه العلاقة فى الفصل الأخير من هذا الكتاب عند مناقشة نظرية تفسير سلوك الإنسان .

المراجع

١ — ألبورت . ج ويوسنمان . ل . سيكلوجية الاشاعة ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل

٢ — القوصى . ع . دراسة للقيم بين شباب الريف والمدينة مؤتمر علم النفس السادس عشر ١٩٦١

٣ — سعد عبد الرحمن أسس القياس النفسى الاجتماعى القاهرة الحديثة ١٩٦٧

4 — Hovland, C, and others, the order of presentation in persuation, Yale Uni. 1966.

5 — Katz, D, and others, Public openion and Propagand Holt & Rinehart, 1954.

الفصل السابع

• الاتجاهات النفسية وسلوك الإنسان

الاتجاه النفسى كان وما زال محور الكثير من الدراسات فى علم النفس عامة وفى علم النفس الاجتماعى وديناميه الجماعات على وجه الخصوص . ذلك لأن هذا الموضوع له من الأهمية التطبيقية ماله من الأهمية العلمية الأكاديمية البحتة .

والارتباط واضح صريح بين سلوك الفرد الإنسان وبين اتجاهه نحو المواضيع والأحداث التى تكون عناصر البيئة .

وفى الحقيقة أن كثير من العلماء والدارسين فى هذا الميدان يعتبرون أن موضوع الاتجاهات النفسية هو محور علم النفس والدراسات السلوكية عموما . فمن قائل يقول إنه عندما نحاول نقيس شخصية الفرد على سبيل المثال مستخدمين فى ذلك استفتاء أو اختبار يقيس سمة الثبات الانفعالى أو السيطرة والتسلط ، عندما نحاول ذلك فنحن فى الحقيقة نقيس اتجاه الفرد نحو خاصة الثبات الانفعالى أومواقفها الموضحة فى الاستفتاء وكذلك نحو خاصة السيطرة والتسلط .

وإذا لاحظنا سلوك الفرد الإنسان من أجل نفس الغرض أو الهدف لكننا فى الواقع نلاحظ اتجاه الفرد نحو الآخرين ونحو الأشياء والأغراض والأهداف التى تحتويها البيئة .

وهناك قول آخر يزعم أن الاتجاه هو الدافعية وهو القيمة فهو المحرك الأصلى للفرد تجاه الهدف وناحية الغرض وهو — أى الاتجاه — هو المحك الذى يستخدمه الفرد فى الحكم وإصدار القرار على المواقف التى يمر بها فى

حياته اليومية . والحقيقة أن هذا الزعم فيه خلط ظاهرى ولكن مع متابعة التحليل نجد أنه بما لدينا من نظريات سلوكية حتى الآن من الصعب أن نضع الخطوط الفاصلة الحادة بين القيمة والاتجاه من الناحية الإجرائية التطبيقية بل قد يكون من الممكن فقط فى حالة التعريف النظرى والمفهوم . وعلى العموم سوف نعاود هذه المناقشة فى فصلنا الأخير على ضوء ما نقترحه من أسس نظرية تساعدنا فى تفسير سلوك الإنسان وتحدد دور كل من القيمة والاتجاه فى وضوح وجلاء .

وهناك زعم ثالث يرى الاتجاه النفسى هو الأساس الحركى للجماعات حيث بدونه لا يمكن أن تتم عملية التواصل الجمعى بين الأفراد من أجل تكوين الجماعة وما فيها من قيم ومعايير ونماذج حضارية وثقافية مختلفة .

وهنا نجد أنفسنا أمام ضرورة ملحة وهى مناقشة الاتجاه كمحتوى ومفهوم .

مفهوم الاتجاه النفسي :

سوف نبدأ ونقول إن الاتجاه النفسى تركيب عقلى نفسى أحدثته الخبرة الحادة المتكررة ويمتاز بالثبات والاستقرار النسبى . ومثال للاتجاه النفسى هو حب شعب لشعب آخر أو كراهية شعب لشعب وكذلك حب الفرد لنوع خاص من الملبس وكراهيته لنوع آخر وهكذا .

وبهذا المعنى يصبح الاتجاه النفسى هو حالة عقلية نفسية لها خصائص ومقومات تميزها عن الحالات العقلية والنفسية الأخرى التى يستخدمها الفرد فى حياته وتفاعله مع الآخرين من أعضاء الجماعة . وهذه الحالة إذن هى حالة (مع) أو (ضد) ، حالة حب أو كراهية وبمعنى آخر هى حالة يصدر الفرد القرار فيها مستخدما الإطار المسبق . هذا الإطار المسبق هو الاتجاه النفسى .

يقول ثرستون « أن الاتجاه النفسى هو تعميم لاستجابات الفرد تعميما يدفع بسلوكه بعيداً أو قريباً من مدرك معين » .

وبهذا لو أمكن لنا أن نستطرد فسوف نقول أن ثرستون أكد أولوية الدافعية على الاتجاهات أو بمعنى آخر أصبحت من وجهة نظره الاتجاهات حصيلة التعميم الموجب أو السالب لاستجابات الفرد تلك الاستجابات تتحكم فيها إلى حد كبير شحنات وقوى الدافعية بدرجاتها المختلفة المتفاوتة .

ويرى توماس أن « الاتجاه النفسى هو موقف الفرد تجاه إحدى القيم أو المعايير السائدة فى البيئة الاجتماعية » فموقف الفرد من قيمة الصدق أو الأمانة هو اتجاه وموقفه من معيار الحلال والحرام هو اتجاه نفسى كذلك .

وهنا نجد أن توماس فرق بوضوح بين الاتجاه والقيمة وكذلك بين الاتجاه والمعيار ولكنه وضع الاتجاه فى موقف المتغير التابع بمعنى أنه لا يمكن للاتجاه أن يوجد إلا إذا كانت هناك قيمة وكان هناك معيار وبذلك نجد أن توماس بهذا المعنى يقدم القيمة والمعيار على الاتجاه النفسى .

وأما بوجاردس فقد حدد هذه الأشياء جميعاً : الاتجاه والقيمة والمعيار فى إطار البيئة الخارجية بقواها وضغوطها فهو يعرف الاتجاه بأنه ميل الفرد الذى ينحو بسلوكه تجاه عناصر البيئة الخارجية قريباً منها أو بعيداً عنها متأثراً فى ذلك بالمعايير الموجبة أو السالبة التى تفرضها هذه البيئة .

وبذلك نجد أن الاتجاه النفسى — من وجهة نظر بوجاردس — هو حصيلة ضغط البيئة الاجتماعية والمادية والبشرية على الفرد وذلك عن طريق المعايير والعادات والتقاليد التى تمثل هذه القوى وهذه الضغوط التى تستخدمها البيئة فى التأثير على فرد ما .

ويصف اليورت الاتجاه النفسى بأنه حالة من التهيؤ والتأهب العقلى العصبى

التى تنظمها الخبرة بحيث تستطيع حالة التأهب هذه من توجيه استجابات الفرد للمثيرات التى تتضمنها مواقف البيئة .

وواضح أن حالة التأهب أو التهيؤ العقلى العصبى هذه قد تكون لحظية أى قصيرة المدى أو قد تكون ذات مدى بعيد من الناحية الزمنية .

ففى الحالة الأولى حيث تكون لحظية تنتج من تفاعل مؤقت بين الفرد وعناصر البيئة التى يعيش فيها ومثال ذلك اتجاه الجائع نحو الطعام فى لحظة إحساسه بالجوع أى ذلك التأهب الذى يظهره الجائع نحو الطعام فى تلك اللحظة . وهنا يصبح هذا التأهب مؤقتا لأنه سوف ينتهى بمجرد أن يشعر الفرد الجائع بالشبع وامتلاء المعدة .

وفى الحالة الثانية حيث يكون حالة التأهب والتهيؤ بعيدة المدى فإنها تكون حصيلة تفاعل دائم مستمر مع هذه العناصر البيئية فاتجاه الفرد نحو صديق له ثابت نوعاً حيث لا يتأثر بالمثيرات العابرة وكذلك اتجاه بعض الشعوب العربية وخاصة المصريين تجاه الأمريكيين أو الإنجليز فهو ثابت نوعاً حيث لا يتأثر ببعض الأحداث السياسية أو المساعدات الاقتصادية التى قد تطرأ على الموقف من حين لآخر .

وأما نيوكمب فإنه ينظر إلى الاتجاهات نظرة أخرى أو يدخل إلى فهمها مدخلا آخر . فهو يرى أن مفهوم الاتجاه النفسى يجب أن يبنى على عنصرين :

أولها : أن الاتجاه النفسى يجب أن يمثل « قنطرة إدراكية » أى فهمية بين حاله الفرد السيكلوجية عموماً بالنسبة لمحتويات البيئة وبين سلوك الفرد الإنسان .

وثانيهما : أنه بناء على الملاحظة الأولى يجب أن نفهم الاتجاه النفسى ونتعرف عليه من خلال الأنماط السلوكية للفرد الإنسان .

ولذلك فإن نيوكمب (١٩٦٤) يعرف الاتجاه النفسى على أنه تنظيم خاص للعمليات السيكلوجية الذى يمكن الاستدلال عليه من سلوك الفرد وذلك بالنسبة للمدركات التى يميزها الفرد عن غيرها . وهذا التنظيم الخاص للعمليات السيكلوجية إنما هو مستمد من آثار خبرته السابقة التى عن طريقها وبمساعدتها يتفاعل مع المواقف الحالية بما فيها من مكونات وعناصر ويحاول أن يستخدمها أيضاً فى الحكم على الحوادث المستقبلة .

ثم يستطرد نيوكمب فى علاجه هذا للموضوع فيفرق بين الدوافع والاتجاهات كما يلى :

(ا) يمكن ملاحظة أثر الدوافع فقط فى الحالات التى ينشط فيها الفرد ويسعى من أجل تحقيق شىء ما بينما يمكن ملاحظة أثر الاتجاهات فى حالات النشاط السلوكية وفى الحالات الأخرى التى لا يكون الفرد فى حالة نشاط سعياً وراء هدف خاص أى أن الدافعية تتعلق بنشاط الفرد ومرتبطة به بينما الاتجاه له صفة الدوام والاستمرار .

(ب) يمكن أن نقول أن الاتجاهات أكثر شمولا وعمومية من الدوافع حيث أن هذه الأخيرة أكثر تخصصاً ونوعية .

ويكمل نيوكمب فيقول أن الدوافع التى تكون لها صفة الشمول لا يمكن تمييزها من الاتجاهات .

وأخيراً فإن الاتجاهات حصيلة تأثر الفرد بالمثيرات العديدة التى تصدر عن اتصاله بالبيئة وأنماط ونماذج الثقافة السائدة والتراث الحضارى الموروث عن الأجيال السابقة . وبهذا فنحن نزعم أن الاتجاهات مكتسبة وليست موروثة بأية حال من الأحوال . وإذا كان هناك شىء من (الوراثة) فهو عملية التلقين والتعلم الاجتماعى التى يزاولها الآباء مع أبنائهم .

وفى التجربة التالية التى أجراها (كو) فى سنة ١٩٣٠ إجابة واضحة

لموضوع الوراثة والاكتساب فى الاتجاهات النفسية . وقد أخذ (كو) فى تجربته التطرف الواضح فى الرمز الأبدى للاتجاهات (النفسية) بين القط والفأر وهى التى تؤخذ كمثل ذى دلالة فى اتجاهات الكراهية .

استخدم الباحث فى تجربته ستين قطة صغيرة حديثة الولادة حيث قسمها إلى مجموعتين فى كل منها ثلاثين قطة .

المجموعة الأولى أطعمت منذ البداية اللحم واللبن والسمك المخلوط بالأرز وربيت على هذا النوع من الطعام . أما المجموعة الثانية فعاشت نباتية أى أطعمت اللبن والخضراوات منذ البداية ولم تتذوق اللحم على الاطلاق .

ثم عاد وقسم القطط جميعها إلى ثلاثة أقسام فى كل قسم عشرين قطة صغيرة منها عشر قطط آكلة اللحوم وعشر قطط نباتية .

وربى الأقسام الثلاثة تحت ظروف مختلفة :

(ا) القسم الأول (٢٠ قطة) عاش منعزلا تماما عن الفئران والقطط الأخرى .

(ب) القسم الثانى (٢١ قطة) عاشت مع أمهاتها لتراها وهى تفترس الفئران .

(حـ) القسم الثالث (١٨ قطة) عاشت بعد ولادتها بأسبوع مع الفئران فى قفص واحد دون أن ترى أى قطط أخرى .

وبعد فترة كافية من الزمن قام الباحث باختبار العلاقة بين القط والفأر فوجد أنه يمكن تلخيصها فى الجدول التالى :

ظروف تربية القطة	عدد القطط	عدد القطط التى قتلت الفئران	النسبة المئوية
١ — انعزالية كاملة	٢٠	٩	٤٥ ٪
٢ — رأت أمها وهى تفترس الفئران	٢١	١٨	٨٦ ٪
٣ — عاشت معاً مع الفئران	١٨	٣	١٧ ٪

ومن هذا الجدول يمكن أن نستنتج أن ظروف التعلم الاجتماعى التى تعرضت لها القطة تلعب دوراً هاماً فى تكوين الاتجاه (النفسى) الخاص بالكراهية والمقت ففى الحالة الثانية نجد أن نسبة القطط المفترسة ترتفع إلى ٨٦ ٪ دليل تأثر القطط بسلوك أمها نحو الفئران . وتنخفض هذه النسبة إلى ١٧ ٪ فى حالة القطط التى عاشت مع الفئران فى قفص واحد وربما يمكن إرجاع هذه النسبة إلى أنه كان من الممكن أن تكون هذه القطط الثلاث على درجة من الغلظة والقسوة حتى بالنسبة إلى أى حيوان معاشر آخر غير الفأر ولكن هذا القدر من الغلظة والقسوة — أدى بالفأر إلى القتل .

وأما فى حالة الانعزالية الكاملة حيث نجد النسبة حوالى ٤٥٪ أى نسبة عالية فيبدو هذا شذوذاً بالنسبة لبقية الجدول ولكنه فى الحقيقة هو الشذوذ الذى يثبت القاعدة فلم يكن هناك اتجاه واضح فى هذه المجموعة يشير إلى ميل هذا القسم إلى القتل أو غير القتل بل ربما أرجعنا ارتفاع هذه النسبة إلى الانعزالية والانفرادية حيث تقتل الميل الاجتماعى عند الفرد على عكس التربية المشتركة العادية الطبيعية التى تسهم فى تهذيب العدوانيـــة وصقل الميول الاجتماعية للأفراد .

وبعد فقد يقال أن هذه تجربة أجريت على الحيوانات وما بال الإنسان إذن ؟ ربما لا تكون هناك تجربة مثل السابقة أجريت على بنى الإنسان ولكن هناك ما هو أقوى من التجربة إذ هى قصة من فولكلور علم النفس الاجتماعى : قصة توم وأمه وصاحبه ... فقد عاد توم متأخراً فى يوم ما فسألته أمه : أين كنت يا توم ؟ فقال : كنت ألعب مع جو الذى يسكن فى الشارع المجاور .

فعادت الأم تسأل : إبن من جو هذا يا توم ؟

فرد توم : إنه ابن سائق الشاحنة (اللورى) التى تقف دائماً بالقرب من ناصية الطريق .

وأخيراً سألت الأم : هل هو ملون (زنجى) يا توم ؟

ورد توم — بعد أن تردد فترة طويلة — إننى لم أنتبه إلى هذا جيداً يا أماه ولكننى غداً عندما ألتقى به سوف أرى ذلك .

ومهما كان مقدار الصحة فى هذه القصة فإنها تشير إلى أن الاتجاه النفسى ضد الزنوج عند هذا الطفل ليس موروثاً وإلا كان التفت إلى لون جلد صديقه جو . والحقيقة أنه لم يكن لينتبه إلى هذا لولا أن أشارت أمه إلى هذا الموضوع .

من هذا المنطلق وهو ذلك الزعم الذى نحاول أن نؤكده وهو أن الاتجاه النفسى مكتسب وليس موروثاً : من هنا نستطيع أن نقول أنه طالما هذا الاتجاه مكتسب أى دالة عناصر البيئة فلابد وأن يكون له علاقة ببعض المفاهيم والعناصر والمدركات الأخرى نشير إليها فى اختصار .

الاتجاه النفسى والعقيدة :

المعتقد هو اتجاه نفسى يطغى على تكوينه كمية أكبر من النواحى المعرفية والفكرية . فالانسان يعتقد فى نظرية سياسية أو اجتماعية حيث يدعم اتجاهه نحو هذه النظرية كمية من المعلومات الفكرية والمعرفية والعقلية .

والمعتقد قد يكون خلفية صالحة لتكوين مجموعة من الاتجاهات النفسية فعقيدة الفرد فى الحزب الشيوعى مثلا تعطيه مجموعة من الاتجاهات المضادة نحو الفرد الآخر فى حزب سياسى مضاد كما تعطيه مجموعة أخرى من الاتجاهات الموجبة نحو الفرد الآخر فى حزب شيوعى فى بلد آخر وهكذا .

الاتجاه النفسى والنظم :

تعنى كلمة النظام doctrine فى العلوم الانسانية والسلوكية مجموعة المفاهيم والخبرات التى تلقن للأفراد من أجل أن يتعلموها ويؤمنوا بها وتكون دستوراً لسلوكهم فى الجماعات .

وأما الاتجاه فهو شيء آخر يخص الفرد ذاته ويكتسبه عن طريق التلقين أو عن طريق الخبرة المباشرة وغير المباشرة مع البيئة ذاتها .

فالطفل يتعلم ويلقن ضرورة غسل يديه قبل الأكل وبعده وألا يؤخر عمل اليوم إلى الغد . فهذه نظم أساسية ولكنها لا تدل على اتجاهات نفسية . فالطفل الذي يغسل يديه قبل الأكل وبعده ليس بالضرورة أن يكون لديه اتجاه موجب نحو الأمور الصحية ولكنه ينفذ النظام الذي لقن إياه وتعلمه .

الاتجاه النفسي والإيمان :

الإيمان اتجاه نفسي مركب يضاف إليه المعتقد العميق الذي يمتلىء بالعاطفة والانفعال . وغالباً ما تستخدم كلمة الإيمان لتدل على الاعتقاد فى المقدسات والروحانيات . فنحن نقول إيمان الفرد بالصلاة وليس الاتجاه النفسي للفرد نحو الصلاة أو الصوم .

ومعنى ذلك أن الإيمان لابد وأن يبدأ بتكوين الاتجاهات النفسية الموجبة المناسبة ومن ثم تبرز النواحي المعرفية فى بعض هذه الاتجاهات النفسية فتتحول إلى معتقدات فيها من العاطفة والانفعال ما يكفى بتحويل هذه الشحنة إلى إيمان .

الاتجاه النفسي والمذهب :

المذهبية تعنى ذلك الاتجاه العام المشتق من معايير وقواعد خاصة بمفهوم أو مدرك تؤمن به جماعة من الجماعات . وهو فى هذه الناحية يختلف عن الاتجاه النفسي الذي يختص بمدرك يدركه الفرد من وجهة نظره هو فقط أي ليس بالضرورة أن يكون مدركا عاما مشتركا بين أعضاء الجماعة .

الاتجاه النفسي والرأي :

الرأي هو تنظيم خاص للخبرة المعرفية فقط بما فيها من خبرة منقولة غير

مباشرة أو خبرة التعامل المباشر بين الفرد والآخرين . . فى حين أن الاتجاه النفسى هو تنظيم لما هو أكثر من الخبرة المعرفية كما سنرى ذلك فيما بعد .

الاتجاه النفسى والقيمة :

القيمة كما سبق أن أوضحنا هى تنظيم للخبرة تنشأ فى موقف تفاضلى وتنمو وتتناسق حتى تصبح وحدة عيارية ثابتة تقريباً فى الضمير الاجتماعى للفرد فى حين أن الاتجاه النفسى هو تنظيم للخبرة من نوع خاص يلون سلوك الفرد . وسوف يتضح الفرق بين القيمة والاتجاه عند مناقشة تفسير سلوك الانسان فى الفصل الأخير .

تكوين الاتجاه النفسي :

يتكون الاتجاه النفسى عند الفرد وينمو ويتطور من خلال تفاعل هذا الفرد مع بيئته بعناصرها ومقوماتها وأصولها .

وبهذا المعنى يصبح الاتجاه فى حد ذاته بغض النظر عن اتجاهه سلباً أو إيجاباً هو دليل على نشاط الفرد وتفاعله مع بيئته .

وعندما يكون الاتجاه ناشئاً بهذه الطريقة يمر أثناء تكوينه فى مراحل ثلاث :

(ا) المرحلة الإدراكية المعرفية : وهى المرحلة التى يدرك فيها الفرد مثيرات البيئة ويتعرف عليها ويتكون لديه رصيد من الخبرة والمعلومات يكون بمثابة الإطار المعرفى لهذه المثيرات .

(ب) المرحلة التقيمية : وهى مرحلة يقيم فيها الفرد نتائج تفاعله مع المثيرات ويكون التقييم مستنداً إلى ذلك الإطار المعرفى الذى كونه الفرد لهذه المثيرات بالإضافة إلى عدة إطارات أخرى منها ما هو ذاتى غير موضوعى به الكثير من الأحاسيس والمشاعر التى تتصل بهذا المثير أو ذاك .

(حـ) المرحلة التقريرية : وهى المرحلة الأخيرة والتى يصدر فيها الفرد القرار على نوعية علاقته بهذه العناصر والمثيرات فإذا كان القرار موجباً فيكون معنى ذلك أن الفرد كون اتجاهاً موجباً نحو هذا المثير وإذا كان القرار سالباً كان العكس بطبيعة الحال .

وقد يتكون الاتجاه عن طريق التلقين أى أن طريق نقل الخبرة بصورة غير مباشرة إلى الفرد ومثل ذلك القصص التى تحكيها الأم لأبنائها عن شعب بعينه أو جماعة بعينها حيث يتكون لدى هؤلاء الأطفال نوع خاص من الاتجاه نحو هذا الشعب وتلك الجماعة . ومع قصص الأم يعيش الأطفال بلا شك خبرة انفعالية حادة سواء كانت سارة مثل قصص الشاطر حسن والسندباد أو كانت غير سارة مثل قصص شعوب آكلى لحوم البشر .

ومثال آخر قد يكون اكثر فعالية وشمولا وهو ما تقوم به وسائل الإعلام المختلفة من سينما ومسرح وتلفزيون وراديو وصحافة وغير ذلك من تلقين أفراد الجماعة أطفالا وبالغين الاتجاه المطلوب تكوينه وتأكيده وغالباً هذه الاتجاهات ما تكون اتجاهات تعصب ونادراً ما تكون غير ذلك .

وسواء تكون الاتجاه بهذه الطريقة المباشرة أو بطريقة أخرى غير مباشرة فإن عملية التطبيع الاجتماعى أو التعلم الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية هى العملية المسئولة عن تكوين الاتجاهات وتنميتها وتأكيدها أو محوها وإزالتها أو تغييرها .

وبجانب ما سبق ذكره نجد باكان يقول أن طبيعة العلاقات السائدة بين أفراد المجتمع أو بين جماعتين على سبيل المثال تكون أيضاً مسئولة عن تكوين الاتجاهات النفسية . فالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية التى نشأت بين البيض والزنوج فى الولايات المتحدة أو بين الألمان واليهود فى أوروبا هى التى أوجدت الاتجاهات النفسية المضادة أو التى نسميها اتجاهات التحامل.

فالرجل الأبيض فى أمريكا مثلا أو فى جنوب أفريقيا له علاقة من نوع خاص بالرجل الأسود هى علاقة السيد صاحب السلطة بالعبد الخاضع العامل .

وبناء على ذلك فإن الرجل الأبيض يأمر والرجل الأسود لابد أن ينفذ . وبالتالى سوف تكون الفرصة أمام السيد أن يصف العبد بالكسل والعجز . وتكون الفرصة أمام العبد ليصف السيد بالقسوة والغطرسة .

وعليه تكون الاتجاه المضاد بين الاثنين .

وهذه صورة أخرى من التاريخ يرويها سيمبسون وينجر : لقد كان اليهود أغنياء يسيطرون على المقدرات الاقتصادية لبعض المجتمعات الأوروبية وكانت الوظيفة الرئيسية لليهودى فى أى مجتمع من هذه المجتمعات هى وظيفة المرابى . فنى القرن العاشر والحادى عشر عندما تكونت مجتمعات المدنية — بعد عهد الإقطاع والعبودية — أصبحت الحاجة ملحة فى طلب رأس المال سواء للتجارة أو للإنشاء والتعمير .

وهنا نشط اليهود فى عمليات الإقراض والربا وخاصة عندما أمرت الكنيسة — وهى صاحبة السلطة المطلقة آنذاك — رعاياها من المسيحيين بعدم إقراض أموالهم بالربا وإن كان لم يكن لديها مانع من أن يقترضوا هم بالربا من اليهود ، وبذلك تمكن اليهود من أن يتحكموا فى المجتمع الأوروبى اقتصادياً سواء بمنع الإقراض أو برفع سعر الفائدة . وهنا تكونت الاتجاهات المضادة لهم من قبل المجتمعات الأخرى .

وفى درارسة أخرى أجراها سينها وأوبادهيايا ١٩٦٠ عن الاتجاهات العنصرية للشباب الهندى نحو الصين قبل وأثناء النزاع الهندى الصينى المسلح حول الحدود المشتركة بينهما ظهر مايؤكد أن العلاقات القائمة بين أى جماعتين يمكن أن تؤدى إلى اتجاهات مرجبة أو سالبة .

وفى جميع الحالات هناك عدة عوامل يشترط توافرها جميعاً من أجل أن يتكون الاتجاه النفسى نشير إليها فيما يلى :

١ — حدة الخبرة : فالخبرة التى يصحبها انفعال حاد تساعد على تكوين الاتجاه أكثر من الخبرة التى لا يصحبها مثل هذا الانفعال . والانفعال الحاد يعمق الخبرة ويجعلها أبعد غوراً فى نفس الفرد وأكثر ارتباطا بسلوكه فى المواقف الاجتماعية المرتبطة بمحتوى الخبرة .

وبهذا المعنى يمكن أن نقول إن الاتجاه النفسى غالباً ما يتكون فى مواقف المعاناة حيث يحتك الفرد بعناصر بيئته بدرجة تولد شحنة إنفعالية من درجة معينة فيتكون لدى الفرد العاطفة سواء كانت موجبة أو سالبة .

٢ — تكرار الخبرة : يجب أن تتكرر الخبرة حتى يتكون الاتجاه .

فعلى سبيل المثال عندما يجد الطفل صعوبة متكررة فى امتحانات مادة الحساب مثلا حيث يفشل فى كل مرة يؤدى فيها مثل هذه الامتحانات فإن هذه الخبرة المتكررة تحدث عند الطفل اتجاهاً مضاداً لهذه المادة .

٣ — تكامل الخبرة : من الضرورى أن تتكامل خبرة الفرد بعنصر من عناصر البيئة مع خبراته الأخرى بالعناصر الباقية حتى يتكون الاتجاه .

وهنا نستطيع أن نقول أن ذلك الطفل الذى فشل عدة مرات فى مادة الحساب وتكون لديه اتجاه مضاد لمادة الحساب لا يتكون عنده اتجاه مضاد للمدرسة وللعملية التعليمية ككل إلا إذا فشل فى أكثر من مادة وعليه أصبحت خبرته حادة متكررة متكاملة فيؤدى ذلك إلى تكوين الاتجاه المضاد بالنسبة لعملية التعليم .

٤ — تمايز الخبرة : اختلاف وحدات الخبرة وتميزها عن غيرها يبرزها ويؤكدها عند التكرار حتى ترتبط بالوحدات المتشابهة فيتكون الاتجاه النفسى ومثال ذلك نفس الطفل الذى يفشل فى امتحانات الحساب فلو أنه لاحظ أنه دائماً يفشل فى عمليات القسمة أو اختصار الكسور مثلا فإن تمايز وحدات خبرته عن غيرها من الخبرات أكد لدى الطفل عجزه فى هذه المادة وبالتالى يتكون لديه هذا الاتجاه المضاد .

٥ — انتقال الخبرة : نقل الخبرة عن أى طريق سواء كان مباشراً أو غير مباشر كما سبق أن أشرنا إلى ذلك له دور هام فى تكوين الاتجاهات .

أنواع الاتجاهات :

يمكن لنا أن نتعرف على عدة أنواع من الاتجاهات النفسية وذلك من الناحية الوصفية التى تساعدنا على التمييز بين اتجاه واتجاه آخر . وهذه الأنواع هى :

١ — الاتجاه العام والاتجاه النوعى :

نقصد بالاتجاه العام ذلك الاتجاه النفسى الذى ينصب على كلية الموضوع بغض النظر عن كونه سالباً أم موجباً .

وفى هذا لابد وأن يفرق القارىء بين الاتجاه العام بهذا المعنى والرأى العام كما سبق أن أوضحناه فى مكان آخر .

والاتجاه العام على ذلك يصبح ذلك الاتجاه الذى يلون سلوك الفرد تجاه المدرك ككل سواء تناول ذلك عناصر هذا المدرك بالتفصيل أم لا .

فاتجاه فرد ما نحو بلد معين — سواء كان مع أوضد هذا المدرك — عندما يتناول شعب هذه البلد والمساكن التى فيها ومواصلاتها وجوها الطبيعى ونظامها السياسى مثلا يصبح هذا الاتجاه اتجاهاً عاماً غير نوعى .

ويتميز هذا النوع من الاتجاهات بأنه أكثر ثباتاً واستقراراً من النوع الآخر وهو الاتجاه النوعى Specific attitude .

والاتجاه النوعى هو الذى ينصب على جزء من تفاصيل الموضوع أو المدرك دون جزء آخر . ومثال هذا الاتجاه النوعى هو اتجاه الرجل نحو لون شعر المرأة فقط حيث يعجب بالشعر الأسود مثلا فنجد أن الاتجاه الموجب للرجل نحو الشعر الأسود لا علاقة له بكل المدرك وهو المرأة كمدرك كلى .

وبذلك نجد أن مثل هذا الرجل يتأثر فى سلوكه بهذا الاتجاه النوعى بغض النظر عن بقية العناصر الأخرى التى تشترك مع هـذا العنصر فى تكوين الكل .

والاتجاه النوعى قليل الثبات بالنسبة للاتجاه العام فهو إما أن يضمحل ويتلاشى نتيجة تكوين اتجاهات نوعية أخرى ذات صلة بالعناصر الأخرى التى تشترك مع هذا العنصر النوعى بحيث يحدث نوع من التضارب والممانعة بين هذه الاتجاهات النوعية جميعاً antagonism .

وإما أن يقوى هذا الاتجاه النوعى وينمو ويسود ويتفوق على بقية الاتجاهات النوعية — إن وجدت — وبذلك يتحول تدريجياً إلى اتجاه كلى عام له صفات الثبات والاستقرار النسبى .

وهناك عدة دراسات فى هذا الميدان تفرق بين عمومية الاتجاه ونوعيته منها دراسات دافيدسون وآخرون عن الاتجاهات الحزبية بين أعضاء حزبى المحافظين والأحرار فى بريطانيا حول التمييز العنصرى والقومية والاستعمار والتسلح والسلام العالمى .

وكذلك دراسات هارتلى فى أمريكا حول التعصب ضد الزنوج واليهود والإيطاليين حيث يشير أن التعصب اتجاه نفسى يتميز بالعمومية ولذلك فهو أكثر ثباتاً من بعض الاتجاهات النوعية الأخرى ذات الصلة بالزنوج أو اليهود والإيطاليين .

وكذلك دراسات كانتريل التى أكدت نفس النتائج السابقة تقريباً .

٢ — الاتجاه الفردى والاتجاه الجمعى :

الاتجاه الفردى هو ذلك الاتجاه الذى يؤكده فرد واحد من أفراد الجماعة. وذلك من ناحية النوع أو الدرجة أو الاتجاه .

ومعنى ذلك أن الفرد إذا تكون عنده اتجاه خاص نحو مدرك يهمه هو

دون غيره من أفراد الجماعة فإنه يمكن تسمية هذا الاتجاه فرديا . وإذا كان هناك مدرك فى مجال الجماعة يهم بعض أفرادها ولكن كل منهم كون اتجاهاً نحو هذا المدرك مختلفاً من حيث الاتجاه أى سالب أو موجب ومن حيث الدرجه حيث يختلف عمق هذه الإيجابية أو السلبية فإننا نسمى مثل هذا الاتجاه اتجاهاً فرديا .

ويمكن أن نلاحظ مثل هذا الاتجاه بين أعضاء الأسرة الواحدة كجماعة اجتماعية فنجد هناك اتجاهات فردية نحو أنواع الأطعمة المختلفة مثلا وحتى إذا وجدنا عضوين من أعضاء هذه الأسرة يشتركان فى حب أحد أنواع هذه الأطعمة فإننا نلاحظ أن هناك اختلاف فى درجة هذا « الحب » أو الاتجاه الموجب نحو هذا النوع من الطعام .

وأما الاتجاه الجمعى فهو ذلك الاتجاه الذى يشترك فيه عدد كبير من أعضاء الجماعة . مثل إعجابهم ببطل من أبطال الرياضة أو إحدى نجوم السينما ويكون الاشتراك فى هذا الاتجاه من حيث النوع والاتجاه . حيث يتميز بأن هذا العدد الكبير من الناس له اتجاه موجب نحو هذا البطل ولكن لا مانع من أن يختلف هؤلاء الناس فى اتجاههم الموجب هذا من حيث الشدة والدرجة . وربما هذا هو مدخلنا لأن نميز للقارىء بين الرأى العام والاتجاه الجمعى . فالرأى العام يشترط فى تكوينه حد أدنى من شدة الاتجاهات النفسية لابد أن تتوفر عند الجميع قبل أن يتكون الرأى العام كضغط اجتماعى ولكن بعد تكوين الرأى العام لا مانع من أن يختلف الناس من ناحية عمق الرأى العام وتأثرهم به واستجابتهم له .

وهذا غير ضرورى بالنسبة للاتجاه الجمعى كما سبق أن أوضحنا فليس هناك درجة دنيا من الشدة يجب أن يشترك فيها الجميع حتى يصبح الاتجاه جمعياً .

٣ — الاتجاه العلنى والاتجاه السرى :

الاتجاه المعلن هو ذلك الاتجاه الذى يستطيع الفرد إظهاره دون حرج أو تحفظ حيث يسلك بما يمليه عليه مثل هذا الاتجاه الذى غالباً ما يكون متفقا مع معايير الجماعة ونظمها وما يسودها من قيم وضغوط اجتماعية مختلفة . ومثل هذا الاتجاه غالباً ما يكون متوسط الحدة لأنه ليس هناك من الضغوط ما يحاول كبته وإيقافه ومنع الفرد من أن يسلك بناء عليه .

وأما الاتجاه السرى فهو ذلك الاتجاه الذى يحرص الفرد على إخفائه فى قرارة نفسه بل يميل إلى إنكاره بصورة ظاهرية ولا يسلك بما يمليه عليه مثل هذا الاتجاه وغالباً ما يكون هذا الاتجاه غير منسجم مع قوانين الجماعة ونظمها وقيمها وما فيها من ضغوط ومعايير .

وهذا الاتجاه غالباً ما يكون له درجة عالية من الشدة نتيجة المقاومة والقمع التى يصادفها من القوى الاجتماعية السائدة فى الجماعة .

وهناك احتمال ولكنه غير ثابت أو مدعم أن يكون الاتجاه المعلن قد تكون ونما وتطور عند الفرد نتيجة احتكاكه المباشر بعناصر البيئة الخارجية فى حين أن الاتجاه السرى يكون قد تكون ونما وتطور نتيجة الخبرة غير المباشرة عند الفرد وخاصة تلك الخبرات التى تبنى على عمليات التذكر والتخيل والتفكير المجرد والمثالى البعيد عن الواقعية .

٤ — الاتجاه الموجب والاتجاه السالب :

بغض النظر عن الموضوع الذى يتكون حوله الاتجاه النفسى فإننا نسمى الاتجاه الذى ينحو بالفرد قريباً من هذا المدرك اتجاهاً موجباً . وإذا كان الاتجاه ينحو بالفرد بعيداً عن المدرك أو الموضوع فإننا نسميه اتجاهاً سالباً .

٥ — الاتجاه القوى والاتجـاه الضعيف :

القوة والضعف تميز شدة الاتجاه الذى ينعكس على سلوك الفرد وتفاعله مع الآخرين . فالسلوك الذى يتصف بالقوة والحدة والإنفعال الشديد فى موقف اجتماعى خاص فإن هـذا السلوك يدل على اتجاه قوى ذى درجة عالية من الشدة .

والعـكس صحيح بطبيعة الحال أى إذا كان السلوك ضعيفاً متراخياً غير شديد دل ذلك على اتجاه ضعيف .

تفسير الاتجاهات :

الاتجاه النفسى تركيب عقلى نفسى أحدثه الخبرة الحادة المتـكررة وبذلك فهو مكتسب مشتق من تفاعل الفرد مع عناصر البيئة الخارجيـة . ولذلك فلابد وأن يتصف بالدينامية والتجدد رغم أنه حقيقة كما وصفناه يتميز بالثبات والاستقرار النسبى .

وهناك عدة تفسيرات يمكن أن نستخدمها فى فهم وظيفة الاتجاه النفسى .

١ — التفسير الدينامى للاتجاهات :

يرى كرتش وكرنشفيلد أن الاتجاه ما هو إلا وسيط دينامى يساعد على إتمام الرابطة أو التفاعل بين العمليات النفسية الأساسية وبين الفعل أو الأداء الذى يقوم الفرد بمزاولته .

ويصبح الاتجاه من وجهة النظر هذه يهدف إلى تنظيم الدوافع والإدراك والعوامل النفسية الأخرى تنظيما متكاملا بحيث ينتج عن عملية التنظيم هذه نزوع أو سلوك متكامل يتناسب مع قدر هذه العملية ودرجتها من حيث الجودة والإتقان .

وبناء على ذلك فإن الاتجاه يعمل على تخفيف حدة التوتر النفسى فى مواقف الإحباط والفشل التى يمر بها الفرد فى حياته بل قد يساعد الفرد أيضاً على التـكيف لمواقف التحدى والصراع .

وبذلك يمكن أن نلخص وظيفة الاتجاه النفسى فيما يلى :

١ — تنظيم الإدراك عند الفرد أثناء نشاطه وتفاعله مع البيئة الخارجية.

٢ — إيجاد الوسيلة الملائمة لاتصال الفرد بمثيرات هذه البيئة .

٣ — مساعدة الفرد فى محاولاته لتحقيق أهدافه .

وبهذا المعنى تصبح الاتجاهات ذات طبيعة ديناميكية تدفع الفرد إلى تحقيق أهدافه والتكيف مع مواقف حياته اليومية .

٢ — التفسير الإدراكى للاتجاهات :

يقول كانتريل فى دراسته لعمق الاتجاهات وشدتها أن الإدراك سلوك هادف غرضى يرمى إلى تحقيق بعض أهداف الكائن الحى بمعنى أن الفرد يدرك الموضوع أو الحدث الذى يتصل بأغراضه وأهدافه اتصالا مباشراً سواء كانت هذه الأهداف حالية قائمة فى الموقف فعلا أو مستقبلة ما زالت فى مرحلة المعالجة الذهنية للفرد وبذلك يتفهم الفرد عناصر البيئة ومقوماتها فى ضوء هذه الأهداف والأغراض من أجل أن يتكيف لها تكيفاً صحيحاً ويتفاعل معها بأسلوب سلوكى سوى .

وفى أثناء عملية التفهم لعناصر البيئة ومداخلها والتفاعل معها تتكون اتجاهات الفرد ثم تنمو وتتطور متأثرة بإدراك الفرد للمواضيع والأحداث ومؤثرة فى إدراك الآخرين للفرد كعنصر من عناصر البيئة .

وبهذا يمكن تفسير الاتجاه عن طريق عملية الإدراك حيث يميل الفرد إلى تقليد غيره فى أنماط سلوكه عن طريق عملية التوحد أو امتصاص السلوك التى لا تتم بطبيعة الحال إلا عن طريق عملية الإدراك .

٣ — التفسير البنائى للاتجاهات :

تشير معظم نتائج الدراسات التى أجريت من أجل قياس اتجاهات الشعوب على أن الاتجاه وحدة من وحدات بناء الشخصية الإنسانية كما تشير هذه

النتائج أيضاً إلى علاقة الاتجاه النفسى بالقيم الاجتماعية التى يكتسبها الفرد من تفاعله مع الآخرين . وتشير ثالثاً هذه الدراسات إلى ارتباط الاتجاهات النفسية بحاجات الفرد سواء كانت أولية أساسية أو ثانوية .

وهذه الدلائل التى يؤكدها عدد كبير من الدراسات إنما تعتمد على المكونات المعرفية والإنفعالية للشخصية الإنسانية .

وبذلك يصبح الاتجاه وحدة بنائية فى الشخصية الإنسانية حضارياً وثقافياً . وتصبح وظيفة الاتجاه النفسى هى :

١ — التكيف والانضباط لعناصر البيئة ومكوناتها .

٢ — التكيف الاجتماعى داخل إطار الجماعة .

٣ — الدفاع عن (الأنا) .

مكونات الاتجاه النفسي :

اتفقت الآراء على أن الاتجاه النفسى مكون من ثلاث عناصر أساسية تتفاعل مع بعضها البعض من أجل إعطاء النظام النهائى للاتجاه النفسى . وهذه العناصر وإن كانت افتراضية نظرية إلا أن معظم الدراسات التجريبية التى أجريت وتجرى فى ميدان الاتجاهات حتى الآن تؤكد صحة هذه الافتراضات . وسوف نعرض فيما يلى لهذه المكونات :

١ — المكونات المعرفية للاتجاهات :

وهذه مكونات المعرفة والخبرة التى تراكمت عند الفرد أثناء احتكاكه بعناصر البيئة ويمكن تقسيمها إلى :

(ا) المدركات والمفاهيم Concepts أى ما يدركه الفرد حسياً أو معنوياً .

(ب) المعتقدات Beliefs وهى مجموعة المفاهيم المتبلورة الثابتة فى المحتوى النفسى والعقلى للفرد .

(ح) التوقعات expectatrons وهى ما يمكن أن يتنبأ به الفرد بالنسبة للآخرين أو يتوقع حدوثه منهم .

هذه المدركات والمعتقدات والتوقعات هى الأساس المعرفى للاتجاه النفسى المتكون عند الفرد بغض النظر عن كونه — أى الاتجاه — سالباً أو موجباً .

ولابد لنا أن نتصور نوع التفكير الذى يبنى على هذه الأبعاد الثلاثة . إذ لابد أن يكون فيه جزء كبير من النمطية والنقلية بمعنى أن يكون هذا الجزء من التفكير منقولا عن مركز قوة أو سيطرة فى الجماعة .

ولو أخذنا اتجاه التحامل كمثال لشرح أثر المكونات المعرفية للاتجاه لأمكن لنا أن نلاحظ أن اتجاه التحامل غالباً ما يصاحبه هذا التفكير النمطى أو القالبى Strereotype فنجد مثلا أن عند الفرد مجموعة من الأوصاف والنعوت ثابتة فى محتواه النفسى . فقد يكون هذا التفكير النمطى يتصل بالصفات الظاهرة فقط مثل « جميع اليهود لهم أنوف طويلة » أو « جميع الزنوج قبيحو الخلقة » أو قد يتصل هذا النوع من التفكير بالنواحى الشخصية والعقلية مثل « الزنوج أغبياء » «اليهود عباقرة» « الألمان علماء موهوبون » «والإيطاليون إنفعاليون» وهكذا .

وأحياناً يتعدى هذا التفكير النمطى مستوى الأوصاف والمميزات إلى مستوى العقيدة والفكرة مثل « عقيدة اليهود تستحل دم الآخرين » أو أن « الكاثوليك يخلصون للكنيسة أولا ثم للدولة ثانياً » أو أن « الإسلام انتشر بحد السيف » .

ولهذا السبب نجد أن معظم البحوث والدراسات التى دارت حول المكونات المعرفية للاتجاهات العنصرية قد تركزت بصورة أو بأخرى على ما يمكن أن نسميه « المعتقد العنصرى » الذى هو مجموعة من المفاهيم النمطية والأفكار القالبية » .

ومن الدراسات الرائدة فى هذه الناحية هى دراسة كاتس و برالى التى أجريت على مائة من طلبة جامعة برنستون حيث طلب الباحثان من هذه المجموعة من الطلبة أن يختاروا الصفات والمميزات التى تناسب كل مجموعة من المجموعات البشرية التالية :

الأمريكيين — الصينيين — الانجليز — الألمان — الإيرلنديين — الإيطاليين — اليابانيين — اليهود — الزنوج — الأتراك .

ومما يلفت النظر فى هذه الدراسة الاتفاق شبه الكامل بين آراء المائة طالب بالنسبة لأوصاف هذه المجموعات البشرية العشرية رغم أنهم — أى الطلبة — لم تسبق لهم خبرة الاحتكاك المباشر بمعظم هذه الجماعات .

وكانت نتائج هذه الدراسة كما يلى :

الجماعة	الصفات التى اقترحها المفحوصون
الألمان	ذوو عقلية علمية — مجدون — غير عاطفيين .
اليهود	متميزون — مرتزقة — مجدون .
الزنوج	خرافيون — كسالى — يميلون إلى المرح .
الإيطاليون	فنانون — مندفعون — ذوو عاطفة .
الانجليز	ذوو روح رياضية — أذكياء — تقليديون
الأمريكان	مجدون — أذكياء — ماديون
الإيرلنديون	مشاكسون — سريعو الإنفعال — حاضرو البديهة
الصينيون	خرافيون — ماكرون — محافظون .
اليابانيون	أذكياء — مجدون — تقدميون .
الأتراك	قساة — متدينون جداً — لا يوثق بهم .

وواضح من هذه النتائج ومن اتفاق آراء المائة طالب حول هذه الصفات بصورة تكاد تكون شبه كاملة رغم عدم احتكاكهم الفعلى بمعظم هذه الجماعات واضح من ذلك أن الفكرة النمطية القالبية المنقولة هى أساس المكون المعرفى لاتجاه هؤلاء الأفراد نحو هذه الجماعات العشرة سواء كان الاتجاه سالباً أم موجباً .

ومن التجارب الأخرى فى هذا الميدان تجربة تتابعية قام بها داديشا فى ١٩٤٢ وفيها يوضح كيف يتكون الاتجاه بصورة تدريجية حيث درس اتجاه طلاب الجامعة فى بعض المدن الأمريكية نحو الألمان فى ١٩٣٦ ثم فى أبريل ١٩٤٠ ثم فى سبتمبر ١٩٤٠ وأوضحت هذه الدراسة كيف تنمو وتتطور الفكرة النمطية ثم كيف تتحول من القالب الموجب إلى القالب السالب متأثرة فى ذلك بظروف الحرب العالمية الثانية .

وتجربة أخرى بدأتها سيجو فى ١٩٤١ وانتهت منها فى ١٩٤٥ وذلك على خمس مجموعات متتالية من طالبات إحدى الجامعات الأمريكية ، وقد قامت الباحثة بقياس الفكر النمطى عند كل مجموعة تجاه الزنوج واليابانيين والأمريكان والألمان .. وقد وجدت الباحثة أن نمطية التفكير عند هؤلاء الطالبات تغيرت بصورة واضحة وخاصة بالنسبة لليابانيين قبل وبعد كارثة بيرل هاربر الشهيرة.

٢ — المكونات الانفعالية والعاطفية للاتجاهات :

قد لا نكون مبالغين إذا قلنا إن أهم مكونات الاتجاه النفسى هى تلك الشحنة الانفعالية التى يصطبغ بها سلوك الفرد ونزوعه فى الموقف الذى ينشط فيه الاتجاه . فالمكونات العاطفية والانفعالية هى تلك الشحنة المصاحبة وهى ذلك اللون الذى بناء على درجة كثافته وعمقه يتميز الاتجاه القوى عن الاتجاه الضعيف .

وبذلك فإن معظم الدراسات والبحوث التى أجريت حول المكونات العاطفية والانفعالية للاتجاه النفسى كانت تدور دائماً حول عمق وشدة وكمية الانفعال الذى يصاحب سلوك الفرد نحو موضوع أو شيء معين .

فعلى سبيل المثال نجد أن دوتيش وكولينز فى دراستهما عن الاتجاهات نحو الزنوج يقتطفان بعضاً مما كتبته سيدة بيضاء تسكن فى حي مختلط من البيض والزنوج .

تقول السيدة « أنهم دائماً أى الزنوج سكارى معربدون يتبعون النساء ليلا » .

« بعضهم تبعنى ليلا عندما كنت فى طريقى عائدة إلى المنزل »

« ولهذا فإننى لن أخرج إطلاقاً من بيتى بعد غروب الشمس » .

وواضح من التحليل المبدئى لهذا القول أن العاطفة والانفعال فيها هو الإحساس بالخوف والفزع والكراهية . وهذا أمر ليس غير متوقع لأن اتجاه البيض نحو الزنوج فى حالة عدم اختلاطهم معاً يختلف عن الاتجاه وخاصة من ناحية المحتوى العاطفى والانفعالى فى حالة اختلاطهم معاً أى عند ممارسة خبرة الاحتكاك المباشر بينهما .

وقد كان الرأى السائد بين المشتغلين بالعلوم الإنسانية وخاصة علم النفس الاجتماعى أن من الأساليب التى يمكن استخدامها لتهذيب سلوك التحامل والتعصب كمثال للاتجاه النفسى الحاد هو أن تتيح الفرصة أمام المجموعتين (البيض والزنوج) للتفاعل الحر المباشر والاحتكاك والتعامل بينهما . ولكن فى السنوات الأخيرة قام (جيمس) وبعض معاونيه بعدد من الدراسات المتتالية أكدت الفكرة العكسية .

فقد ظهر من نتائج هذه الدراسات أنه ربما زاد الاتجاه حدة وقوة عن ذى قبل نتيجة اختلاط المجموعتين معاً بل أنه ربما نشأت اتجاهات أخرى جديدة لم تكن موجودة من قبل . وكان من نتيجة هذه الدراسات أيضاً أن الذى يتأثر فى الاتجاه النفسى وخاصة فى اتجاه الزيادة أو النقص هو المحتوى العاطفى والانفعالى. والسبب فى ذلك هو تكوين الخبرات العاطفية مثل الخوف والكراهية والاحتقار والحب والتقدير والاحترام والثقة وغير ذلك من الخبرات الانفعالية التى تصاحب تكوين الاتجاه .

٣ — المكونات النزوعية :

من ناحية الترتيب المنطقى : يأتى سلوك الإنسان ونزوعه تعبيراً عن رصيد معرفته بشىء ما وعاطفته المصاحبة لهذه المعرفة . فعندما يتكون لدى الفرد رصيد من المعرفة التى اشتقها من الإدراك والخبرة ثم يتوفر لديه أيضاً الشحنة الانفعالية والعاطفية المناسبة فلايبقى أمامه سوى النزوع العملى ممثلا فى الكيفية والطريقة التى يجب أن يسلكها تجاه ذلك المدرك الذى تكون عند الفرد ضده أو معه الاتجاه النفسى .

والحقيقة أن أغنى القطاعات فى ميدان الاتجاهات وأكثرها دراسةوتنوعا هو قطاع اتجاهات التحامل والتعصب ولذلك سوف نأخذ أمثلتنا من هذا القطاع .

فمن أهم ما نشر فى ميدان المكونات النزوعية للاتجاه النفسى هو مانشره بوجاردس فى ١٩٢٥ عن قياس المسافة (التباعد) الاجتماعية بين أفراد جماعة ما وأفراد جماعة أخرى حيث تتلخص هذه الدراسة فى أن يسأل الفرد عما يفعله بأعضاء الجماعة الأخرى وذلك على النحو التالى :

١ — الزواج المتبادل بين الجماعتين .
٢ — اتخاذهم أصدقاء مقربين .
٣ — السكنى بجوارهم فى نفس الشارع .
٤ — الاشتراك معاً فى نفس العمل والوظيفة .
٣ — منحهم حق المواطنة فى نفس البلد .
٦ — منحهم فرصة زيارة البلاد فقط .
٧ — منعهم من دخول البلاد .

وقد أجرى بوجاردس دراسته هذه على ١٧٢٥ من المواطنين الأمريكيين

الذين ولدوا فعلا فى الولايات المتحدة . ويمكن تلخيص النتائج التى وصلت إليها هذه الدراسة بالنسبة إلى عدد من الجماعات العنصرية كما يلى :

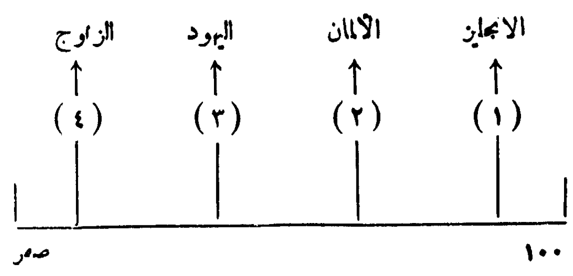
	الانجليز	الألمان	اليهود	الزنوج
١ — الزواج	٩٤٪	٥٤٪	٨ ٪	١ ٪
٢ — الصداقة	٩٧٪	٦٧٪	٢٢٪	٩ ٪
٣ — السكنى بالجوار	٩٧٪	٧٩٪	٢٦٪	١٢٪
٤ — الاشتراك فى العمل	٩٥٪	٨٣٪	٤٠٪	٣٩٪
٥ — حق المواطنة	٩٦٪	٨٧٪	٥٤٪	٥٧٪
متوسط النسبة =	٩٦٪	٧٤٪	٣٠٪	٢٤٪
الترتيب :	(١)	(٢)	(٣)	(٤)

ولتفسير نتائج هذا الجدول نأخذ جماعة الانجليز على سبيل المثال فنجد أن ٩٤ ٪ من أفراد العينة (١٧٢٥ مواطناً أمريكياً) لا يمانعون فى التزاوج مع الانجليز ، ٩٧ ٪ من هذه العينة لا تمانع فى صداقتهم ، ٩٧ ٪ أيضاً يحبون السكنى فى جوارهم ، ٩٥ ٪ لا مانع عندهم من الاشتراك معهم فى العمل ، ٩٦ ٪ يعطونهم حق المواطنة . وهكذا بالنسبة لبقية الجماعات الأخرى : الألمان واليهود والزنوج .

وعند استخراج النسبة المتوسطة لهذه الجماعات الأربعة نجدها كما فى الجدول هى ٩٦ ٪ للانجليز ، ٧٤ ٪ للألمان ، ٣٠ ٪ لليهود ، ٢٤ ٪ للزنوج . ومعنى ذلك أن المواطنين الأمريكيين يرتبون هذه الجماعات حسب هذه النسبة المتوسطة .

ولكن كما هو واضح فى حجم كل نسبة أن هذا الترتيب غير متساوى الوحدات أى أن المسافة بين الانجليز والألمان غيرها بين الألمان واليهود .

ولذلك فإننا سنوضح هذه النتائج (مثال استطرادى) عن طريق رسم مقياس للتباعد النفسى الاجتماعى كما يلى :



اتجاه المواطنين الأمريكيين نحو الجماعات الأربعة

ومما يجدر ذكره أن بوجاردس نفسه أعاد تجربته هذه مرة أخرى بعد عشرين سنة كاملة حيث طبق مقياسه السابق على مجموعة من المواطنين الأمريكيين الذين ولدوا فى الولايات المتحدة فعلا ولكنه لم يجد تغيراً يذكر فى النتائج التى سبق وصفها .

والحقيقة أن هناك مدخلا آخر لدراسة المحتوى النزوعى للاتجاه النفسى غير المدخل الذى استخدمه بوجاردس وهو منهج تجريبى يعتمد على تسجيل ما يقوم به الفرد من سلوك عندما يمارس الموقف بصورة فعلية .

أو بمعنى آخر هل هؤلاء الأمريكيون الذى رفضوا التعامل بصورة أو بأخرى مع اليهود أو الزنوج يفعلون ذلك فعلا إذا مارسوا الموقف المناظر ؟

وللإجابة على هذا السؤال هناك عدة دراسات طريفة توضح وظيفة المكون النزوعى فى الاتجاهات النفسية .

أسبق هذه التجارب وأكثرها طرافة ودلالة تلك التجربة التى قام بها لابيير فى سنة ١٩٣٤ حيث صحب رجلا وزوجته من أهل الصين فى رحلة قطع الجميع فيها الولايات المتحدة حيث توقف الزوجان الصينيان فى هذه الرحلة عند ٦٦ فندقا و ١٨٤ مطعما ولكنهما لم يعاملا كملونين إلا مرة واحدة فقط

(أى لم يسمح لهما بالدخول إلى الفندق أو المطعم) وبعد نهاية الرحلة أرسل لابيير عن طريق البريد خطابات خاصة لأصحاب هذه الفنادق والمطاعم المائتين والخمسين يسألهم فيها عما إذا كان يمكنهم قبول الصينيين للإقامة أو تناول الطعام عندهم . ورد على هذه الخطابات ١٢٨ فندقا ومطعما رفض ٩٣ ٪ منها قبول الصينيين للنوم أو لتناول الطعام .

وهناك تجربة أخرى قام بها كتنر وويلكنز فى ١٩٥٢ حيث قامت سيدتان أمريكيتان (من البيض) وسيدة ثالثة أمريكية زنجية بزيارة ١١ مطعما بإحدى المناطق الشمالية الشرقية بأمريكا . وفى كل مرة كان يحسن استقبال السيدات الثلاثة ويقدم لهن الطعام دون أدنى تأخير . وبعد أسبوعين من زيارة كل مطعم كان يقوم الباحثان بإرسال خطاب إلى صاحب المطعم يطلبان فيه حجز المطعم لحفل أو مناسبة اجتماعية وكانا يوضحان فى الخطاب أن الحفل خليط من البيض والزنوج .

ولم يتلق الباحثان أى رد حتى بعد مضى سبعة عشر يوماً من إرسال الخطابات . وبناء على ذلك اتصل الباحثان تليفونياً بأصحاب هذه المطاعم ، حيث تلقوا رفضها جميعاً ما عدا قلة وافقت على استقبال الحفل بصورة مبدئية وبتحفظات خاصة .

واضح من هاتين الدراستين أن المكون النزوعى أو السلوكى للاتجاه ليس هو بالضرورة ما يجيب عليه الفرد كتابة بالنسبة لسؤال أو عبارة فى مقياس من مقاييس الاتجاهات كمقياس بوجاردس السابق الإشارة إليه .

بهذا نكون قد استعرضنا المكونات الأساسية . للاتجاه النفسى وهى المكونات المعرفية والعاطفية والنزوعية .

ثبات وتغير الاتجاه النفسي :

سوف نناقش فى الفقرات التالية العوامل التى تؤدى إلى ثبات وتغير الاتجاه النفسى ولكن بطريقة غير مباشرة فسوف نبدأ بتوضيح العوامل التى تؤدى إلى ثبات واستقرار الاتجاه بل وتقويته وزيادة حدته ومنها نستطيع أن نستكمل المناقشة فنوضح كيف يمكن للاتجاه أن يتغير .

ويمكن لنا أن نصنف العوامل التى تساعد على ثبات واستقرار الاتجاه النفسى كما يلى :

(ا) عوامل تتعلق بالتركيب الاجتماعى للجماعة .

(ب) عوامل تتعلق بالعمليات النفسية الفردية .

(ج) عوامل تتعلق بالمقومات الحضارية للجماعة .

والحقيقة أنه لا يمكن لنا أن نفصل فى الواقع بين عامل وآخر ولكن صنفت هذه العوامل بهذه الصورة من أجل سهولة الدراسة فقط .

(ا) عوامل التركيب الاجتماعى Social Structure

وهذه العوامل يمكن تحليلها على الصورة التالية :

١ — المعايير الاجتماعية المتعلقة بالاتجاه :

المعايير كما سبق أن أوضحنا هى نماذج أو أنماط ثقافية وحضارية تستخدم فى الحكم على سلوك الإنسان من حيث السواء وعدم السواء . وهناك عدد من المعايير فى كل جماعة يؤكد بعض الاتجاهات ويحافظ عليها ويقويها مثل معايير الحلال والحرام التى تقوى الاتجاهات الدينية ومعايير الإقدام والشجاعة التى تقوى الاتجاهات الوطنية مثلا وهكذا ، بحيث يثبت الإتجاه ويقوى كلما أذعن الفرد لهذه المعايير وتمسك بها وخشى أن يخرج عليها .

وعندما يتكون الاتجاه سواء كان هذا الاتجاه إيجابياً مثل حب الفرد لجماعة ما أو سلبياً مثل تحامل الفرد على جماعة معينة وتعصبه ضدها وتتوفر لهذا الإتجاه الشحنة الانفعالية المناسبة فإنه يصبح من الضرورى أن يتكون معيار خاص تكون وظيفته هى المحافظة على مستوى شدة الاتجاه وحدته .

وهذا المعيار الخاص لا يكون صريحاً واضحاً فى كل الأحوال ولكنه قد يختفى وراء بعض القيم والمعايير الأخرى التى تنتشر فى الجماعة . ويصبح من الصعب إلا على الباحث المدرب الدقيق أن يكتشف هذا المعيار .

من الدراسات التى أجراها (بيتجرو) فى جنوب أفريقيا حول مسألة المعيار الخاص بالمحافظة على مستوى شدة اتجاه التحامل والتعصب ضد السود دراسة تؤيد وجود هذا النوع من المعايير الخاصة ووجوده مختلطاً بغيره من القيم أو مختفياً وراء بعض المعايير الأخرى . فقد عين الباحث درجة تعصب البيض فى جنوب أفريقيا ضد السود مستخدماً فى ذلك مقياساً خاصاً بالاتجاهات العنصرية .

ثم قسم الباحث أعضاء العينة (البيض) إلى فئتين حسب درجة وشدة الإتجاه ضد السود : فئة شديدة التعصب وفئة قليلة التعصب .

ثم عاد الباحث وعين درجة إذعان هولاء البيض — وهم من طلبة الجامعة — للمعايير الإجتماعيــة — مستخدماً فى ذلك مقياساً خاصاً بالطاعة الإجتماعية .

ثم كخطوة ثالثة قسم الباحث أعضاء العينة إلى قسمين : قسم شديد الإذعان والطاعة للمعايير الاجتماعية . وقسم قليل الإذعان لهذه المعايير .

وكانت النتيجة الأساسية لهذه الدراسة أن هؤلاء الذين يذعنون جداً للمعايير الاجتماعية هم الذين يتعصبون جداً ضد السود والعكس صحيح .

٢ — أنماط التفاعل الاجتماعى ونماذجه :

مما لا شك فيه أن أنماط التفاعل الاجتماعى بين الأفراد بعضهم وبعض سوف تؤدى إلى تقوية الاتجاه وتثبيته أو إلى تخفيفه ومن ثم تغييره . فالتفاعل الاجتماعى بين الفرد وعناصر البيئة المادية والبشرية هو مصدر تكوين خبراته وتنظيم معارفه ومدركاته وشحذ انفعاله وعاطفته . وعليه فإن

هذا التفاعل هو المسئول الحقيقى عن تكوين الاتجاه وعن رفع شدته وحدته أو خفضها .

فعلى سبيل المثال نجد أن الاتجاهات العنصرية عند بعض الجماعات تشتد وتقوى نتيجة تفاعل هذه الجماعات معاً . فإذا ارتكب أحد الملونين فى جنوب أفريقيا جريمة من الجرائم الاجتماعية فإن درجة التماسك والتعاطف بين البيض كجماعة عنصرية ترتفع وتقوى من أجل مواجهة خطر هذه الجريمة ويرتفع مع ذلك مستوى الكراهية نحو الزنوج . وفى الجانب الآخر ترتفع درجة استعداد جماعة الزنوج لمواجهة أى عمل يحتمل أن يقوم به البيض . وعكس هذه الصورة صحيح تماماً .

وبناء على ذلك يظل مستوى الاتجاه السالب عالياً مرتفعا لأن هذه القصة تتكرر كل يوم وكل ساعة إذ أن كل ما يرتكبه الرجل الملون من خطأ هو جريمة فى نظر البيض وكل ما يرتكبه الرجل الأبيض من خطأ هو جريمة فى نظر الملونين .

٣ — تعضيد الزعامات ومراكز القوى فى الجماعة لمفهوم الاتجاه :

فى كل جماعة من الجماعات لابد وأن تظهر زعامات مختلفة ومراكز عديدة للقوى الاجتماعية وبطبيعة الحال سوف تحاول كل زعامة وكل مركز من مراكز هذه القوى أن تحافظ على مستوى قدرتها الاجتماعية فى جذب انتباه الجماعة وإحدى الطرق المستخدمة لذلك هى تجسيد الأخطار الاجتماعية التى تحيط بالجماعة حتى ترتفع درجة تماسكها حول هذا الزعيم أو ذلك المركز ويتم تجسيد هذه الأخطار وتأكيد صورتها عن طريق رفع حدة الاتجاه المضاد لهذه الأخطار عند أعضاء الجماعة .

فعلى سبيل المثال نجد أنه فى حملات الدعاية التى يقوم بها المرشحون فى الانتخابات الأمريكية وخاصة فى ولايات الجنوب يحرصون كل الحرص على إظهار خطر الملونين الزنوج على البيض حتى يضمن هؤلاء إلى جانبه وتكاتفهم معه . وبطبيعة الحال سوف تكون هذه طريقة كل مرشح بصورة أو بأخرى وبناء عليه يشتد الاتجاه المضاد للزنوج ويقوى .

٤ — تعضيد البيئة لمفهوم الاتجاه :

كثيراً ما تساعد مقومات وعناصر البيئة الخارجية على ثبات الاتجاه واستقراره والمحافظة على مستوى شدته وقوته . فعلى سبيل المثال فى حالة الاتجاهات العنصرية بين الجماعات نجد أن بيئة كل جماعة تساعد على تكوين مستوى ثابت تقريباً من التوتر والقلق يميز العلاقة بين الجماعتين أو مفهوم كل جماعة عن الجماعة الأخرى .

وأول مقومات البيئة الخارجية هى وسائل التواصل المنتشرة والمتداولة مثل القصة والسينما والراديو والتلفزيون والإعلان والأغانى والأمثلة الشعبية المنتشرة والصحافة والفكاهة الاجتماعية وغيرذلك .

فيقول لوجان فى كتابه عن « الزنوج فى الحياة الأمريكية » أن نظرة واحدة إلى وسائل الإعلام الأمريكية تجعلنا نعرف كيف أن عناصر البيئة ومقومات المجتمع تحافظ على مستوى القلق والتوتر فى كلا الجماعتين العنصريتين وهما البيض والزنوج . فعارضات الأزياء والموديلات والرجال فى الاعلانات التجارية وأبطال الحلقات والمسلسلات التلفزيونية وأفلام السينما بل والقصص المكتوبة المتداولة جميعهم من الرجال البيض وقد يكون هناك دور للرجل الملون فى إحدى هذه الوسائل ولكنه لا يخرج عن كونه الرجل الغبي الساذج أو المعتدى الآثم وفى أحسن الحالات يقدم الرجل الزنجى فى هذه الوسائل الاعلامية فى الأدوار التى لا تحتاج إلى مهارة ذهنية من نوع خاص مثل أدوار عمال التنظيف أوالخدمة العامة فىالفنادق والمطاعم وإذا أريد بالملون خيراً ظهر فى هذه الوسائل فى أدوار التسلية والفكاهة .

ووسائل الاعلام هذه تخاطب كلا الجماعتين السود والبيض فيتكون بناء على ذلك — وبصورة لاشعورية — إحساس السمو والعظمة عند الطفل الأبيض وهذا إحساس يضع صاحبه دائماً على مستوى خاص من التوتر

والقلق لأنه يريد أن يكون أعلى وأعظم من أى شيء وأى شخص . كما يتكون أيضاً إحساس بالنقص والدونية عند الطفل الأسود وهو إحساس يضع صاحبه دائماً على مستوى أعلى من التوتر والقلق لأنه غير مقتنع بأنه أدنى وأقل من كل شيء وكل شخص .

وهنا نجد أن مثل وسائل الاعلام هذه تؤكد مفهوم الاتجاه وتبقى عليه وتحافظ على مستوى قوته وشدته .

وهناك أيضاً مثل شعبي ذائع فى أمريكا يدل على الشخص الذى تتجمع فيه الخصال السيئة والتى تجعل صاحبها قليل النفع والفائدة يقول المثل « هذا زنجى يهودى أعور » « A negro ajew and one eyed Jack »

وأطرف من ذلك الفكاهة التى يرويها الأمريكيون عن طالب ملون أراد الرئيس الراحل ايزنهاور أن يكرمه فدعاه إلى تناول الشاى معه فى البيت الأبيض ، فذهب الطالب الملون واشترى كتاباً يشرح أصول التعامل مع كبار الشخصيات من الناس وحفظ الكتاب عن ظهر قلب وعندما التقى الطالب الملون بالرئيس قدم له الرئيس الشاى بنفسه فنهض الطالب واقفاً وانحنى فى أدب جم وقال « شكراً لك يا سيدى أو يا سيدتى حسب ماتقتضيه الظروف » .

واضح من هذه الفكاهة والتى لابد وأن تكون قد انتشرت أنها تخفى فى ثناياها ما يدل على غباء هذا الطالب الملون .

وما قيل بالنسبة لما سبق يقال لعناصر البيئة الأخرى .

(ب) عوامل تتعلق بالعمليات النفسية الفردية :

وهذه العوامل يمكن الإشارة إليها كما يلى :

١ — الميكانيزمات العقلية أو الحيل الدفاعية النفسية :

العدوانية والتبرير من الحيل الدفاعية الناتجة عن الإحباط والفشل فى

بعض المواقف الاجتماعية . ولقد كان فرويد أول من ناقش فى شىء من التفصيل والتوضيح العلاقة بين إحساس الفرد بأنه لم يستطع تحقيق أهدافه وإشباع حاجاته وبين لجوء الفرد إلى نوع خاص من السلوك العدائى .

وقد أيد هذا الرأى كثير من الدراسات التى أجريت فى ميدان العلاقة بين الحيل النفسية الدفاعية أو الميكانيزمات العقلية وبين الاتجاهات النفسية . ومن هذه الدراسات دراسات دولارد وآخرون حيث نجد أن العنصر الذى يسبب الإحباط غالباً ما يكون غير مناسب لأن يمثل هدف السلوك العدوانى والكراهية وذلك لأن مثل هذا العنصر غالبا مايمثل نوعا من السلطة والسيطرة والقوة التى تفوق إمكانيات الفرد الذى يحس بالإحباط والفشل وبالتالى فإنه — أى هذا الفرد — يبحث عن كبش فداء يسلط عليه عدوانيته وكراهيته وغالبا ما يكون هذا الأخير ضعيفا مسالما .

فعلى سبيل المثال إذا تقدم رجلان أحدهما أبيض والآخر ملون لوظيفة واحدة وأخذ الحكم بأسباب العدل والموضوعية وفضل أحدهما على الآخر معتمداً فى ذلك على محك الكفاءة والقدرة فقط ، فإن الرجل الآخر الذى أحس بالفشل والإحباط لا يستطيع أن يسلط عدوانيته وكراهيته على الحكم حيث أن هذا الأخير يمثل سلطة وقوة بالنسبة إليه ولكنه سوف يكون اتجاها مضاداً نحو الفرد الآخر .

وقياساً على ذلك فإننا نجد أن السلوك الناتج عن الحيل النفسية الدفاعية هو سلوك غير سوى فقد يكون عدوانياً كما سبق أو قد يكون انفصامياً أو تبريراً أو تقمصاً أو غير ذلك وفى جميع الحالات فإن مثل هذا السلوك سوف يرفع مستوى شدة الاتجاه ويحافظ على مستوى القلق والتوتر اللازم لثبات الاتجاه وبقائه .

٢ — الحاجات النفسية الشخصية :

قد يكون من الحاجات الشخصية الملحة على الفرد أن يصل إلى درجة اجتماعية أعلى من تلك التى يشغلها . ولا يمكنه فى الواقع أن يحقق هذه الحاجة ويشبعها إلا إذا كون عن عمد اتجاهاً نفسياً من نوع خاص . فعلى سبيل المثال قد يكون من الحاجات النفسية الملحة على الفرد حاجته إلى الأمن والطمأنينة الأمر الذى لا يتحقق إلا إذا لفظ الفرد الجماعة ورفض الاختلاط بها نتيجة تكوينه لاتجاه نفسى مضاد للجماعة فيقول مثلا عن معرفة وعاطفة وانفعال إن هذه الجماعة أو تلك شريرة .

ولهذا نجد أن مثل هذه الحاجة النفسية قد ساعدت على ثبات واستقرار بل ربما تكوين اتجاه نفسى من نوع خاص .

(ج) عوامل تتعلق بالمقومات الحضارية للجماعة :

وهذه العوامل تتركز غالباً فى القيم والتقاليد والعادات السائدة فى الجماعة حيث تساعد جميعها كضغوط اجتماعية ذات أولوية كبيرة فى تحويل الاتجاه النفسى شيئاً فشيئاً نحو الثبات والاستقرار حتى يصبح جزءا من الايديولوجية الحضارية للجماعة . هذه الايديولوجية الحضارية هى الكل المتكامل من الأفكار والاتجاهات والمعتقدات والقيم والتقاليد وهى ذلك الإطار المقدس لحياة الجماعة المعنوية الذى يفرض نفسه على كل سلوك وتفاعل .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك اتجاه البيض فى أمريكا وفى جنوب أفريقيا نحو الزنوج حيث تحول هذا الاتجاه تدريجيا من كونه تعبيراً عن الكراهية التى يحملها البيض للزنوج أو الزنوج للبيض إلى كونه أساسا بنائيـــا فى الايديولوجية الحضارية للمجتمع الأمريكى أو لمجتمع جنوب أفريقيا .

بهذا نكون قد استعرضنا فى شىء من الإيجاز العوامل التى تساعد على

تقوية الاتجاهات النفسية وهى كما قلنا مقدمة لمعالجة موضوع تغير الاتجاهات .

مما هو واضح أنه إذا أمكن التحكم والسيطرة على هذه العوامل التى تؤكد الاتجاه النفسى أمكن لنا أن نغير فيه .

وهذا لا بأس به إذ أنه عندما نفكر فى مثل هذا المعنى لابد وأن يكون فى ذهننا كيف يمكن أن نسيطر على تلك العوامل الثلاثة وهى عوامل التركيب الاجتماعى وعوامل العمليات النفسية الفردية وعوامل الحضارة فى الجماعة والحقيقة أن هذا عمل قد يكون خيالى لأن السيطرة على هذه المتغيرات لا تعنى فقط هذه المسميات الثلاثة ولكنها تعنى ما هو أكثر لأن هذه المتغيرات ذات علاقة وثيقة وطيدة بمتغيرات عديدة أخرى .

ولكن هناك مدخل أقرب إلى الواقعية ولو أنه الطريق الصعب : فالمسئولية الكبرى فى عملية تغيير الاتجاه هى مسئولية العملية الأساسية فى إنشاء البشر وتعليمهم وتثقيفهم وتحضيرهم — وهى عملية التطبيع الاجتماعى بجميع وسائلها وعناصرها وضغوطها المقصودة وغير المقصودة مثل وسائل الإعلام والرأى العام والدعاية وغير ذلك مما يتمثل فى علاقة الطفل بأسرته أو بمجتمعه بما فيه من مؤسسات ورموز اجتماعية .

ولابد أن تقوم عملية تغيير الاتجاه على عدة أسس أهمها :

اولا : تعديل الخبرة المعرفية والإدراكية للموضوع الذى يتركز حوله الاتجاه . فما هو واضح أن بعض الاتجاهات المضادة تتكون نتيجة معلومات خاطئة غير صحيحة أو من إدراك خاطىء . وعليه تصبح الركيزة الأولى فى تعديل الاتجاه هى إعطاء المعلومات الصحيحة الحقيقية المتعلقة بالموضوع وإتاحة الفرصة وبناء على ذلك أمام الفرد لأن يكتسب خبرة من نوع آخر تعدل من المحتوى المعرفى والإدراكى لاتجاهه النفسى نحو ذلك الموضوع .

ثانيا : التحكم فى الشحنة الانفعالية التى تصاحب الاتجاه وتهذيبها عن طريق تخفيف حدتها . إذ أنه كما سبق أن قلنا أن هذه الشحنة العاطفية تميز الاتجاه القوى عن الاتجاه الضعيف . فلو أمكن التحكم فى هذه الشحنة الانفعالية لأمكن التحكم فى قوة الاتجاه ومعنى ذلك أنه يمكن تعديله من الوجهة السالبة إلى الوجهة الموجبة أو العكس .

ثالثا : إخضاع سلوك الفرد للمعايير الاجتماعية بمعنى زيادة قوة وفعالية هذه المعايير والقوى التى تهذب سلوك الفرد ونزوعه . وعندها يمكن أن يتم تعديل أو تغيير الاتجاه بناء على الضغوط الاجتماعية التى تؤثر على محتواه النزوعى أو السلوكى .

رابعا : إخضاع سلوك الفرد للموضوعية العلمية فى التفكير بمعنى أن يتدرب الفرد على مثل هذا النوع من التفكير حتى لا تتكون عنده اتجاهات خاطئة أو مبالغ فيها .

قياس الاتجاهات النفسية :

عودة إلى موضوع القياس مرة أخرى لنجد أن من أهم مايتعلق بالاتجاهات النفسية هو كيفية قياسها وتقديرها ذلك لأن العلاقة بين اتجاهات الفرد وبين سلوكه علاقة عضوية لا يمكن إلا أن نأخذها دائماً فى الاعتبار عندما يريد الباحث أن يتنبأ بسلوك الأفراد فى المواقف الاجتماعية أو عندما يريد أن يتكهن بمدى وزمن التغير الاجتماعى المنتظر أن يحدث فى مجال التفاعل فى أى جماعة من الجماعات .

وعملية قياس الاتجاهات النفسية كأى عملية قياس أخرى تتطلب وجود أمرين اثنين :

أولا : بناء أداة القياس .

ثانياً : تحليل نتائج هذه الأداة .

ولنبدأ بمناقشة العملية الأولى وهى عملية بناء أداة القياس .

تبدأ عملية بناء هذه الأداة التى سوف نسميها مقياساً أو استفتاء بعملية اختيار وحدات هذه الأداة أى اختيار بنود الاستفتاء .

١ — اختيار بنود المقياس :

مما لا شك فيه أن اختيار عبارة المقياس يعتبر من أساسيات بناء المقياس وهذا الاختيار لابد أن يكون دقيقاً منذ البداية ويأخذ فى حسابه كل العوامل التى تؤثر على عبارة المقياس لأنه مهما كانت دقة الباحث وقدرته على التحليل الاحصائى فإنه لن يستطيع معالجة نتائج مقياس للاتجاه لم يحسن اختيار وحداته البنائية أو عباراته وبنوده بمعنى أدق .

وتبدأ خطوة اختيار هذه البنود بأن يقوم الباحث بتشريح محتوى الاتجاه النفسى المطلوب قياسه وتقديره وتؤدى عملية التشريح هذه إلى تحليل محتوى الاتجاه تحليلا إجهادياً يصل بنا إلى عناصره الأولية أو عناصره البسيطة .

وسوف يترتب على ذلك أن يقوم الباحث بجمع العبارات أو البنود التى تتصل بكل عنصر من هذه العناصر . والعبارة أو البند هى « عبارة تقريرية » أى تعبر عن موقف خاص فى ناحية واحدة مثل عبارة « الأب هو المسئول الوحيد عن تربية أطفاله » وتكون العبارة قابلة للتدريج أى تتراوح من موافقة كاملة إلى رفض مطلق .

ويقول ثرستون وهو من رواد قياس الاتجاهات النفسية أنه كان يجمع عباراته لبناء مقاييس الاتجاهات أثناء حديثه مع الناس فى الطريق العام وأثناء قراءته للجرائد اليومية أو المجلات ومن قراءته لما يكتبه تلاميذه من مقالات وبحوث ثم يقوم بتصنيف هذه العبارات حسب العناصر الأوليـــة التى تكون الاتجاه .

ويقول ثرستون كذلك أن هذه الطريقة فى جمع العبارات والبنود تساعد

الباحث على الاقتراب ما أمكن بالمقياس إلى حقيقة الاتجاه النفسى الذى يجب أن يقيسه وذلك لأن المقياس سوف يبنى مما يتداوله الناس من أحاديث وكلمات ومصطلحات تترد فى تفاعلهم وسلوكهم اللفظى فى حياتهم اليومية .

ومن شروط عبارة مقياس الاتجاه أيضاً أن تكون صياغتها مناسبة من حيث اختيار الألفاظ وترتيبها لأن اختيار اللفظ له علاقة أكيدة بمدرك الفرد عن الاتجاه . فعلى سبيل المثال نجد أن كلمة «تحديد النسل» تعطى انطباعا للمفحوص يختلف عن كلمة «تنظيم النسل» كما نجد الألفاظ الواردة فى عبارة ما تعطيها معنى كلياً يختلف لو اختلفت هذه الألفاظ أو استبدلت بألفاظ أخرى . وهذا يؤيد فعلا نصيحة ثرستون فى طريقة جمع البنود والعبارات لبناء مقياس الاتجاه من الأحاديث الشائعة بين أفراد المجموعة . وأحياناً تستخدم أيضا الأمثلة الشعبية الدارجة كبنود لمقياس الاتجاه .

ومن شروط العبارة أو البند أن يمثل موقفاً يتحدى الفرد المفحوص ويثيره بحيث تكون الاستجابة مصحوبة بشحنة انفعاليه ذات درجة خاصة وبحيث تكون معبرة عن الاتجاه فعلا ولا تكون استجابة هادئة بعيدة عن الانفعال بحيث تكون استجابة رأى .

وهذا يجعلنا نأخذ فى الاعتبار تلك العبارة القصيرة الواضحة ذات الدلالة الاجتماعية والتى تكون صياغتها وألفاظها قادرة على إثارة المفحوص وتحديه . فكلما كانت ألفاظ العبارة تعنى شيئاً للأفراد كلما كان أثرها فى تحدى الفرد وإثارته ملموسا .

٢ — صحة بنود مقياس الاتجاه :

لا شك أن صحة بنود مقياس الاتجاه من أهم الصفات والخصائص التى يجب أن يتميز بها وهنا لابد من أن نعترف بصعوبة أساسية هى قدرة العبارة من الناحية اللفظية على أن تدل فعلا على السلوك الذى يقوم به الفرد إذا

مارس الموقف فى صورة مباشرة وهذه صعوبة حقيقية لأن الدراسات التى استعرضناها عند مناقشة المحتوى النزوعى للاتجاه وخاصة دراسة لابيير تدل على أن الشك قائم فى صحة عبارات أى مقياس من مقاييس الاتجاهات ذلك لأن صحة العبارة كما هو معرف هى قدرة العبارة على أن تقيس ما هو مفروض أن تقيسه فعلا .

ولكن فى هذا المجال سوف ننظر إلى الصحةمن زاوية أخرى هى مدى علاقة العبارة أو البند بمحتوى الاتجاه النفسى .

وبناء عليه نقترح الطريقة التالية لتعيين صحة العبارة فى مقياس الاتجاه :

بعد جمع العبارات وصياغتها بحيث يتوافر فيها ما سبق إليه الإشارة من شروط نقوم بعرض هذه العبارات على مجموعة من الحكام المتخصصين ونطلب منهم أن يعينوا على تدريج خاص مدى ارتباط كل بند أو عبارة بمحتوى الاتجاه بعد أن نشرحه جيداً ونفصله لهؤلاء الحكام .

نستخدم بعد ذلك طريقة ثرستون وشيف لحساب الدرجة العيارية لكل عبارة أو بند من البنود وهذه الدرجة تدل على صحة العبارة .

وقد سبق لنا أن ناقشنا هذه الطريقة فىالفصل الذىعالجنا فيه استفتاءات الشخصية وطريقة تعيين صحة عبارات الاستفتاء .

وهناك مدخل آخر يستطيع الباحث عن طريقه أن يضمن صحة العبارات إلى حد ما .

وهذا المدخل يبدأ منحيث يبدأ الباحث فى التفكير فىقياس اتجاه معين حيث يطلب إلىمجموعة من الحكام أن يشتركوا معه فىعمليةالتحليلالإجهادى للاتجاه النفسى وذلك بأن يعرض علىهؤلاء الحكام تحليله المبدئى للاتجاهات ويطلب منهم أن يسهموا فى عملية التحليل هذه بإضافة ما يرونه من عناصر ومكونات سلوكية للاتجاه المطلوب قياسه . ولو أن هذا المدخل لا يغنى تماما عن استخدام الطريقة السابقة فى حساب درجة صحة كل عبارة .

وهناك طريقة أخرى يمكن للباحث أن يستخدمها فى تقرير مدى صحة العبارات أو البنود وهذه تتلخص فى أن يقوم الباحث بإجراء تجربة تمهيدية على مجموعتين يمثلان طرفى المقياس أو بمعنى آخر النهاية السالبة والنهاية الموجبة للاتجاه النفسى. ثم يقارن بين مايحصل عليه من نتائج فى الحالتين فكلما كانت قدرة العبارات كبيرة على التمييز بين هذين الطرفين كلما كانت صحيحة وصادقة. ومثال ذلك إذا أراد الباحث أن يقيس اتجاه الرجال فى مجتمع ما نحو ظاهرة الزواج بأكثر من واحدة فعليه أن يقوم بتجربة تمهيدية على مجموعة تميل فعلا إلى الزواج بأكثر من واحدة كما يدل على ذلك سلوكهم الفعلى (حالة كونهم هكذا فعلا) ومجموعة أخرى تلتزم بالزواج بواحدة فقط أو يحبذون هذا المبدأ تماماً.

وللتلخيص فإن صحة العبارات فى استفتاء أو مقياس الاتجاه يمكن تعيينها بإحدى طريقتين : إما بدلالة ومدى ارتباط العبارة بمحتوى الاتجاه أو بقدرة العبارات على التمييز الواضح بين طرفى الاتجاه.

٣ — ثبات نتائج مقياس الاتجاه :

الثبات هو خلو نتائج المقياس من العوامل التى ترجع إلى أخطاء الصدفة وحدها ومعنى ذلك أنه إذا كانت نتائج المقياس ثابتة فإننا نحصل دائماً على نفس النتائج كلما طبقنا المقياس.

وهنا صعوبة أخرى لابد أن نعترف بها أيضاً وهى ترتبط بخصائص الاتجاه نفسه كمدرك ومفهوم إذ أنه حركى غير ثابت ويتغير ربما من يوم إلى يوم ومن أسبوع إلى أسبوع ولذلك فإن الثبات بهذا المعنى يصبح من الصعب البحث عنه فى نتائج مقياس الاتجاه النفسى بقدر السهولة التى نبحث بها عنه فى مقياس للقدرات العقلية مثلا.

ولهذا لابد أن نبحث عن مفهوم آخر للثبات ربما يفيد فى حالة مقاييس

الاتجاهات ومن المعروف أن مثل هذا المفهوم هو التناسق الداخلى أو التماسك الداخلى لمقياس الاتجاه والذى قد يشير أيضاً إلى صحة المقياس .

والطريقة المعروفة لتعيين درجة التناسق الداخلى لأى اختبار هى طريقة كودر وريتشاردسون وقد سبق لنا شرحها فى مكان آخر .

ولـكن لتطبيقها فى حالة مقاييس الاتجاهات هناك عدة صعوبات عملية يجب أن نوضحها للدارس حتى لا يفاجأ بها عند تعامله مع مقياس الاتجاه بهذه الطريقة .

واضح أنه من الممكن جداً أن تـكون العبارة مدرجة كما يلى: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ حيث تعطى درجة (١) لعدم الموافقة المطلقة وتعطى درجة (٥) للموافقة الـكاملة ويجرى التدريج بين هذين الرقمين كما هو موضح :

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
أرفض مطلقاً	أرفض	غير متأكد	موافق	موافق تماما

وهذه هى الطريقة الشائعة فى قياس الاتجاه كما سوف نستعرض ذلك فيما بعد .

وواضح أيضاً أن معادلة كودر وريتشاردسون هى كما يلى :

$$\text{درجة التناسق} = \frac{\text{ه}}{\text{ه} - ١} \times \frac{\text{ع}^{٢} - \text{مجـ ص خ}}{\text{ع}^{٢}}$$

حيث ه عدد البنود وهذا أمر سهل تعيينه فى مقياس الاتجاه لأن عدد البنود معروف .

، ع^{٢} التباين وهذا أيضا أمر يمكن حسابه عن طريق حساب متوسط الدرجات النهائية للأفراد ثم الانحراف المعيارى .

، مجـ ص خ هو مجموع حاصل ضرب نسبة الإجابات الصحيحة × نسبة الإجابات الخاطئة .

وهنا يتساءل الدارس أى الإجابات على مقياس الاتجاه صحيح وأيها خاطىء فقد سبق أن أوضحنا كيفية استخدام هذه المعادلة حيث تكون الإجابة نعم أو لا صحيح أو خطأ أو بمعنى آخر حيث تكون الإجابة ثنائية .

ولكن فى حالتنا هذه ليست الإجابة ثنائية فهناك خمس نقاط على مقياس الاتجاه ولذلك نقترح ما يلى :

أن نعتبر الدرجة (٣) وهى التى تناظر غير متأكد تساوى صفرا .

ونعتبر أن الدرجة (١) أو (٢) إجابة صحيحة إذا كانت مع محتوى الاتجاه وخاطئة إذا كانت ضد محتوى الاتجاه .

ونعتبر أن الدرجة (٤) أو (٥) إجابة صحيحة إذا كانت مع الاتجاه وخاطئة إذا كانت ضده .

وبهذا لن نأخذ الصفر (الدرجة المحايدة) فى حسابنا بل سنضم ١ ، ٢ إلى بعضهما ليمثلا طرفا واحداً فى الإجابة ونضم ٤،٥ مع بعضهما ليمثلا الطرف الآخر ولكن لابد أن يكون واضحا أن الإجابة الصحيحة هى التى تتمشى مع الاتجاه والإجابة الخاطئة هى التى تكون ضد محتوى الاتجاه .

بهذا تكون أداة القياس معدة للاستخدام والتطبيق .

ونريد الآن أن نناقش العملية الثانية — بعد العملية الأولى وهى بناء المقياس — وهى تحليل نتائج هذا المقياس أو هذه الأداة .

والحقيقة أن تحليل نتائج الأداة مرتبطة بها لذلك سوف نناقش عملية التحليل مع كل طريقة من طرق قياس الاتجاهات التى سوف نعرض لها فيما يلى من فقرات .

● طرق قياس الاتجاهات :

سوف نستعرض فيما يلى بعض الطرق المعروفة فى قياس الاتجاهات مع الإشارة إلى كيفية تحليل نتائج كل طريقة فى شىء من الايجاز .

١ — طريقة الانتخاب :

تعتبر هذه الطريقة من أسهل الطرق وأبسطها فى قياس الاتجاهات حيث أن الأداة سهلة البناء ونتائج هذه الأداة سهلة التحليل .

وتتلخص هذه الطريقة فى إعداد استفتاء يشمل عدة موضوعات قد تمثل بعض المواقف الاجتماعية ويطلب من المفحوص أن يعين أحب الموضوعات إليه وأبغض هذه المواضيع إلى نفسه أيضاً .

وهذه الطريقة بما تمتاز به من سهولة تصلح لقياس الاتجاهات الجمعية أكثر من قدرتها على قياس الاتجاهات الفردية .

ومثال لهذه الطريقة :

ضع علامة ✓ أمام أحب الموضوعات إليك وعلامة × أمام أبغضها إليك :

١ — قراءة القصص البوليسية .
٢ — لعب كرة القدم .
٣ — التدخين .
٤ — مشاهدة التليفزيون .
٥ — الرسم بالألوان .
٦ — قراءة الكتب العلمية .
٧ — تربية الدواجن .
٨ — عزف الموسيقى .
٩ — لعب الشطرنج .
١٠ — كتابة قصائد الشعر .

بعد ذلك يقوم الباحث بحساب عدد الأصوات الموجبة التى حصل عليها كل موضوع وعدد الأصوات السالبة كذلك ومنها يمكن حساب درجة كل

موضوع من حيث التفضيل وذلك بأن تعطى الاختيار (✓) + ١ وتعطى الرفض (×) — ١ ويصبح المجموع الجبرى هو درجة الموضوع وفيما يلى مثال توضيحى :

نفرض أن الموضوعات العشرة عرضت على خمسة أفراد وكانت النتائج كما هى ملخصة فى الجدول التالى :

	الأفراد					الدرجة
الموضوع	١	٢	٣	٤	٥	
١	✓	×	×	✓	×	—١
٢	✓	×	×	✓	✓	+١
٣	✓	×	×	✓	×	—١
٤	×	×	✓	✓	✓	+١
٥	×	✓	✓	✓	✓	+٣
٦	✓	✓	✓	✓	✓	+٥
٧	×	✓	✓	×	×	—١
٨	✓	✓	✓	×	×	+١
٩	✓	×	✓	×	✓	+١
١٠	✓	×	✓	×	✓	+١

يتضح من هذا الجدول أن الموضوع السادس (قراءة الكتب العلمية) هو أحب الموضوعات إلى هذه الجماعة المكونة من الأفراد الخمسة ويليه فى ذلك الموضوع الخامس (الرسم بالألوان) وهكذا .

٢ — طريقة التصنيف :

وهذه طريقة سهلة أخرى لقياس الاتجاهات النفسية وخاصة بين الأطفال الذين لم يصل تفكيرهم بعد إلى درجة التجريد التى تساعدهم على إجابة استفتاء أو مقياس معقد .

وتعتمد هذه الطريقة على فكرة التنظيم السوسيومترى للجماعة حيث يمكن للفردعضو الجماعةأن يدرج تفضيله أو رفضه بالنسبة للآخرين أعضاء الجماعة.

ومثال لهذه الطريقة :

أكتب أسماء زملائك فى الفصل وفقا للتقسيم التالى :

١ — أصدقاؤك المقربون جدا هم : (أكتب الأسماء بالترتيب)

. . . . .

. . . . .

. . . . .

. . . . .

٢ — أصدقاؤك العاديون الذين تميل إلى الاختلاط بهم هم :

. . . . .

. . . . .

. . . . .

. . . . .

٣ — زملاؤك الذين لا تميل إلى الاختلاط بهم كثيرا هم :

. . . . .

. . . . .

. . . . .

. . . . .

٤ — زملاؤك الذين لا ترى مانعا من وجودهم معك فى الفصل هم :

. . . . .

. . . . .

. . . . .

. . . . .

٥ — زملاؤك الذين لا تميل إلى صحبتهم هم :

. . . . .

. . . . .

. . . . .

. . . .

٦ — زملاؤك الذين تكره صحبتهم هم :

. . . .

. . . .

. . . . .

. . . .

٧ — زملاؤك الذين تكره وجودهم معك فى الفصل هم :

. . . . .

. . . . .

. . . . .

. . . . .

ويمكن للباحث بعد ذلك أن يستنتج من تحليل نتائج هذا المقياس مدى التباعد النفسى الاجتماعى بين الفرد والمجموعة كما يوضحه الاتجاه النفسى للفرد ولتوضيح طريقة التحليل نلفت النظر إلى ما يلى :

— لاحظ أن الأسئلة مدرجة من حيث التباعد النفسى فالسؤال الأول وهو خاص بالصديق المقرب جدا والسؤال الأخير يخص الزميل الذى يكره وجوده فى الفصل .

— بهذا تصبح أقل مسافات التباعد هى (١) وأكبر مسافات التباعد هى (٧)

— بناء عليه تعطى الفرد الذى يظهر اسمه فى السؤال الأول الدرجة ١ لتدل على اقتراب كبير من الشخص الذى يستجيب لهذا الاختيار .

— وكذلك الفرد الذى يظهر اسمه فى السؤال السابع يعطى الدرجة ٧ لتدل على مسافة اجتماعية كبيرة .

لتوضيح الطريقة نأخذ المثال :

نفرض أن الطفل (ا) ظهر اسمه خمس مرات فى السؤال الأول ، وثمانية مرات فى السؤال الثانى ، ١٠ مرات فى السؤال الثالث ومرة واحدة فى السؤال السابع . فتكون الدرجة التى تدل على التباعد النفسى الاجتماعى لهذا الطفل (ا) كما يلى :

٥	×	١	=	٥
٨	×	٢	=	١٦
١٠	×	٣	=	٣٠
١	×	٧	=	٧
				٥٨

هذا إذا أخذنا فى اعتبارنا النهاية الصغرى والنهاية العظمى للتباعد النفسى الاجتماعى فى هذه الجماعة .

حيث تكون النهاية الصغرى هى عدد أفراد الجماعة ه × ١ (الوزن الرقمى الأول) .

وتكون النهاية العظمى هى عدد أفراد الجماعة ه × ٧ (الوزن الرقمى الأخير) .

٣ — طريقة الترتيب :

تعتمد فكرة هذه الطريقة على ترتيب موضوعات الاستفتاء أو المقياس حسب ميل الفرد وتفضيله لهذه الموضوعات .

ومثال لهذه الطريقة :

رتب الموضوعات التالية بالنسبة لدرجة ميلك نحوها بحيث يكون أولها من حيث الترتيب هو أحب المواضيع إليك وآخرها هو أبغضها بالنسبة لك :

الحساب — التاريخ — الجغرافيا — الجبر — الهندسة — الرسم .

ويمكن أن تصبح إجابة الفرد كما يلى :

الجغرافيا
التاريخ
الرسم
الجبر
الحساب
الهندسة

فيكون معنى ذلك أن الجغرافيا هى أفضل الموضوعات إلى هذا الفرد بينما الهندسة هى أبغض المواضيع إليه . هذا من ناحية الفرد ويمكن أيضا حساب موقع كل موضوع بالنسبة للجماعة ككل حيث نحسب متوسط الرتب التى حصل عليها كل موضوع ويصبح هذا المتوسط هو الرتبة النهائية للموضوع بالنسبة للجماعة .

٤ — طريقة المقارنة الزوجية :

وهذه صورة أخرى من صور الترتيب غير المستمر حيث يعرض على المفحوص عددا من الأزواج فى كل زوج موضوعين ويطلب منه أن يعين أيهما أفضل أو بمعنى آخر يرتب كل موضوعين فى كل زوج .

ومثال لهذه الطريقة :

ضع علامة ✓ أمام الموضوع الذى تفضله أكثر من الآخر فى كل ثنائية مما يلى :

(لنفرض أن الموضوعات هى : علم النفس المرضى وعلم النفس الصناعى والقياس النفسى علم النفس الاكلينيكى) .

١ — علم النفس المرضى	علم النفس الصناعى
٢ — علم النفس المرضى	القياس النفسى
٣ — علم النفس المرضى	علم النفس الا كلينيكى

٤ — علم النفس الصناعى	القياس النفسى
٥ — علم النفس الصناعى	علم النفس الا كلينيكى
٦ — القياس النفسى	علم النفس الا كلينيكى

وواضح من هذا أن عدد الموضوعات أربعة وبذلك يصبح عدد الثنائيات ستة وذلك استنتاجا من القانون التالى :

$$\text{عدد الأزواج} = \frac{ن(ن - ١)}{٢ \times ١}$$

حيث ن هو عدد الموضوعات ويستحسن ألا يزيد عن ١٢ موضوعاً . ويتم تحليل هذه الطريقة بحساب عدد الأصوات التى حصل عليها كل موضوع فى إجابة كل فرد وبناء عليه يتم ترتيب هذه الموضوعات بناء على الأفضلية .

٥ — طريقة التدريج :

وهذه هى أكثر الطرق انتشارا فى قياس الاتجاهات النفسية وتستخدم فى صورتين مختلفتين الأولى منهما استخدمها ثرستون والثانية استخدمها ليكرت

(ا) الأسلوب الأول :

وهى تلك التى استخدمها ثرستون ويوجاردس وتتلخص فى أن يقوم الباحث بإعداد مجموعة من العبارات بحيث تكون مندرجة من حيث المعنى بالنسبة لشدة الاتجاه المراد قياسه وتقديره ويستحسن أن نعرض هذه العبارات المتدرجة على مجموعة من الحكام المتخصصين لتقرير صحة هذا التدريج .

ومثال لهذا الأسلوب فى التدريج هو قياس مدى التباعد النفسى الاجتماعى بين الفرد ومجموعة من الغرباء فى المجتمع أو بمعنى آخر قياسى اتجاه الفرد فى مجموعة ما نحو جماعة عنصرية أخرى .

وعليه تكون العبارات كما يلى :

١ — أرغب فى الزواج من هؤلاء .
٢ — أرغب فى أن يكون لى صديقاً منهم .
٣ — أرغب فى العمل معهم .
٤ — لا مانع أن أسكن فى جوارهم .
٥ — لا مانع من أن أتعرف إلى أحدهم بصورة عابرة .
٦ — أرغب أن أسكن بعيداً عنهم حتى لا أراهم .
٧ — أرى أن نطردهم جميعاً من البلاد .

وهكذا نرى أن العبارات تتدرج من القرب الكامل إلى البعد الكامل بالنسبة لهؤلاء الغرباء . وسوف نطلب من المفحوص أن يضع علامة معينة أمام العبارة التى يوافق عليها أكثر من غيرها .

وبطبيعة الحال سوف تعطى كل عبارة وزناً خاصا بها على هذا التدريج ويؤخذ هذا الوزن عند حساب درجة الفرد على مقياس الاتجاه .

(ب) الأسلوب الثانى :

فى هذا الأسلوب يقوم الباحث بإعداد مجموعة من العبارات التى تتعلق بمحتوى الإتجاه المطلوب قياسه . بحيث تتوفر فيها الشروط السابق الإشارة إليها وأهمها أن تكون على درجة من الحدة والإثارة .

ويقوم الباحث بتدريج استجابة كل عبارة من هذه إلى العبارات من ثلاث إلى سبع وحدات إذ أنه لو زاد عدد الوحدات عن سبعة أصبح من المحتمل أن تكون استجابة المفحوص غير صحيحة وغير دقيقة وكذلك لو قلت الوحدات عن ثلاث . ويوصى ليكرت بأن أفضل عدد لوحدات الإستجابة هو خمسة .

ومثال لهذا الأسلوب ما يلى :

١ — يجب أن تترك الحرية كاملة للفتاة فى اختيار زوجها :

لا أوافق إطلاقا	غير موافق	لا أدرى	أوافق	أوافق تماما
١	٢	٣	٤	٥

٢ — إن المكان الطبيعى للمرأة هو المنزل :

لا أوافق إطلاقا	غير موافق	لا أدرى	أوافق	أوافق تماما
١	٢	٣	٤	٥

٣ — النساء أقل ذكاء من الرجال :

لا أوافق إطلاقا	غير موافق	لا أدرى	أوافق	أوافق تماما
١	٢	٣	٤	٥

٤ — يمكن للمرأة أن تتولى المناصب القيادية دون قيد أو شرط :

لا أوافق إطلاقا	غير موافق	لا أدرى	أوافق	أوافق تماما
١	٢	٣	٤	٥

وواضح أن كل عبارة مدرجة إلى خمس وحدات فإذا استجاب الفرد إلى أى من هذه الوحدات فإنه يعطى الدرجة المناظرة لها . وبذلك يمكن حساب درجة الفرد على مقياس الاتجاه بمجرد الجمع البسيط لدرجاته على عبارات هذا المقياس .

المراجع

1 — Barker, R G, and Wright, H.F, Midwest and its children, Evanston III, Row, Peterson & Co, 1945.

2 — Bogardus, E. S. "Measuring Social Distance", J. App. Social, 1925 b, 9.

3 — Bogardus E S, Immigration and Race Attitudes, Boston Heath, 1928

4 — Bogardus, E S, "Changes in Racial Distances," Int. opin. attitude Res., 1947, 1, No 4.

5 — Deutsch, M, and Collins, M, Interracial housing, Uni Minnesota, 1951.

6 — Dollard, J and others, Frustration and Aggression, N Haven 1939.

7 — Dudycha, G. "The attiudes of college students toward War and the Germans". J. Soc. Psychol., 1942, 15.

8 — Katz, D. and Braly, K, "Racial Stereotypes of 100 college Students", J. Abn. Soc. Psychol, 1933, 28.

9 — Kuo, Z Y, "The Genesis of the Cat's Response to the Rat", J. Comp. psychol. 1930, 11, 1—30.

10 — Kutner, B, and others, "Verbal attiudes and Govert Behaviour", J. Abn. Soc. psychol, 1952, 47.

11 — La Piere, R, "Attitudes US Actions", Soc. Forces, 13, 1934.

12 — Logan, R, The Negro in American Life and Thought, Nadir, N Y, 1954.

13 — Seago, D., "Stereotypes before Pearl Harbor and after", J. Psychol, 23, 1947.

14 — Simpson, G, and Yinger, J., Racial and Cultural Minorities, N.Y. Harper, 1958.

15 — Sinha, A., and Upadhyaya, O., "Stereotypes of male meand fale students ......", J. Soc. Psychol. 1960.

الفصل الثامن

• البناء السوسيومتري للجماعة وسلوك الإنسان

البناء السوسيومترى لأى جماعة من الجماعات هو عبارة عن البناء الاجتماعى لها من وجهة النظر الكمية . أى أنه فى حالة وصف البناء السوسيومترى لجماعة معينة لا نقتصر على الناحية الكيفية فقط بل لا بد أن نتعداها إلى الدرجة والكم والتقدير .

وواضح أن البناء الاجتماعى هو محصلة العلاقات الاجتماعية السائدة فى الجماعة حيث تتأثر هذه العلاقات بكل أبعاد العملية الاجتماعية بما فيها من تقاليد وعادات وقيم واتجاهات ومعايير .

وعندما نتكلم عن البناء السوسيومترى فإننا نقصد كل ما سبق ذكره من ناحية كمية محددة حيث يكون منهج القياس هو منهج وصف هـذا البناء ودراسته .

ودراسة هذا البناء من هذه الزاوية إنما تساعد الباحث على أشياء كثيرة . منها فهم حجم القوى والمؤثرات الإجتماعية التى تدخلت فى إعداد الفرد . لحياة الجماعة . فالفرد فى حياته اليومية يتعامل مع الآخرين على هيئة أفراد أو جماعات . ولأن يتعامل الفرد بنجاح وكفاءة مع الآخرين عليه أن يفهم جيداً أسلوب الأخذ والعطاء الذى يقره المجتمع ويعترف به ثم يفهم جيداً مدى كمية الأخذ ومدى كمية العطاء .

وعلى الفرد أيضاً أن يتعلم كذلك كيف يؤدى أكثر من دور اجتماعى واحد : كيف يقود جماعة وكيف يتبع قائداً وكيف يسلك كطالب فى معهد أو جامعة ثم كيف يسلك كعضو فى أسرة أو عامل فى مؤسسة . والناحية الكمية فى هذه القدرة هو أن يتعلم الفرد متى يسلك هذا السلوك أو ذاك والمدى

الذى يذهب إليه فى إظهاره لهذا السلوك . وعلى الفرد أيضاً أن يتقن استخدام مهاراته الإجتماعية بين أعضاء المجتمع الذى ينتمى إليه وكيف يعمق مفاهيمه ومدركاته عن أعضاء هذه الجماعة : فهذا صديق ولكن صديق إلى أى مدى ؟ . وهذا غير صديق . ولكن كم هو كذلك ؟ وتقوده هذه المهارات الاجتماعية أيضاً إلى دراسة وضع القيم والمعايير فى المجتمع . أى هذه القيم يأتى فى المرتبة الأولى . وأيها يليه . وأيها يأتى فى آخر القائمة . وأيها جمعى وأيها فردى . وهذا يساعد الفرد على أن يتكيف بنجاح للمجتمع الذى يعيش فيه .

وبطبيعة الحال لن يستطيع الفرد أن يتقن مثل هذه الأنماط السلوكية إلا عن طريق فهمه وتأثره بالعلاقات السوسيومترية السائدة فى الجماعة .

ودراسة البناء السوسيومترى للجماعة تساعد الباحث أيضاً على الفهم القوى والضغوط التى تسهم فى نمو شخصية الفرد .

فإن نوعية الجماعة وطبيعة الحياة فيها تؤثر إلى حد كبير على نمو شخصية الفرد وتنسيق سلوكه وتحديد مستويات معاييره وقيمه واتجاهاته . فالفرد لا ينمو فى فراغ ولكنه ينمو نمواً متكاملا أثناء تفاعله مع الآخرين وتأثره بنوع وكم العلاقات التى تحكم ديناميةهذه الجماعة وحركتها نحو إتمام الهدف الذى أقيمت من أجله . فهناك الكثير من أفراد الجماعة أصبحوا ذوى سلوك غير سوى نتيجة تفاعل بقية أفراد الجماعة معهم وضغطهم عليهم بصورة أو بأخرى . وربما كان فهم الباحث لطبيعة العلاقات السوسيومترية لجماعة ما يساعده على فهم هذه الاضطرابات السلوكية أيضاً بجانب فهمه لنمو الشخصية العادية فى تلك الجماعة .

ويعود استخدام كلمة «سوسيومترى» إلى رائد هذا النوع من الدراسات وهو مورينو حيث كان يرى أن هذه الكلمة إنما تدل على وسيلة لقياس

العلاقات الاجتماعية فى الجماعة وليس بالضرورة أن تكون فقط هى استخدام الاختبار السوسيومترى الذى ابتدعه مورينو فى ذلك الوقت. وقد أيده فى هذا القول الكثيرمن الباحثين ومنهم «باين» «وشابين» ولندبرج وساندرسون وغيرهم.

وكما سبق فإن مورينو يسمى إداة القياس التى تستخدم فى قياس العلاقات الاجتماعية اختباراً سوسيومتريا.

الاختبار السوسيومتري :

الاختبار السوسيومترى كما سوف نصفه فيما بعد هو الطريقة التى اقترحها مورينو والتى تستخدم حتى الآن لتقدير كم ونوعية العلاقات الاجتماعية السائدة فى جماعة من الجماعات . وهنا يجب أن نسوق توضيحاً هاماً لابد أن يأخذه الباحث فى حسابه وهو أن العلاقات الاجتماعية التى يقيسها هذا الاختبار هى العلاقات التى تنشأ وتتطور نتيجة التفاعل الحر المباشر فى الجماعات غير التقليدية ومعنى ذلك أننا سوف نستثنى من هذه الدراسات تلك العلاقات التى تنشأ فى الجماعات الرسمية مثل وحدات الجيش أوالبوليس أو علاقة المعلم بالتلاميذ بالفصل أو ما شابه ذلك .

.والاختبار السوسيومترى يوضح بناء الجماعة والتركيب الداخلى لأقسامها ووحداتها الداخلية ويوضح كذلك المكانات الاجتماعية المختلفة فيمكن اكتشاف القادة والمنعزلين والمنطوين على أنفسهم والأطراف المتنازعة أو المتنافسة من أجل سيادة الجماعة وقيادتها .

والاختبار السوسيومترى فى صورته البسيطة التى اقترحها مورينو يتألف من عدة أسئلة تطلب من المفحوص أن يحدد اختياره أو رفضه لبعض أعضاء الجماعة التى ينتمى إليها . ويكون كل سؤال من هذه الأسئلة ممثلا لموقف اجتماعى خاص . كما أن اختيارات الفرد أو رفضه لأعضاء الجماعة تكون على

هيئة ترتيب خاص يبدأ بالأفضل وينتهى بالأقل من ناحية التفضل أو يبدأ بأكثر الأعضاء رفضاً وينتهى بأقلهم رفضا .

وإذا كانت هذه هى الصورة البسيطة التى اقترحها مورينو منذ أكثر من ثلاثين عاما فإن الأمر لم يظل كذلك بل أسهم البحث العلمى فى نقد وتطوير هذه الطريقة ولذلك سوف نستعرض فى هذا المجال طريقتين هما .

أ - طريقة مورينو :

والحقيقة أن طريقة مورينو هذه رغم كونها تكنيكا علمياً لا أكثر إلا أنها كانت أساساً صالحاً لكثير من النظريات والدراسات النظرية فى ميدان العلوم السلوكية . ويضع مورينو عدة شروط للاختبار السوسيومترى يرى ضرورة وجودها مجتمعة حتى يفى بالغرض المطلوب وهذهالشروطهى:

١ — يجب أن يطمئن المفحوصون إلى سرية استجاباتهم سواء منناحية الاختيار أو الرفض وبذلك يجب أن يكون الباحث حريصاً كل الحرص على أن يطمئن المفحوصين بالصورة المناسبة إلى توافر هذا الشرط .

٢ — يجب أن يوضح الفاحص حدود الجماعة التى سوف يختار منها المفحوص . بمعنى أن يفهم الفرد جيداً من أين ستكون اختياراته أو رفضه. وعلى ذلك فإن الفاحص لا بد وأن يحدد فى السؤال السوسيومترى حدود الجماعة .

٣ — يجب تحديد الموقف الاجتماعى الذى يراد من المفحوص أن يختار أو يرفض على أساسه . فلا يكون السؤال عاماً أو شاملا بل يجب أن يكون دقيقاً خاصاً يصف الموقف الاجتماعى تماما .

٤ — يجب أن يكون الموقف الاجتماعى موقفا حقيقيا بمعنى أنه يكون ذا صلة حقيقية بحياة الجماعة مشتقا من طبيعة نشاطها . وهنا يتحتم على الباحث أن يراعى ذلك عند تصميم الاختبار السوستومترى فيختار من المواقف ما هو

متصل بالحياة اليومية لأفراد الجماعة وذلك يأتى عن طريقة دراسة هذه الجماعة والتعرف إليها .

وبذلك لا يكون الموقف افتراضيا بحيث يبدأ السؤال السوسيومترى بكلمة (لو) أو (إذا) الأمر الذى يعطى للمفحوص فرصة الشك فى جدية الموقف .

٥ — يجب أن يترك الاختيار حراً غير مقيد من ناحية العدد وكذلك الرفض . فيختار الفرد أى عدد يشاء ويرفض أى عدد يشاء كذلك من أعضاء الجماعة .

ولو أن ذلك يجعل مهمة الباحث صعبة عند تحليل نتائج الاختبار .

٦ — يجب أن يلاحظ أعضاء الجماعة أن هناك أهمية فعلية للاختبار السوسيومترى الذى يطبق عليهم ومن ثم وجب على الفاحص أن يأخذ فى اعتباره اختيارات ورفض الأعضاء عند إعادة تنظيم الجماعة أو عند القيام بأى نشاط يستدعى عملا جمعيا .

تلك هى شروط مورينو الستة التى يجب أن تتوفر فى أى اختبار سوسيومترى وهى شروط تبدو معقولة ومقبولة من جانب الباحثين .

— بناء الاختبار السوسيومترى :

هناك ثلاث عمليات رئيسية متتابعة من الناحية المنطقية لابد أن يمر بها الاختبار السوسيومترى قبل أن يصبح صالحا للتطبيق :

١ — اختيار الموقف الاجتماعى :

تلك هى الخطوة الأولى إذ أن الموقف الاجتماعى هو وحده الاختبار السوسيومترى . وهذا الموقف يختلف وخاصة من ناحية الدلالة من جماعة إلى أخرى وذلك حسب طبيعة ووظيفة كل جماعة . فالمواقف الاجتماعية فى جماعة المدرسة تختلف تماما عن نظيرتها فى جماعة المصنع أو المؤسسة .

ومن الشروط التى يجب توافرها فى الموقف الاجتماعى غير كونه حقيقيا غير افتراضى كما سبق وقلنا ذلك — من هذه الشروط أن يكون الموقف يحتمل الاختيار فعلا بحيث تكون للفرد فرصة فى التعبير عن اختباراته . فمثلا لا يصح أن نسأل الفرد إلى من يذهب عندما يكون مريضا . لأن الإجابة هنا لا تحتمل الاختيار فسوف يذهب إلى الطبيب وليس إلى مهندس أو معلم .

كما يشترط فى الموقف الاجتماعى أيضا خلوه من العوامل الضاغطة التى توجه اختيار الأفراد وجهة معينـــة ومثال ذلك وضع شرط خاص أو مواصفات خاصة للاختيار بحيث يتحتم على الفرد أن يتجه باختياره وجهة خاصة معينة . وبذلك لا تظهر العلاقات الحقيقية وهى المطلوب قياسها فعلا .

٢ — صياغة السؤال السوسيومترى :

إن صياغة السؤال فى أى اختبار كان لها أثر ولا شك على استجابة المفحوصين .

وفى مجال الاختبار السوسيومترى بالذات تبلغ صياغة السؤال ذروة الأهمية . إذ أن الإجابة فى هذه الحالة تتأثر كثيراً بصياغة السؤال .

وهناك عدة اقتراحات نسوقها بخصوص صياغة السؤال :

(ا) أن تكون ألفاظ السؤال واضحة سهلة مفهومة ومناسبة لمستوى العمر الزمنى للأفراد الذين يطبق عليهم الاختبار السوسيومترى .

(ب) أن تكون عبارات السؤال مأخوذة من واقع لغة الجماعة التى يجرى عليها الاختبار فلغة السؤال وعباراته فى حالة جماعة المدرسة غير نظيرتها فى حالة جماعة الجامعة غيرها أيضا فى حالة العمال أو الموظفين .

(ج) أن تكون صياغة السؤال دقيقة بسيطة ما أمكن بحيث يدل السؤال مباشرة على الموقف الاجتماعى دون لف أو دوران .

٣ - إعداد تعليمات الاختبار السوسيومترى :

التعليمات الشفهية أو التحريرية هى حجر الزاوية فى نجاح الاختبار كوسيلة قياس . وينبغى أن يتوفر فى هذه التعليمات الشفهية والتحريرية مايلى :

(ا) أن تكون التعليمات تفسيرية توضيحية فقط فلا يكون فيها إيحاء باختيار شخص ما أو رفض شخص ما .

(ب) أن تكون سهلة وبسيطة ومفهومة دون تعقيد .

(جـ) أن تكرر هذه التعليمات وخاصة ما يتصل منها بترتيب الاختيار قبل كل سؤال .

بذلك يكون الاختبار صالحا للاجراء .

- إجراء الاختبار السوسيومترى :

عند إتمام بناء الاختبار السوسيومترى يتم إجراؤه على الجماعة المعينة ولتكن على سبيل المثال جماعة التلاميذ فى فصل دراسى .

يبدأ المعلم بشرح الهدف من إجراء الاختبار السوسيومترى وليكن على سبيل المثال تكوين جماعات النشاط المدرسى مثل جماعة الرحلات أو جماعات الهوايات الأخرى المختلفة . ويوضح المعلم أن المدرسة سوف تأخذ بعين الاعتبار اختيارات الأطفال عند توزيعهم على جماعات النشاط هذه .

ثم يلى ذلك توزيع الاختبارات المطبوعة على الأطفال ويقرأ معهم التعليمات التحريرية التى تسبق الاختبار ثم قراءة كل سؤال بالتفصيل .

ثم يترك المعلم الفرصة للأطفال للإجابة على الأسئلة السوسيومترية مع ملاحظة أنه يجب على المعلم أن يوضح كل نقطة يستفسر عنها الأطفال أثناء الاختبار .

وفيما يلى نموذجا لاختبار سوسيومترى يستوفى شروط مورينو السابقة.

املأ هذه البيانات :

الاسم . . . . الفصل الدراسى . . . .

عنوان السكن . . . . التـاريخ . . . .

اقرأ ما يلى بدقة :

إليك بعض الأسئلة التى تخصك أنت وزملائك فى الفصل .

والمطلوب منك أن تـكتب اسم زميلك (فى الفصل) الذى تفضله أكثر من غيره فى المكان المخصص لذلك بعد كل سوال .

وإذا كنت تفضل أكثر من زميل واحد أكتب الأسماء بترتيب الأفضلية بمعنى أن الزميل الذى تفضله أكثر من غيره اكتب اسمه أولا ثم الذى تفضله بعده وهكذا .

(لاحظ أن تـكتب اسم زميلك الذى تختاره بالـكامل) .

١ — اكتب اسم زميلك من الفصل الذى تحب أن تشترك معه فى رحلة علمية :

(إذا كان العدد أكثر من واحد اكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

. . . .

٢ — اكتب اسم زميلك من الفصل الذى تحب أن تقضى معه أوقات فراغك .

(إذا كان العدد أكثر من واحد اكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

٣ — اكتب اسم زميلك من الفصل الذى تحب أن تدخر معه بعض نقودك .

(إذا كان العدد أكثر من واحد اكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

٤ — اكتب اسم زميلك من الفصل الذى تحب أن تدعوه إلى منزلك لزيارتك .

(إذا كان العدد أكثر من واحد اكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

٥ — اكتب اسم زميلك من الفصل الذى تحب أن تستذكر دروسك معه.

(إذا كان العدد أكثر من واحد اكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب)

. . . .

. . . .

ويلاحظ فى هذا النموذج أن التعليمات مكررة فى كل سؤال وهذا ضرورى حتى يتذكر الطفل دائماً الطريقة الصحيحة فى الإجابة على هذه الأسئلة .

وهناك شىء آخر يجب أن نشير إليه هنا وهو أنه أحياناً لا يريد الباحث أن يستخدم اختباراً سوسيومترياً متعدد الأسئلة مثل النموذج الذى أعطيناه ولكنه يريد فقط أن يحصل على استجابة المفحوصين بالنسبة لموقف اجتماعى واحد .

وهنا لابد من تعديل التعليمات الأساسية للاختبار ويكتفى بأن تكون التعليمات شفهية فقط بحيث يكتب الفرد البيانات المطلوبة منه على أحد

وجهى الورقة واختياراته على الوجه الآخر منها وذلك اقتصاداً فى الوقت والمجهود .

ب ـ طريقة جاردنر وتومسون :

وهذه طريقة سوسيومترية أخرى اقترحها جاردنر وتومسون فى١٩٥٦ حيث قدما لهذه الطريقة بتمهيد طويل ينتقدان طريقة مورينو وما ترتب عليها من نتائج وبحوث .

ومن هذه الانتقادات ما يمكن لنا أن نتفق مع الباحثين ومنها ما هو غير ذلك . يقول جاردنر وتومسون أن الدرجة السوسيومترية التى نحصل عليها من اختبار مورينو لا تكون موزعة توزيعاً اعتدالياً الأمر الذى سوف يقلل فرص استخدام الوسائل الإحصائية العادية فى معالجة مثـــل هذه الدرجات .

والحقيقة أنه لابد أن نتوقع أن يكون التوزيع كذلك حيث ترتفع الدرجة السوسيومترية عند البعض ثم تنخفض عند البعض الآخر وهكذا لابد أن يختلف التوزيع عن التوزيع الاعتدالى المثالى .

وواضح أيضاً أنه لا داعى لاستخدام الوسائل الإحصائية العادية التى يحرص عليها جاردنر وتومسون بل يمكن أن تستخدم وسائل إحصائية أخرى مناسبة تعرف باسم الإحصاء اللابارامترى وبذلك تفى بالغرض المطلوب منها.

ويرى الباحثان أيضاً أن من عيوب اختبار مورينو أن درجة ثبات نتائجه قليلة حيث استشهدا ببعض التجارب التى تراوحت فيها درجة ثبات النتائج بين ٠,٣٧ ، ٠,٩٣ . والحقيقة أن هذه هى طبيعة الاختبار السوسيومترى لأن إعادة الاختبار لا تعنى بالضرورة أن نحصل على نتائج مشابهة أو متقاربة لأن الجماعة ذات تركيب حركى متغير وشأن الاختبار السوسيومترى شأن

مقاييس الاتجاهات فى هذه الناحية حيث يمكن أن يغير الفرد اختياره من فترة إلى فترة أخرى .

ولكن ما تتفق فيه مع جاردنر وتومسون أن طريقة مورينو لا تصلح للجماعات الصغيرة حيث يكون الاختيار فى هذه الحالة متراكما ويؤدى تراكمه هذا إلى الشك فى صحته وصدقه .

ويلخص جاردنر وتومسون آراءهما بالنسبة لهذه الطريقة فيما يلى :

١ — لا بد أن يكون هناك إطار مرجعى يحدد الفرد اختياراته بالرجوع إليه . وهذا فى الحقيقة أمر صحيح لا يتوفر فى طريقة مورينو .

٢ — يجب أن يتعلق الإطار المرجعى هذا بحاجة نفسية للفرد لا يمكن إشباعها إلا فى موقف من مواقف التفاعل الاجتماعى . وبمعنى آخر يجب أن يكون موقف الاختيار أو الرفض محددا من الناحية النفسية بحيث تكون استجابة الفرد ذات دلالة فعلية .

٣ — يجب أن يكون مدى الاختيار محددا فى بدايته ونهايته بالنسبة لمجموعة أكبر من المجموعة التى ينتمى إليها الفرد بشرط أن تكون المجموعة الكبيرة تتشابه فى خصائصها مع المجموعة الصغيرة التى يختار منها الفرد .

٤ — يجب أن يختار كل عضو من أعضاء الجماعة الصغيرة أفراداً من الجماعة المرجعية (الكبيرة) لكى تحدد معاييره فى الاختيار قبل أن يبدأ بالاختيار الفعلى من جماعته الصغيرة .

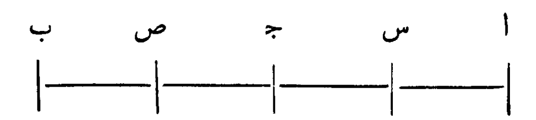
وللتلخيص فإن جاردنر وتومسون يعتقدان أن الطريقة المثلى لقياس سوسيومترية الجماعات الصغيرة هى استخدام جماعة مرجعية كبيرة لصناعة المقياس السوسيومترى الذى يتم على أساسه الاختيار فى الجماعات الصغيرة .

ويمكن إجراء طريقة جاردنر وتومسون كما يلى :

(ا) يعرض الباحث على المفحوص (غالباً ما يكون ذلك فى مقابلة

شخصية) رسما بيانيا يوضح المنحى الاعتدالى ويشرح له بالتبسيط معنى هذا المنحنى حيث يكون طرفا الظاهرة ممثلين عند نهايتى المنحنى ومتوسطها عند قمته .

(ب) يطلب منه مثلا أن يحدد اسم الشخص الذى يحب أن يختاره كرفيق فى رحلة علمية على أن يكون هذا الشخص من بين جميع الناس الذين قابلهم فى حياته سواء فى جماعته الصغيرة هذه أو فى أى جماعة أخرى على الإطلاق ويقوم بكتابة اسمه فى أقصى اليمين من خط مستقيم يمثل المقياس المفروض عمله وليكن (ا) . ثم يطلب الباحث من المفحوص أن يحدد اسم الشخص الذى لا يحب إطلاقا أن يصاحبه فى تلك الرحلة على أن يكون ذلك الشخص من بين أى جماعة قابلها فى حياته دون تمييز وليكن (ب) ويكتب اسمه عند أقصى اليسار من نفس الخط .



وعلى نفس المنوال يطلب الباحث من المفحوص تحديد اسم الفرد الذى يتوسط ا ، ب وليكن (ج) . ثم اسم الشخص الذى يأتى بين ا ، ج وليكن (س) وكذلك اسم الفرد الذى يأتى بين ج ، ب وليكن (ص) .

بهذا يعتقد جاردنر وتومسون أن المقياس السوسيومترى قد تم بناؤه فعلا وعلى ذلك يقوم الباحث بأن يطلب من المفحوص أن يضع أسماء جماعته الصغيرة فى الأمكنة المناسبة على هذا المقياس .

بهذا تكون الدرجات السوسيومترية المشتقة من طريقة جاردنر وتومسون أكثر دقة من تلك المشتقة من طريقة مورينو . وتمتاز طريقة

جارذنر وتومسون عن طريقة مورينو فى أنها مناسبة للإجراء بين الجماعات الصغيرة .

ولكن هناك ما يمنع هذه الطريقة من أن تكون مثالية :

(ا) أنها تعتمد على أسلوب المقابلة الشخصية وهذا فيه من الجهد والمشقة على الباحث ما تفاداه مورينو فى طريقته السهلة التى يمكن أن تطبق وتجرى بصورة جماعية .

(ب) أن تعليمات هذه الطريقة معقدة وصعبة على المفحوص العادى وليس من المفروض أن يكون على درجة من الخبرة تمكنه من فهم المنحنى الاعتيادى .

(ج) حقيقة أن الدرجات المشتقة من هذه الطريقة دقيقة ولكنها تحتاج إلى جهد رياضى خاص قد لا يكون فى متناول الباحث العادى .

وعلى ذلك قام المؤلف بتعديل هذه الطريقة تعديلا يبسطها بعض الشيء ويبتعد بها عن التعقيدات التى كانت تؤخذ عليها عند مقارنتها بطريقة مورينو.

الطريقة المعدلة :

يتلخص التعديل الذى قام به المؤلف سنة ١٩٦٤ فيما يلى :

١ — استغنى نهائياً عن موضوع المقابلة الشخصية والمنحنى الاعتيادى عند الإجراء وبذلك أمكن إجراء هذه الطريقة بصورة جماعية دون جهد يذكر .

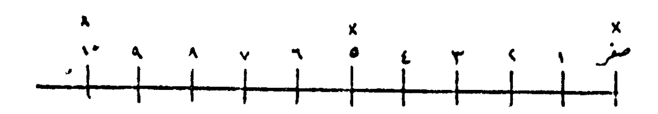
٢ — بناء على ذلك تعدلت التعليمات فأصبح الاختبار السوسيومترى كما يلى :

(نموذج من اختبار سوسيومترى أجرى بهذه الطريقة فى أحد معسكرات العمل) .

« سوف نقوم غداً بغرس عدد من الشجيرات فى الجهة الغربية وسوف يتعاون كل اثنين أو ثلاثة معاً كل من مجموعة صغيرة . والمطلوب منك أن تعطى اختيارك مع اتباع ما يلى :

أمامك خط مقسم من صفر إلى ١٠ وعليك أن تتذكر اسم الشخص الذى قابلته فى حياتك كلها سواء داخل هذا المعسكر أوخارجه والذى لاتحب أن تتعاون معه إطلاقا واكتب اسمه عند (صفر) ثم تذكر اسم الشخص الذى قابلته فى حياتك كلهاوتحب أن تتعاون معه جدا واكتب اسمه عند (١٠) وبنفس الطريقة اكتب اسم الشخص الذى يتوسط هذين الفردين عند الرقم (٥) .

بعد ذلك اكتب اختياراتك من جماعتك الصغيرة فى المكان المناسب على نفس هذا المقياس .



وقد حسب المؤلف الدرجة السوسيومترية لكل فرد على أساس أخذ الرتبة المتوسطة الذى حصل عليهاكل فرد ثم تحويلها إلى نسبة مئوية معيارية ثم درجة على مقياس عشرى .

تحليل نتائج الاختبار السوسيومتري :

قبل أن نبدأ فى مناقشة تحليل نتائج الاختبار السوسيومترى علينا أن نضع أمام القارىء قضيتين تؤرقان كل مقياس فى ميدان العلوم السلوكية :

أولهما: قضية صدق الاختبار السوسيومترى ، وهى المشكلة الأولى التى يجب أن نسأل بناء عليها هل حقيقة يقيس السؤال السوسيومترى ما هو مفروض أن يقيسه ؟ أم أن الأمر لا يخرج عن كونه اختياراً لفظياً فقط ؟

وفى هذا يجب على الباحث أن يأخذ ذلك فى حسابه لأن الدراسات فى ميدان تعيين صحة الاختبار السوسيومترى قليلة جداً ويبدو أن الاهتمام غير كاف بذلك لأن هناك مخرج آخر هو الاهتمام بالاختبار كوسيلة دراسية بيانية أكثر منها وسيلة للقياس .

وثانيهما : قضية ثبات نتائج المقياس السوسيومترى ، وهى المشكلة الثانية التى يمكن أن يكون لها أثر فى بناء المقياس السوسيومترى . فطريقة إعادة الاختبار لا تفى بغرض تعيين ثبات نتائج المقياس السوسيومترى سواء كان اختبار مورينو أم غيره . ذلك لأن اختيارات الجماعة تتغير من حين إلى حين دون سابق مقدمات ولهذا فإن الطريقة المعقولة لحساب ثبات هى طريقة التناسق الداخلى وذلك عن طريق حساب الارتباط بين الأسئلة السوسيومترية .

ونعود الآن إلى أساليب تحليل نتائج الاختبار السوسيومترى .

١ — حساب الدرجة السوسيومترية :

تحسب الدرجة السوسيومترية للفرد عن طريق معرفة عدد الاختيارات التى حصل عليها ونوع هذه الاختيارات .

فلو كان هناك على سبيل المثال سؤال سوسيومترى واحد فإننا نرصد الاختيارات التى حصل عليها كل الفرد فى جدول يضم أسماء أعضاء المجموعة ويسجل أمام كل الفرد الدرجة المناظرة لكل اختيار .

فإذا كان أقصى عدد الاختيارات فى هذا السؤال هو خمسة مثلا فيكون :

الاختيار الأول : ٥ درجات
« الثانى : ٤ درجات
« الثالث : ٣ درجات
« الرابع : ٢ درجتان
« الخامس : ١ درجة واحدة

وبذلك تحسب الدرجة على هذا النحو :

عضو الجماعة	درجات الاختيار	الدرجة السوسيومترية
١ —	١+٣+٤+٥+٥	١٨
٢ —	١+٥+٤	١٠
٣ —	١+١+٢+٢	٦
٤ —	٣+١+١+١	٦
٥ —	٢+٢+٢	٦

يتضح من هذا الجدول أن الفرد الأول حصل على اختيارين من الدرجة الأولى واختيار واحد من الدرجة الثانية وآخر من الدرجة الثالثة واختيار من الدرجة الخامسة فيكون مجموع هذه الاختيارات هو ١٨ وهى الدرجة السوسيومترية للفرد الأول فى هذا السؤال . ونأخذ الفرد الرابع على سبيل المثال أيضا فنجد أنه حصل على ثلاثة اختيارات من الدرجة الخامسة واختيار واحد من الدرجة الثالثة فيكون المجموع ٦ وهى الدرجة السوسيومترية لهذا الفرد فى نفس السؤال .

ولكن إذا فرضنا — وهذا غالباً ما نقابله فى التطبيق العملى . أن الاختبار السوسيومترى يتكون من عدة أسئلة سوسيومترية فكيف إذن تحسب الدرجة السوسيومترية النهائية للفرد ؟ يمكن ذلك باتباع الخطوات التالية :

(أ) تحسب الدرجة السوسيومترية للفرد فى كل سؤال سوسيومترى على حدة بالطريقة التى سبق شرحها . ولنفرض أنها كانت ١٨ فى الأول ٢٠ فى الثانى ٢٥ فى الثالث ٢٠ فى الرابع .

(ب) تصبح الدرجة السوسيومترية النهائية للفرد فى هذا الاختبار هى متوسط هذه الدرجات الأربعة أى :

$$\frac{١٨+٢٠+٢٥+٢٠}{٤} = \frac{٨٣}{٤} = ٢٠,٧٥$$

هذا بخصوص حساب الدرجة السوسيرمترية من اختبار مورينو . أما حسابها من الطريقة المعدلة (جاردنر وتومسون) فيتم ذلك كما يلى :

(ا) يرتب الأفراد فى كل سؤال حسب درجاتهم المناظرة على المقياس الذى هو عبارة عن خط مقسم من صفر إلى عشرة ولكن لا يكون هذا الترتيب مطلقا بحيث نقول مثلا أن الفرد (ا) هو الأول والفرد (ب) هو الثانى . ولكن تعتبر الدرجة هى الرتبة كما يتضح فى المثال التالى :

الفرد	الرتبة (لاحظ أن الرتبة الكبيرة تدل على الاختيار والصغيرة تدل على الرفض)
ا	٩
ب	٨
حـ	٧
ء	٦
هـ	٤
و	٣
ز	١

ثم تحول هذه (الرتب) أو الدرجات إلى نسبة مئوية معيارية باستخدام القانون التالى :

$$\text{النسبة المئوية المعيارية} = \frac{ر - \frac{1}{2}}{ن} \times ١٠٠$$

حيث ر هى الرتبة ، ن عدد أعضاء الجماعة (بما فيهم الثلاثة المفترضين من خارج الجماعة الصغيرة) .

وباستخدام هذا القانون نحصل على النسبة المئوية المعيارية لكل فرد ثم نحولها إلى درجة على مقياس عشرى باستخدام جداول هل (١٩٢٨) .

الفرد	الرتبة	النسبة المئوية المعيارية	الدرجة على مقياس عشرى
ا	٩	٨٥	٧,٠٠
ب	٨	٧٥	٦,٣
حـ	٧	٦٥	٥,٨
ء	٦	٥٥	٥,٣
هـ	٤	٣٥	٤,٣
و	٣	٢٥	٣,٧
ز	١	٥	١,٨

وهذه الدرجة الأخيرة هى الدرجة السوسيومترية للفرد فى هذا السؤال السوسيومترى الواحد . وإذا أردنا أن نحسب الدرجة السوسيومترية للفرد فى اختبار يضم أكثر من سؤال واحد فإننا نحسب متوسط هذه الدرجات كما فى الحالة السابقة .

٢ — إعداد الاحصائية السوسيومترية العامة :

يقترح المؤلف إعداد إحصائية عامة لتوضيح الشكل السوسيومترى العام للجماعة بحيث يمكن الكشف عن توزيع كمية الاختيارات على أعضاء الجماعة والخواص السوسيومترية للجماعات الفرعية مثل جماعات الجنس أو العمر الزمنى وهكذا .

ويجب اعداد إحصائية سوسيومترية لكل سؤال سوسيومترى على حدة ويحتفظ بها الباحث من أجل مقارنتها بمثيلتها فى بحث قادم على نفس الجماعة حيث أن مثل هـــذه الإحصائية توضح التغير الذى يحدث فى المجال السوسيومترى للجماعة ومصادر هذا التغير بصورة مبدئية كما أنها تعين أيضا على اكتشاف فروض لم يكن الباحث قد أخذها فى حسابه .

٣ — رسم السوسيوجرام :

لقد ابتدع مورينو وتلاميذه هذه الطريقة لتمثيل نتائج الاختبار السوسيومترى بصورة سهلة ومعبرة إذ عن طريقها يمكن رؤية خطوط العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة بسهولة وبساطة . ولكن فى مستوى واحد فقط من الاختيار أى الأول أو الثانى وهكذا .

ويرمز مورينو إلى عضو الجماعة بدائرة يوضع بداخلها الرقم الذى يدل على عضو الجماعة ويخرج من هذه الدائرة سهم يتجه إلى الفرد الآخر الذى يختاره الفرد الأول . وعن طريق السوسيوجرام هذا يمكن الكشف عن عدة أنواع من الروابط السوسيومترية وهى :

١ — علاقة مزدوجة :

وهى رابطة الاختيار المتبادلة بين فردين من أفراد المجموعة ويمثل كما يلى :

(١) ⇄ (٢)

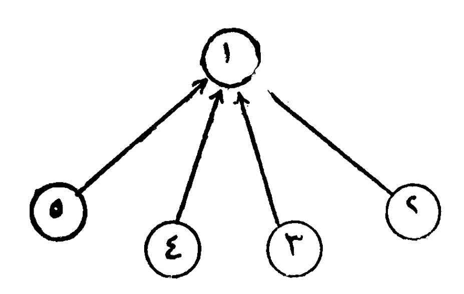
وهناك عدة أنواع من الرابطة المزدوجة هى :

(ا) اختيار — اختيار
(ب) رفض — رفض
(ح) اختيار — رفض
(ى) اختيار — تجاهل
(ه) تجاهل — تجاهل
(و) تجاهل — رفض

وتدل الروابط المزدوجة وخاصة روابط الاختيار على ضعف التماسك الداخلى للجماعة .

٢ — علاقات مركزية :

وهذه تتمثل فى العلاقات المتجهة نحو فرد واحد من أفراد الجماعة وتمثل كما يلى :



وتشير هذه العلاقة إلى زعامة الفرد رقم (١)

٣ — علاقة متتابعة :

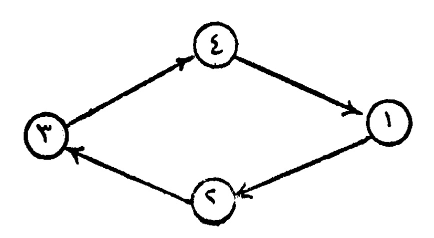
وهذه عبارة عن تتابع العلاقة بين مجموعة من الأفراد مثل :

(١) ← (٢) ← (٣) ← (٤) وهكذا

ويدل هذا النوع من العلاقات على مسار التفاعل بين أعضاء الجماعة بصورة أنضج من العلاقات المزدوجة أو المركزية .

٤ — علاقة دائرية مقفلة :

وهذه تبدو فى العلاقة المقفلة بين مجموعة فرعية — من الجماعة الأصلية مثـــل :



وهذه لها نفس خصائص الرابطة المزدوجة من حيث الدلالة على ضعف التماسك الداخلي للجماعة الأصلية .

٤ — المصفوفة السوسيومترية :

لقد كان فورسيت وكاتز أول من فكر في تمثيل العلاقة السوسيومترية في جماعة ما باستخدام جدول ن × ن وهو ما يسمى بالمصفوفة . وسوف نناقش هنا نوعين فقط من نوعين من المصفوفات السوسيومترية أولهما مصفوفة جننجز والثانية المصفوفة ذات المحك . وهي التي اقترحها المؤلف في بحث سابق .

(أ) مصفوفة جننجز :

مصفوفة جننجز هي جدول بياني سهل يمكن عن طريقة رؤية العلاقات والاختيارات السوسيومترية من جميع الطبقات والمستويات كما يمكن عن طريق هذا الجدول أيضاً حساب الدرجة السوسيومترية للفرد في السؤال السوسيومتري الذي تمثله هذه المصفوفة .

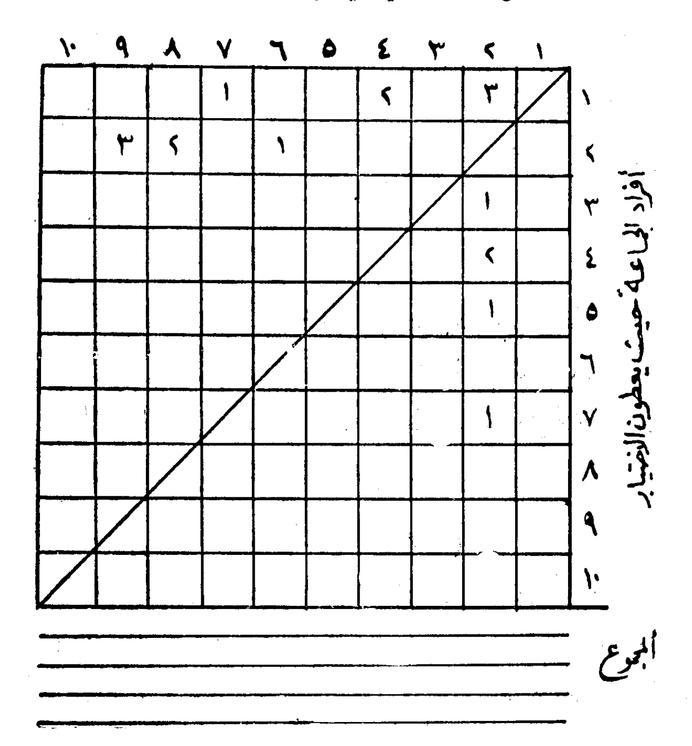
ويمكن تمثيل المصفوفة كما في (ص ٥٨٨) .

في هذه المصفوفة نلاحظ أن الخلايا القطرية مقفلة أي أن الفرد لا يختار نفسه ونلاحظ أن في المربع المحصور بين الفرد رقم ١ والفرد ٢ نجد الرقم ٣ ليدل على أن الفرد رقم ١ اختار الفرد رقم ٢ في المستوى الثالث ، واختار الفرد رقم ٤ في المستوى الثاني واختار الفرد رقم ٧ في المستوى الأول .

وهكذا بالنسبة لبقية أفراد الجماعة حيث يمكن حساب عدد الاختيارات من كل نوع حصل عليهـــا كل فرد من أفراد الجماعة ويتم ذلك بمراجعة الأعمدة الرأسية فمثلا الفرد رقم ٢ في أعلى المصفوفة قد حصل على اختيار في المستوى الثالث . وثلاثة اختيارات من المستوى الأول .

واختيار من المستوى الثانى . وبذلك يمكن تحويل هذه الاختيارات إلى درجات بنفس الطريقة التى سبق شرحها فى حساب الدرجات السوسيومترية .

أفراد الجماعة حيث يتلقون الاختبار



(ب) المصفوفة السوسيومترية ذات المحك :

هذه مصفوفة اقترحها المؤلف فى بحث سابق وقام باستخدامها بعد ذلك فى عدد من البحوث المنشورة وغير المنشورة وقد ساعدت إلى حد كبير فى فهم محددات الاختيارات السوسيومترية بجانب اتجاه الاختيارات والبناء الداخلى للجماعة وبذلك فإن هذه المصفوفة تمتاز عن المصفوفات

السوسيومترية الأخرى . وجميعها تقريباً تتشابه إلى حد ما مع مصفوفة جننجز بما يلى :

(ا) أنها توضح المحددات النفسية والشخصية للاختيار السوسيومترى بجانب توضيحها للبناء الداخلى للجماعة ممثلا فى العلاقات السوسيومترية فى موقف معين .

(ب) إذا كان السوسيوجرام — وهذا محتمل — يمكن أن يغنى عن المصفوفات السوسيومترية فإنه لا يستطيع أن يحل محل هذه المصفوفة بالذات .

وأساس تسمية هذه المصفوفة بالمصفوفة ذات المحك **Criterion Sociomatrix** أن هذه المصفوفة تعتمد أساساً على ترتيب أعضاء الجماعة على قمة المصفوفة وعلى حافتها اليمنى بناء على محك معين قد يكون درجات فى اختبار للذكاء أو أى سمة شخصية مثل الثبات الانفعالى أو التسلط والسيطرة مثلا .

ثم تقسم المصفوفة إلى أربع مساحات بواسطة خطين متعامدين يقع كل منهما مباشرة بعد عضو الجماعة الحاصل على الدرجة المتوسطة فى هذا المحك . والهدف من ذلك تقسيم الجماعة إلى فئتين . فئة ما فوق المتوسط وفئة ما تحت المتوسط .

ولنأخذ المثال التالى كتوضيح لاستخدام هذه المصفوفة .

لنفرض أن مجموعة ما من الأفراد عددها مائة فرد أعطيت سؤالا سوسيومتريا ليوضح اختيارات الجماعة فى مثل هذا الموقف . والمطلوب هو معرفة المحدد السيكلوجى لاتجاهات الاختيارات السوسيومترية ولنفرض أننا نريد أن نبحث فى علاقة الذكاء مثلا بالاختيارات السوسيومترية وبذلك نجرى اختبارا فى الذكاء على نفس المجموعة .

بعد ذلك يرتب أعضاء الجماعة ترتيباً تصاعدياً حسب درجاتهم فى الذكاء

بمعنى أنه يكون الفرد رقم (١) هو أقل الأفراد ذكاء والفرد رقم (١٠٠) هو أعلى الأفراد ذكاء .

ثم يرسم بعد ذلك جدول ﻫ × ﻫ أو مصفوفة على أساس أن يرتب الأفراد على هذا النمط من ١ — ١٠٠ على القمة العليا للمصفوفة وكذلك الجانب الأيمن لها .

ويعين الفرد المتوسط (الحاصل على الدرجة المتوسطة) فى الذكاء ثم يقسم الجدول إلى أربعة أقسام عن طريق خطين متعامدين

المتوسط

	١ — تحت — ٦٠	٦٠ — فوق — ١٠٠
تحت	(٤٠) ا	(١٥) ب
المتوسط ٦٠		
فوق	(١٠) حـ	(٢٥) د
١٠٠		

وهنا يتضح ما يأتى :

١ — الفرد المتوسط هو الفرد رقم (٦٠) وعلى ذلك وضع الخطان العموديان بعد الفرد ٦٠ .

٢ — هناك أربعة مساحات هى :

المساحة (ا) حيث يختار الأفراد تحت المتوسط فيما بينهم .

« (ب) حيث يختار الأفراد تحت المتوسط من الأفراد فوق المتوسط .

المساحة (ج) حيث يختار الأفراد فوق المتوسط من الأفراد تحت المتوسط .

» (د) حيث يختار الأفراد فوق المتوسط فيما بينهم .

وعند تحليل نتائج هذه المصفوفة يمكن الاستفادة من الإحصاء كا^2 فى ذلك مع اعتبار أن الجماعة كلها مكونة من مجموعتين هما، مجموعة تحت المتوسط ن_1 ومجموعة فوق المتوسط ن_2 حيث المجموعة كلها تساوى ن .

نبدأ هذا التحليل بحساب عدد الاختيارات المتوقعة فى كل مساحة . وذلك كما يلى :

عدد الاختيارات المتوقعة فى المساحة (ا) $= \frac{\text{ن}_1^2}{\text{ن}}$

$= \frac{٦٠ \times ٦٠}{١٠٠} =$ ٣٦ اختيار

فى حين أن عدد الاختيارات الملاحظـــة فعلا فى هذه المساحة هو ٤٠ اختياراً .

عدد الاختيارات المتوقعة فى المساحة ب $= \frac{\text{ن}_1 \times \text{ن}_2}{\text{ن}}$

$= \frac{٦٠ \times ٤٠}{١٠٠} =$ ٢٤ اختبار

فى حين أن عدد الاختيارات الملاحظة فعلا فى هذه المساحة هو ١٥ .

ومعنى هذه الأرقام أننا لاحظنا أن اختيارات فئة ما تحت المتوسط وعدد هذه الفئة ٦٠ قد توزعت بحيث أعطت ٤٠ اختياراً فيما بينهم وأعطت ١٥ اختياراً لفئة ما فوق المتوسط . فى حين امتنع ٥ أفراد عن الاختيار .

وقد كان من المتوقع أن تتوزع اختيارات هذه الفئة بحيث تعطى نفسها

٣٦ اختياراً وتعطى للفئة الأخرى ٢٤ اختيارا ذلك لو لم تكن هناك علاقة من أى نوع بين الذكاء فى هذه الفئة وبين اختياراتها الاجتماعية (الفرض الصفرى) .

وعليه فإننا نحسب كا٢ كما يلى :

$$كا^{٢} = \frac{(٤٠-٣٦)^{٢}}{٣٦} + \frac{(٢٤-١٥)^{٢}}{٢٤} = ٣,٨١$$

وهى تكاد تقترب من مستوى ٠,٥ من الوضوح الاحصائى .

وهنا تصبح النتيجة غير مؤكدة هل هناك علاقة بين الذكاء والاختيارات السوسيومترية لفئة ما تحت المتوسط أم لا .

بعد ذلك نحسب كا٢ بالنسبة لجماعة ما فوق المتوسط كما يلى :

١ – نحسب الاختيارات المتوقعة فى المساحة حـ $= \frac{ن_{٢} \times ن_{١}}{ن}$

$$= \frac{٤٠ \times ٦٠}{١٠٠} = ٢٤$$

فى حين أن الاختيارات الملاحظة هى ١٠ .

٢ – نحسب الاختيارات المتوقعة فى المساحة ء $= \frac{ن_{٢}^{٢}}{ن}$

$$= \frac{٤٠ \times ٤٠}{١٠٠} = ١٦$$

فى حين أن الملاحظ هو ٢٥ .

$\therefore$ $كا^{٢} = \frac{(٢٤-١٠)^{٢}}{٢٤} + \frac{(١٦-٢٥)^{٢}}{١٦} = ١٣,٢٣$ وهى واضحة إحصائيا عند ٠,١ .

وبذلك يصبح الأمر واضحاً فى هذه الحالة أى هناك علاقة أكيدة بين

الاختيارات الاجتماعية لفئة ما فوق المتوسط وبين مستوى الذكاء فيها بمعنى أن الأعلى ذكاء يميل إلى اختيار الأعلى ذكاء .

وهكذا يمكن الكشف عن علاقة السمات الشخصية مثل السيطرة أو الثبات الانفعالى أو غير ذلك باتجاهات الاختيارات السوسيومترية للأفراد عن طريق استخدام هذه المصفوفة .

٥ — المعاملات السوسيومترية :

يمكن تحليل نتائج الاختبار السوسيومترى باستخدام عدد من المعاملات التى لها فائدة تطبيقية لا بأس بها إذ يمكن أن يستفيد بها الباحث فى مواقف كثيرة من المواقف الاجتماعية التى تمر بها الجماعة . ونستعرض بعض هذه المعاملات فيما يلى :

(ا) معامل التأثير :

إن ما نقصده بمعامل التأثير هو قدرة الفرد على اجتذاب اختيارات الجماعة والتأثير عليها وذلك من الناحية السوسيومترية .

وعندما نحاول أن نرسم السوسيوجرام لأى جماعة من الجماعات فى موقف من مواقف الاختيار فسوف نجد أن بعض الأفراد يصبحون بؤرة اختيار لزملائهم بقية أفراد الجماعة ويحصلون على اختيارات أكثر من أى فرد آخر فى الجماعة . فإذا تعددت الجماعات أصبح من المطلوب أن نقارن قوة كل زعيم سوسيومترى بالزعيم الآخر لنحسب مدى تأثير كل منهم فى جماعته .

$$\text{ومعامل التأثير} = \frac{\text{ه}'}{\text{ه} - ١}$$

حيث ه َ هى عدد الاختيارات التى حصل عليها الفرد .

ه عدد أفراد الجماعة .

وتتراوح قيمه هذا المعامل بين الصفر والوحدة حيث إذا لم يحصل الفرد على اختيار واحد فإن معامل تأثيره فى الجماعة $= \frac{\text{صفر}}{\text{ن} - 1} =$ صفر .

ولكن إذا حصل الفرد على جميع اختبارات الجماعة على الإطلاق فإن $\text{ن}' = \text{ن} - 1$

أى معامل تأثيره يصبح $\frac{\text{ن} - 1}{\text{ن} - 1} = 1$

ويستخدم هذا المعامل فى الجماعات الصغيرة عندما يريد الباحث إدماجها معاً وذلك لمعرفة قوة كل زعامة من الزعامات المحلية فى جماعتها وعليه يمكنه أن يقرر أو يتنبأ بصورة مبدئية بالزعامة الكلية للمجموعات التى دمجت فى بعضها البعض .

(ب) معامل التفاعل النفسى الاجتماعى :

إذا كان المعامل السابق (معامل التأثير) يقارن بين الأفراد . فإن هذا المعامل . معامل التفاعل النفسى الاجتماعى يقارن بين الجماعات . وذلك من ناحية نشاط العلاقات السوسيومترية فى هذه الجماعة أو تلك .

وبذلك فإن هذا المعامل يصبح مقياسا للنشاط والنمو الاجتماعى داخل الجماعة الواحدة من وقت إلى آخر . ويمكن للمعلم فى المدرسة أو الأخصائى النفسى أو الاجتماعى الذى يعمل مع الجماعات باستخدام هذا المعامل من أجل معرفة نمو الجماعة وتقدمها كجماعة اجتماعية .

ومعامل التفاعل النفسى الإجتماعى $= \frac{\text{مجـ ع}}{\text{ن}(\text{ن} - 1)}$

حيث مجـ ع هو مجموع العلاقات داخل الجماعة من جميع مستويات الاختيار .

ن عدد أفراد الجماعة .

والواقع أن ن (ن - ١) هذه تساوى النهاية العظمى للاختيارات التى يمكن أن تحصل عليها الفرد فى جماعة عددها ن أفراد

(ج) معامل ثبوت الجماعة :

على الرغم من أن الجماعة تنظيم غير مغلق أى أنه يمكن لفرد أن يخرج منه كما يمكن لفرد آخر أن يدخل إليه فإن الجماعة تتميز بخاصة الاستقرار النسبي .

ومعامل ثبوت الجماعة يدل على مدى مقاومة الجماعة لعوامل التغير وكلما ارتفع معامل الثبوت كلما دل ذلك على قوة الجماعة .

$$\text{ومعامل الثبوت} = \frac{٢\,\text{ى}}{\text{ن} + \text{ب}}$$

حيث ى عدد الأفراد الذين قاوموا التغيير .

ن عدد أفراد الجماعة قبل التغيير .

ب عدد أفراد الجماعة بعد التغيير .

ونعطى فى هذا المجال مثالا لتوضيح استخدام هذا القانون :

نفرض أن جماعة هواة الرسم تكونت وعددها ١٨ تلميذا

خرج من عضويتها	٦ تلاميذ
وأصبح الباقى	١٢ تلميذا وهم الذين قاوموا التغيير
ثم انضم للجماعة	١٠ تلاميذ
وأصبح العدد بعد التغيير	٢٢ تلميذا

$$\text{وعليه يصبح معامل ثبوت جماعة هواة الرسم} = \frac{٢ \times ١٢}{١٨ + ٢٢} = ٠{,}٦$$

ويصلح هذا المعامل لمقارنة المجموعات من ناحية الثبوت والاستقرار .

(ى) معامل التماسك الداخلى للجماعة :

يبحث هذا المعامل فى تماسك الجماعة عندما تكون تحت تأثير جماعة أخرى فنحن نعلم أن هناك دائما جماعة داخلية ينتمى إليها الفرد وجماعة أخرى خارجية تؤثر عليه وتجتذب انتباهه واختياره فى معظم الأحيان . فإذا طبق اختبار سوسيومترى على مثل هاتين المجموعتين (ولتكن فصلين مدرسيين) فإننا نلاحظ أن هناك اختبارات تخرج من كل مجموعة إلى أخرى بينما تبقى بعض الاختيارات فى داخل الجماعة .

$$\text{ومعامل تماسك الجماعة} = \frac{\text{م} (\text{ى} + \text{ل})}{\text{ﻫ ه}}$$

حيث م هو عدد أفراد الجماعة الخارجية الذين يستقبلون الاختيارات الآتية من داخل الجماعة الداخلية .

ى عدد العلاقات الداخلية .

ه عدد العلاقات التى تخرج من الجماعة الداخلية متجهة إلى الجماعة الخارجية .

ل عدد العلاقات التى تدخل إلى الجماعة الداخلية آتية من الجماعة الخارجية .

ﻫ عدد أفراد الجماعة الداخلية .

وسوف نضرب هنا مثالا لتوضيح استخدام هذا المعامل .

جماعة مكونة من ٣٠ فرد ، عدد العلاقات الداخلية بها ٣٠ ، وعدد العلاقات المتجهة إلى الخارج ٤٥ ، عدد العلاقات الآتية إليها من الخارج ٢٠

وعدد الأفراد الذين يستأثرون بالاختيارات الخارجة من هذه الجماعة = ٢٥ .

فيصبح معامل التماسك الداخلى لهذه الجماعة = $\frac{٢٥ (٣٠ + ٢٠)}{٣٠ \times ٤٥}$ = ٩,

وهو معامل ضعيف لأنه يقل عن الواحد الصحيح .

(هـ) معامل جاذبية الجماعة :

يقترح المؤلف هذا المعامل من أجل قياس جاذبية الجماعة السوسيومترية سواء لأعضائها أو لأعضاء أى جماعة خارجية . وتعتمد فكرة هذا المعامل على نسبة الاهتمام ونسبة التأثير للجماعة .

ونسبة الاهتمام = $\frac{\text{عدد الاختيارات داخل الجماعة}}{\text{العدد الكلى للاختيارات المفروض أن يكون داخل الجماعة}}$

$$= \frac{ص}{ن}$$

حيث ص هو عدد الاختيارات الفعلى ن هو عدد أعضاء الجماعة (حيث أن الاختيار المسموح به للفرد هو ١) .

ونسبة التأثير = $\frac{\text{عدد الاختيارات الاتية من الخارج}}{\text{العدد الكلى للاختبارات فى الجماعة الخارجية}}$

$$= \frac{ص'}{ن'}$$

حيث ص هو عدد الاختيارات الآتية من المجموعة الخارجية إلى المجموعة الداخلية .

ن' هو عدد أعضاء الجماعة الخارجية حيث أن الاختيار المسموح به للفرد = ١ .

ومعامل جاذبية الجماعة = مجموع هاتين النسبتين .

أى أن معامل الجاذبية = $\frac{ه صَ + ص هَ}{ه هَ}$

كما يقترح المؤلف أيضاً كشفاً إحصائياً لهذه المعامل بتحويله إلى نسبة خاصة .

المراجع

١ — أسس القياس النفس الاجتماعى: سعد عبد الرحمن القاهرة الحديثة ١٩٦٧
٢ — علم النفس الاجتماعى : فؤاد البهى الكتاب العربى ١٩٥٤

الفصل التاسع

• نحو نظرية أخرى لتفسير سلوك الإنسان

ليس هناك ما يمكن أن نسميه جديداً بالنسبة لسلوك الإنسان فكل شيء فيه قديم قدم الإنسان فى حد ذاته . ولكن هناك زوايا عديدة متنوعة يمكن لكل فرد منا أن ينظر من خلالها إلى سلوك الإنسان تعليلا وتفسيراً .

وليس هناك ما هو أصيل عبقرى فى أى من التفسيرات التى سبقت والتى يمكن أن تأتى فيما بعد بالنسبة لهذا السلوك لأن أصله وجذوره فى هذا الإنسان أو ذلك وإنما هناك تفسيرات يمكن أن يقبلها عقل هذا الإنسان ومنطقه .

وفى الفقرات التالية من هذا الفصل سوف نعرض وجهة نظر قد تكون معقولة مقبولة وقد يكون فيها أيضاً بعض الجدة بالنسبة لما سبق من وجهات نظر مختلفة .

وفى بداية العرض كان من المتوقع أن نعرض وجهات النظر السابقة الخاصة بتفسير سلوك الإنسان حتى نحدد وضع وجهة نظرنا بين هذه الآراء المختلفة ولكن فى واقع الأمر كانت الفصول السابقة من هذا الكتاب تعرض هذه الآراء بصورة غير مباشرة ، فأصحاب مدرسة الدوافع فسروا سلوك الفرد فى جميع مجالات حياته وفى جميع المواقف الاجتماعية التى يمر بها من خلال تنظيم هذه الدوافع بيولوجية كانت أم اجتماعية وكذلك فعل أصحاب مدرسة دراسات الشخصية حيث وضعوا تعليلا وتفسيراً لكل نمط من أنماط سلوك الفرد على أساس الارتباط بين السلوك وخصائص الشخصية أو أنماط الشخصية . ثم جاء مدخل القدرات لفهم سلوك الإنسان فأصبحت القدرة فى حد ذاتها هى « تجمع من أنماط السلوك » ترتبط فيما بينها ولم يعد

هناك شيء آخر غير القدرات لتفسير هذا السلوك بل أن معظم الدارسين فى هذا الميدان آثروا ألا يشيروا إلى أى متغيرات أخرى ترتبط بسلوك الفرد .

وهكذا نجد أن المذاهب الرئيسية فى تفسير سلوك الإنسان من وجهة نظر البناء الإنسانى اتخذت مداخل ثلاثة :

(ا) مدخل الدوافع .

(ب) مدخل أنماط وخصائص الشخصية .

(ج) مدخل القدرات وبنائها .

ومن ناحية الشكل فإن هذه المداخل جامعة مانعة فى نظر الكثيرين ولكن البعض يرون أن هناك مداخل أخرى تفسر سلوك الإنسان وهى ليست أقل كفاءة أو قدرة عن المداخل الثلاثة السابقة . وكانت هذه المداخل الأخرى تعتمد على وجهة نظر تختلف تماماً عن وجهة النظر البنائية السابقة فهذه اعتمدت على دينامية الجماعة وقواها وضغوطها التى ترسم مجال تفاعل أفرادها وتحدده . كان المدخل الأول هو عملية الإدراك الاجتماعى إذ يعتقد الكثير ممن يدرسون هذه العملية فى عمق وروية أنها المتغير المستقل بالنسبة لكل سلوك الإنسان إذ أن إدراكه للآخرين كأشكال اجتماعية يحدد سلوكه تجاههم وتفاعله معهم . وأما محددات عملية الإدراك الاجتماعى هذه فهى محددات اجتماعية من خارج الفرد وليست من داخله .

وكذلك مدخل آخر هو مدخل الضغوط الاجتماعية السائدة فى مجال الجماعة وانعكاساتها على سلوك الفرد فالضغط الاجتماعى سواء كان إعلاماً أو دعاية أو إشاعة أو قيمة أو معياراً فإن ذلك — من وجهة نظر ما — يشكل سلوك الفرد فيدفع به ناحية ما وينأى به عن ناحية أخرى . والمدخل الثالث لتفسير سلوك الإنسان هو الاتجاه النفسى الذى اعتقد أصحاب مدرسته أنه المجال الوحيد لدراسة العلم السلوكى . ومحددات الاتجاه النفسى اجتماعية دينامية

تأتى من خارج الفرد وليس من داخله ولذلك فإن الاتجاه النفسى مدخل دينامى اجتماعى لتفسير سلوك الإنسان ، شأنه فى ذلك شأن المدخل الرابع لتفسير سلوك الفرد من وجهة النظر هذه وهو مدخل البناء السوسيومترى للجماعة .

وهكذا نجد أنه فى مقابل ثلاث مداخل بنائية لتفسير سلوك الفرد هناك أربعة مداخل دينامية اجتماعية لتفسير هذا السلوك هى :

(ا) مدخل عملية الإدراك الاجتماعى .

(ب) مدخل الضغوط الاجتماعية .

(ج) مدخل الاتجاهات النفسية .

(د) مدخل البناء السوسيومترى للجماعة .

وقد يكون من المتوقع إذن أن نقول أننا سوف نمسك بالعصا من منتصفها ونزعم أنه يمكن تفسير سلوك الإنسان بتفاعل هذه المداخل جميعها مع بعضها البعض لأنه لا يمكن أن نفصل البناء عن المدخل الاجتماعى الدينامى .

ولكن هذا الزعم تحصيل حاصل وليس فيه جديد أو أصيل لأننا جميعاً ندرك أن سلوك الإنسان هو نتاج هذه العوامل والمداخل جميعاً بقدر ما ندرك سلوك الإنسان فى حد ذاته .

وأما ماسوف نعرضه من وجهة نظرنا سوف يختلف عن «موقف الحلول الوسط» ، إذ أننا سوف نحاول أن نتخذ موقفاً جلياً واضحاً من كل مدخل من هذه المداخل ونحدد دوره كعامل يؤثر فى سلوك الإنسان ودوره كمدخل يمكن عن طريقه أن نفسر هذا السلوك .

ولن نبدأ هذه النظرية بعرض مسلماتها وقوانينها الأساسية شأن معظم النظريات الأخرى ولكن سوف نوضح فى بداية الأمر تصورنا لسلوك الإنسان عن طريق مناقشة مثال أو مثالين .

مثالنا الأول هو مثال الرجل الجائع .

نحن نعترف بالجوع كدافع بيولوجى لابد وأن يتحرك الفرد ويسلك من أجل إشباعه .

وهذا الرجل فى مثالنا هذا سوف نبدأ معه من نقطة الصفر عندما يشعر بالجوع وهو بمفرده فى منزله فينشط ويرتدى ملابسه ويستعد للخروج من أجل الحصول على الطعام . هذا السلوك نسميه السلوك غير المنظور حيث أنه تم بعيداً عن الناس شركاء هذا الرجل فى المجتمع الذى يعيش فيه .

والسلوك فى هذه المنطقة غير المنظورة أو السلوك غير المنظور عموما مشبع بالدوافع أو بدافع الجوع على وجه التخصيص . حقيقة قد تتدخل بعض العوامل الأخرى مثل القيمة الاجتماعية حيث يبحث رجلنا هذا عن الملبس الذى يرتديه ويكون لائقاً بمكانته الاجتماعية ، ولكن لا يأتى ذلك إلا بعد سلوكه المبنى على الدافع تماما مثل سرعته فى البحث عن الملبس المناسب وقد يتدخل أيضاً الاتجاه فى انتقاء اللون المناسب من الرداء المناسب ولكن هذا ثانوى جداً ويتضاءل بجانب سلوكه المشبع بدافع الجوع .

فكأننا نريد أن نقول هنا أن فى منطقة السلوك غير المنظور يغلب الدافع على أى متغير آخر يكون له علاقة بسلوك الإنسان .

والخطوة التالية عند رجلنا هذا تأتى عندما يخطو بقدميه خارج مسكنه ويلتقى بالمجتمع ويسير فى الطريق إلى المطعم — وهنا تأتى منطقة السلوك المنظور وتنقسم إلى منطقتين هما : منطقة البحث ومنطقة الغرض أو الهدف.

ومنطقة السعى أو البحث هى المسافة بين أول خطوات هذا الرجل وبين باب المطعم وأما منطقة الهدف فهى منطقة ما بعد باب هذا المطعم .

فى الطريق إلى المطعم : الرجل جائع ولا شك يلح عليه دافع الجوع ولكن مدى تشبع سلوكه بهذا الدافع بدأ يقل شيئاً فشيئا ليحل محله متغير آخر هو القيم الاجتماعية .

ولكن كيف ؟ فى الطريق والرجل جائع وهناك الكثير من مصادر الحصول على الطعام فهناك مطاعم الدرجة الأولى والدرجة الثانية وهنا يتجه هذا الرجل إلى المكان الذى يناسب مكانته الاجتماعية كما أنه يسير أو يخطو أو يركب سيارة أو غير ذلك وهو فى كل هذا متأثر بالقيم الاجتماعية أكثر من تأثره بالدافع .

فهو والجوع يشتد به لا يركض فى الشارع ولا يبكى مثلا ولكنه يسير فى خطوات تناسب القيم الاجتماعية التى يتأثر بها .

فنى هذه المنطقة : منطقة البحث من منطقة السلوك المنظور يتبادل الدافع والقيمة الاجتماعية الأمكنة . فتأتى القيمة أولا ثم يليها الدافع على عكس الحال فى منطقة السلوك غير المنظور حيث كان الدافع هو الأول ثم تأتى القيمة الاجتماعية بعد ذلك .

وكان يمكن للرجل — نفس الرجل — أن يختطف ثمرة فاكهة من فاكهى أو قطعة خبز من خباز ولكن القيم تضغط عليه لتجعله يسير فى سمت الجماعة ونظامها .

وأخيراً يدخل الرجل إلى المطعم وبذلك يكون دخل إلى منطقة الهدف أو الغرض وأصبح الطعام فى متناول يده وبإمكانه أن يأكل مايريد .

وفى منطقة الغرض هذه يحدث تنظيم آخر بين محددات سلوك هذا الرجل فيبرز الاتجاه النفسى فى المرتبة الأولى حيث يختار الرجل بين عدة أنواع من الأطعمة فيأخذ ما يتفق مع اتجاهه وتظل القيمة فى المرتبة الثانية وأخيراً يكون الدافع فى المرتبة الثالثة .

ويأكل الرجل وهو فى ذلك يستخدم عدداً من القدرات والمهارات الاجتماعية التى تساعده على إتمام تناول الطعام . فكأن القدرة والمهارة وخصائص الشخصية فى هذه الحالة هى وسط — يساعد الفرد على إتمام الحصول على الغرض .

لا يمكن لنا أن نعزل الرجل عن الآخرين الجالسين فى نفس المطعم فهو يتطلع إليهم من حين إلى آخر — ينظر فى وجوههم تارة بعد أخرى وهو فى حقيقة الأمر ينظر إلى المعيار الذى يرتسم رد فعله على هذه الوجوه فكأنما دور المعيار كضغط اجتماعى لا يظهر إلا فى منطقة الغرض من المنطقة المنظورة من سلوك الإنسان وخاصة بعد إتمام الحصول على الغرض أو فى أثناء ذلك .

بعد إشباع الدافع أو إتمام الحصول على الغرض يختفى الدافع أو يقل إلحاحه وشحنته كما يختفى الاتجاه النفسى وتقل حساسية الفرد للمعيار كضغط اجتماعى ولا يبقى غير القيمة الاجتماعية كمحدد من محددات سلوك الفرد . فهو بعد خروجه من المطعم وقد هدأ دافع الجوع ولو إلى حين كما انتهى دور اتجاهه النفسى نحو أنواع الأطعمة المختلفة بناء على هدوء دافع الجوع وكذلك تقلصت حساسيته لمعايير هؤلاء الذين كانوا يجلسون معه فى نفس المطعم . بعد خروجه لا تعمل سوى القيمة الاجتماعية كموجه لسلوكه وتصرفه وتفاعله مع الآخرين بالاضافة إلى الضغوط والعمليات الاجتماعية الأخرى .

ومثالنا الثانى سوف يعرض دافعاً من نوع آخر غير ذلك الدافع البيولوجى الذى تعرضنا له فى مثالنا الأول . سوف نعرض دافع الانجاز كدافع اجتماعى مركب . ولنأخذ فى هذه الحالة طالب الجامعة فى مرحلته الأخيرة من الدراسة . ولنبدأ أيضاً مع فتانا هذا من نقطة الصفر . أى منذ بداية هذه المرحلة الأخيرة .

وتبدأ منطقة السلوك غير المنظور عندما يقوم هذا الفتى على استذكار دروسه ومحاضراته فنجد أن دافع الإنجاز أو التحصيل هو المتغير الذى يغلب على سلوكه أثناء عمليه الاستذكار والاستعداد حيث يحتل هذا الدافع المركز الأول فلا يهتم الطالب فى هذه المرحلة بملبسه أو بطريقة جلوسه أو حتى

بشكل الارتباطات والاستنتاجات التى يخرج بها من دراسته فقد يمشى حافى القدمين أو يجلس القرفصاء فى ركن من أركان حجرته أو يبتكر من المفردات اللفظية المضحكة ما يذكره بأهم نقاط دراسته وهو فى ذلك لا يتقيد بقيمة اجتماعية من نوع ما بقدر تقيده أو تأثره بدافع التحصيل والانجاز .

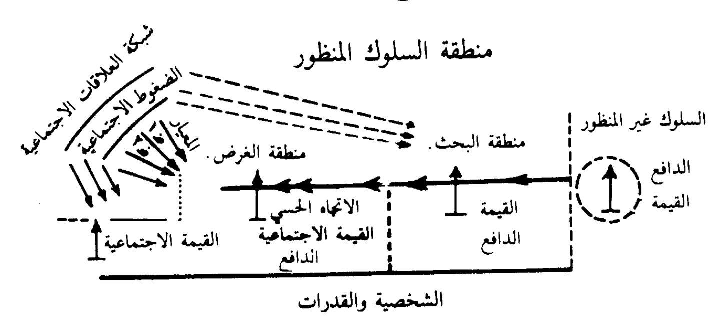
وتأتى بعد ذلك مرحلة السلوك المنظور والجزء الأول منها مرحلة البحث عندما يلتقى هذا الطالب بزملائه وأساتذته بالجامعة ويجلس إليهم ليستمع إلى محاضراتهم ومناقشاتهم . وهنا يحدث تبادل فى الوضع بين الدافع والقيمة الاجتماعية . فتأتى القيمة فى المرتبة الأولى يليها دافع التحصيل . فنجد أن سلوك الطالب فى هذه المرحلة مشبع بالقيم الاجتماعية فهو يلتزم بطريقة خاصة فى مناقشة أساتذته وحواره معهم ويلتزم بطريقة أخرى فى مناقشة زملائه فى المسائل العلمية ويلتزم بطريقة ثالثة فى مناقشة زميلاته فى هذه المسائل . وجميع هذه الطرق تفرضها القيم الاجتماعية السائدة فى هذا المجتمع العلمى وتؤثر على سلوك الطالب أكثر مما يؤثر عليه دافع الانجاز والتحصيل . وهنا أيضاً تعمل القدرات وخصائص الشخصية كوسط لإتمام التفاعل ويظل الطالب هكذا حتى ينتهى من دراسته ويدخل إلى منطقة تحقيق الهدف أو الغرض بحصوله على الدرجة العلمية . وهنا تفتح الحياة العملية لفتانا هذا أبوابها ويبرز الاتجاه النفسى كمحدد لسلوكه حيث يكون أمامه اختيار أى ميادين العمل يرغب فيها ويحبها ويميل إليها . وبطبيعة الحال يحتل الاتجاه النفسى المرتبة الأولى تليها القيمة الاجتماعية ثم دافع الانجاز والتحصيل .

وهنا أيضا أثناء البحث عن الميدان المناسب يتأثر الفرد بالمعايير التى تضغط على تنظيم المجتمع وتحدد إطاره فيأخذ الطالب فى اعتباره ما يقوله الناس عن هذه المهنة أو تلك .

بعد إتمام الحصول على الغرض أو الهدف تصبح القيمة هى المحرك الأول لسلوك هذا الفرد بالإضافة إلى الضغوط الاجتماعية الأخرى .

قبل أن نبنى أى شىء على هذين المثالين يجب أن نقول « إن هذين المثالين إنما يوضحان فقط موقفاً أو بعض موقف من المواقف العديدة المتشابكة التى تكون تفاعل الفرد مع عناصر بيئته كما أن هذين المثالين أيضاً يجب اعتبارهما صورة ساكنة لحلقة من حياة دينامية متحركة يتميز بها الكائن الحى » .

والشكل التخطيطى التالى يوضح تلخيصاً لهذين المثالين :



(يتضح من هذا التخطيط أن القيمة الاجتماعية هى المتغير الوحيد الذى يستمر مع سلوك الإنسان من البداية إلى النهاية) .

(وواضح أيضاً أن الضغوط الاجتماعية قد تمتد إلىمنطقة البحث أيضا) .

وللتلخيص فإن وجهة نظرنا هذه التى قدمنا لها بالمثالين السابقين وبهذا التصور عن علاقة السلوك الإنسانى ببعض المتغيرات التى تتصل به فإننا نزعم أن وجهة النظر هذه تبنى على هذه المسلمات :

المسلم الأول : « ليس هناك من سلوك الإنسان ماهو بسيط الخلفية » :

ولتفسير ذلك فإننا نقول إن كل نمط سلوكى يقوم به الفرد الإنسان إنما له خلفية معقدة فليس هناك متغير واحد فقط هو الذى ينتج سلوك الفرد وليس هناك دالة واحدة يمكن عن طريقها استنباط سلوك الفرد والتنبؤ به .

ومن هنا أيضاً يمكن أن نقول إن جميع المتغيرات لا بد وأن تشترك مع بعضها البعض فى مسئوليتها عن سلوك الفرد فى أى موقف من مواقف الحياة .

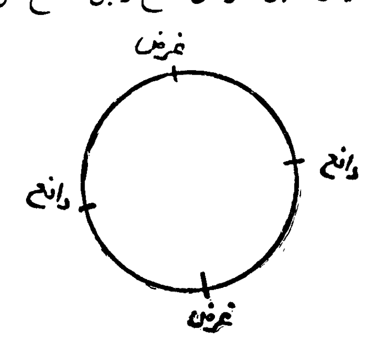
المسلم الثانى : « المتغير المتعلق بسلوك الإنسان ليس إحادى الفعل والوظيفة » .

ولتفسير ذلك فقد سبق فى المسلم الأول أن قلنا أن النمط الواحد من سلوك الفرد لا يتعلق به متغير واحد فقط ولكن عدة متغيرات تتكامل مع بعضها البعض لتعطى هذا النمط أو ذاك من السلوك واستنبطنا من هذا أن جميع هذه المتغيرات تشترك مع بعضها البعض ولكن هذا لا يعنى نوعا من التخصيص فليس هناك تجمع خاص من هذه المتغيرات ليعطى نوعا خاصا من السلوك بل أن المتغير الواحد قد يشترك فى أكثر من تجمع لإنتاج أكثر من نمط مختلف من أنماط السلوك .

المسلم الثالث : « سلوك الإنسان يبدأ بالدافع وينتهى بالغرض » :

وهذا يدلنا على أن السلوك الإنسانى غرضى أى دائماً يبحث الإنسان أثناء سلوكه عن هدفه وغرضيته وأن هناك دافع يكمن وراء هذا السلوك . وبذلك فسلوك الفرد فى لحظة ما من موقف ما محصور بين نقطتين هما الدافع والغرض ولكن هاتين النقطتين لا تقعان على خط مستقيم أى لا تمثلان قطبين كما ورد فى بعض التصورات الأولية لسلوك الإنسان ووصفه بأنه ثنائى القطبية .

وأما هاتان النقطتان : الدافع والغرض يقعان على محيط دائرة بمعنى أنه من المحتمل جدا أن يكون قبل الغرض دافع وقبل الدافع غرض وهكذا .



المسلم الرابع : « تتفاعل المتغيرات مع بعضها البعض تفاعلا بالتراكم والتركيب وليس بالإضافة » .

القصد من هذه العبارة هو توضيح علاقة المتغيرات بعضها ببعض وعلاقتها بالكل الناتج الذى نسميه السلوك . فإذا كان هناك دافع ما وهناك قيمة ما فليس من المتوقع أبدا أن يكون سلوك الإنسان فى المنطقة غير المنظورة هو نتيجة إضافة الدافع إلى القيمة إضافة كمية ولكن عندما يتفاعل هذا الدافع مع هذه القيمة ينتج سلوكا يختلف فى خصائصه ومميزاته عن خصائص الدافع ويختلف أيضا فى مميزاته وخصائصه عن خصائص القيمة ومميزاتها .

وهذا ما قصدنا به عندما قلنا إن التفاعل تفاعلا بالتراكم والتركيب وليس بالإضافة .

بناء على هذه المسلمات الأربعة وعلى توضيحنا السابق لمسيرة سلوك الانسان من نقطة الدافع إلى نقطة تحقيق الهدف فإننا نقترح القوانين التالية كأسس تنبؤية لوجهة نظرنا التى نعرضها فى هذا الفصل :

١ — القانون الأول : قانون أولوية المتغير Variable Priority

ينص قانون أولوية المتغير على أنه « يتغير تركيب سلوك الإنسان من منطقة إلى أخرى حسب أولوية ظهور المتغير المتعلق بهذا النمط الخاص من السلوك » ويمكن التعبير عن هذا القانون كما يلى :

(أ) فى منطقة السلوك غير المنظور تكون العلاقة بين القيمة والدافع كمتغيرين يتعلقان بسلوك الفرد علاقة تناسب عكسى :

أى أنه د × ق = مقدار ثابت ك

حيث د هى كمية الدافعية (الدافع)

ق هى تأثير القيمة على سلوك الفرد

وبذلك كلما ازدادت شحنة أو كمية الدافعية عند الفرد كلما كان أثر القيمة قليلا أى د $\propto \frac{1}{ق}$

(ب) فى منطقة السلوك المنظور حيث تتدخل عوامل الضغوط الاجتماعية الخارجيه الأخرى يمكن التعبير عن هذه العلاقة كما يلى :

$$د \times ق = ك + س$$

حيث س هى أثر الضغوط الاجتماعية الخارجية على سلوك الفرد فلو أمكن لنا أن نزيل هذا الأثر لحصلنا على العلاقة السابقة الموضحة فى منطقة السلوك غير المنظور حيث :

$$(د \times ق) - س = ك$$

(حـ) فى منطقة الغرض يتعرض سلوك الإنسان لنوعين من العوامل الأخرى : النوع الأول هو الاتجاه النفسى الذى يحدد سلوك الفرد بصورة أقوى من تحديد القيمة والدافع لهذا السلوك . والنوع الثانى هو الضغوط الخارجية الآتية من شبكة العلاقات الاجتماعية . وبذلك يمكن التعبير عن هذه العلاقة على النحو التالى :

$$\frac{د \times ق}{حـ} = ك + س$$

حيث د هى كمية الدافعية .
ق هى تأثير القيمة على سلوك الفرد .
ج هى أثر الاتجاه النفسى على سلوك الفرد .
س هى أثر الضغوط الاجتماعية (المعايير . . .) على سلوك الفرد .
ك مقدار ثابت .

ولتفسير هذه الإشارة فإننا نجد أن $\frac{د}{حـ}$ = مقدار ثابت ومعنى أنه كلما زادت الدافعية عند الفرد كلما زاد أثر الاتجاه النفسى عند هذا الفرد على سلوكه . ومعنى ذلك أيضاً أن $\frac{ق}{حـ}$ = مقدار ثابت أى أنه كلما زاد

أثر القيمة على سلوك الفرد ازداد أثر الاتجاه النفسى على سلوكه . وهذا معقول مقبول فعلا إذا فحصنا المواقف الاجتماعية التى يتفاعل فيها الانسان مع عناصر بيئته .

٢ — القانون الثانى : قانون تنظيم المتغير Variable adaptation

ينص هذا القانون على أنه « يقوم الفرد فى كل مرحلة من مراحل سلوكه بتنظيم كمية المتغير المطلوبة بناء على مدى حساسيته للغرض أو الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه » .

ومعنى ذلك أن الفرد كلما اقترب من الهدف زادت قدرته على تنظيم كمية المتغير الفعال فى كل منطقة من مناطق السلوك . فقدرة الإنسان على تنظيم العلاقة بين القيمة والاتجاه والدافع وكذلك الضغوط الاجتماعية الآتية من الخارج فى منطقة الغرض أكثر بوضوح من قدرته على تنظيم العلاقة بين الدافع والقيمة فى منطقة السلوك غير المنظور .

٣ — القانون الثالث : قانون الجهد المتضاعف Effort Multiplicity

« كلما ابتعد الهدف أو الغرض عن الفرد تضاعف الجهد المبذول من جانب الفرد بمنوال متزايد » .

ومعنى هذا القانون أنه إذا كانت المسافة بين الفرد والغرض أصلا تساوى ف ثم زادت فجأة فأصبحت ف + س فإن الفرد يبذل المزيد من الجهد وليكن هذا المزيد من الجهد بمقدار (ا) فرضاً . وإذا عاد الغرض وابتعد مسافة أخرى متساوية مع الزيادة الأولى أى أصبحت المسافة بين الفرد والغرض ف + ٢ س فإنه يصبح من المتوقع أن يبذل الفرد مزيداً آخر من الجهد فى هذه المرة بمقدار أكبر من ا . وليكن اَ . وإذا عاد الغرض وابتعد مرة أخرى لتصبح المسافة بينه والفرد ف + ٣ س فإن زيادة الجهد المبذول تزيد مرة أخرى فيصبح مثلا اً . وهكذا .

وهذا ما قصدنا إليه بزيادة الجهد بمنوال متزايد .

وربما فسر هذا القانون أيضاً القانون السابق الخاص بتنظيم المتغير حيث قلنا أن القدرة على هذا التنظيم تزيد باقتراب الفرد من الهدف وهذا صحيح لأنه عندما يقترب الفرد من الهدف يقل جهده المبذول وبالتالى ترتفع قدرته على تنظيم المتغيرات والعكس صحيح .

٤ — القانون الرابع : قانون اتصال السلوك Behaviour Continuity

« وحدات السلوك الإنسانى متصلة متتابعة بين الدافع والغرض » .

ومعنى ذلك أن السلوك الإنسانى وحدة متكاملة وأن حلقاته متصلة متتابعة لتصل بين الدافع والغرض ويمكن أن نستنتج من هذا شيئين اثنين :

(ا) أن مستوى سلوك الفرد لابد وأن يتعدى الدافع حتى ينشط هذا الفرد ويتجه إلى الهدف . وبهذا يمكن أن نقول أن أحلام اليقظة لاتصل بين الدافع والغرض وذلك لأن أحلام اليقظة سلوك دون مستوى الدافع ولم يستطع أن يتعداه .

(ب) أن سلوك الانسان لا يتكرر لأنه حلقات متتابعة . وهذا حقيقى لأن الفرد كما هو متغير بطبيعته وخصائصه من موقف إلى آخر فإن كل موقف بعناصره أيضاً متغير دينامى . ولهذا فإن سلوك الفرد لا يتكرر أبدا سواء من ناحية الشكل أو من ناحية الموضوع والمحتوى والمهارة .

٥ — القانون الخامس : قانون تعديل الهدف Goal ammendment

« يعدل الفرد من مكان ووضع الهدف بما يناسب إمكانياته وقدراته »

ومعنى ذلك أن الفرد سوف يقوم من حين لآخر بتعديل أوضاع أهدافه تعديلا يتلاءم مع إمكاناته وقدرته الراهنة .

فقد يلجأ الطالب مثلا إلى الاكتفاء بالحصول على درجة الليسانس أو البكالوريوس بعد أن كان هدفه الحقيقى هو الحصول على درجة الدكتوراه .

وهو فى هذا يكون قد عدل هدفه بما يتناسب مع إمكانياته المختلفة فى حالته الراهنة .

ويتم تعديل الهدف غالباً فى « منطقة البحث » وهى المنطقة المتوسطة بين السلوك غير المنظور ومنطقة الهدف أو الغرض . وهذا التعديل غالباً ما تصاحبه عمليات دفاعية نفسية وحيل سيكلوجية مثل التبرير أو التقمص أو غير ذلك من الحيل الدفاعية التى يخرج الفرد عن طريقها من واقعه الذى يعيشه إلى عالم آخر بعيد الصلة عن عالمه الحقيق . وذلك إذا كان تكيف الفرد لعملية تعديل الهدف تكيفاً خاطئاً غير سليم . وأما إذا كان تكيف الفرد لعملية تعديل الأهداف تكيفاً صحيحاً فإنه سوف يلجأ دائماً إلى الأسلوب العلمى الموضوعى فى التفكير من أجل الاقتناع وإقناع الآخرين بضرورة عملية التعديل .

بهذا نكون قد أوضحنا فى إيجاز ما كنا نهدف إليه فى هـــذا الفصل وهو عرض وجهة نظر أخرى فى تفسير السلوك الانسانى . وقد تعمدت الايجاز الشديد فى هذا الفصل بالذات حتى يتمكن القارىء من الإلمام به دون جهد وفى وقت مناسب وبذلك تكون هناك حصيلة جيدة خصبة من النقد والانتقادات الأمر الضرورى لكل عمل علمى .

المراجع

١ ـ أحمد أبو زيد : أزمة العلوم الانسانية ـ عالم الفكر ـ العدد الأول ١٩٧٠

٢ ـ أحمد زكي صالح : علم النفس التربوى ١٩٥٣

٣ ـ سعد عبد الرحمن : خصائص الشخصية وأبعاد الادراك الاجتماعى ـ التربية الحديثة ١٩٦٦

٤ ـ « « « : الإدراك الاجتماعى والتاجية الجماعات الصغيرة ـ صحيفة التربية ١٩٦٦

٥ ـ « « « : أسس القياس النفسى الاجتماعى ـ القاهرة الحديثة ١٩٦٧

٦ ـ صلاح مخيمر ـ عبده ميخائيل : سيكلوجية الإشاعة (ترجمة) أليورت وبوستمان

٧ ـ عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية ١٩٤٨

٨ ـ « « : علم النفس أسسه وتطبيقاته ١٩٥٧

٩ ـ « « ، وآخرون : دراسة القيم بين شباب الريف والمدينة ١٩٦١

١٠ ـ فؤاد البهى : علم النفس الاجتماعى ١٩٥٥

١١ ـ مصطفى فهمى : الدوافع النفسية ١٩٥٣

١٢ ـ يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام ١٩٤٨

13 — Abdel Rahman, S, Personality traits and Sociometric choices, London Uni., 1963

14 — « « « Group SociometricStructure, Values ...., Jn. of Mod. Educ. 1970

15 — « « « The Sociometric Correlates of Social Perception Scores, J. Hum' Stud. 1971

16 — Adorno, T, and others, The authorefarian Personality 1950, Harpr.

17. — Allport, G, The functional autonomy of motives, Insight Books, 1964

18 — Anastasi, A. Psychological testtng, 1968
19 — Atkinson, L, Explorations using immaginative thought 1954, U. Neb. Press
20 — Bandura, and Walters, Social learning and personalty development, 1970' Halt
21 — Barker, R, and Wright, H, Midwest and its children, Peterson and Co. 1954
22 — Berelson, B., Tbe behavioral sciences to day, Harper 1964h
23 — Birney, R, and Tevan, R, Measuring Human Motivation, Ins' books, 1962
24 — Bischof, L. J. Interpreting Personality theories, Hrrper, 1964
25 — Bogardus, E. S. Measuring Social distance, J. App. Sociol. 1925
26 — « « « « Immigration and race attitudes, Baston Heath, 1928.
27 — « « « « changes in Racial distances, Inst. opin. attit Res. 1997., I, No. 4.
28 — Rorgatta, E, Handbook of Personality, Mc. Nelly, 1968
29 — Brown,s, Problems presented by .... 1953.
30 — Butcher,c, Human Intelligence, 1968.
31 — Catiell, R, B., Personalty and motivation, N.V. 1957.
32 — « « « The Scientific analysis of Personalty 1967
33 — Cronbach,L, Essentials of psch. testing, 1960
33 — Cronbach,L, and Meehl, Construct validity ...., Psychol. Bull., 1955
34 — Deutsch, M, and collins, M, Interracial housing, Uni. Minnesota, 1951
35 — Dollard, J, and others, Frustration and aggression, N.Haven, 1939
36 — Dudycha, G, Tbe attitudes of college Studentstowards war and the Germans J. Soc. Psgchol. 1942, 15.
37 — Eysenck, H, The Strudture of Human Personolity, Methuen 1965

28 — Fox, c, Educational Psychology, 1950
39 — Glickman, S. The neurological basis of motivatinn, Ins, books 1969.
40 — Gronlund, N, Readings in measurment and evaluation,1968.,
41 — Harlow, H' Motivation as a factor in new Responses,1953,
42 — Hebb, O, Drives and the C.N.S., Ins books, 1969.
43 — Hovland, c, and others, The order of presentation in persuation. 1956. Yale.
44 — Katz, D, and Bralyk, "Racial Stereotypes ..., J. abn. Soc. Psychol 1933
45 — Katz, D, Public opinion anb Propaganda, 1954
46 — Kuo,Z,Y, The Genesis of the Cat's Response to the Rat; J. Comp: psychol. 1930.,11.
37 — Kutner, B, and others. Verbal attitudes and Covert behaviour" J abn Soc. Psychol. 1952
48 — Le Piere, R. Attitudes Vs. Actions. Soc. Forces. 1934
49 — Logan. R. The Negroiv American life and thought. Nadir N. Y. 1954
50 — Mcclelland. D. Measuring motivation. Ins. books. 1962.
51 — Murray. H. Facts Suposrting needs and drive Ins books, 1964
52 — Seago, D. Stereptypes begore Pearl Harbor and after. J: Psychol. 23. 1947.
53— Shipley. T. and Veroff. a projective measure of need for affiliation. Ins. Books. 1961
54 — Simpson, G. and yinger. I. Racial and Cultural minorities, N.Y Harper 1958.
55 — Sinha. A. and Upadgyaya. O. Stereotypes of male and female Students. J. Soc. Psychol, 1960.
56 — Skinner. B. Scienc and Human Behavior. 1953.
57 — Stagner. R. Psychology of personality. 1961
58 — Taft. R. Multiple methods of ..., Psychol. Bull. 1959.
59 — Teevan. R. and Birney. Theories of motivation. Ins books. 1964.

60 — Toch. H. aud Smith. H. Social Perception. 1968. Van Nostrond:

61 — Tyler. L. Tests and measarmsnts. 1963.

62 — Vernon. P. E. Personality assessment .... ,Methun 1959.

63 — Vernon. P. E. The Structure of human abilities Methuen 1965.

64 — Wiseman.s. Intelligence and ability. 1971.

65 — Wood worth andmarquis. Psychology. 1968.

66 — Wright and others. Introducing Psychol. clay. 1970.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧١/٤٨٢٤